مؤلف رواية Unwind الأكثر مبيعًا
في قائمة نيويورك تايمز
القطوف
قصص من قوس المنجل
Gleanings
4
نيل شسترمان
عصير الكتب
ترجمة: محمد عبد العاطي

سجل في مكتبة

اضغط الصفحة

SCAN QR

القطوف

قصص من قوس المنجل

Gleanings

عصير الكتب

عصير الكتب
للنشر و التوزيع

إدارة التوزيع
00201150636428

لمراسلة الدار:
email:P.bookjuice@yahoo.com
Web-site: www.aseeralkotb.com

- العنوان الأصلي: Gleanings
- العنوان العربي: القطوف
- حُقوق النشر:
copyright© 2022 by Neal Shusterman
Published by arrangement with Simon & Schuster Books For Young Readers, An imprint of Simon & Schuster Children's Publishing Division

- حقوق الترجمة: محفوظة لدار عصير الكتب
- ترجمة: محمد عبد العاطي
- تحرير: أحمد حسين
- تدقيق لغوي: نهال جمال
- تنسيق داخلي: معتز حسنين علي
- الطبعة الأولى: يناير/2025م
- رقم الإيداع: 2024/20490م
- الترقيم الدولي: 978-977-992-418-2

مكتبة
t.me/soramnqraa

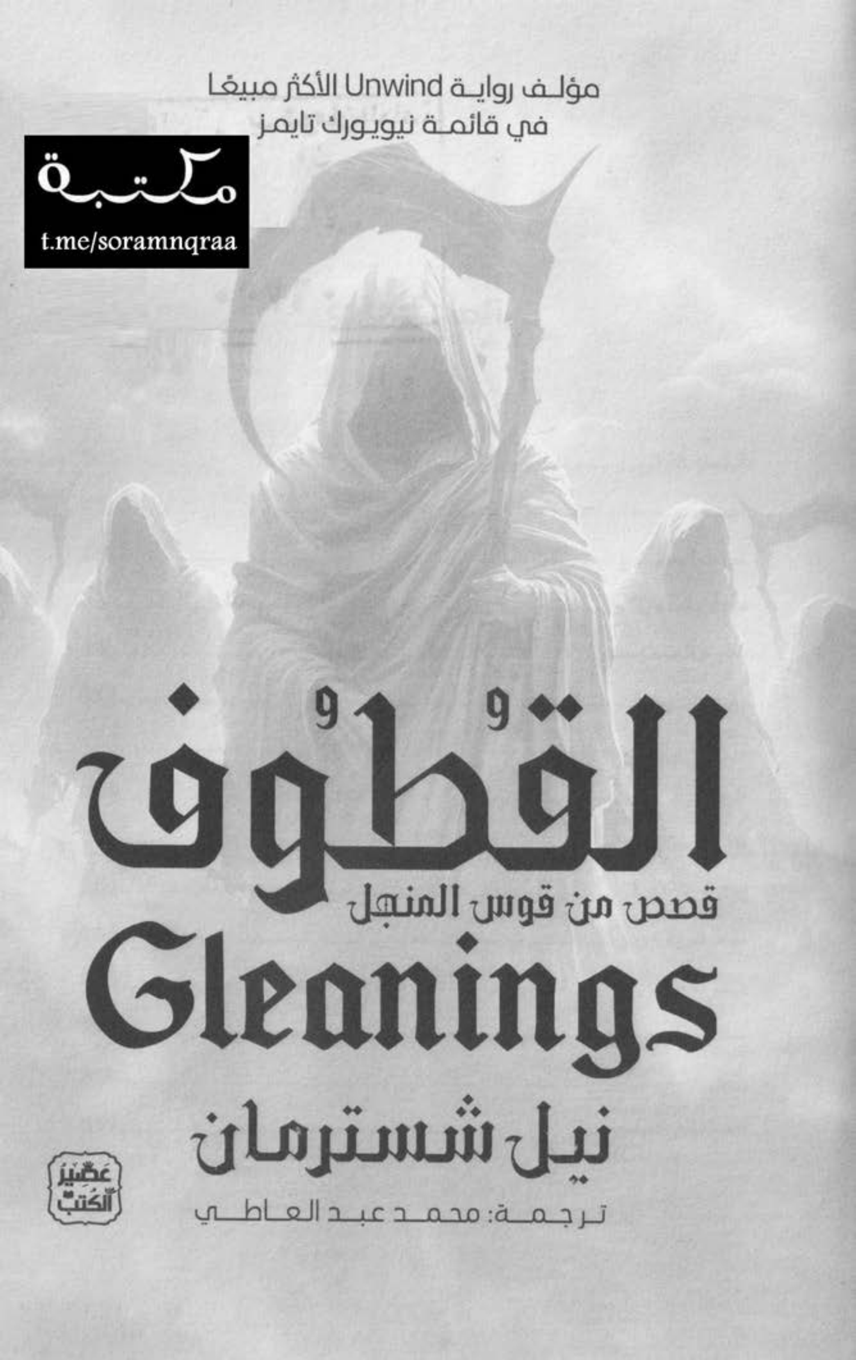

مؤلف رواية Unwind الأكثر مبيعًا
في قائمة نيويورك تايمز

مكتبة
t.me/soramnqraa

القطوف

قصص من قوس المنجل

Gleanings

نيل شسترمان

ترجمة: محمد عبد العاطي

عصير الكتب

المحتويات

الطعنة الأولى 7

مَهيبة 11

تجنَّب العمل مع الحيوانات 29

موتٌ متعدد الألوان 71

شارع المستهجنين 89

دقيقة مريخية 111

فَنُّ الفانين 173

الرباب 209

ظِل أناستازيا 219

إصرار الذاكرة 251

لقاءٌ ظريف وموت 285

ربما نُقطَف 311

سِتارٌ داكِنٌ يرتفع 341

شُكر 355

المؤلفون المشاركون 357

الطعنة الأولى

مكتبة
t.me/soramnqraa

عندما تهوِي بنصلك أوَّل مرَّة،
تبدو مالكًا ناصية فنِّ القطف،
باترًا الهواء بيُسر ورباطة جأش.

تُوقِع الرَّهبة في نفوسِ الذين أمامك.
يعجزون عن تخيُّل خطوتك التَّالية.
تبدو مُتَّزِنًا راسخ القدم كراقصٍ محترفٍ يرقص بينهم بعنفوان،
تبدو ساطعًا كنجم النُّجوم،
وعباءتك تنساب خلفك غامِرةً الأرضَ بشلالٍ من الذَّهب.

لكن هذه ليست الحقيقة.

قَدْرك لا يشغل مَن يهمُّك رأيهم فيك.
لستَ سوى شعاع باهت في نظر أقرانك.
ضئيل الشأن.

وعندما تهوِي بنصلك أوَّل مرَّة،
يضحكون عليك.

تحاول أن تسمو فوق استهزائهم،
وأن تنال شيئًا من الاعتراف بمكانتك.
وأن تنال حظوة المخضرمين السابقين لك في المهنة،
وأن تحظى باحترام الشَّباب،
الذين ضحوا بشبابهم،
لتبرير غرورهم المصاحب لامتياز وقوع الاختيار عليهم.

لكن هذه ليست الحقيقة أيضًا.

سوف تنقضي سنوات قبل أن تعرف الحقيقة،
حقيقة أنَّ أولئك الذين تُبَجِّلهم ليسوا سوى خدم،
خدم للمجتمع الذي نُشذِّبه.
المجتمع الذي اختار السَّماح لنا بالاختيار
قبل سنوات عديدة.
المتفرِّجون المبهورون المرتاعون،
المغتبطون لأنهم متفرِّجون،
هم من بيدهم السُّلطة حقًّا،
هم من يتحكَّمون في أفعالك من طرفٍ خفي.

نقِف أمامهم مصطفّين،

شاهرين نصالنا،

كلُّ واحد منا نسخة مطابقة للآخر.

كلُّنا واحد في مجموعنا،

وجميعنا نمثِّل كيانًا واحدًا.

علينا

أن

نقتل.

شعارنا، وصيَّتنا،

واجبنا الذي يقتضي تذكير الخالدين بالفناء،

وتعليمهم أنَّ المرقد الأخير ربما يكون بعيدًا،

لكن سوف يبلغونه حتمًا.

مَن نحن؟

نحن المناجل.

والأسلحة التي نحملها،

ليست صديقة لنا إطلاقًا،

قوة النصال والهراوات والرصاص تمزِّقنا يومًا تلو يوم،

إربًا إربًا،

فنصبح مُثخنين بجراحٍ لن تندمل أبدًا.

أسلحتنا هي صِلتنا بعامَّة الناس،
ومع ذلك تمنعنا من الاندماج معهم.
مع كل قطف جديد،
يتجدَّد الأسى والنَّزيف،
لكن عزيمتنا أبدًا لا تلين.

لأننا مناجل.
لا شيء سيغيِّر هذه الحقيقة أبدًا.
وعندما يحين وقت نزيفك،
سوف تعرف،
وسوف تتعلَّم.

- جُويل شُسترمان

مَهيبة

قال مايكل لها ذات يوم: «يستغرق التغيُّر وقتًا يا سوزان، هويتك السابقة سوف يطويها النسيان عما قريب، وعندئذٍ سوف تتشرَّبين هويتك الجديدة».

كان سهلًا على مايكل قول ذلك، فهو منجل منذ خمسة أعوام. تساءلت سوزان كم استغرق من وقت حتى 'يتشرَّب' هويته الجديدة، وعجزت عن تخيُّل فاراداي شخصًا آخر.

أنا ماري، لست سوزان. تعيَّن عليها ترديد العبارة مع نفسها مرارًا، إذ لم تقتصر مهمتها على تقديم نفسها للناس بوصفها المنجل ماري كوري، إنما عليها هي أيضًا أن ترى نفسها المنجل كوري، وتقتنع في قرارة نفسها بواقع هويتها الجديدة، فتقديم المرء نفسه شخصيةً عامة يختلف اختلافًا كليًّا عن التجسيد الحقيقي لتلك الشخصية. كان أمرًا أشبه بالتفكير بلغة مختلفة.

كان فاراداي قد طمأنها: «ذات يوم لن تشعري بأنك تؤدين دور شخصية أخرى، وسوف تتكيفين مع هويتك الجديدة، عندئذٍ أظنك سوف تصبحين مَهيبة!».

لكن حتى الآن لم تشعر بأنها ذات أي شأن. لم يكن ثمة ما يميز قطفها في الشهور الأولى بعد تنصيبها، أدَّت واجبها فحسب، لكنها كانت تحاول إيجاد أسلوب يميزها، فدون أسلوب كانت تشعر بأنها تائهة ولا تتقن عملها.

هذه كانت حالة سوزان، لا... حالة *ماري*، النفسية عندما وصلت إلى خلوة الحصاد في عام المارلين، أول خلوة تشهدها بوصفها منجلًا مُعتمَدًا.

افترضت بسذاجة أن تجمُّع المناجل الضخم سيعاملها بشيء من اللطف إذ لم تعد مجرد تلميذة... لكن افتراضها كان أبعد ما يكون عن الواقع.

معظم المناجل وصلوا مستقلين مركبات لا يقودها سائق بشري، سيارات عامة وسيارات ليموزين، لكن ماري جاءت وهي تقود بنفسها سيارة بورش قديمة الطراز أهداها لها ابن رجل قطفته. وعند ترجُّلها من السيارة، بدلًا من السماح لأحد أفراد الحرس النصلي بركن السيارة، التفتت إلى الحشد المجتمع، وسألتهم:

«أيوجد أحد هنا يستطيع قيادة سيارة غير مستقلة ذات ناقل سرعات يدوي وغير متصلة بالشبكة؟».

ارتفعت أيدٍ قليلة، فاختارت ماري شابًّا، بدا في مثل سنها، في التاسعة عشرة تقريبًا، وعندما أدرك أن الاختيار وقع عليه، تقدَّم متحمِّسًا كجرو.

نبَّهته: «احذر، محركها قوي جدًّا».

- نعم جنابك، شكرًا لك جنابك، سأكون حذِرًا جنابك.

ناولته المفتاح بيد، ثم مدت له يدها الأخرى، فجثا على ركبتيه وقبَّل خاتمها، ومشهد نَيْله الحصانة جعل طفلة في الحشد تصيح من البهجة.

قالت له: «اترك المفتاح مع أي أحد من الحرس النصلي، سيجلبه إليَّ».

انحنى الشاب لها. انحنى حقًّا. فتذكرت ماري أن عادة الانحناء بدأت وسيلةً لإظهار الولاء، بأن يسلم المرء رأسه لجلَّاد ملكٍ ما. أحب بعض المناجل تذلل الناس أمامهم، لكن ماري وجدته سخيفًا مثيرًا للضيق. وتساءلت عما إذا أقدَم أي منجل على قطع رأس شخص انحنى أمامه.

قال مايكل لها ذات يوم: «*من امتيازات المنجل أن يكلف بعض الناس بمهام بسيطة، ومن امتيازاتنا أيضًا مكافأتهم على خدماتهم*». وأدركت ماري لاحقًا أن الأمر لا علاقة له بإحساس التفوق، إنما وسيلة لتبرير منح الحصانة. هكذا علَّمها مايكل تحويل ما يمكن أن يكون استحقاقًا إلى لطف.

انطلق الشاب مبتعدًا بالسيارة، وانضمت ماري إلى موكب المناجل الذين يرفلون في عباءاتهم الملونة الفخيمة صاعدين السلالم الرخامية إلى مبنى فولكرم سيتي، وقد كان مشهد الصعود هذا مهمًّا بقدر أهمية الشؤون التي تُناقَش بالداخل، وتذكيرًا لعامة الناس بعظمة هيئة المناجل.

دائمًا ما يحتشد جمهور على جانبي السلالم خلف طوق أفراد الحرس النصلي، جميعهم يأملون أن يظفروا بنظرة على مناجلهم المفضلين. بعض المناجل يتفاعلون مع الحشود، وآخرون لا يأبهون بهم، لكن متى ما ابتسموا أو لوَّحوا أو زجروا، يتركون أثرًا بالغًا يعزز صورة هيئة المناجل في أذهان عامة الناس.

لم تتفاعل ماري مع الجمهور عند صعودها السلالم، أرادت أن تدخل وتنتهي من هذا الجزء بسرعة. ورغم صعود مناجل كثيرين جوارها، أحست فجأة بأنها وحيدة، لم تتوقع أن يكون إحساسها بالعزلة قويًّا قاهرًا هكذا. كانت ترافق فاراداي دومًا في الخلوات السابقة، عندما كانت متتلمذة، لكن الآن لم تشعر بأن أي منجل يمكن أن يكون رفيقًا لها.

خضع خمسة متتلمذين للاختبار النهائي في خلوة الربيع قبل أربعة أشهر، وكانت ماري الوحيدة التي اجتازت الاختبار، والوحيدة التي نُصِّبت، لذا لم تجد رفيقًا من المناجل المبتدئين، كما لم يكن بوسعها مخالطة المتتلمذين الصاعدين، فهذا لا يليق بها بوصفها منجلًا وسينعكس سلبًا على صورتها.

أما بقية المناجل، فبعضهم كانوا مأخوذين بافتتان الجمهور بهم، ومعظمهم كانوا منغمسين في ذواتهم المتضخِّمة فلم يلاحظوا إحساسها بالعزلة. أو ربما لاحظوا، واستمتعوا برؤية بؤسها. لم تكن المشكلة أنهم ممتعضون منها شخصيًّا، إنما امتعضوا من فكرة *وجودها* بينهم، كرهوا حقيقة أن منجلًا شابًّا مثل فاراداي -الذي لم تمض سوى بضع سنوات منذ تنصيبه- قد اتخذ متتلمذة. لذا تحمَّلت ماري وطأة امتعاضهم.

كثيرون اتخذوا من ماري موضوع تسلية، وعاملوها بتعالٍ وازدراء، وحتى الآن ما زال بعض المناجل يرمقونها بنظرات جانبية مستهجنين اختيارها لعباءتها البنفسجية الفاقعة، وقد اختارت هذا اللون المشرق لإغاظة والديها الطونيين، الذين يمقتون أي شيء لونه ليس ترابيًّا باهتًا. والآن ندمت على اختيارها، لأنه جذب إليها انتباهًا غير مرغوب.

خطرت لها فكرة صبغ شعرها باللون نفسه، لكن مصفف الشعر استاء من الفكرة وقال إن ضفيرتها الجميلة ستختفي على ظهرها، واقترح عليها: «فليكُن فضيًّا! سيكون رائعًا!».

عملت ماري بنصيحته، والآن تتدلى ضفيرتها الفضية حتى أسفل ظهرها. ظنت أن مظهرها الجديد سيساعدها على تغيير هويتها من تلميذة فاراداي

إلى كونها منجلًا مستقلًّا، لكن الآن رأت أن مظهرها أحدث أثرًا عكسيًّا، رأت ابتسامات ساخرة وسمعت ضحكات هازئة، فاحمرت وجنتاها، فازداد حرجها، لأنهم عرفوا أنهم نجحوا في النَّيل منها.

في الردهة الرئيسية، حيث أُعِدَّت وليمة الإفطار التقليدية بأبهى منظر، أخيرًا تحدث معها شخص، اقترب المنجل فونَغت، مرتديًا عباءة من الجينز الباهت لونها كسطح القمر، قماش يعود إلى زمن لم يعد يتذكره أحد.

«ها هي 'آنسة العَبَث الصغيرة'». تكلم المنجل فونَغَت مبتسمًا، ابتسامة يمكن أن تكون زائفة ويمكن أن تكون صادقة، لم تستطع ماري تمييزها. أما لقب 'آنسة العبث الصغيرة' فلم تكن لدى ماري فكرة عمَّن أطلقه، لكنه علِق بها وانتشر في هيئة مناجل وسطمريكا حتى قبل تنصيبها. آنسة العبث الصغيرة. إساءة أخرى، فهي لم تكن صغيرة ولا عابثة، كانت فتاة نحيلة فارعة الطول، وبعيدة كل البُعد عن العبث، صارمة جادَّة لا يمكن أن تفكر في أي ضرب من ضروب العبث.

- أفضِّل ألَّا تخاطبني بهذا اللقب أيها المنجل فونغت.

ابتسمَ لها ابتسامته الغامضة، وقال: «إنه مجرد تعبير عن الود»، وغيَّر الموضوع بسرعة: «أحب ما فعلتِه بشعرك!». مرة أخرى، هل صدَق أم قصد الاستهزاء؟ سيتعين على ماري تعلم قراءة نيَّات الناس على نحو أفضل، رغم أن المناجل ماهرون في إخفاء نياتهم الحقيقية.

لمحت ماري فاراداي على الجانب الآخر من الردهة. لم يرها بعد. أو ربما تظاهر بأنه لم يرها. لكن لماذا ينبغي أن تكترث؟ صارت منجلًا الآن، وليست فتاة مدرسة هائمة حُبًّا. لا مكان لشواغل القلب في حياتها.

همس المنجل فونغت لها: «عليكِ تعلُّم إخفاء ما يعتمل بداخلك، الافتتان بادٍ عليك».

- فيمَ يهم هذا؟ المنجل فاراداي لا يكِن لي أي مشاعر.

ابتسم لها الابتسامة نفسها: «كما ترين».

قُرِع جرس، لإخطار الناس بأن أمامهم خمس عشرة دقيقة لملء بطونهم.

قال فونغت مبتعدًا: «فلتحظي بخلوة طيبة. كُلي قبل أن يفسِد أولئك النَّهِمون تنظيم الطعام».

جاء مايكل إليها في البهو قبل بضع دقائق من دخولهم إلى القاعة الداخلية، لكن حوارهما كان مُتكلَّفًا، كلاهما كان مدركًا أنهما مراقَبان، وموضوع نميمة الحاضرين.

قال: «تبدين بحال جيدة يا ماري، أظن أن موسمك الأول كان ناجحًا».

- أكملت حصتي.

- لا يراودني أدنى شك.

ظنت أنه قد يقترب منها ويتبادلان حديثًا شخصيًّا، لكنه ابتعد قائلًا: «سررت برؤيتك يا ماري».

تساءلت عما إذا استشعر انقباض قلبها.

***

كانت مراسم صباح الخلوة مملة وبطيئة. ذِكر الأسماء، يذكُر كل منجل أسماء عشرة أشخاص يختارهم من بين عشرات الذين قطفهم، عشرة يمثلون جميع الآخرين. من المفضلين لدى ماري كان تايلر فيغا، الذي شكرها وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة على عدم قطفها له أمام أسرته، وتُوسداي ريغل، إذ أعجبها نطق اسمه.

وأخيرًا انتقلوا إلى الشؤون المهمة. الجدال الحامي في هذا الموسم دار حول ما ينبغي فعله حيال مثيري المتاعب في العاصمة القديمة، لكنه لم يكن جدالًا بالمعنى المعروف، إنما وجد المناجل فرصة للشكوى والتذمر فحسب.

قال المنجل دوغلاس: «المتبطِّلون الثرثارون في واشنطن ما زالوا يزعجوننا».

ذكَّرته النصل السامي غينسبيرغ: «أجل، لكن هذه ليست مشكلتنا، العاصمة القديمة في شرقمريكا، فلندعهم يتعاملون معها».

كانت النصل السامي تحاول دومًا تذكير مناجل وسطمريكا بألا يتدخلوا فيما لا يعنيهم، لكنها كانت مخطئة هذه المرة، هذه لم تكن مشكلة تخص إقليم شرقمريكا وحده.

تأففت ماري عندما صرفت النصل السامي النظر عن المشكلة، لم تقصد أن يسمع أحد تأفُّفها، لكن منجلًا جوارها، ظنتها المنجل ستريساند، نكزتها

قائلة: «إذا كان لديك رأي، فلتدلي به. صرتِ منجلًا الآن، حان الوقت لتكوني صاحبة رأي».

- لا أحد يريد سماع ما أقوله.
- لا أحد يريد سماع ما يقوله أي أحد، لكننا نقول على أي حال. هكذا تجري الأمور هنا.

نهضت ماري، وانتظرت حتى تلتفت النصل السامي إليها وتتيح لها فرصة الكلام. ألقت النصل السامي غينسبيرغ عليها نظرة فاحصة لوهلة قبل أن تتكلم: «أتود أصغر عضو لدينا أن تدلي برأيها في الموضوع؟».

قالت ماري: «نعم يا صاحبة السمو. يبدو لي أن الحكومة السابقة للرأس السحابي تمثِّل مشكلة لوسطمريكا أيضًا، لأن سيادتهم المزعومة لا تقتصر على شرقمريكا فحسب، بل تشمل أيضًا وسطمريكا وغربمريكا وتكساس».

عندئذٍ صاح منجل آخر دون أن يؤذَن له بالكلام: «مزاعم الواشنطنيين التافهة غير واقعية! إنهم مجرد مصدر إزعاج».

قالت ماري: «لكن ما داموا يثيرون المتاعب، فإنهم يقوِّضون القيم التي ندافع عنها».

- إنهم ساخطون على الرأس السحابي، فلندع الرأس السحابي يتعامل معهم.

تجاسرت ماري: «هذا قول ينم عن قصر نظر! لا مجال لإنكار أن هيئة المناجل والرأس السحابي يمثلان وجهَي عملة واحدة، إذا تعرض أحدهما لتهديد، فالآخر مُهدَّد أيضًا!».

اندلعت همهمات من بقية الحاضرين، لم تعرف ماري ما إذا كانت أمرًا جيدًا أم سيئًا.

صاح منجل آخر: «فلندع سياسيي العالم القديم وسخطهم. إذا سمح لهم الرأس السحابي، فيجدر بنا أيضًا أن نتجاهلهم».

قالت ماري: «الرأس السحابي مُلزَم باحترام حريَّاتهم، بما فيها حرية إثارة القلاقل، لكننا لسنا مُلزَمين، مما يعني أن بوسعنا فعل شيء حيال الأزمة».

عقدت النصل السامي غينسبيرغ ذراعيها قائلة: «إذن ماذا تقترح المنجل المبجلة كوري علينا فعله؟».

اتجهت جميع الأنظار إلى ماري، وفجأة اضطربت وتزعزعت ثقتها بنفسها: «علينا... علينا أن نفعل ما لا يستطيع الرأس السحابي فعله، علينا أن نحل المشكلة...».

ساد الصمت. ثم تكلم منجل آخر بصوت جهوري من الجانب الآخر من القاعة: «هل تريد 'آنسة العبث الصغيرة' أن تكون جديرة بلقبها أخيرًا؟».

انفجر حشد المناجل بضحكات مدوية، فحاولت ماري تحمُّلها برباطة جأش، لكنها أحست بروحها تُسحَق.

وحالما همدت الضحكات تدريجيًّا، خاطبت النصل السامي غينسبيرغ -وهي ما تزال تقهقه- ماري بنبرة متعالية: «يا عزيزتي المبتدئة، استقرار هيئة المناجل يقوم على توافق الآراء والتريُّث في اتخاذ القرارات. يجدر بك، أيتها المنجل كوري، ألَّا... تتهوري».

وافقها منجل آخر: «مرحى، مرحى!».

وهكذا قُضِي الأمر. تطرقت النصل السامي إلى موضوع آخر، وانتقل النقاش إلى جدل بشأن منع المناجل من اتخاذ الأسماء الأخيرة التي يتخذها مناجل آخرون ما زالوا على قيد الحياة، إذ يوجد خلط دائم بين المناجل آرمسترونغ، وآرمسترونغ، وآرمسترونغ.

أطلقت ماري زفرة وهي تكز على أسنانها، فخرجت كأنها فحيح، وقالت: «حسنًا، كان كلامي بلا جدوى».

قالت لها المنجل ستريساند: «صحيح، لكنه كان مُسلِّيًا».

زاد كلامها من ضيق ماري: «لستُ هنا من أجل تسلية أي أحد».

رمقتها المنجل ستريساند بنظرة ناقمة: «أصدقك القول يا صغيرتي، إذا لم تستطيعي تحمُّل مثل هذه اللطمات الطفيفة، يجدر بك ألَّا تكوني منجلًا».

فأمسكت ماري لسانها عما أرادت قوله. ثم أرسلت بصرها نحو فاراداي على الجانب الآخر من القاعة، لكنه لم يُعِرها التفاتة. هل كان مُحرَجًا مما فعلته؟ أم مسرورًا بجرأتها ومجاهرتها برأيها؟ ما من طريقة لتعرف على وجه التأكيد. المؤكد هو أن فاراداي لم يحرك ساكنًا لمؤازرتها، لكن أهذه مفاجأة؟ كان مايكل محقًّا بالنأي عنها، رغم أنها لا تحب الإقرار بهذا، ليس بسبب الشائعات المحيطة بهما، إنما لأنه على ماري أن تثبت مكانتها وحدها.

لكن بين هذا الحشد الصعب كيف لها أن تجد ردات فعل سوى ضحكات ساخرة وأذرع معقودة؟

في أيام تتلمذها قال فاراداي لها: «المناجل يحبذون الأفعال لا الأقوال».

كان محقًّا. على المنجل أن يتصرف بحسم دون تردد، حتى عندما يكون التصرف صعبًا. إذا أرادت ماري أن تثبت وجودها، فعليها أن تتخذ قرارات صاعقة لأعضاء هيئة المناجل إلى درجة تُخرِس ألسِنتهم الساخرة.

***

كانت ماري تعيش في منزل وحدها، مثل معظم المناجل. ما من وصية تُلزِم المناجل بالعزلة. وصية *"عليك ألَّا تتخذ زوجة ولا تنجب ذرية"* لا تعني أن المنجل ممنوع من اتخاذ عشيق أو رفيق. لكن ماري أدركت سلفًا ما أدركه معظم المناجل: كل من يختار أن يعيش مع منجل، ليس رفيقًا تجدر مشاركة منزل معه.

بعض المناجل الشباب يعودون إلى منازل أُسرهم، لكن إقامتهم لا تدوم. لما استطاعت ماري العودة إلى منزل والديها، حتى إذا لم يكونا عضوين في طائفة طونية غريبة. لما استطاعت تخيل العودة إلى المنزل بعد قطف شخص ومواجهة والديها. أجل، القطف مهمة ضرورية، تكاد أن تكون مقدسة لدى البشرية، لكن الموت هو الموت، والدماء هي الدماء.

كانت ماري قد اختارت لنفسها منزلًا ضخمًا في الغابة، ذا أسقف عالية ونوافذ كبيرة، يطل على جبال وغدير. وجدت أن صوت تدفق المياه يهدئها، ويطهِّرها. ثم سمعت بوجود منزل شهير في مكانٍ ما يجري نهرٌ عبره، ورأت أنه يستحق الاستكشاف يومًا ما، لكن في الوقت الراهن اكتفت بمنزلها الريفي، الذي ابتاعته بأموال هيئة المناجل، بدلًا من أخذه عنوة من صاحبه كما يفعل بعض المناجل. وبعد أربعة أشهر من انتقالها إلى المنزل لم تُكمِل تأثيثه، وهذا مثال آخر على عدم 'تشرُّبها' هويتها وحياتها الجديدة.

في اليوم التالي لعودتها من الخلوة، خرجت لتتمشى في الغابة، آملة أن يطهِّرها الهواء المنعش من الإحساس البغيض الذي عادت به من الخلوة، لكنها صادفت شخصين يركضان في الطريق، كانا يتبادلان أحاديث النميمة، يتحدثان عمَّن يخون زوجته في المواخير الافتراضية، ومَن يسافر إلى تسمانيا

من أجل تعديلات جسدية شائنة، ومَن يستعيد شبابه بلا داعٍ. فتذكرت ماري النقاشات التافهة التي تدور في الخلوات.

قطفت ماري كليهما. وعلى الفور ندمت، أليس من التفاهة أيضًا قطف شخصين لأنهما يتبادلان أحاديث القيل والقال؟ كما لم يكن القطف نظيفًا. إذا أدَّت مهمتها كما ينبغي لتوقف نبض قلبيهما بسرعة ولأراقت أقل قدر من الدماء. سمعت صوت مايكل في ذهنها يوبخها، ويحثها على الاهتمام بمهارة القتل.

عادت إلى المنزل، فسارع قطها سييرا إليها وتمسَّح بكاحليها. كان لدى ماري مدبرة منزل، الرفاهية الوحيدة التي سمحت بها لنفسها، شهقت عندما رأت عباءة ماري الملطخة بالدماء. تشهق دومًا، في كل مرة، ودومًا تعتذر عن شهقتها، لكن ماري كانت تمتن لردة فعلها الصادقة. آثار القطف ينبغي أن تكون صادمة، إذا لم تعُد صادمة فلا بد من وجود خطبٍ ما.

قالت ماري لها: «ديبورا، من فضلك هلَّا أخذتِ هذه العباءة إلى المصبغة؟ قولي لهم ألَّا يستعجلوا، معي عباءتان أخريان».

- نعم جنابك.

دائمًا ما ينظف عمال المصبغة عباءاتها على نحو رائع... لكن ماري تظن أحيانًا أنهم يمنحونها عباءات جديدة فحسب.

وبعدما غادرت ديبورا، ذهبت ماري إلى الحمام لتغسل عن نفسها آثار اليوم، وارتكبت خطأ فتح التلفاز ومشاهدة الأخبار في أثناء استرخائها في البانيو.

رأت الرئيس هِنتون، رئيس أمريكا القديمة، يأمر سلاح المهندسين التابع للجيش -الذي ما زال موجودًا لسببٍ ما- بالبدء بتفكيك العُقَد الدماغية الخاصة بالرأس السحابي.

قال هنتون بنبرة كلامه الطنانة المعتادة: «من واجبنا الأخلاقي أن نحرر هذه الأمة العظيمة من قبضة تلك السحابة القاتمة». لكن كلامه كان مجرد زوبعة في فنجان. الرأي العام لم يكن إلى جانب هنتون. والواقع أن واحدًا فقط من بين كل عشرين شخصًا يصوت في الانتخابات، لأن جميع الناس تقريبًا عرفوا أن مفهوم الحكومة نفسه عفا الزمن عليه، والذين يوافقون هنتون في رأيه السلبي في الرأس السحابي أقل بكثير من الذين يصوتون.

لكن بطبيعة الحال زعم هنتون ورفاقه أن استطلاعات الرأي التي يجريها الرأس السحابي كلها أكاذيب. كان هنتون يعيش في جو موبوء بالأكاذيب إلى درجة تُعجِزه عن تخيُّل وجود كائن غير قادر على الكذب.

لم يحرك الرأس السحابي ساكنًا لإيقاف تفكيك العُقد الدماغية، واكتفى ببناء عقد جديدة في أماكن أخرى، وكان لقراره فائدة إضافية تمثَّلت في توفير وظائف للذين يرغبون في العمل.

كان معلومًا لدى الجميع أن الرأس السحابي قد عرض علنًا على هنتون العرض نفسه الذي حاول أن يقنع به الرؤساء منذ سنوات: أن يتنحَّى بشرف ويذهب طوعًا إلى منفى في مكان آخر في العالم، هو ووزراؤه وجميع أُسرهم. أن يمنحوا مستقبلًا جديدًا، وحرية ممارسة أي نشاط يحلو لهم، شريطة ألَّا يتضمن منصب سلطة سياسية. وكان هنتون رئيسًا آخر رفض العرض رفضًا باتًّا.

كان الرأس السحابي قد قال برحابة صدره كدأبه دومًا: «لا أرتكب الأخطاء أيها السيد هنتون. لا أحد يتخلى عن السلطة طوعًا، المقاومة رد فعل طبيعي ومتوقَّع».

بعدما خرجت ماري من الحمام، جلست أمام نار يطقطق حطبها، ترشف الكاكاو، ملتمسة العزاء في المُتَع البسيطة، لكن إحساس الضيق لم يبارحها. وبدا أن سييرا استشعر ضيقها فقفز إلى حِجرها بحذر شديد، فلم يضطرب سطح كوب الكاكاو، واستكن في مكانه. هذه كانت حياة القط الثالثة، وقد قررت ماري أن تدعه يعيش تسع حيوات، أحست بقرارها شاعريًّا، وعادلًا، لكن العدالة لا تكون شاعرية وجميلة دومًا...

كانت ثمة فكرة تحوم خلف كواليس عقل ماري منذ الخلوة، فكرة تبعث الرهبة، وخطيرة ربما، ظلت ماري تكبحها عنوة، رافضة السماح لها بالخروج إلى الضوء، محاوِلةً ملء عقلها بمئة فكرة أخرى. لكن في أثناء تربيتها على سييرا، عرفت أن لحظة السكينة هذه لن تدوم.

عرفت أن سفرها إلى واشنطن مسألة وقت ليس إلَّا.

***

أظهرت حالة مقاطعة كولومبيا أن الرأس السحابي، رغم مثاليته، يتَّسم بشيء من العدوانية السلبية. الحزام الأخضر الشاسع المعروف بواشنطن

مول صار غابة برية، وهذا أمر غريب لأن الرأس السحابي عادةً ما يولي عناية خاصة للحدائق، لكنه تجاهل مساحات واشنطن الخضراء تجاهلًا تامًّا. ليس هذا فحسب، بل وقرر ألَّا يبذل أي مجهود لتحسين البنية التحتية في المنطقة، توقف عن صيانة الطرق والجسور، ومنذ مدة طويلة نقل متاحف سمِثسونيان، تاركًا مبانيها القديمة كأصداف فارغة.

في مرحلةٍ ما غيَّر الرأس السحابي جميع المعالم المُميِّزة للمدينة، وصارت الآن تُعرف باسم 'أطلال واشنطن'.

وكما لو أن كل ما سبق لم يكن مُقوِّضًا بما يكفي، افتتح الرأس السحابي أندية وأماكن مُحبَّبة لدى المستهجنين، فجعل كل شخص غير مستهجن يفضِّل الرحيل إلى أماكن أخرى.

كل ذلك كان جزءًا من خطة، لا تهدف إلى الحط من شأن المدينة العريقة، بل إلى حبْسها في الماضي، لتكون مثل أطلال الإمبراطوريات القديمة الأخرى. ما زالت واشنطن مكانًا يحظى بالاحترام، لكن كما يحترم المرء قطعة أثرية مهترئة.

ورغم ذلك ما زال فلول الحكومة الأمريكية القديمة باقين، أي السياسيون الذين يرون أنفسهم المعقل الأخير لماضٍ وردي مُتخيَّل أفضل من الحاضر، ربما يكون أفضل لهم، لكنه -مثل جميع الحكومات السابقة للرأس السحابي- ليس أفضل لبقية الناس. لم تعد لهم سلطة حقيقية، لا يقدرون على فعل شيء سوى الوعيد والتبجُّح، محاولين إيجاد ثغرات في صفحة الرأس السحابي الناصعة.

وفي خضم إساءاتهم اللفظية المستمرة، واصل الرأس السحابي مسعى الإهمال الحميد، وعامل سياسيي أطلال واشنطن كما يعامل مالك عقار في عصر الفانين مستأجرًا يتهرب من دفع ديونه، لم يطردهم طردًا مباشرًا، إنما ظل يصعِّب عليهم الإقامة.

معظم الناس فهِموا التلميح وغادروا إلى أماكن أفضل. انحل الكونغرس رسميًّا عندما أعاد الرأس السحابي تقسيم أمريكا إلى عدة أقاليم أمريكية. ولم يعد لوجود السلطة القضائية غاية سوى المصادقة تلقائيًّا على أحكام الرأس السحابي المنزَّهة عن الخطأ. ومع اختفاء مفهوم 'الدول' لم تعد ثمة حاجة إلى الدفاع، الذي كان الغاية الرئيسية من وجود الدول أساسًا.

والآن لم تبق سوى السلطة التنفيذية، الرئيس ووزرائه المتشبثين بمقاعدهم كأوراق أشجار عنيدة تتحدى الخريف...

***

وصلت ماري في يوم بارد من نوفمبر، بعد شهرين من خلوة الحصاد، لم تخبر أحدًا بما تعتزم فعله، فهكذا، إذا لم تمضِ خطتها على ما يرام، فلن يسخر أحدٌ منها.

نظرًا إلى عدم صيانة الطرق، انفجر أحد إطارات سيارتها إثر ارتطامه بفتحة مجارٍ في شارع الدستور، واضطرت إلى أن تمشي مسافة الميل الأخير.

كان المستهجنون يتسكعون في مجموعات، كعادتهم، يسرفون في شرب الخمر، ويحطمون كل شيء سليم يجدونه في متناولهم. الطريف أنهم لم يدركوا قط أنهم يفعلون ما يريد الرأس السحابي منهم فعله، وتفشُّوا في المدينة القديمة كمرض عُضال لا يرجى شفاؤه.

عاكسها أحدهم: «أنتِ، أيتها الجميلة، حصانتك معي هنا!». كما لو أن إهانة منجل دليل على الشجاعة وليس الحماقة.

تجاهلته ماري، وتجاهلت الهتافات والتعليقات الوقحة الآتية من الظلال التي يجوس فيها المستهجنون في طريقها. لم ترغب في إهدار طاقتها بالانزعاج منهم. المستهجنون يفعلون ما يفعله المستهجنون، وهم لا يفعلون شيئًا يُذكر، إذ لا يسمح الرأس السحابي لهم بارتكاب أي فِعل مستهجَن حقًّا.

البيت الأبيض كان المبنى الوحيد الذي ما زال يلقى عناية، كذلك المساحة المحيطة به، فبدا كواحة خلف سياج عالٍ، عليها حراسة على مدار الساعة. وبالطبع كان كل شيء مجرد شكليات.

كان يقف حارسان عند البوابة الرئيسية، مسلَّحان بأسلحة آلية مثيرة للرهبة. وكانا يرتديان زيَّين مموَّهين، فضحكت ماري. تمويه؟ حقًّا؟ كان يجدر بهما ارتداء دروع من العصور الوسطى، لبدت أجمل.

أمرتهما: «دعاني أمُر».

شدَّدا قبضتيهما على أسلحتهما، وقال أحدهما: «لا يمكننا السماح لك يا سيدتي».

- عليكما مخاطبتي بـ ‘جنابك’، وعليكما التنحِّي جانبًا.

احتدَّت نظراتهما ولم يتحرَّكا، لكن ماري استشعرت خوفهما.

سألتهما: «ماذا ستفعلان؟ هل ستطلقان النار عليَّ؟ أسلحتكما ليست مُلقَّمة حتى».

- لا تعرفين هذا.

- أعرف بالطبع. الرأس السحابي لا يسمح لأي أحد بحمل أسلحة ملقمة، عدا عن المناجل. إنكما محظوظان بسماح الرأس السحابي لكما باللعب بهذه الألعاب.

تكلمت الحارسة الأخرى بصوت يشي بشيء من اليأس: «جنابك.. إننا نؤدي عملنا فحسب».

لا. كانا يهدران وقتها. قالت لهما: «سأدخل لمحادثة مع رئيسكما. وإذا اضطررت إلى قطفكما حتى أحظى بتلك المحادثة، فسأقطفكما. الخيار لكما».

انتظرت. لم يتحركا. فأدخلت يدها في عباءتها لتستل نصلًا...

... وعندئذٍ خفضت الحارسة الواقفة إلى اليسار سلاحها، وانتحت جانبًا، وحذا الحارس الآخر حذوها بسرعة.

قالت ماري: «قرار حكيم». وسارت بينهما، وعبرت الباحة الجنوبية، دون أن تلتفت لترى ما إذا ألقى الحارسان سلاحيهما وغادرا أم بقيا في مكانيهما.

لا بد أن حراس المدخل الأمامي قد أُخبِروا بوجود منجل في المكان، لأن ماري وجدت الباب بلا حراسة، فتساءلت: *هل أُمِروا بالانسحاب؟ أم هربوا؟*

بالداخل بدا كل شيء كما تخيَّلته ماري. أرضية ذات بلاط باللونين الأبيض والكريمي، وسلالم مغطاة بسجاد أحمر. مكان راكد لم يطرأ عليه أي تغيير منذ أيام الفانين. ثمة لوحات بورتريه لوجوه كئيبة لرؤساء ماتوا منذ أمد بعيد، بين أعمال فنية ضخمة تعكس مزايا الحكم الديمقراطي. حلم رائع كان يتحقق وينجح أحيانًا، لكن ما دام البشر عرضة للزلل، ما كان ليصبح مثاليًّا أبدًا. المثالية تطلَّبت وجود الرأس السحابي، والمناجل.

صادفت ماري حراسًا آخرين في طريقها، لكن ليسوا كثيرين كما توقعت، وجميعهم خفضوا أسلحتهم الفارغة أمامها. ولم تواجه مقاومة إلَّا عندما دخلت الجناح الغربي. وجدت جنديًّا واحدًا متمسِّكًا بموقعه عند أسفل سلم.

قال الجندي: «أرجوك لا ترغميني على خيانته جنابك».

بدا كأنه يتجلَّد متوقعًا قطفه، لكن ماري لم تقطفه، فاسترخى قليلًا، لم يسمح لماري بالمرور، متظاهرًا بأن المنجل غير موجودة. تمسَّك الجندي بموقعه لكن كما تظل صخرة كبيرة في موضعها على مجرى نهر. انسابت ماري حوله وصعدت السلم الضخم.

لم تجد الرئيس المزعوم في مسكنه، ولا في المكتب البيضاوي، ولا أيٍّ من الأماكن التي يوجد فيها عادة في المبنى الممتد. قالت مع نفسها: *حسنًا، هذه لعبة غمَّيضة إذن.*

وضعت يدها على لوحة أمنية، كان لا بد أن تسمح بمرور المنجل بموجب القانون، دخلت إلى أحد الأروقة السرية العديدة، التي ربما تكون خافية على عامة الناس، لكن ما من معلومة ليس بمقدور منجل الوصول إليها، والمنجل كوري أجرت بحثها كما ينبغي. هبطت عدة سلالم إلى حجرة خرسانية محصنة أسفل المبنى العتيق، حجرة صُمِّمت لتكون ملجأً يصمد أمام أي هجوم.

وعند اقترابها من باب فولاذي، متين كخزانة بنك، لم تجد أحدًا عنده يوقفها. قرأت اللوحة الأمنية مؤشرات ماري الحيوية، ففُتِح القفل المعقد الضخم، وفُتِح الباب.

بالداخل وجدت عددًا من رجال ونساء رابضين في غرفة مراقبة حربية من نوعٍ ما، تعج بالخرائط والشاشات، وفيها علم مؤطَّر يعود إلى الأيام التي كانت الأعلام تميِّز فيها بين مكان وآخر.

ندت شهقات وأصوات نحيب خافتة عند رؤية المنجل كوري بعباءتها البنفسجية الباهرة وفي يدها مدية. تعرفت على كل وجه، كانوا أعضاء مجلس وزراء الرئيس، ووسطهم الرئيس هِنتون نفسه.

بعضهم أشاحوا بوجوههم عن ماري، وبعضهم طأطؤوا رؤوسهم منهزمين، وآخرون غطُّوا أعينهم، آملين أن ينكروا ما تخبرهم أعينهم به لبضع لحظات ثمينة. هنتون وحده بادل ماري النظرات بتحدٍّ سافر.

قالت: «أنا المنجل ماري كوري، ولا بد أنكم تعرفون سبب مجيئي».

تكلم هنتون هازئًا: «إنك مجرد صبية، ولستِ من إقليمنا».

- ظننت أنك لا تعترف بأقاليم الرأس السحابي. لكن هذا لا يهم، عمل المناجل غير مقيد بحدود الأقاليم، يمكننا أن نقطف حيثما شئنا.

- لا يحق لك المجيء إلى هنا وتهديدي.

- يحق لي بالطبع يا سيدي الرئيس، البشرية منحتني الحق في فعل كل ما يحلو لي. هذا هو القانون الذي نعيش بموجبه الآن، أم أنك نسيت؟

- اخرجي من هنا الآن! وربما أنسى هذا الاقتحام.

أطلقت ماري ضحكة قصيرة، وقالت له: «كلانا يعرف أن ثمة طريقة وحيدة لمغادرتي هذا المكان».

مال وزير الخارجية مقتربًا من هنتون وهمس له: «معروف عن المناجل أنهم يتفاوضون يا سيدي، ربما أتوصل إلى تسوية معها».

قالت لهما: «لست من ذلك النوع من المناجل».

قال هنتون مشمئزًّا: «لا بالطبع، إنك من أسوأ نوع. يافعة، وتسعين إلى الكمال، وعنيدة. تظنين أن قضيتكم لا تشوبها شائبة مثل نصالكم».

أقرت ماري: «ربما أكون كذلك، لكن ما سأفعله حتمي».

وعندئذٍ حاول أحد الآخرين الانطلاق نحو الباب، فبدأت ماري العمل.

كانت ماري سريعة. وكانت مهارتها أعجوبة، عما قريب سيراها العالم بأكمله، إذ توجد كاميرات في كل ركن، كانت تعرف هذا، لكنها لم تكن تستعرض أمام الكاميرات، كانت تؤدي واجبها بتجرُّد ورشاقة. تساقطوا واحدًا تلو الآخر، حتى لم يبق سوى هنتون، منكمشًا في ركن، وقد انهارت شجاعته الزائفة تحت ثقل اللحظة.

عرفت ماري غريزيًّا أن هذه نقطة تحول، ليس لها فحسب، بل للعالم بأكمله، والجنس البشري كله. هل استشعر الرئيس ما أدركته ماري؟ ألهذا ارتعشت يداه؟

قالت له: «لم يعد لك مكان، لقد تقدَّمت الحضارة».

التمس قائلًا: «حسنًا، سأذهب. سأذهب إلى المنفى، ولن تريني مرة أخرى أبدًا».

لكن ماري هزت رأسها قائلةً: «لربما سعد الرأس السحابي بذهابك، وإذا وافقتَ على الذهاب قبل اليوم، لما جئتُ. لكنك لم تقبل المنفى. وأنا لا أعمل لحساب الرأس السحابي».

قال لها: «سوف تندمين على فعلتك، أؤكد لك، سوف تأسفين على اليوم الذي اتخذتِ فيه هذا القرار، وعندئذٍ...».

بُتِرت كلماته الأخيرة بضربة واحدة.

***

صعدت عائدة إلى مباني البيت الأبيض، وحاولت استيعاب ما فعلته للتو. أفسحت الطريق للرأس السحابي حتى يحكم دون عوائق، كما رسَّخت سلطة هيئة المناجل وسيادتها كما لم يرسِّخها أحد من قبل. تساءلت عما إذا كان سيُعَد ما فعلته خرقًا لوصية المناجل الثانية. هل سيُعد قطف آخر الشخصيات السياسية المثيرة للمتاعب تحيُّزًا؟ حتى إذا عُدَّ تحيُّزًا، فما أسوأ عقاب قد تُنزِله بها هيئة المناجل؟ فرض رقابة عليها؟ منعها من القطف لعام أو عامين؟ تحرير العالم من الماضي يستحق أي ثمن بلا ريب.

وجدت حمَّامًا في المسكن الرئاسي واستحمت. كان القطف عنيفًا. استطاعت غسل الدماء من يديها، لكن عباءتها الملطخة بدت بشعة المظهر.

لكن العباءة كانت مصنوعة من قماش سميك، فقلبتها ماري جاعلة من باطنها ظاهرها لتخفي الدماء، وخطر لها أن مظهر العباءة قد يبدو غريبًا، لكنه بدا رائعًا، كانت بطانة العباءة حريرية بلون بنفسجي فاتح وهادئ، ووجدت ماري أنه يروق لها أكثر من البنفسجي الصارخ.

الأحداث المحورية في التاريخ لا تمر مرور الكرام، لذا عندما خرجت ماري من البيت الأبيض، وجدت نفسها في مواجهة حشد صغير لكن أعداده تتزايد، ورأت البوابة مفتوحة على مصراعيها والحراس اختفوا، وتقريبًا كل شخص في الحشد كان يرفع يده حاملًا جهازًا للتسجيل، ويبث الحدث مؤكِّدًا أثره في ازدهار البشرية.

أدركت ماري أنها لم تجهِّز كلامًا، لكن لا بد أن تتكلم، لذا كانت كلماتها -التي ستُعرف في جميع أنحاء العالم- نابعة من القلب:

«ما فعلته اليوم هو عبئي، وهديتي. تحرَّر المستقبل. هذا يوم مجيد. فلنعِش جميعنا حياةً مديدة!».

***

ربما تمكن الرأس السحابي من التنبؤ بما سيحدث لاحقًا، لكن ماري لم تستطع. في الأسابيع التالية لقطف الرئيس، حذا كثيرٌ من المناجل حذوها في جميع أنحاء العالم. الملوك والطغاة ورؤساء الدول التي لم تعد موجودة قُطِفوا واحدًا تلو الآخر، حتى لم يبق منهم أحد. مُحيت الدول من الوجود رسميًّا، ولم تبق سوى تقسيمات الأقاليم، كلها متساوية، دون أي منافسة بينها. وإثر كل عملية قطف سياسي، قيلت الكلمات نفسها:

«تحرَّر المستقبل. فلنعش جميعنا حياةً مديدة!».

لم يكن يجوز للرأس السحابي التعليق على شؤون الحياة والموت، وبدبلوماسيته المعهودة اكتفى بقول: «لم أطلب حدوث عمليات القطف هذه، لكنها سوف تجعل قيادتي للعالم أسهل قليلًا».

ورغم ذلك، عجزت ماري عن تجاهل كلمات الرئيس الأخيرة. سوف تندم على اتخاذ هذا القرار، وتساءلت متى سيأتي يوم ندمها.

***

في خلوة الشتاء وصلت ماري بسيارتها البورش، ووجدت الشاب نفسه في انتظارها ليركن سيارتها، وقد قرر على ما يبدو أن يجعل مهمته دائمة. حالما اقتربت من السلالم الرخامية المؤدية إلى مبنى فولكرم سيتي، استدارت إليها جميع أنظار الحشود التي جاءت لمشاهدة صعود المناجل، وبدؤوا يتهامسون، لكن سرعان ما ذابت الهمسات إلى صمت. رآها مناجل آخرون وتنحوا جانبًا، مفسحين لها مجالًا واسعًا، وسمحوا لها بأن تتقدَّمهم.

قال المنجل فونغت لها: «العباءة الجديدة تليق بك أيتها المنجل كوري». تكلم دون أي أثر لتهكُّم أو ابتسامة ساخرة. أومأت له شاكرة. ومن ثم، لأول مرة على هذه السلالم، التفتت إلى الحشود على الجانبين وابتسمت لهم ابتسامة طفيفة، ولوَّحت لهم تلويحة بسيطة، فبدوا كأنهم سيُغمى عليهم. وكانت قد سمعت أن الناس صاروا يلقبونها بـ «آنسة القتل الصغيرة»، وكان

امتعاضها أقل بكثير مما توقعت، إذ أضفى عليها سِمة شخصية ترغب في التخلص منها بتقدمها في السن.

استغربت عدم إحساسها بالرهبة من المناجل المحيطين بها. ورغبت في رؤية سلوك مايكل معها الآن، ربما لا يراها تلميذته بل ندًّا له. فائدة إضافية من عملية قطف الرئيس التي اشتهرت بها.

وعند عبورها القاعة الرئيسية الخارجية حيث بُسطت مائدة الإفطار الفاخر، سمعت عَرَضًا منجلًا يتكلم مع منجل آخر.

قال المنجل: «لا أشك في أنها سوف تصبح النصل السامي ذات يوم. الفتاة مهيبة».

ابتسمت ماري، إذ تحرَّر مستقبلها هي نفسها أخيرًا.

مكتبة
t.me/soramnqraa

تجنَّب العمل مع الحيوانات

بالتعاون مع مايكل إتش باين

قرَّب المنجل فِيلدْز شطيرة النقانق من أنفه، واستنشقها بعمق قائلًا: «آه، رائحة خردل قوية ونقية تحت سماء لازوردية!». التفت إلى بائع النقانق وابتسم له ابتسامة واسعة: «لا مثيل لها في العالم يا شارلز».

تكلم شارلز متنهِّدًا: «أجل جنابك». وكان الرجل بطبعه متجهِّمًا كئيبًا أيما كآبة. لَقطَفه فيلدز قبل سنوات لولا جودة شطائر النقانق التي يبيعها. النقانق نفسها كغيرها من علامة تجارية معروفة، لكن المهارة تكمُن في الإعداد، الكميات المناسبة من الخردل والكرنب المفروم، على أن تكون هشة طرية متماسكة، والخبز يُدفَّأ إلى درجة الحرارة المثالية. التهم فيلدز شطيرة النقانق، ثم نفض فتات الخبز عن عباءته الذهبية البُنِّية: «أظنني سأتناول شطيرة ثانية». اتكأ فيلدز على العربة وراح يشاهد مواطني أوكسنارد بغربمريكا يغدون ويروحون في المتنزه المحاذي للشاطئ، وأغصان الأشجار تتراقص مع النسيم القادم من المحيط فوق الروابي المعشوشبة والدروب المتعرجة. قال: «أود لو تكون كل الأيام مثل هذا اليوم!»، وألقى نظرة على شارلز ملتمسًا تجاوبه.

تكلم شارلز بنبرته الفاترة المعتادة: «كل الأيام مثل هذا اليوم في معظم الأحيان. لا تهطل الأمطار أو تظهر الغيوم إلَّا عندما يسمح الرأس السحابي لها، من حين لآخر بالقدر الذي يرغب فيه الناس، على ما أظن».

كان فيلدز يأمل أن يتجاوب شارلز معه بابتسامة أو إيماءة، أو تجاوبًا أكثر حماسة، كأن يقول بعاطفة جياشة إن البلدة رائعة كما هي بفضل مجهوداته

-فيلدز- وليس بفضل الرأس السحابي، الذي لا تربطه صلة بالمناجل. حملق فيلدز غاضبًا، ممتعضًا من أن شارلز قد عكَّر مزاجه، وأحس بيده ترتعش توقًا للغَدَّارة[1] المعلقة من ذراعه... ردة فعل لا إرادية كثيرًا ما يستجيب لها.

كان الإزعاج يحتل المرتبة الأولى في قائمة الجنايات التي تستوجب القطف عند المنجل فيلدز، وهذا ما تعلمه كل نادل أخرق ومراهق طائش وصاحب حيوان أليف مُهمِل في هذا الجزء من الشاطئ طوال العقود الثلاثة التي ظل فيها منجلًا.

لكن مهما بدا شارلز مُضجِرًا، يلين قلب فيلدز له بالعناية التي يوليها الرجل لمهنته، العناية التي تظهر الآن في الطريقة التي يضع بها النقانق داخل الخبز كما يُوضَع رضيع في مهده. هذا ما جعل فيلدز يتغاضى عن عيوب شارلز الكثيرة.

مد فيلدز يده للشطيرة قبل أن يناوله شارلز إياها. قال: «جهِّز شطيرة ثالثة من فضلك يا شارلز، أحاول إضافة بضعة أرطال إلى وزني، اقتداءً بزينوقراط نصل سامي وسطمريكا». ربَّت فيلدز على بطنه البادي بالكاد تحت عباءته: «لكن للأسف مهما حاولت يواصل جسدي التآمر ضدي». أخذ قضمة من شطيرة النقانق، لتغسل حلاوتُها وملوحتُها مرارةَ أفكاره.

تنحنح شارلز: «بإمكانك ضبط وحداتك المجهرية جنابك، حتى تسمح لك بزيادة وزنك».

اختنق فيلدز بقضمة النقانق، فسَعَل، وانحنى للأمام، وضرب الأرض بقدمه، حتى سَلَكت حنجرته، وازدرد ريقه بصعوبة، ثم قال: «وأعترف بالهزيمة؟». اعتدل واقفًا وهز رأسه: «الإعلاء من شأن العقل والإرادة يا شارلز! هذا هو المبدأ الرئيسي الذي جعل عالمنا على ما هو عليه اليوم، و...».

وعندئذٍ بدأ كلبٌ بالنباح، مفسدًا هدوء اليوم وجماله، انقبضت أحشاء فيلدز إثر سماعه الصوت، وانقطع حبل أفكاره.

قال ساخطًا: «غودفري دانيلز!». كان قد بحث عما تعنيه هذه العبارة لكنه لم يعثر على إجابة، لكن عُرِف عن قدوته التاريخية أنه كان يستخدمها في لحظات سخطه وغضبه، لذا اتخذ فيلدز العبارة مُتنفَّسًا لانفعالاته عندما اتخذ اسمه. أمسك بغدارته، وهي أيضًا سلاح غريب قديم الطراز من عصر الفانين

(1) غدَّارة sword cane، عصا مجوفة بداخلها سيف متصل بالمقبض. (المترجم)

الأثير لديه، واستدار مبتعدًا عن عربة النقانق، متأهبًا لإنزال عقوبة الموت بالذي تجرأ على تعكير الهدوء الذي عمل جاهدًا من أجله.

لم يكن السبب هو بغضه للكلاب، كان يحب الكلاب، لكنهم مثل الأطفال، النظر إليهم أفضل من سماعهم.

في طفولته كان لديه كلب يحبه، لكن حياة الكلاب قصيرة، وتكلفة عمليات إنعاشها واستعادة شبابها تتضاعف عند كل عملية. وفي النهاية عندما تصبح التكلفة باهظة، صار معظم الناس يختارون السماح لحيواناتهم الأليفة بالرحيل. افترض فيلدز أن هذه طريقة للحد من أعداد الحيوانات الأليفة، إذ ما من مناجل حيوانات أليفة يقطفونهم. لكن في طفولته رأى أن السماح بموت الحيوانات فعل وحشي.

لكن بوصفه منجلًا، صار ينال كل شيء مجانًا، حتى عمليات إنعاش الحيوانات الأليفة مهما تكررت وكثُرت. بيد أن فيلدز في الوقت الراهن يفتقد رفقة الكلاب. آخر كلابه كان من فصيلة كوكر، وكان ضعيفًا، فانزعج فيلدز من الزيارات المتكررة إلى مركز إنعاش مأوى الحيوانات إذ ظل الحيوان يتسبب في شموت نفسه مرارًا. وفي آخر مرة ذهب به إلى مركز الإنعاش، لم يعد لأخذه. قال للعاملين في مركز الإنعاش: «أهدوه لشخص جدير به، بوسعه الصبر على مثل هذا الحيوان الميَّال للتعرض للحوادث».

لم يكن فيلدز متأكدًا من الاتجاه الذي سمع منه النباح، لكن عندما استدار لينظر، رأى كلبًا بلا قيد يركض متهاديًا نحوه عبر المتنزه إلى جانب زوجين شابين، صاحباه على ما يبدو. تردد فيلدز لوهلة إذ رآه كلبًا جميلًا ذا شعر حريري رمادي فاتح، مرفوع الرأس، ومنفوخ الصدر، وذيله كثيف الشعر مُتكوِّر على نحو جميل ملامسًا ظهره.

ابتهج فيلدز إثر إدراكه أن هذا لم يكن الكلب الذي نبح، بل إن فيلدز لم يستطع تخيُّل أن الكلب ينبح، حسبما يبدو عليه من هالة الزهو التي تحيط به، كما لو أن النباح فعل وضيع لا يليق به. سمع فيلدز الصوت مجددًا، وهذه المرة تمكن من تحديد مصدره، كلب بحجم جرذ، ذو نباح حاد، على مبعدة في الدرب الممتد أمامه. كان محمولًا تحت ذراع امرأة ترتدي ملابس زهرية من النيون بدت أكثر إزعاجًا من الحيوان، وهرعت المرأة مبتعدة بوحشها الصغير.

كان فيلدز يعرفهما. الكلب المزعج بوميراني اسمه تِي بِسكِت، وصاحبته اسمها كونستَنس... لم يتذكر اسم عائلتها. كان قد حدجها ببضع نظرات صارمة خلال السنوات الماضية. لكن هذا الإزعاج؟ وإفساد غدائه المثالي؟ ثمة حدود لطيبة المنجل.

لكنه رأى أن بوسعه تولي أمر المرأة في وقت لاحق. الأهم الآن هذان الزوجان الجديدان، وكلبهما الأكثر رُقيًّا.

ازدرد فيلدز بقية شطيرته سريعًا، وسار نحو الزوجين وهو يؤرجح غدارته بأناقة.

هتف لهما بنبرة مرحة: «مساء الخير! آمل أن تسمحا لي بالترحيب بكما في أوكسنارد، دُرَّة ساحل غربمريكا».

الارتعاشة الطفيفة التي اعترت وجهيهما كانت تأثيرًا يسبِّبه فيلدز حيثما ذهب. جميع المناجل يعرفونها. تمثِّل كبت ردة فعل الهروب أو القتال الغريزية متى ما رأى الناس منجلًا. وبما أن الهروب والقتال عقوبتهما القطف، تعلَّم الناس كبت غريزتهم، لكن آثار الكبت تظهر من حين لآخر.

ردة فعلهما كانت مزعجة لفيلدز، لكن الكلب لم ينبح عليه وظل هادئًا لطيفًا، كان حيوانًا استثنائيًّا حقًّا.

مال فيلدز للأمام ودلَّى يده التي لا تحمل الخاتم أمام أنف الكلب وابتسم للزوجين الشابين. بدا أنهما شابان حقًّا، ليس مثل معظم الناس الذين يستعيدون شبابهم حالما ترتسم أخف التجاعيد على وجوههم.

«اسمحا لي بالتعريف بنفسي». للمس طرف قبعته إذا كان يعتمر قبعة، لكن لم يكن يروق له إفساد القبعات للشعر بمحاذاة صدغيه: «اسمي فيلدز، منجل من البلدة وأمثِّل لجنة الترحيب. من دواعي سروري دومًا الترحيب بالقادمين الجدد والحرص على تعريفهم بمجتمعنا الرائع الصغير هنا. هل ستقيمان في أوكسنارد أم أنكما زائران؟».

ابتسم الزوجان متوترَين قليلًا، وقال الرجل: «يسرنا لقاؤك أيضًا جنابك. قبل مدة قصيرة انتقلنا إلى هنا من إقليم الشمس المشرقة».

عندئذٍ أدرك فيلدز أنهما فعلًا لديهما ملامح آسيوية طفيفة، لكنه لم يكن يهتم بمثل هذه التفاصيل. سُر بمعرفة أن بلدته الساحلية الصغيرة صارت تجتذب الناس من أماكن بعيدة، لكنه تمنى ألَّا يكثُر الناس.

- أنا كِن موراغامي، وهذه زوجتي أنجالي، وكلبتنا من فصيلة الشيكوكو هذه اسمها جيان....

تكلم فيلدز وقد نسي بسرعة اسمَي الزوجين: «عظيم. عظيم»، لكن اسم الكلب لفت انتباهه، فزمَّ شفتيه: «أتقولان إنكما أسميتما هذا الحيوان الرائع 'جون'؟». هز رأسه: «لا أفهم لماذا يسمي الناس كلبًا باسم بشري مبتذل. وما لم أكن مخطئًا بشدة، إنها أنثى...».

تنحنحت الشابة وقالت: «أستميحك عذرًا جنابك، اسمها *جيان*». لاحت على وجنتيها غمازتان جميلتان: «فتاتنا تصبح صعبة المراس أحيانًا، لذا أطلقنا عليها اسمًا آسيويًّا قديمًا يعني سيفًا ذا حدَّين».

تهللت أسارير فيلدز: «قديم؟ حسنًا، إنني خبير بعصر الفانين، حتى إن قدوتي التاريخية أحد أعظم الفلاسفة الوجوديين في عصر الفانين، وقد اختزل حكمة ذلك العصر البائد في وصيتين أجدهما قابلتين للتطبيق في عصرنا الحديث. الأولى، ”*لن تستطيع أن تغش رجلًا شريفًا*“، تدل على أن الفانين الذين يعيشون بقناعة ورضا لا يضلُّون طريقهم أبدًا. والثانية، ”*لا تتساهل مع مغفل أبدًا*“، تحثنا على أن نكون قساة عند التعامل مع الذين يضلون عن طريق الاستقامة».

ليدل على صدقه وضع يده التي تحمل الخاتم على صدره وأردف: «كلمات يجدر بنا إنزالها في واقعنا». ولاحظ أن أعين الزوجين قد تعلَّقت بالخاتم.

ابتسم الرجل ابتسامة أوسع قليلًا مما ينبغي وقال: «صدقتَ. شكرًا لك على الترحيب بنا جنابك. نتمنى أن نراك في أنحاء البلدة».

قال فيلدز: «أنا لا تخطئني الأعين، أجل، طاب يومكما». ثم انحنى ونظر إلى عينَي الكلبة الداكنتين اللتين لا ترمشان: «وطاب يومك يا جون».

عاد أدراجه إلى عربة النقانق حيث أعَدَّ شارلز له شطيرة ثالثة. قال المنجل: «يا لها من كلبة رائعة. بالطبع تستحق اسمًا أفضل، لكن هذا عيب يمكن علاجه».

تسمَّر شارلز في مكانه خلف العربة، ولم يستطع فيلدز أن يلومه. أصبح فيلدز يحب مهنته بالطبع. غودارد، ذلك المنجل الوسطمريكي الفصيح، كان قد أعلن تأييده لبعض المبادئ الرائعة فيما يخص علاقة المناجل بعملهم. ومن المؤسف أنه حُرق وتعذر إنعاشه في عملية خرقاء لقطف طونيين قبل

أشهر قليلة. لكن ربما لا يكون فقده خسارة فادحة، إذ كان مزعجًا متبجحًا دومًا...

أطلق فيلدز تنهيدة ثقيلة قائلًا: «سأزور أسرة جون مساء اليوم، لكن قبلها لا بد أن أعرِّج على كونستنس وتي بسكت». وقهقه، مدركًا أن زياراته لن تكون ودية.

***

كونستنس... التي لم يتذكر اسم عائلتها، لم تسهِّل المهمة على المنجل. عندما وصل إلى منزلها وجدها ما تزال تحزم حقائبها رغم مرور ساعات منذ ارتكابها جنايتها التي تستوجب القطف. إذا كانت قد اجتهدت قليلًا في هروبها، لربما وفَّرت عليه العناء. لكنها تلكَّأت.

انخرطت في نوبة بكاء هستيرية قبل قطفها، لكنها على الأقل كانت قد وضعت تي بسكت في صندوقه قبل أن يهوي فيلدز عليها بغدارته.

أما صاحبا جون فقد كانا أكثر دَماثة، وواجها قطفهما برباطة جأش، لكنهما أكثرا الحديث عن مدى تميز جون ومدى احتياجها إلى عناية خاصة.

ثم وجد فيلدز مفاجأة سارة بعد عملية القطف، كان قد جلب معه مسدسه المخدِّر، وجهَّزه في طيات عباءته ليستخدمه على الكلبة، لكنها مرة أخرى أظهرت شخصيتها المتميزة، لم تزمجر له وهو ينزع بطاقة اسمها من طوقها القديم ويستبدل به جديدًا، وهذا سلوك مفاجئ، نظرًا إلى الأحداث الصادمة التي شهدتها الكلبة للتو. لكن الناس لا يقتنون الكلاب من أجل الحماية في هذا العصر المستنير، أليس كذلك؟

قال لها وهو يداعب بطاقة اسمها المتدلية من عنقها: «صار اسمك تريكسي». وقد كان هذا هو الاسم الذي يطلقه دومًا على الكلاب الإناث التي يتبناها. ولديه في البيت العديد من اللوازم التي تحمل اسم 'تريكسي'، لذا سيكون اختيار اسم مختلف إهدارًا لها. علاوة على أن فيلدز قرر أن الكلبة تشبه كلبة اسمها تريكسي. وهكذا حُسم الأمر. ثبَّت القيد في الطوق، وسارت الكلبة خلفه بإذعان إلى سيارته الليموزين. أما صندوق تي بسكت فقد وُضِع في صندوق السيارة الخلفي، حيث يُكتَم نباح المخلوق الشيطاني.

وبعد عشر دقائق، وقفت سيارته الليموزين جوار رصيف بارتجاج مزعج، كما لو أن السيارة اللعينة بدت كأنها تسلك أطول الطرق الليلة، فعكَّرت مزاج

المنجل. مركِبات هيئة المناجل آلية القيادة لم يكن مسموحًا لها بالمشاركة في شبكة الرأس السحابي الخاصة بحركة المرور، مما جعلها مجموعة مركبات تعمل بالغباء الاصطناعي. ورغم ذلك، ظل المناجل يفضِّلون السيارات الآلية القيادة المعرضة للأعطال على السائقين البشريين. عجز فيلدز عن استيعاب كيف يطيق أي شخص أن يعهد بسلامته لشخص آخر.

حاملًا صندوق تي بسكت بيد، وممسكًا بقيد تريكسي باليد الأخرى، سار فيلدز نحو مدخل مأوى ومركز إنعاش أوكسنارد للحيوانات الأليفة، وحالما ضغط جرس الباب، فُتح وظهرت امرأة رمادية الشعر سبق لفيلدز أن تعامل معها. قال: «مساء الخير يا دَوْن، تسرني دومًا رؤية وجه مألوف». ومرة أخرى تأسف على عدم قدرته على اعتمار قبعات يمكنه ملامسة طرفها.

تحركت عينا دون من الأعلى إلى الأسفل إلى الأعلى محاوِلة استيعاب الوضع بنظراتها وقالت: «المنجل فيلدز، هذان الكلبان كلاهما حي، إذن ألم تأتِ من أجل عملية إنعاش أخرى؟».

أجابها: «ليس الليلة، أتيت لتسليم المخلوق الذي في الصندوق للمأوى، لا أشك في أنك ستجدين له مالكًا أكثر انضباطًا من سابقه. وهذه الجميلة...». أشار إلى تريكسي الجالسة جواره وأذناها إلى الخلف وأنفها يتشمم رائحةً ما: «... سأتبنَّاها بنفسي. الإجراءات الرسمية ما زالت في موضعها المعتاد، أليس كذلك؟».

- تعرف أنك، بوصفك منجلًا، لستَ مضطرًّا إلى الالتزام بأيٍّ من إجراءاتنا الرسمية جنابك.

ذكَّرها فيلدز: «كما إنني لست مضطرًّا إلى جلب الحيوانات إلى هنا بعدما أقطف أصحابها، لكنني أفعل. ولست مضطرًّا إلى إعادة الحيوانات لإنعاشها بعدما يثبت لي أنها غير جديرة برفقتي، لكنني أفعل ذلك أيضًا. لأنني أريد أن أكون قدوة حسنة بالالتزام بالإجراءات الرسمية والأفعال الطيبة الأخرى. لا أحب خرق القوانين، رغم أنني غير ملزَم بها».

حملت تي بسكت من يديه: «أجل جنابك».

وذهب فيلدز إلى أقرب حاسوب، وعند اقترابه اختفت واجهة الرأس السحابي اللطيفة سهلة الاستخدام من الشاشة، وحلت محلها الشاشة البسيطة

التي تواجه كل منجل عند اقترابه من حاسوب. فتح فيلدز المستندات المطلوبة وشرع في العمل، وطوال الوقت ظلت كلبته الجديدة رابضة جواره بصبر.

هتف فيلدز لدون: «إنني متفائل بهذه الكلبة». وكانت دون ما تزال بالخلف ترتب مكانًا لتي بسكت. اقتنى المنجل عددًا كبيرًا من الكلاب على مر الأعوام، لكن في الحقيقة شخصًا مثله يحتاج إلى نوع بعينه من الكلاب، نوع لم يجده بعد رغم بحثه الدؤوب. كثير من كلابه الأخرى كانت لديها نزعة غريبة نحو الشموت، لكنه توقع أن هذه الكلبة ستكون مختلفة غاية الاختلاف.

بعدما فرغ فيلدز من مستندات التبني، ودَّع دون وداعًا دافئًا وغادر، لكن عندما وصل إلى الرصيف، لم يجد سيارته الليموزين، فنقَّب في جيوبه بيد واحدة وأخرج جهازه اللوحي، ونقر عليه، فاكتشف أن السيارة قد عادت إلى مرأب المنزل وتشحن خلايا وقودها.

غمغم: «غودفري دانيلز!». وتمنى لو أن بالإمكان قطف الجمادات. أخذ نفسًا عميقًا وقرر تناسي الأمر. لا فائدة من إهدار انزعاجه على آلة. كما أن الليلة جميلة، والبلدة شهيرة بهدوء شوارعها، لا سيما بعد هبوط الظلام إذ لا يوجد أحد خارج منزله سوى المستهجنين. ولم يكن فيلدز يطيق المستهجنين ومن على شاكلتهم، وأرسل رسالته هذه عبر عمليات قطفه، لم يكن يستهدف أي مجموعة بالطبع، لكنه اكتشف أن قطفه لبضع شخصيات معروفة من أي مجموعة كفيل بإطلاق الشائعات وإيضاح فكرة لا تدعمها أدلة البيانات القاطعة التي يمكن أن توقعه في ورطة أمام النصل السامي بيكفورد وموظفي الإحصائيات لديها.

ابتسم فيلدز للكلبة المُقعِية عند قدميه، وقال بألطف نبرة صوت لديه: «هلُمِّي يا تريكسي، سنتمشى قليلًا ونتعرف إلى بعضنا».

كان يعرف أن الكلام مع الحيوانات يتوقف على نبرة الصوت ولغة الجسد، لكن هذا لم يكن يعني أن الحوار، رغم أنه من جانب واحد، ينبغي أن يكون فارغ المضمون. كما اعترف فيلدز مع نفسه بأن الحوار الأحادي يروق له، الكلاب ذات السلوك القويم تسمح له بالتكلم دون أن يخشى التعرض للمقاطعة أو تغيير الموضوع أو الأسئلة.

- أظنك سوف ترين يا تريكسي أن ما من شيء تخشينه من عمِّك بيل، ولا أشك في أننا عمَّا قريب سنصبح رفيقين وصديقين حميمين.

ارتعشت أذنا الكلبة إلى الأمام، وبدت مطيعة كما ينبغي... لكن جمودها وغياب انفعالاتها... لم يبدُ في سلوكها ما يشي بخوفها، كما لم تكن مُداهِنة. لم يستوعب فيلدز ما رآه منها. بيد أنه أقر لنفسه أن ردات الفعل الصامتة أفضل من العواء والنباح أو القفز عليه كما فعلت بعض كلابه السابقة في أثناء لقاءاتهم الأولى.

- ينبغي أن تتحمَّسي بهذه النزهة الجميلة عبر شوارع بلدتك الجديدة.

وبالطبع لم تتكلم الكلبة.

***

لدى فيلدز -عندما كان طفلًا صغيرًا اسمه جيمي راندل- ذكريات جميلة وأخرى مريرة عن الكلب الذي اقتناه في طفولته. كان تاوسر كلبًا قويًّا عنيدًا من فصيلة المالموت تحت رعاية جيمي الصغير، ولسارت الأمور على ما يرام إذا كان جيمي أكبر وأقوى قليلًا، إذ كان تاوسر مولعًا بالركض فجأة والإفلات من قبضة جيمي. وصلت حياة الكلب إلى مفترق طرق مرير عندما رأى أنثى مالموت على الجانب الآخر من الشارع. انطلق في الشارع، وعلى الفور دهسته سيارة فقتلته. أنعش والدا جيمي تاوسر، وتذمَّرا من التكلفة، ووجَّها إلى جيمي توبيخًا صارمًا. ظل والده يقول له دومًا: «يجب أن يعرف الكلب مكانته. الكلب يريد أن يعرف مكانته، ويذعن ويشعر بالرضا حالما يعرف من هو السيد».

ومنذئذٍ أصبح حازمًا مع تاوسر، وصار يلف القيد مرتين حول رسغه عندما يخرج لتمشية تاوسر. نجح الحزم في البداية. ثم ذات مساء لمح تاوسر راكونًا يتهادى على الجانب الآخر من الشارع، فانطلق مرة أخرى... وهذه المرة جر جيمي معه إلى الشارع، فاصطدمت بهما شاحنة وتركتهما شميِّتَين. أما الراكون فلم يمسه سوء كالعادة.

وبعدما أُنعِش جيمي، تلقى توبيخًا مرة أخرى، ولم يستعِد تاوسر. قال والده له: «أنعشنا تاوسر وأرسلناه إلى مزرعة ليعيش فيها». وأردف مُعرِّضًا: «تحت رعاية شخص آخر أكثر مسؤولية».

لكن عندما كبُر جيمي قليلًا، راوده الشك في صدق والديه، وأنهما تركا تاوسر نافقًا، نظرًا إلى تزايد تكلفة إنعاش الحيوانات الأليفة. واحتمال الكذب هذا بشأن مصير تاوسر كان من ضمن الأسباب العديدة التي سهَّلت على

فيلدز غرز السيف في صدر والده في اختبار التتلمذ النهائي قبل ثلاثة عقود. وقد أُنعِش الوالد بالطبع، لكنه لم يسامح ابنه قط. خمن فيلدز أن هذا جزء من سبب إجراء الاختبار: إحداث انفصال عاطفي بين المناجل الشباب وبين عائلاتهم. لكن الانفصال العاطفي عند فيلدز بدا كأنه امتد إلى معظم البشر. أما الحيوانات الأليفة فأمرها مختلف، حبُّهم غير مشروط، وقد أيقن فيلدز أن بوسعه جعل تريكسي تحبه.

***

في أثناء سيرهما عائدين إلى المنزل تلك الليلة، سمح فيلدز لتريكسي بتشمُّم الأشجار والزهور في الطريق، إلى أن وصلا إلى منزله المطل على الشاطئ. كان منزلًا ضخمًا لكنه غير فخم على نحو لافت. فيه باحة معشوشبة تتخللها زهور الأضاليا وزهرة الربيع وثلاث أشجار فايكَس توفر ظلًّا جميلًا، وكبيرة بما يكفي لتتيح الركض لكلبة متوسطة الحجم مثل تريكسي. المنزل نفسه بارتفاع ثلاثة طوابق ومطلي بألوان رمادية وبيضاء تنم عن ذوق رفيع، ألوان فرضها فيلدز على نحو غير رسمي على المنازل القريبة منه أيضًا. دفع فيلدز البوابة الأمامية متحمسًا، ودخل قائلًا: «والآن يا تريكسي، فلنبدأ جولتنا في المنزل».

لم تتبعه تريكسي هذه المرة، واشتد القيد في يد فيلدز، فالتفت ناظرًا إليها في ضوء مصباح الشارع البرتقالي، ولم يرها تهز ذيلها أبسط هزة، لكنها كانت تتشمم، رافعةً رأسها قليلًا، موجِّهةً أنفها نحو المنزل.

أومأ فيلدز قائلًا: «تُبدين الحذر. هذه صفة مستحسَنة عند دخول بيئة جديدة». وجذب القيد بمزيد من الحزم: «لكن هذا يكفي، ادخلي». والده كان محقًّا بشأن أمر واحد: لا بد أن تعرف الكلاب من هو القائد. معرفة مكانتها تجعلها تحس بالأمان، وتخفف توترها، حتى لو كانت ضمن مجموعة من اثنين. كما كان فيلدز قلقًا من احتمال وجود راكون أو أكثر يجوس في المكان. تلك المخلوقات ظلت هاجسًا له منذ حادثة الشاحنة المؤسفة. آخر ما كان يريده هو اهتياج تريكسي بسبب راكون حتى قبل دخولها المنزل.

لكن من حسن الحظ تبعته تريكسي إلى الداخل دون أن يضطر إلى مزيد من الحزم، سارا عبر ممشى مرصوف بالقرميد إلى رواق المدخل المسقوف

ثم الصالة الأمامية. أغلق فيلدز الباب خلفه بسرعة، وأضاء المصابيح، ونزع القيد من طوق تريكسي.

- أمهلي عمَّك بيل لحظة حتى يتخفف من معداته، ثم سنرى المنزل.

وبما أنه لم يضطر إلى استخدام المسدس المخدِّر، نزع عنه السهم المخدر ووضعه في الرف بداخل خزانة أسلحته جوار الباب.

- ثمة مكان لكل شيء، وكل شيء في مكانه.

أغلق الخزانة واستدار، متوقعًا رؤية تريكسي تتشمم الأرضية أو السجاد أو الستائر في الصالة الأمامية، لكنه وجدها واقفة حيث تركها، تنظر إليه مليًّا، والآن بدت نظراتها أشد غموضًا، لقال فيلدز إنها نظرات تأمُّلية تنم عن تفكير عميق لو لم تكن كلبة. لكن تريكسي لم تنكمش، ولم تزمجر، ولم تنبح، ولم تقفز لتستند بساقيها على بطنه أو تأتي بأي فعل مستهجن كهذا.

- أحسنتِ.

انحنى فيلدز وربَّت على رأسها، ووجد عدم تجاوبها معه غريبًا، ثم تذكر أنه لطالما أحس بالنفور من الكلاب مفرطة الحماسة. وقال مؤكِّدًا الفكرة: «يا لك من فتاة مطيعة! المطبخ أولًا».

أشار لها إلى أوعية طعامها، والاسم 'تريكسي' منقوش عليها. وكان لديه أوعية أخرى تحمل الاسم 'ريكس' ومعها طوق وبطاقة اسم تحمل الاسم نفسه خصيصى للمرات التي يتبنى فيها كلبًا ذكرًا. تشممت تريكسي أوعيتها، ولعقت من وعاء الماء، ثم بدت غير مهتمة بأي شيء آخر، حتى عندما أخذ فيلدز صندوق بسكويت كلاب -كان ما يزال لديه في الخزانة وقد ابتاعه لتريكسي السابقة- وهزه لها مبتسمًا، لم تتجاوب بأكثر من إمالة رأسها قليلًا.

خشخش فيلدز الصندوق مرة أخرى: «ألم تري بسكويت كلاب من قبل؟ أكلة خفيفة؟ كعك؟ نَم نم؟». لم يستطع تذكر عبارات أخرى يستخدمها الناس لوصف الشيء. لكن بما أنها لم تتجاوب مع أي كلمات، رأى أن مواصلة المحاولة لا جدوى منها: «ألم يعلِّموكِ شيئًا إطلاقًا؟». فتح الصندوق وأخرج بسكويتة وناولها لها قائلًا: «إليك يا فتاة، هيًّا».

اكتفت تريكسي بإمالة رأسها إلى الجانب الآخر.

لوهلة وجيزة تخيَّل فيلدز أخذ قضمة بنفسه حتى تفهم تريكسي، لكنه عدل عن الفكرة وعاد إلى سؤاله السابق: ماذا علَّمها أصحابها السابقون؟ «لا

بد أنهم لعبوا معك لعبة قذف الكرة وجلبها!» صوَّب بتركيز وقذف البسكويتة إلى يسار خطمها مباشرة.

لم تلتقطها، بل راغت إلى اليمين، تاركةً البسكويتة تسقط على أرضية المطبخ.

تزايد سرور فيلدز بتخلصه من صاحبَي تريكسي السابقَين، وأعاد صندوق البسكويت إلى الخزانة. وقال لتريكسي: «سنبدأ تعليمك في الصباح»، والتفت فرأى أن البسكويتة اختفت من مكانها على الأرضية.

أطلق زفرة طويلة وقال: «حسنًا، على الأقل تعرفين الطعام عندما ترينه»، وأومأ سائرًا عبر المطبخ ودفع الباب المفضي إلى حجرة الطعام: «تعالي يا تريكسي، تعالي». بدا أنها تعرف هذه الكلمة على الأقل...

وفي حجرة الطعام أشار لتريكسي إلى الباب الجانبي الذي يمكنها دفعه إلى جانب والخروج عندما تشعر بالرغبة في قضاء حاجتها، ثم فتح الباب ليُريها الباحة الجانبية التي يجري فيها قضاء الحاجة. لا بد أنها دُرِّبت على كيفية العيش في منزل وهي في سنها هذه، رفض فيلدز أن يظن خلاف هذا، واقتادها من حجرة الطعام إلى نهاية الصالة الأمامية والسلم.

في الطابق الثاني عرَّفها بمكتبه ووسادتها النهارية على الأرضية قِبالة مكتبه: «عندما أكون مشغولًا بواجباتي العظيمة التي عُهِد إلي بها، يمكنك الانتظار بجانبي بصبر». عاد إلى الرواق وصعد السلالم إلى الطابق الثالث، واستخدم غدارته ليُري تريكسي وسادتها الليلية بجانب فراشه ومجموعته من أقراص الفيديو القديمة والتلفاز الأثري ذي الشاشة الكبيرة: «سوف تخلدين إلى النوم هنا في الليل». وبلطف ربَّت على وسادتها، فبدا على تريكسي أنها فهمت الفكرة، إذ تقدمت وجلست على الوسادة. كانت الوسادة أفخم فراش حيوانات أليفة في العالم، أعلى جودة، ومريحة بما يكفي لضمان عدم وجود سبب يدفع تريكسي للقفز إلى فراش صاحبها. ورأى فيلدز أن هذا لا يعني أن تريكسي لن ترتكب هفوات من حين لآخر، لكن بالتدريب والتأديب ومرور الوقت سوف تتعلَّم المسموح والممنوع.

وعندئذٍ نبحت تريكسي.

أول صوت تصدره في وجود المنجل، كان صوتًا ناعمًا وقصيرًا. ثبتت نظراتها على النوافذ التي تظهِر منظرًا رائعًا للمحيط في ساعات النهار. وكان

يوجد باب زجاجي يفضي إلى الشرفة بين النوافذ نادرًا ما يستخدمه فيلدز، تحركت تريكسي نحو الباب خافضة رأسها وشعر عنقها منتصب.

حدَّق فيلدز: «ما الخطب يا فتاة؟». ما من شيء هناك يمكن أن يثير اهتمام كلب... ربما باستثناء الطيور، أو قط، أو... «راكون!».

زمجرت تريكسي وهرعت إلى الباب الزجاجي. زم فيلدز شفتيه متوترًا. هل من الممكن أن تلك العفاريت الصغيرة تمرح بين الأشجار والأجمات بمحاذاة منزله مرة أخرى؟

ثمة طريقة واحدة ليعرف.

بخطوات سريعة صار بجانب تريكسي، ودفع الباب بعنف واندفع إلى الشرفة، وصاح: «ها!».

لم تتناه إلى مسامعه خشخشة أو صرير، لكن تريكسي ركضت مباشرة إلى الحاجز الغربي، وتمددت لتقف على قائمتيها الخلفيتين، واستندت بمخلبيها الأماميين على أعلى الحاجز، وشِدَّة تحفُّزها وهي تحني رأسها إلى الأسفل جعلت فيلدز يظن أنها لمحت فريسةً ما.

هرول فيلدز إلى جوارها: «ماذا هناك يا فتاة؟»، ومال بجذعه فوق الحاجز محاولًا ضبط الراكون متلبسًا بأيًّا يكن ما يفعله الراكون، لكن عندئذٍ كانت تريكسي تتحرك، وتنبح، وتحاول أن تحشر نفسها بين فيلدز وبين الحاجز. قال فيلدز متراجعًا خطوة: «ماذا تفعلين بحق الـ... اجلسي تريكسي، اجلسي!».

ما كان ينبغي له قول ذلك، وقد أدرك خطأه حالما نطق الكلمة، لأن الكلبة صارت فجأة حيث كان يحاول وضع قدمه. أطلقت تريكسي صرخة قصيرة، ولم يرغب فيلدز في أن يطئها بوزنه كله، فقفز مبتعدًا، وارتطم منتصف فخذه بحاجز الشرفة المنخفض، دارت أذنه الوسطى، وفقد توازنه، واستمر اندفاع جذعه إلى الأمام، وقبل أن يدرك ما يحدث له وجد نفسه قد تجاوز الحاجز، ورأى حجارة رصف الباحة الخلفية تقترب نحوه بسرعة.

غمغم: «غودفري دانيلز!»، وارتجَّ جسده بأكمله ارتجاجًا مؤلمًا، وأظلم كل ما حوله.

***

فرك فيلدز رأسه وهو يرمش وبصره مشوش، وبعدما رمش عدة مرات تبيَّن جدرانًا خشبية أنيقة تتدلى عليها ستائر مخملية بنفسجية مريحة للعين. دفع نفسه ليتكئ على مرفقه، ثم رمش عدة مرات أخريات فرأى امرأة مرحة أكثر من اللازم قليلًا ترتدي زيًّا أبيض.

تكلمت المرأة المرحة وبريق عينيها يغشي الأبصار: «مساء الخير أيها المنجل فيلدز! تشرَّفنا خدمتك فيما تشير السجلات إلى أنها عملية إنعاشك الثانية!».

سمع فيلدز نفسه يقول: «ماذا يحدث؟»، وأمسك لسانه فورًا. الصوت الذي خرج من شفتيه، وكذلك الكلمات، لم يبدوا كأنهما صوته ولا كلماته، كانت كلمات ونبرة صوت مألوفة لكن ليست مفضلة لديه، ويفضِّل نسيانها. ورغم ضبابية أفكاره أرغم شفتيه على الفصاحة: «من فضلك هلَّا تكرَّمتِ بإخباري بما جرى؟».

خفت ابتهاج المرأة ومعه بريق عينيها قليلًا، وقالت: «ليس من شأننا أن نعرف. كل ما أعرفه هو أن المُسيَّرات جلبتك إلينا، وأدَّينا عملنا. لكن المنجل كونان دويل من مكتب النصل السامي كان هنا بالأمس، وقال إنه لا يبدو أن هناك أي شيء مشبوه في مسرح الحادث».

«الحادث؟». قفزت مزيد من الذكريات إلى عقله، فصاح: «تريكسي!»، وهبَّ محاولًا الوقوف على قدميه.

ظهرت بقع داكنة في مجال رؤيته، لكن قبضة قوية أمسكت بذراعه: «توخ الحذر جنابك!».

«اتركيني!». اكتنفه دوار، ولم يستطع إيقاف نبرة صوته الطفولية الباكية من التسرُّب إلى صوته: «أنا وكلبتي كنا نصطاد الرواكين عندما تعثرتُ وسقطت!».

خففت الممرضة ضغط يدها: «ماذا يا سيدي؟ رواكين؟».

الضيق الشديد الذي اعتراه من سؤالها لم يجلُ بصره، لكنه ذكَّره بشخصيته التي يفضلها، نسخته التي تحمل الاسم فيلدز بفخر. تنحنح وقال: «نعم سيدتي! رواكين!». أخذ نفسًا عميقًا ساعده على التركيز، على جدار الغرفة وعلى الشخص الذي من المفترض أن يكونه: «تلك العفاريت البغيضة! هاجمونا كقطيع من الذئاب الصغيرة المسعورة، عصابة كاملة!».

تنفس بعمق مرة أخرى، وتمكن من الالتفات نحو الممرضة وقد استعاد شيئًا من زهوه وتبجُّحه: «إذن من فضلك أخبريني بما حدث لكلبتي الوفية، سأذهب لأخذها».

اعترى الجمود وجه الممرضة، وفضَّل فيلدز الجمود على البهجة المفرطة التي أظهرتها آنفًا. سألته: «كلبتك...؟» ابتسم فيلدز إثر رؤيتها مضطربة. تابعت الممرضة: «ظللتَ هنا ليوم ونصف... لذا... أفترض أنها ستكون في مأوى الحيوانات».

«ممتاز!». لفتت طاولة خلف الممرضة انتباه فيلدز، واتسعت ابتسامته، إذ رأى على الطاولة غدارته وجهازه اللوحي. «ممتاز!». سار متجاوزًا الممرضة، وأخذ مقتنياته، واتجه نحو الباب.

قالت من خلفه: «سيدي! ربما يجدر بك أن تنال مزيدًا من الراحة. لدينا آيسكريم رائع إذا...».

«غير ضروري!». أحس إثر كل خطوة يخطوها بأن الحيوية ومعها شخصيته المكتسبة تتدفق إلى جميع أطراف جسده. «لا بد أن سكان أوكسنارد ينهشهم القلق عليَّ، ويتساءلون عن حالتي، لذا سأغادر». ألقى على الممرضة تحية عسكرية بغدارته، وسار عبر صالة إلى البهو الأمامي، وخرج إلى ضوء العصر وأجواء تتخللها نسائم خفيفة.

كان مأوى الحيوانات في المربع السكني المجاور، وسار فيلدز إلى مدخل الطوارئ قبل أن يدرك أن ساعات العمل الرسمية لم تنتهِ، والناس ينتظرون. فيلدز لم يكن يمانع الإجراءات الرسمية، لكن الانتظار ليس ضمن مهاراته. شق طريقه إلى المقدمة، ولم يوقفه أحد بالطبع.

بدا البهو الصغير لفيلدز كما كان عندما جاء المرة السابقة في وقت متأخر من الليل، وتفاجأ برؤية دون جالسة خلف النضد، إذ كان يأمل أن يجد شخصًا آخر، ليجنِّبه الحرج من اضطراره إلى استعادة تريكسي بعد وقت قصير من تبنِّيها.

«جنابك!». هبَّت واقفة، وبدا أن الابتسامة الصادقة البسيطة على شفتيها أشد وقعًا على فيلدز مقارنة بابتسامة الممرضة الواسعة المصطنعة: «لم أكن متأكدة من موعد خروجك». وفي أثناء خروجها من خلف النضد لامست زرًّا،

فانفتح قسم كامل من الجدار: «لكن مَن معي هنا سيكون سعيدًا برؤيتك بلا شك!».

كانت تريكسي تضطجع متمددة على الأرضية خلف النضد، فتأهَّب فيلدز متوقعًا نباحها وتقافزها من شدة ابتهاجها...

إلّا أن تريكسي اكتفت برفع رأسها والنظر إليه.

انقبض قلب فيلدز، لأن الكلبة كان ينبغي أن تعرفه، وتعرف كيف تتجاوب معه بعد مدة معرفتهما القصيرة... وأخيرًا قال بصعوبة: «كلبة ممتازة».

قالت دون: «إنها حسنة السلوك، لم أستطع تخيل الكيفية التي دُرِّبت بها. جاءت إلى هنا بعد وقت ليس بالطويل في الليلة التي أخذتها فيها، وعندما اتصلت بمكتب شؤون المناجل، قالوا لي إنك قيد الإنعاش».

لم يخضع فيلدز لعملية إنعاش بعد عمليته الأولى في طفولته، لذا لم يعرف ما إذا كان جَيَشان الانفعالات الذي يحس به من الآثار الجانبية أم لا، لكنه لم يستطع إنكار أن اعتناء هذه المرأة الغريبة بتريكسي في أثناء شموته جعله يكاد يذرف دموع الامتنان، ومد لها خاتمه: «عزيزتي دون، أعجز عن شكرك».

اتسعت عيناها: «حصانة جنابك؟!». وسارت نحوه مترددة.

- تستحقينها.

حاول فيلدز ألا يجفل وهي تجثو على ركبتها لتقبِّل خاتمه، لكن من حسن حظه أنها لم تترك لعابًا كثيرًا على الخاتم كما يفعل بعض الناس. أبقى فيلدز انتباهه على تريكسي طوال مدة العملية المثيرة للغثيان. كانت جالسة منتصبة على قائمتيها الخلفيتين، ولسانها متدلٍّ على نحو يظن فيلدز أنه ابتسامة كلاب. قال: «ها هي فتاتي»، وصفق بيديه عندما عرف من الضوء الأحمر أن دون ابتعدت عنه أخيرًا: «على الأقل أخَفنا تلك الرواكين وأبعدناها، أليس كذلك يا تريكسي؟».

بدا عليها شيء من البهجة، وانحنى فيلدز مبتسمًا وأخذ طرف قيدها. وسار نحو الباب قائلًا: «أشكرك شكرًا أبديًّا يا دون، أو مدته عام على الأقل». التفت إلى الخلف ناظرًا إليها ليلوِّح لها تلويحته الأنيقة المعتادة بغدارته، لكن تريكسي جذبت القيد جذبة شديدة فاجأت فيلدز، فجعلته يتعثر بضع خطوات خارج الباب قبل أن يستعيد توازنه.

هدأت أنفاسه لأول مرة منذ إنعاشه: «أظننا سنذهب إلى المتنزه يا تريكسي». عندئذٍ كانت تسير بجانبه، وأذناها منتصبتان، ونظراتها متيقظة، بحثًا عن العفاريت بلا ريب. أومأ فيلدز مستحسنًا سلوكها وتابع: «لا أطيق الانتظار لرؤية استجابتك لنقانق شارلز».

أخيرًا وفي الهواء الطلق مع رفيقته الوفية، تخلص فيلدز من اهتزاز ثقته بنفسه الذي لازمه منذ استيقاظه من الإنعاش. كان قد ترك ذلك الصبي الضعيف الرعديد خلفه قبل سنوات عديدة، وقد انزعج لأن أمرًا بسيطًا كالشّموت يمكن أن يسمح بعودة ذلك الصبي...

لكن اليوم كان جميلًا لا تليق به مثل هذه الأفكار السوداوية. قال: «أجل، يوم جميل حقًّا». وأضفى تبخترًا طفيفًا على خطواته، وراح يومئ للناس الذين يفسحون الطريق له ولتريكسي على الرصيف الجانبي.

انعطفا يمينًا عند الممشى المحاذي للشاطئ، وجعلت رائحة البحر المالحة فيلدز يفكر في مصادرة يخت صغير ليشاهد منه غروب الشمس، ويفكر في احتمال أن تكون تريكسي من الكلاب التي تحب المياه.

عندئذٍ كانت تريكسي تتشمم أعمدة الإنارة وأصص الزهور على النحو الذي يحبه فيلدز: بعدم إعاقة تقدُّمه ولا إرغامه على الهرولة. وعندما وصلا إلى المتنزه، تناول شطيرة النقانق من شارلز، وما كاد ينحني ليقدمها لتريكسي، حتى قفزت للأمام واختطفت الشطيرة، وكادت أن تقضم أصابعه.

ابتسم فيلدز لها ابتسامة واسعة: «التهمتْها كأنها متذوقة رفيعة الذوق، أليس كذلك يا شارلز؟».

«بلى جنابك». أجابه الرجل بنبرة كلامه الفاترة الأقرب إلى التنهُّد، لكن من حسن حظه أنه كان يمد عينة أخرى مُتوَّجة بالخردل من فنِّه الطبخي، لذا غفر فيلدز له كل شيء مرة أخرى.

بعد شطيرة ثانية لتريكسي وثالثة لنفسه، قرر فيلدز مغادرة المتنزه والذهاب إلى وسط البلدة: «عادةً لا أحب ضوضاء المدينة، لكن واجبات المنجل لا تنتهي أبدًا». تكلم مخاطبًا تريكسي وكل من يسمعه في أثناء سيره من الشاطئ إلى واجهات المتاجر التي تسعى دون جدوى لتبدو جذابة بحكم كونها قديمة الطراز.

أخذ عشاءً لنفسه، وعدة أصناف طعام كلاب لتريكسي، ثم سجَّل في ذهنه بضعة أشخاص ليقطفهم مستقبلًا، واتجه إلى المنزل.

قال وهو يدفع الباب الأمامي: «يا له من يوم حافل يا تريكسي! ما رأيك في أن نسترخي بقية أيام الأسبوع؟ لا مزيد من الصيد».

رفعت وجهها إلى فيلدز، لكن اختفاء لسانها وارتخاء أذنيها وانطفاء عينيها وغياب أي تعبير، بعث رعدةً في عموده الفقري. هز رأسه، وخطر له أنه ما زال مشوشًا من عملية الإنعاش.

في المطبخ أخرج ملعقة من كل علبة طعام كلاب ووضعها في وعائها، فأكلتها جميعًا باستمتاع متساوٍ، لكن في الحقيقة لم تستمتع إطلاقًا، ذيلها لم يتحرك وهي تبتلع الطعام، كما لم تنتصب أذناها على أي نحو ظاهر.

خطر لفيلدز أولًا أنها أسرفت في أكل النقانق، لكن الاحتمال الذي خطر له بعدها جعله يبتسم: «لستِ صعبة الإرضاء! سمة من سمات الكلاب الممتازة!». أفرغ بقية محتويات إحدى العلب في الوعاء، ووضع بقية العلب في الثلاجة: «للغد إذن».

سمع فيلدز صوت التهامها آخر قطع الطعام وهو عند الحوض على الجانب الآخر من المطبخ. قال: «ثمة أشياء قليلة أجدها مزعجة بقدر إزعاج الأشخاص الذين يأنفون العمل تحت إمرة غيرهم». وكان مسرورًا مجددًا لأن لديه مستمعة صامتة يمكنه مشاركة أفكاره معها كأنه يلقي خطبة: «أولئك الذين يجذبون انتباه الناس إليهم بالطلبات الصعبة أو بتقديم أنفسهم كأنهم أفضل أو أهم منا». وضع الوعاء، واعتدل واقفًا، وهز رأسه، ثم لاحظ أن تريكسي تنظر إليه مجددًا.

لوهلة وجيزة كاد أن يخطر له أن ثمة شيئًا كامِنًا في عينيها الداكنتين، لكن عندئذٍ استدارت مبتعدة، وخفضت رأسها لتلعق من وعاء الماء. تمتم: «هذا أمر لافت، لا شك في أن تعافيَّ من الشموت لم يكتمل». هز كتفيه، وفتح الثلاجة وأخذ علبة من مشروبه المفضل، صودا العنب، الذي يذكِّره بطفولته، أو بالأحرى يذكره بالمذاق الحلو لانتصار نجاته من طفولته.

أصدر غطاء العلبة فرقعة خافتة، ورفع فيلدز العلبة مُحييًا تريكسي قائلًا: «رجلٌ وكلبته». أخذ جرعات كبيرة، وأطلق زفرة طويلة، ثم أشار إلى باب

المطبخ: «الآن وقد وضعنا تلك الحادثة المؤسفة خلف ظهرنا، فلنحظ بأول أمسية عادية لنا».

سارت في أعقابه إلى الطوابق الأعلى بهدوء شديد، فتعيَّن عليه النظر خلفه عدة مرات ليتأكد من وجودها خلفه. اجتازا الطابق الثاني، وصعدا إلى غرفة النوم. أضاء المصباح الذي على الجدار المجاور للرواق، وانتحى جانبًا ليرشد تريكسي إلى وسادتها...

فوجدها قد تحركت سلفًا وتهم بالتمدد على الوسادة المخملية الذهبية، ثم أسندت رأسها إلى ساقيها الأماميتين.

بدا سلوكها معتادًا وطبيعيًّا جدًّا إلى درجة أن فيلدز أخذ جرعة أخرى من صودا العنب حتى يزيل غصة في حلقه. قال مجددًا: «صبي وكلبته». هل قال 'صبي'؟ صحح نفسه: «رجل وكلبته». وأحس بالخجل من تصحيح نفسه لتريكسي.

تحرك نحو سريره، ونزع حذاءه، واتكأ على الوسائد، ثم حمل جهاز التحكم عن بُعد من موضعه على المنضدة المجاورة للسرير. لن يُسرِّي عنه شيءٌ مثل أحد أفلام قدوته التاريخية بعد يومه المرهق! ضغط زر التشغيل، وغط في النوم فورًا في أثناء الفقرات الافتتاحية.

***

فتح عينيه إثر سماعه صوت تهشُّم شيء، ورمش مرارًا قبل أن يدرك أن الظلام أحاط به. أجل، من حين لآخر يجد نفسه يغفو حالما يشرع في مشاهدة أي شاشة، لكن لماذا أُطفئ التلفاز؟ ولماذا أطفئت مصابيح الغرفة؟ ولماذا -أضاف إلى قائمة الأسئلة التي تجول بذهنه- لم يعد ممسكًا بجهاز التحكم عن بعد؟

وهو ما يزال مشوشًا بين النوم واليقظة، أنزل قدميه العاريتين على السجادة، فأحس بها رطبة، ونهض وتقدم عدة خطوات نحو مفتاح المصابيح، وأحس إثر كل خطوة بأن الأرضية أكثر برودة وبللًا.

ماذا حدث هنا؟ هل انفجر أنبوب في الحمام؟ نظر في اتجاه الحمام، لكن بالطبع لم يستطع رؤية شيء. زم شفتيه منزعجًا. ربما عليه هو وتريكسي أن يأخذا غدارته من الخزانة بالأسفل ويزورا السبَّاك.

ومن ثم أدرك سبب صوت التهشم الذي أيقظه. في الظلال التي جوار سريره رأى مصباح المنضدة التي جوار السرير قد سقط على الأرضية. ثم مد يده نحو مفتاح المصابيح.

وحالما أضاءت مصابيح السقف، اعترى فيلدز ألم شديد مفاجئ، وفي لحظة الإضاءة الساطعة رأى أسلاكًا كهربية عارية ممتدة من مصباح المنضدة المكسور إلى السجادة المبتلة.

قال بصوت كالفحيح من بين أسنانه التي تصطك: «غودفري د...»، لكن التيار الكهربي اشتد فأوقف كل أفكاره.

***

هذه المرة لم يستيقظ في لحظة واحدة، إنما بدا أنه يلاحظ أن نظراته معلقة بسقف خشبي جميل، السقف والجدران الخشبية نفسها التي استيقظ ناظرًا إليها في مركز الإنعاش المرة السابقة.

سمع نفسه يقول: «ثمة خطب ما»، فأمسك لسانه. وسعل، وازدرد ريقه، وتنحنح، وازدرد ريقه مرة أخرى ليبدد ذكرى نبرة الصوت التي خرجت بها كلماته. ثم تدحرج فيلدز إلى جانبه فرأى الممرضة نفسها تقف جوار فراشه، زيها أبيض ناصع كما كان، لكن ابتسامتها بدت فاترة، وأقل إشراقًا: «المنجل فيلدز؟ كيف تشعر جنابك؟».

اعتدل جالسًا فارتسم الألم على وجهه، وقال: «يبدو أنني وقعت ضحية حادثة منزلية بسيطة». تكلم مرغِمًا كلماته على التماسك. ثم عادت إليه ذكرياته الأخيرة بسرعة مقارنة بالمرة السابقة. ربما يصبح التعرض للشموت أسهل بكثرة الممارسة. وبعدما تنحنح عدة مرات مجددًا، سألها: «هل أصيبت تريكسي؟».

تذبذبت ابتسامة الممرضة، وبدت كأنها تحاول إخفاء اكتشافها شوكة في حذائها: «تريكسي؟ أهي كلبتك؟ طاقم الطوارئ وجدها جالسة بالخارج أمام المنزل».

«طاقم الطوارئ؟». لم يكن مستعدًّا بعد للنهوض، فاكتفى بالتحديق إليها وهو يرمش مرارًا.

بدت ابتسامة الممرضة أكثر إجهادًا: «بسبب الماء، والحريق. قال الطاقم إن الحادثة لتسببت في انقطاع الكهرباء عن الحي بأكمله لو لم يكن الرأس السحابي يضع تحوطات حول منزلك، لأنك منجل وما إلى ذلك، كما تعرف».

أحس فيلدز بصوت الممرضة صريفًا مزعجًا، وبدت له الإضاءة في الغرفة شديدة السطوع فجأة، فضيَّق عينيه ناظرًا إلى المنضدة التي جوار الفراش، لكن هذه المرة لم يجد غدارته، بالطبع، لأنه لم يكن يحملها معه في وقت وقوع الحادث.

سأل الممرضة: «وأفترض أن تريكسي ستكون في مأوى الحيوانات مجددًا، أليس كذلك؟».

- ...على ما أظن.

تضايق من عدم يقينها، إذ لا بد أن عملها يقتضي الاهتمام بمثل هذه الأشياء. كان عدم الكفاءة من العوامل التي تؤثر في اختيار فيلدز لأهداف قطفه، لكن عندئذٍ تعيَّن عليه الاهتمام بشؤون أهم.

نهض واقفًا، وانتعل حذاءه الذي رأى أحدهم أن من الضروري جلبه من المنزل المبتل بالمياه، وكان الحذاء نفسه مبتلًّا بالطبع. قال: «شكرًا لك»، وتضايق من ضعف نبرة صوته التي تشي بالخنوع، ثم التفت ليُظهِر للممرضة التكشيرة التي تناسب إحساسه الحقيقي في اللحظة الراهنة...

لكنها قالت له: «على الرحب والسعة أيها المنجل فيلدز! نتشرف بخدمتك!».

ابتسم لها ابتسامة متشنجة، ثم اتجه بأسرع ما يمكنه نحو المخرج.

كان عصرًا جميلًا مرة أخرى، لكن هذه المرة لم يعرف فيلدز عدد الأيام التي انقضت، المرة الماضية استغرق إنعاشه يومين، أليس كذلك؟ ثم تعرض للشموت مرة أخرى بعد وقت قصير. خطر له أنه أمر شائن، كما لو أن شخصًا قد...

أوقف الفكرة، رفض الاسترسال فيها، وضرب بقدميه الأرض فأصدر حذاؤه أصواتًا مزعجة نظرًا إلى ابتلاله، وتابع سيره نحو مدخل طوارئ مأوى الحيوانات.

دخل إلى المأوى، ومجددًا وجد دون عند النضد تحدق إلى جهازها اللوحي، لكن هذه المرة أصابعها تقبض على الجهاز كأنها ضبطته للتو يركض في أرجاء المكان.

قال فيلدز بصوت أعلى من اللازم قليلًا: «أسبوع حافل بالأحداث، أليس كذلك؟».

أجفلت دون كأنها لُدغت خلف النضد وقفزت من كرسيها: «المنجل فيلدز!». ألقت نظرة سريعة على الجهاز اللوحي الذي ما زالت تحمله، وتأرجحت نظراتها بين وجه المنجل وبين شاشة الجهاز اللوحي. قالت: «كنت أعتني بتريكسي مجددًا إلى حين الانتهاء من صيانة منزلك، و... عليَّ أن أسألك يا سيدي... نظرًا إلى وقوع هاتين الحادثتين بعدما تبنَّيتَ تريكسي بوقت قصير، أتظن... أتظن صدقًا أنكما ملائمان لبعضكما؟».

مد يده نحو غدارته: «ماذا؟»، وتذكَّر أنه لا يحملها معه، ثم تذكَّر أنه منح دون الحصانة بالأمس، أو قبل يومين أو ثلاثة، أيًّا كانت مدة شموته البغيضة.

صُدِم فيلدز بكراهية الذات التي تنخر في أفكاره، كراهية ذاته المألوفة من طفولته لكنها انحسرت منذ تلقيه عباءته وخاتمه وهويته الجديدة، صُدِم بها أكثر من صدمته بكلام دون. تعيَّن عليه أخذ نفس عميق حتى يستجمع شتات نفسه ويلفظ الكلمات كما ينبغي: «إذا كنتِ تحاولين التلميح إلى أنني لا أصلح لاقتناء الكلاب، فلا بد لي من إخبارك بأن تاريخ الجنس البشري الطويل لم يشهد رجلًا وكلبًا ملائمين لبعضهما مثلي أنا وتريكسي. ومجرد ظنك أننا غير ملائمين لبعضنا يجعلني أظن أنك تمارسين المهنة الخطأ».

تلاشت ابتسامة دون: «مع كامل احترامي لك جنابك، كرست أكثر من ثمانين عامًا للاعتناء بالكلاب وإنعاشها، ونظرًا إلى نشأة تريكسي وخلفيتها غير المعتادة، ربما من الحكمة أن...».

أحس فيلدز بشعر عنقه ينتصب: «خلفيتها؟ ما الذي يمكن أن يكون غير معتاد بشأن خلفية تريكسي؟».

لعقت المرأة شفتيها متوترة: «لم يتحدث الرأس السحابي عن تريكسي تحديدًا بما أنكَ تبنَّيتها، لكنه أرشدني إلى مقاطع فيديو مثيرة للاهتمام». رفعت جهازها اللوحي ونقرت عليه ووجهته نحو فيلدز.

على مضض نظر فيلدز إلى الشاشة، فرأى جراء شبيهة بتريكسي، تتصارع وتتراكض في مرجة مشمسة جميلة. وكانت دون تقول له: «هذه الفيديوهات من إقليم نيبال الخاص في بان آسيا، وهذه الكلاب، يسمونها بالحيوانات الأليفة المُحسَّنة».

هَمَّ فيلدز بترديد كلمة «مُحسَّنة» بنبرة استفهام وتعجب شديد، لكنه تسمَّر عندما سمع صوتًا من الشاشة يقول: «حسنًا! والآن أريد جميع البنات على هذا الجانب، وجميع الأولاد على ذلك الجانب!».

تحركت الجراء سريعًا بألسنتها المتدلية وانقسمت إلى مجموعتين.

تابع الصوت: «والآن فلتصطف المجموعتان بترتيب وفقًا لحجم كل جرو!».

اختلطت المجموعتان، وابتعدت الكاميرا، ثم رتبت الجراء أنفسها كما طُلب منها تحديدًا.

ازدرد فيلدز ريقه وغمغم: «حيوانات تلقت تدريبًا جيدًا». لكنه لم يستطع التخلص من التهدُّج الطفيف في صوته.

قالت دون برقَّة: «لا جنابك». فكاد فيلدز أن يجفل، إذ نسي وجود المرأة: «تقول التقارير إن مجموعة من العلماء كانت تعمل لقرابة قرن في نيبال، من أجل منح مجموعة مختارة من الكلاب مستويات ذكاء بشري. هذه هنا مجرد جراء، لكن لاحقًا يصورون بعض الكلاب البالغة التي يمكنها أن...».

«لا!». صاح فيلدز وضرب الجهاز اللوحي فأسقطه من يد المرأة: «هذا الفيديو مجرد مزحة من مستهجن، إنه خدعة، وحتى إذا صدَّقتُ للحظة أنه حقيقي، فسأصعد على متن أول طائرة وأعبر المحيط الهادئ وأقطف شخصيًّا كل من له علاقة بالفيديو!».

قرر صرف تفكيره عن الأمر، إلَّا أنَّ جزءًا من عقله رفض، فإذا لم تكن تريكسي واعية فحسب، بل وحادة *الذكاء* أيضًا... فربما تكون تلك الحوادث المزعومة...

«لا!». صاح مجددًا وبالكاد منع نفسه من ضرب الأرض بقدمه: «لا مزيد من الجدال. سأصطحب كلبتي الآن!».

زمت دون شفتيها وفتحت نهاية النضد، وكانت تريكسي مرة أخرى تنتظر بصمت وصبر. قرفص فيلدز أمامها، ومد يده لأخذ نهاية قيدها وكاد أن يجفل عندما نهضت تريكسي قبل أن يمسك القيد...

...لأن وقوفها وهو يقرفص جعل عينيها الداكنتين العميقتين في مستوى عينيه، وبينما وجد نفسه يحدق مشدوهًا ويكاد أن يرتجف، بادلته تريكسي النظرات بهدوء تام.

التقط فيلدز القيد بسرعة، وهبَّ واقفًا وَجِلًا، واتجه نحو الباب وتريكسي تسير إلى جانبه صامتة. قال لدون دون أن يلتفت: «لقد اقترفتِ عددًا من الأخطاء الفادحة اليوم يا سيدتي! عددًا كبيرًا!».

قالت دون مذعورة: «أرجوك جنابك! لدينا كثير من الكلاب اللطيفة جدًّا في المأوى، تعرف هذا! ربما تجدر بك إعادة التفكير في تبنِّي هذه الكلبة تحديدًا...».

توقف فيلدز عند الباب لينظر إليها نظرة كان يأمل أن تكون فولاذية صارمة، وقال: «وأنت يا سيدتي يجدر بك التفكير في مدى قصر مدة عام الحصانة!». أراد أن يلوح لها بغدارته متوعِّدًا، لكن الغدارة لم تكن معه بالطبع، ومجددًا واصلت تريكسي السير فاضطر إلى التحرك بسرعة حتى لا يُسحب جانبيًّا وهما يخرجان عبر الباب.

مع كل خطوة خطاها فيلدز مبتعدًا عن مأوى الحيوانات، ازداد ذلك الفيديو سخفًا في نظره، وظل يحاول أن يضرب كل خطوة بحذائه المبتل بقوة على الرصيف. قال حانقًا: «غير معقول! لماذا قد يصدق أي أحد هذه الخدعة الشائنة؟».

ارتخت أذنا تريكسي إلى الخلف، والنظرة التي وجَّهتها فوق كتفها إلى فيلدز بدت تأنيبية قاسية إلى درجة أخرسته.

لأن من غير الممكن أن تؤنِّبه كلبة، أليس كذلك؟ إنها حيوان، حيوان رائع بلا ريب، على الأرجح أروع كلب يصادفه في حياته، لكن من الصعب جدًّا تصديق أنها لا ترى العالم وتسمعه وتشمه فحسب، بل وتفهم كل ما يجري حولها، بما يكفي لترغب في الانتقام...

أرغم نفسه على الكلام بصوت عالٍ: «لسمعنا عن الأمر في الأخبار!»، إذ لطالما ظل صوته أكثر صوت مهدئ يمكنه تخيله: «إذا أصبح الناس يجلبون مخلوقات كتلك من إقليم خاص، لامتلأت....».

نبهه شارلز: «جنابك؟». حدق فيلدز مشدوهًا إلى عربة النقانق التي أمامه. كان مستغرقًا في أفكار فظيعة فلم تكن في ذهنه وجهة بعينها، ربما كان يريد الذهاب إلى المنزل ليرى ما إذا ارتكب عمال الصيانة أي خطأ يجعله يزورهم زيارة قطف.

لكن تريكسي اقتادته إلى هنا مباشرة، بل ووجدها تقف على قائمتيها الخلفيتين مستندة بالأماميتين إلى جانب العربة وانتباهها بالكامل موجه إلى شطيرة النقانق التي يمدها شارلز إلى فيلدز.

قال مع نفسه: لا بد *أنها اشتمت رائحة النقانق في النسيم*. لم تكن توجد أخف نسمة هواء في عصر اليوم الدافئ، لكن حاسة الشم لدى الكلاب أقوى. توجُّه تريكسي إلى عربة النقانق لا يثبت شيئًا، لا يثبت شيئًا إطلاقًا!

سأل شارلز مرة أخرى ملوِّحًا بالشطيرة باتجاه فيلدز: «جنابك؟».

أحس فيلدز بأنه غير جائع، لم يكن جائعًا في المرات السابقة، وقطعًا ليس جائعًا *الآن*. دون كلام استدار ليذهب.

لكن قيد تريكسي ثقل في يده، إذ لم تتبعه، فاستدار ليواجهها، لكنه تسمَّر مجددًا إزاء العزيمة الباردة الصلبة في عينيها الداكنتين، اللتين تركَّزتا عليه الآن بدلًا من الشطيرة التي في يد شارلز. رمشت ببطء، ثم، وهي ما تزال تحدق إليه، أطلقت نباحًا أجش قصيرًا وخافتًا ذكَّر فيلدز بطريقة تنحنُح أمه عندما كانت تهم بلفت انتباهه إلى أحد عيوبه أو أخطائه.

القشعريرة التي سَرَت في عموده الفقري جعلت ذراعه ترتعش، وحركة يده اللاإرادية كانت إشارة كافية لشارلز، فأومأ الرجل، وانحنى ومد الشطيرة لتريكسي قائلًا: «كلبة رائعة»، بصوته العميق الرتيب المعتاد.

أبعدت تريكسي ناظريها عن فيلدز، وأخذت شطيرة النقانق، لكنها لم تلتهمها بشراهة كما قد يفعل أي كلب اقتناه فيلدز يومًا، أو كما فعلت تريكسي نفسها عندما أكلت طعامها بالأمس، أو اليوم الذي قبله، أو في آخر يوم كان حيًّا فيه متى ما كان.

كلَّا، أمسكت تريكسي بطرف الشطيرة بخفة بين أسنانها، وأدارت عنقها حتى صارت تنظر إلى فيلدز مباشرة مرة أخرى، وعندئذٍ بدأت. قذفت الشطيرة بضع بوصات في الهواء، ثم مدت عنقها، وبحركة سريعة لم يتبيَّنها فيلدز، أبعدت الخبز دون تغيير مسار حركة النقانق نفسها، وأقعَت فاتحة فمها وأمسكت باللحم وسقط الخبز على الأرضية الخرسانية بجانبها.

قال شارلز: «عجبًا!». ولحدَّق فيلدز إليه متعجبًا من كلامه بانفعال على غير عادته، لكن تريكسي كانت مستحوذة على انتباهه بالكامل. ببطء راحت تريكسي تجذب قطعة النقانق بأسنانها إلى داخل فمها، وتمضغ كل قضمة

وتبتلعها وهي بطريقة ما تمسك ببقية القطعة كأنها سيجارة كبيرة، دون أن تحيد بنظراتها عن فيلدز لثانية في أثناء أدائها بأكمله. وعندئذٍ كان فيلدز مقتنعًا تمامًا أنه أداء مقصود.

فعرف ما يجب عليه فعله.

إلَّا أنه لم تكن لديه فكرة عن الكيفية.

ظل يتكلم طوال مدة سيرهما إلى المنزل، فمن غير الطبيعي تمامًا ألَّا يتكلم فيلدز، والوضع الحالي غير طبيعي إلى درجة بعيدة، لذا ظل يدلي بتعليقات متواصلة عن الطقس والمنظر الطبيعي وملابس الناس الغريبة، وهكذا مواضيع فارغة. تعيَّن عليه إقناع تريكسي بأنه ما زال يظنها كلبة عادية، وحتى يقنعها بهذا كان لا بد من إقناعها بأنه مغفل.

مغفل أكثر مما تظن الكلبة.

إلَّا إذا كان هو المخطئ في ظنه.

كلا. إنه أدرَى. رغم أنه في أوقات بينه وبين نفسه يتمنى لو أنه لا يدري، أوقات يرغب فيها في التخلي عن دور المنجل فيلدز ويزحف تحت سريره كما كان يفعل كلما أبدى والداه امتعاضهما منه وقالا له كلامًا يخدش احترامه لذاته.

لكن هذا لا يمكن أن يكون أحد تلك الأوقات. رأى أنه عليه أن يسيطر على الموقف، ويكون سيد... أيًّا يكن هذا الشيء. لكن لا بد أن يتأكد أولًا قبل أن يتخذ أي إجراء، لا بد أن يضع الكلبة أمام اختبار، ليستدرجها إلى فخ، أجل، هذا هو التعبير المناسب. عليه أن يخدعها حتى تكشف حقيقة نياتها تجاهه.

حاول التفكير وهو يواصل الثرثرة، وسار خلف تريكسي على الممشى، ودخل عبر البوابة الأمامية، ثم أخرج لها نصف علبة من الطعام من الثلاجة...

وعندئذٍ خطرت له الخطة، فاعتدل واقفًا. تكلم ساخطًا كأنه أدرك أمرًا فجأة: «غودفري دانيلز! لقد أمضيت معظم الأسبوع الماضي دون تواصل مع الناس، والآن أواجه خطر عدم إكمال حصص قطفي!». وهذا لم يكن صحيحًا، فالأسابيع القليلة السابقة شهدت عددًا كبيرًا من مواقف الانزعاج، لكن الكلبة

لم تكن تعرف هذا. تابع: «أثق بأن بمقدورك تسلية نفسك وحدك هذا المساء، لا بد أن أؤدي واجباتي الرسمية».

وفي أثناء خروجه من المطبخ قاوم رغبته في الالتفات ليرى ما إذا تبِعتْه، وتمتم: «اختيار وسيلة القطف صعب دومًا». نطق الكلمات بوضوح متعمَّد دون أن يبدو أنه يتعمَّد الوضوح. ثم وقف عند خزانة الأسلحة في الصالة الأمامية، وفتح القفل، وجذب البابين كاشفًا عن ترسانة أسلحته: مسدسات، وسكاكين، وبنادق، وفؤوس، وبنادق صيد، وسموم في عدة أرفف. صحيح أنه عادةً ما يستخدم السيف المخبوء بداخل عصاه، لكن معرفة أن لديه خيارات أخرى تُشعِره دومًا بأنه أكثر احترافية.

تابع الكلام مغمغمًا ومحاولًا أن يبدو كلامه كمن يسجل ملاحظة ذهنية: «عندما أعود عليَّ أن أنظف بنادق الصيد هذه، وآخذها إلى الشاطئ، وأطلق رصاصاتها فوق البحر، حتى أتأكد أنها تعمل على ما يرام». عجز عن المقاومة أخيرًا وألقى نظرة سريعة فوق كتفه، متأهِّبًا لما سيراه، أيًّا يكن.

رأى تريكسي جالسة في منتصف الصالة الأمامية، ورأسها مائل على نحو ظريف، لكن عينيها متَّقدتان على نحو غير ظريف.

أراد جزءٌ منه إنكار أن لديها أيَّ دوافع، وتصديق أنها مجرد كلبة تستمع إلى أصوات غير مفهومة يلفظها سيدها. لكنه لم يكن متأكدًا.

واصل كلامه معها بالنبرة العفوية اللامبالية نفسها التي استخدمها في أثناء سيرهما إلى المنزل، مجرد رجل يحادث كلبته: «بنادق الصيد أسلحة حساسة ربما تنفجر بأكملها عند إطلاقها إذا لم تستخدَم وتجد عناية بانتظام».

أخذ أصغر بندقية من الرف، واستشعر وزنها بيد واحدة، ثم تظاهر بأنه فقد تركيزه: «وبنادقي التي تُلقَّم من الفوهة!». أسند بندقية الصيد إلى الجدار جوار الخزانة، وأخذ قارورة البارود الأسود من الرف المجاور، وببطء فتح غطاءها وتشممها، وحرَّكها حتى تملأ المكان بنتانتها الكبريتية: «أجل، يجدر بي الاعتناء بأسلحتي النارية عندما أعود مساء اليوم».

أومأ وأعاد القارورة إلى الخزانة وأغلقها، وسار نحو الباب الخاجي، والهواء ما يزال ثقيلًا برائحة البارود الأسود. لأي مراقب قد يبدو فيلدز أنه نسي بندقية الصيد مستندة إلى جانب الخزانة، لكن ما من مراقب، أو على الأقل ما من مراقب بشري.

قال ببهجة لا يشعر بها إطلاقًا: «سأعود سريعًا يا تريكسي»، وأدار مقبض الباب، وخرج إلى ضوء الشفق.

وبعد بضع دقائق عاد فيلدز متسلِّلًا خلسة إلى المنزل، واثقًا أن رائحة البارود الكبريتية التي تركها خلفه ستغطي رائحته. النوافذ التي جوار الباب الأمامي توفر رؤية واضحة للرواق وخزانة الأسلحة. لم يرغب في المعرفة، لكنه زحف مقتربًا من النافذة وألقى نظرة...

فرأى الرواق خاليًا، ولم ير تريكسي في أي مكان. بدا أن لا شيء يجري بعد مغادرته، رقص قلبه طربًا بالأمل. هل يُعقل أنه كان يتوهم كل شيء؟ هل تريكسي كلبة عادية وليست وحشًا في إهاب كلب؟

لكن عندئذٍ فُتِح باب المطبخ، وخرجت تريكسي مسرعة وممسكة بشيء أبيض في فمها. أهي لعبة؟ أم عظْمة من الجلد غير المدبوغ؟ استدارت وتوقفت جوار خزانة الأسلحة، ووضعت الشيء من فمها على الأرضية حيث أُسنِدت بندقية الصيد.

كان الشيء قنينة صمغ.

ثم انحنت تريكسي إلى الأمام، وأمسكت بالقنينة بقدميها الأماميتين وجاهدت حتى تدير الغطاء بأسنانها، وعلى الأرجح لعنت عدم امتلاكها إبهامين متقابلين. وحالما تمكنت من نزع الغطاء، أمسكت بالقنينة بفكيها مرة أخرى، ووقفت على قائمتيها الخلفيتين مستندةً إلى جانب الخزانة بقائمتيها الأماميتين، ومدت عنقها وأمالت رأسها، وبدأت تضع قطرات من الصمغ في ماسورة البندقية.

منقبِض الصدر سحب فيلدز مسدسه المخدِّر، الذي أخذه آنفًا من الخزانة خلسة، وهشم به زجاج النافذة، وأطلق سهمه على الكلبة الهجينة القاتلة.

أصاب السهم تريكسي في خاصرتها، فأفلتت قنينة الصمغ وقفزت مبتعدة عن خزانة الأسلحة واستدارت لتواجه فيلدز، وكشرت عن أنيابها وزمجرت على نحو جعل فيلدز يفكر في إطلاق سهم آخر عليها.

لكن المزيج الذي ملأ به سهامه كان سريع المفعول، ارتخت عينا تريكسي وأذناها، وخارت قائمتاها الخلفيتان، جلست مترنحة للحظة، ثم سقطت متمددة على الرخام الأبيض.

لم يحس فيلدز ببرودة أو حرارة في مقبض الباب وهو يديره ويخطو إلى الداخل. زمجر: «نلت منك أيتها العاهرة!»، ثم توقف، وتنحنح، محاولًا إيجاد الطريقة اللائقة للتعبير عن مشاعره، وحاول تذكر مقولة عن الخيانة أو تحول الأصدقاء إلى أعداء أو...

قرر نسيانها. قرفص أمام تريكسي، وشاهد مخالبها الأمامية ترتعش وعينيها تتذبذبان: «أتشعرين بأن جسدك غريب؟». سألها بصوت لم يكد يتعرف عليه، مستخدمًا كلمات وعبارات لم ينطقها منذ عقود: «أجل، هذا المخدر قوي جدًّا، سيفقدك الوعي لبعض الوقت، رغم أنني لدي كل الحق في إطلاق الرصاص عليك. إذا أردتِ أن تحظي بذكاء البشر، فعليك باتباع قوانين البشر، صحيح؟». انحنى مقتربًا قليلًا من أذنها المرتعشة: «والذين يتسببون في شموت منجل، لا بد أنك تعرفين العقاب الذي ينتظرهم، أليس كذلك؟».

تحرك إلى الخزانة أسفل السلم حيث كان يحتفظ بصندوق السفر الخاص بالكلاب وأخرجه.

بصوت ما زالت تشوبه خنَّة جيمي راندل واصل حديثه إلى الكلبة شبه فاقدة الوعي: «كنتُ أحب العلوم، لكنها صارت تحت يد الرأس السحابي. وبوصفي منجلًا لا يحق لي التدخل في عمل الرأس السحابي. ورغم هذا، أيًّا كان العلم الذي صنعكِ لا يستحق أن يرى ضوء النهار».

تحركت مخالب الكلبة بضع حركات تشنجية، ثم سكنت سكونًا تامًّا جعل فيلدز يقلق. هذا المخدر لم يكن من السهل مزجه، فهل أخطأ في المقادير؟ لا بأس، حتى إذا أخطأ، فسيوفر على نفسه عناء الخطوة التالية، لكن هذه الخطوة التالية هي الأساسية. ستكون نصرًا مذاقه أحلى من صودا العنب.

ألقى نظرة من كثب فرأى أن خاصرتيها ما تزالان تتحركان إثر تنفسها، وبحذر قرفص خلفها ودفعها إلى الأمام إلى داخل الصندوق، وأدخل ذيلها خلفها، ثم أغلق باب الصندوق، وأوصده. ثم رفع الصندوق من مقبضه، وسار به جاهدًا نحو الباب الخلفي إلى الباحة الخلفية ومنها إلى الشاطئ، وقد لاحظ وجود أثر لبقعة دم على البلاط حيث تفلطح قبل بضعة أيام.

كان الشاطئ مظلمًا أسفل سماء غاب عنها القمر. وضع فيلدز الصندوق الصامت بين كثبان رملية منخفضة تملأ الياردات المئة أو نحوها التي تفصل بين منزله والبحر، وقال: «لا شيء سوى الأزرق المالح هنا يا فتاة، أضمن لك أنك ستجدينه هادئًا مريحًا».

عاد إلى المنزل ليجلب المعدات اللازمة، وظل يقول لنفسه مرارًا: «قوة العقل تتغلب على كل شيء يا جيمي، قوة العقل تتغلب على كل شيء».

وعندما عاد إلى الصندوق كان يلهث من الإرهاق، لكن السبب لم يقتصر على الإرهاق، جسده بأكمله كان يهتز من الترقُّب والحماسة. تنفس بعمق وبطء، وحاول العودة إلى شخصية قدوته التاريخية المحترفة، بأن يكون مسيطرًا، ومنفصلًا عاطفيًّا، ومتفلسفًا فصيحًا.

أقحم مجرفته في الرمال قائلًا: «يا لخيانة الكلبة المجرمة الجاحدة! سأنتقم لنفسي. الانتقام أفضل ما يمكن أن يأمله المرء في هذا العالم القاسي!». وجَّه ضوء مصباح يدوي عبر قضبان باب الصندوق، لكن جسد تريكسي المكسو بالفرو الرمادي لم يتحرك، ظل هامدًا على أرضية الصندوق. قال: «لا حاجة إلى الرد»، ووضع المصباح اليدوي جانبًا وشرع في العمل.

سرعان ما صارت المهمة بأكملها مرهقة ومملة، لكن فيلدز ثابر، وقال مع نفسه إن مسألة بهذه الفداحة ليس فيها مجال للتقاعس. كما إن عمق ستة أقدام للبشر، وعمق هذه الحفرة ينبغي أن يكفي لاستيعاب الصندوق فحسب.

ومع ذلك استغرقت وقتًا أطول مما توقعه فيلدز، إذ وجد أن حفر الرمل أصعب. أدرك أن منتصف الليل قد انقضى عندما اعتدل واقفًا وهو يتعرق، رغم البرودة، على قمة منحدر يمتد إلى حفرة بعمق ثلاثة أقدام كافية لاستيعاب صندوق الكلبة.

استدار ليواجه الصندوق، وألقى المجرفة وفرك يديه معًا، ثم توقف مجفلًا عندما بدت وحداته المجهرية المخدرة للألم متفاجئة بحركته واستغرقت لحظة لتبدد لسعة احتكاك راحتي يديه. وبحذر التقط المصباح اليدوي وصوبه مرة أخرى نحو الصندوق، وهذه المرة حملق وجه تريكسي إليه من خلف القضبان، بعينين كالجمر المتوهج.

أبقى فيلدز نفسه في مكانه بصعوبة، وقال: «أراكِ استيقظتِ».

لم تحرِّك تريكسي ساكنًا.

أومأ فيلدز وتابع: «ربما سمعتِ بوعي ضبابي حديثي عن وَلَعي بالعلوم». ألقى المصباح اليدوي وتحرك إلى خلف الصندوق: «حسنًا، إحدى الحكايات العلمية المفضلة اسمها قطة شرودِنغر».

دفع فيلدز الصندوق فانزلق بسلاسة على المنحدر الرملي، ثم عدَّله بحيث يواجهه الباب وهو يتكلم: «ربما لم تسمعي بالقصة». رفع عباءته وتسلق بجهد إلى أعلى المنحدر، وواصل كلامه: «بناء على بعض القوانين الفيزيائية الملغزة، يقع شك فيما إذا كانت قطة محبوسة داخل صندوق في ظروف بعينها يمكن أن تُعَد ميتة أم حيَّة».

انحنى والتقط المجرفة، وبدأ يهيل الرمل على الحفرة حول الصندوق: «لكنني متأكد أن ذلك التساؤل لن يكون مشكلة لنا الليلة».

طوال الوقت لم يصدر أي صوت من الكلبة، وصمتها حزَّ في نفس فيلدز بشدة، فجعله يعمل بسرعة، وتزايد لهاثه وسُعاره بمرور الوقت. ارتفع الرمل، وتسرب بين قضبان باب الصندوق، ثم عبر ثقوب النوافذ التي على الجوانب والخلف. مع كل مجرفة رمل لم يكن يهزم الكلبة فحسب، بل ومعها كل القوى التي حاولت التقليل من شأنه ومُخاتَلته منذ اليوم الذي وُلد فيه، وحاولت أن تملي عليه هويته وأفعاله! لكن فيلدز ظل متمسكًا بالقيم والمبادئ التي تعلمها أولًا من الأفلام القديمة لقدوته التاريخية، إذ انتصر على ضيق أفق وتفاهة الذين حاولوا الوقوف في طريقه، أفلح في إثارة إعجاب هيئة المناجل عندما كان متتلمذًا واقتعد مكانته التي يستحقها في المجتمع!

بثلاث مجارف أخيرة غطى فيلدز المقبض أعلى الصندوق، ثم خر على ركبتيه وكوَّر يده اليسرى، ولوَّح بخاتمه أمام كومة الرمل وقال لاهثًا: «صرتِ في عداد المقطوفين».

لبث جاثيًا في مكانه هنيهة، ثم نهض، وجمع أدواته، وبالطبع لم يعد مترنِّحًا للمنزل، بل سار بخطى متئدة، شامخًا، كما ينبغي لأي منجل! استغرق صعوده السلالم مدة أطول نظرًا إلى إرهاقه من الحفر، وعند بلوغه الطابق الثالث، ارتمى على فراشه ممتنًّا راضيًا كل الرضا عن مهمته التي أتقن أداءها.

***

نام حتى قبيل الظهر، وفي اليوم التالي لم يذهب إلى أي مكان أبعد من المطبخ، إذ كان متأكدًا أن لا أحد في التاريخ القريب استحق عطلة استجمام قصيرة كما استحقها هو.

الفكرة المزعجة الوحيدة خطرت له مساء اليوم التالي، عندما لمح أوعية تريكسي في ركنها، ودون تفكير أخذ الأوعية وغسلها وأعادها إلى الخزانة جوار الأوعية التي تحمل اسم 'ريكس'. ثم فكَّر، وأخذ الأوعية كلها وألقاها في سلة القمامة. بدا تصرفه كأنه إقرار بالهزيمة، لكن لا، ببساطة لم يرغب في أي علاقة مع الكلاب في الوقت الراهن.

أحس كأنه تخفَّف من عبء ثقيل كان يرزح تحت وطأته. سار متهاديًا نحو المدخل، وحمل غدارته وفتح الباب. بلا شك حان الوقت ليضع القصة البغيضة برمَّتها خلف ظهره ويعود إلى دوره الأساسي المهم في مجتمع أوكسنارد البهيَّة. أومأ لنفسه إيماءة عزيمة، وخرج إلى المتنزه.

داعبت رائحة النقانق منخريه من مسافة بعيدة، لكن عندما ظهرت أمامه عربة شارلز، تفاجأ بالشخصين الواقفين خلف العربة، رأى البائع الطويل النحيل المألوف لديه، وشابًّا آخر عريض المنكبين، كلاهما يعتمر قبعة ورقية بيضاء صغيرة ويرتدي مئزرًا كالذي يرتديه شارلز دومًا.

سار متهاديًا نحو العربة قائلًا: «شارلز، هل وظفت مساعدًا لك؟».

أجفل شارلز كأنه صُعِق: «جنابك! لا! أنا...» أخذ نفسًا وتمالك نفسه: «هذا... ابن أخي، إدغار، إنه... يسعى لبدء العمل في المجال».

كان الشاب باسطًا يده نحو فيلدز: «لي عظيم الشرف بمقابلتك أيها المنجل فيلدز! سمعتُ عنك الكثير من عمي شاك ومن جميع الناس!».

صافحه فيلدز وقال: «حسنًا! لديك قبضة قوية يا إدغار، لكن أفترض أن مهنة إعداد النقانق تتطلب يدًا حازمة، لا يجوز أن تفقد السيطرة على يديك في أثناء إعداد النقانق».

قال إدغار: «بالطبع يا سيدي». وابتسم ابتسامة عريضة، لكن فيلدز لاحظ أن عينَي الشاب ثاقبتان وثمة صلابة في تعابير وجهه، وخيِّل لفيلدز أن الشاب عاش حياة قاسية في صباه.

لكن مع ذلك بدا الشاب طويلًا قوي البنية، ثم افترض فيلدز أن احتمال العمل في مجال النقانق من شأنه رفع الروح المعنوية. ولوهلة بدا وجه الشاب مألوفًا... لكن ربما يكون وجهه مألوفًا عمومًا كحال بعض الوجوه.

«أود سماع المزيد عن حياتك ومغامراتك جنابك». تكلم الشاب ويده تحرِّك الملاقط بمهارة لتسحب قطعة نقانق وخبزًا من أعماق العربة: «ولك أن تخبرني بما إذا ورثتُ أيًّا من مهارات عمي في الطهي».

- فكرة ممتازة.

أخذ فيلدز نفسًا وهَمَّ بالاسترسال في الكلام... وعندئذٍ بلغ مسامعه صوت رنين معدني، صوت بطاقة الاسم التي تتدلى من أعناق الكلاب.

غص حلق فيلدز كأنما علقت فيه سنارة، واستدار بسرعة فرأى كلبًا يركض متبخترًا من ظلال المتنزه نحو ضوء الشمس الغاربة.

لكنه لم يكن أي كلب.

الكلبة.

تريكسي.

أسنانها تمسك برقَّة نهاية القيد الموصل بطوق عنقها، صدرها بارز، ورأسها شامخ، وذيلها معقوف. وصلت إلى فيلدز واستدارت وهي ترفرف أذنيها، وأقعَت بجواره بهدوء كأنها كانت في مكانها منذ مدة.

علَّق إدغار: «كلبة جميلة، أهي كلبتك جنابك؟».

استغرق فيلدز بضع ثوانٍ حتى يجيب: «قطعًا لا!». كان ينوي أن يكون إنكاره زئيرًا، لكن صوته خرج واهنًا كالنحيب. وضرب على صدره محاولًا تبديد غصة حلقه.

لم تتبدد. ثم سمع صوت امرأة قادمًا من مكان أبعد في المتنزه: «تريكسي! أين أنت؟». هرعت دون نحو العربة وتوقفت وشهقت.

عندئذٍ اتضحت لفيلدز جميع تفاصيل المؤامرة الخبيثة. الكلبة لم تكن المدبرة وحدها، من الواضح أن دون شريكتها.

تلوَّت أحشاؤه إثر تحول رعبه إلى غضب مستعر، وصاح: «كيف تجرئين؟ لقد قطفتُ هذا الحيوان!».

سأله إدغار من خلفه: «قطفت؟ ظننتُ أن الناس وحدهم يُقطَفون».

استدار فيلدز زاعقًا: «إنها من الناس!»، وأمسك بغدارته ليتولى أمر الفتى، لكن وهجًا أحمر من خاتمه أوقفه.

الحصانة. لدى ابن أخ شارلز حصانة من القطف...

راح فيلدز ينقِّل نظراته النارية بين خاتمه وبين الشاب إلى أن صاحت دون: «المنجل فيلدز! لقد تماديتَ كثيرًا هذه المرة!». تكلمت بالنبرة نفسها التي كانت تستخدمها والدة فيلدز في صباه.

استدار فيلدز مرة أخرى، رغم عدم رغبته، ورأى دون تتقدم نحوه عبر العشب وعلى وجهها أمارات العزيمة. قالت له: «أبلغتُ عنك لدى مجلس المناجل بأنك تسيء معاملة الحيوانات الأليفة، وأخطرتُ الرأس السحابي رسميًّا أيضًا!». توقفت واضعة قبضتيها على وِركيها وتابعت: «ربما لا ينجح مسعاي، لكن عندما جلبت مُسيرات الإسعاف هذه الكلبة المسكينة إلى المأوى لإنعاشها قبل ثلاثة أيام، لم أعد قادرة على الجلوس مكتوفة الأيدي». تراجعت خطوة، ووجهت إلى فيلدز إصبعها المرتعشة قائلة: «افتضح أمرك يا سيدي، وإذا كنتَ أي أحد آخر لما سُمِح لك بتبني كلب آخر أبدًا!».

«لكنني لست أي أحد آخر!». حاول فيلدز ترتيب أفكاره، وحاول استنفار الغضب المستعر الكافي لإثبات موقفه كما ينبغي، لكن كلماته خرجت واهنة مثيرة للشفقة: «وهذه ليست كلبة! قلتِ هذا بنفسك، وقد رأيتُ ما يمكنها فعله! إنها إحدى تلك المخلوقات المُحسَّنة!».

هزت دون رأسها: «هذا ما ظننتُه، لكن إذا كانت ذكية، فلماذا تهرب مني وتعود إليك *أنت*؟ أنت الرجل الذي دفنها حية!».

مرة أخرى لم يرغب فيلدز في النظر، لكن لم يسعه سوى إلقاء نظرة سريعة على تريكسي. أذناها المنتصبتان ربما دلَّتا على أنها تستمع إلى النقاش، لكنها بدا أنها تولي انتباهها لكلاب أخرى بعيدة في المتنزه حولهم.

بيد أن فيلدز لم ينخدع، قال: «لا يمكن أن تكون كلبة حقيقية، وسأثبت كلامي!». أحس ببديهته تعود إليه، رغم تأخرها، وتابع: «إنعاش الحيوانات الأليفة الشميتة يتطلب موافقة رسمية، ويكلف مبالغ باهظة! إذن إذا كانت هذه كلبة عادية، فمن الذي دفع ثمن إنعاشها؟».

اتسعت عينا دون: «هه... إنها كلبتك أيها المنجل فيلدز، وأنت لا تدفع مقابل أي شيء».

- ليست كلبتي!
- المستندات الرسمية تـ...
- لكنني قطفتها!
- امم، أنا متأكدة أنه لا يجوز قطف...

أطلق فيلدز صرخة عارمة وامتشق سيفه من جوف عصاه.

لكنه بالطبع رأى خاتمه يومض بوهج أحمر، فأُرغِم على إبعاد نظراته عن دون، ولم يجد أحدًا سوى إدغار، فاضطر إلى التراجع مرة أخرى. بدا أن شارلز تلاشى من المكان، وهذا الجزء من المتنزه بأكمله صار مهجورًا فجأة، إذن لم يبق أحد سوى...

حدقت تريكسي إليه وعيناها الداكنتان لا ترمشان.

سأله إدغار من مكانٍ ما خلفه: «المنجل فيلدز؟ أحقًّا تريد أن تطعن كلبًا؟».

أدرك فيلدز أن هذا هو جوهر خطة تريكسي الشيطانية، أرادت أن تحاصره، وتسحق شخصيته الأنيقة اللبقة التي بناها بعناية خلال سنوات. جاءت لتعريته، وتجريده من هويته التي يعتد بها.

أخذ فيلدز نفسًا، وأعاد سيفه إلى جوف عصاه، ومسح يده على عباءته، ثم تكلم بصوت هادئ متروٍّ بقدر مستطاعه: «لا يا إدغار، لن أفعل شيئًا بهذه الكلبة، لأنها، كما قلتُ آنفًا، ليست كلبتي. وسأكون ممتنًّا لك يا دون إذا أعددت المستندات الرسمية اللازمة». شاعرًا بجسده متخشِّبًا تمكن من الانحناء لها ولإدغار: «والآن آمل أن تسمحا لي بالمغادرة، لدي شواغل في مكان آخر».

استدار بحدة، وسار مبتعدًا دون أن يلتفت. قال كل ما أراد قوله، وفعل كل ما عليه فعله. مكوثه لوقت أطول سيفاقم الوضع.

اتجه إلى المنزل مباشرة. لم يمشِ الهوينى في الشارع المحاذي للشاطئ كعادته. رأى أنه يحتاج إلى لحظات يستجمع فيها شتات نفسه ويستعيد رباطة جأشه، ربما يشاهد أحد أفلام قدوته التاريخية -مثلما كان يفعل عندما دبَّرت الكلبة صعقه بالكهرباء تلك الليلة- أو ربما يأوي إلى الفراش مبكرًا قليلًا، مثلما أراد عندما استدرجته الكلبة إلى الشرفة وجعلته يتعثَّر و...

لا! لا مزيد من هذه الأفكار! هز فيلدز رأسه بسرعة، وعبر الشارع، وهرول في الزقاق الممتد بين المنازل المطلة على المحيط وبين المنازل التي خلفها، لأول مرة قرر أن يسلك الطريق المختصر إلى المنزل. رأى أنه ما زال بوسعه الخروج ظافرًا من موقفه مع الكلبة إذا تصرف بروية، فهو من لديه يدان، فلا ينبغي أن...

سمع صوت رنين خافت خلفه، فانتصبت كل شعرة على عنقه. رفض فيلدز أن يجفل، رفض أن يلتفت، رفض الاعتراف بسماعه الصوت رفضًا باتًّا.

ورغم هذا زاد من سرعة مشيه قليلًا.

بدت مجموعة المباني كأنها تزحف جواره، وخيل إليه أن ظلال الليل تزداد كثافة. راح فيلدز يدندن لحنًا مرحًا بصوت يرتفع تدريجيًّا، محاولًا تبديد الصوت الخافت المُلِح الصادر من بطاقة الاسم المعدنية المتدلية من عنق تريكسي. لم يبد له أن الصوت يقترب، وظلت أصداؤه الخافتة تتردد من جدران المنازل المحيطة به، لكن فيلدز بالطبع لم يتوقف لينتظره، وحثَّ خطاه.

وأخيرًا تلاحقت أنفاسه، والتصقت عباءته بذراعيه وساقيه المتعرقتين، خرج من الزقاق وفي اللحظة نفسها أضاءت مصابيح الشوارع، وصار على بُعد ياردات من منزله. عندئذٍ وقد لاح الشفق على سماء أوكسنارد الرائعة، واشتم فيلدز رائحة الرمل الدافئ الممتزج بملح البحر، أحس بجسارته تعود إليه. تذكر أنه المنجل المبجل وِليَم كلود فيلدز! لا يخشى شيئًا من إنسان أو حيوان!

تناهى الصوت إلى مسامعه مجددًا، ودون تفكير التفت...

فرأى شبحًا يتحرك نحوه على بُعد منزلين تقريبًا من الزقاق الذي خرج منه للتو، شبحًا ذا أربع سيقان بدا بطريقةٍ ما أشد سوادًا من الظلام المحيط به، وثمة ضوء منعكس من مكان على مقربة أضفى على عينيه وميض الجمر.

أطلق فيلدز ساقيه للريح، وقفز فوق السياج الخارجي المحيط بمنزله، وركض سريعًا عبر الباحة، وألقى بنفسه بالداخل، وأوصد الباب خلفه.

***

جلس فيلدز على أرضية المدخل والمصابيح مطفأة وهو يضم إلى صدره بندقية صيد ملقمة، بندقية تأكد من عدم تعرضها لتخريب، ولبث يراقب الباب الأمامي، محاولًا تمالك نفسه.

لم تطرق تريكسي الباب، بطبيعة الحال، فهي كلبة، كما لم تنهش الباب بمخالبها أو تنبح أو تزمجر.

أراد فيلدز أن يصدق أن تريكسي ذهبت، وأنها حظيت بتسليتها وتركته وشأنه، لكنه كان يعرف أن هذا ليس الواقع.

وكان الواقع أيضًا أنه لا يمكنه أن يلبث في مكانه هكذا إلى الأبد، كما لم يكن بوسع تريكسي فعلًا أن تلحِق به أي أذى. صحيح أنها تسببت في شموته مرتين، لكن ذلك كان قبل أن يكتشف طبيعتها الإجرامية، والآن تسلَّح بمعرفته وببندقيته! ما عليه سوى إظهار شيء من رباطة جأشه وسيتمكن من تخليص نفسه من الكلبة المتوحشة إلى الأبد.

وهذه المرة سيتعين عليه حرق جثتها ليتأكد من استحالة إنعاشها. سُحقًا لأي عقاب قد يجره على نفسه في الخلوة، تخليص نفسه من الكلبة الشيطانية البغيضة يستحق العناء.

وعندئذٍ أدرك فيلدز أنه نسي أمر الكوة الصغيرة أسفل الباب المخصصة للكلاب.

تملَّكه الذعر. لهذا ظلت صامتة! لا بد أنها تسللت حول المنزل وتسلقت السياج، وولجت بصمت الأفاعي إلى قلب منزله، والآن تجوس في الصالة متربصة به خلفه...

استدار فيلدز بسرعة بالغة وصوب بندقية الصيد المرتعشة نحو الظلال الخالية في الصالة الأمامية. عرف أنها خدعة، عرف أن تريكسي في مكانٍ ما على مقربة. صاح: «لقيطة قذرة!»، واندفع إلى الأمام وفتح باب حجرة الطعام بعنف.

لم يجدها في حجرة الطعام، فتضاءل الأمل بداخله، أسند كتفه إلى جانب خزانة أوانٍ خزفية فارغة ودفعها حتى أغلق بها الكوة الصغيرة في الباب، ثم اتكأ على الخزانة، وراح يلهث، ويزدرد ريقه، ويحاول التقاط أنفاسه و...

انتصبت أذناه إثر سماعه صوت فتح قفل الباب الأمامي.

وانقبضت معدته. هل نما لتريكسي إبهامان؟ هل جاءت دون لإدخالها؟ ألقى نظرة سريعة على الشرفة، وفكر في الهروب إلى الشاطئ، والركض... متجاوزًا قبر الكلبة الفارغ.

لكنه عجز عن استجماع الشجاعة للركض. أخذ نفسًا عميقًا، وأحكم قبضته على بندقية الصيد، وتقدم نحو الباب إلى الصالة الأمامية. إذا وجده بشرًا، ففيلدز بحاجة إلى قطف شخص. وإذا وجدها تريكسي؟

ارتعد فيلدز، ولم يدرِ ما عليه فعله، لكنه واصل سيره إلى المدخل...

ورأى شخصًا متَّشحًا بالسواد واقفًا خارج الباب الأمامي المفتوح.

قال الشخص: «ها أنت ذا». تكلم بصوت مألوف على نحوٍ ما: «بدأتُ أقلق قليلًا، ظننت أنني قد أضطر إلى إرسال كلاب بوليسية للبحث عنك».

أُرتِج على فيلدز، وفي البداية خطر له أن يستخدم بندقية الصيد قبل أن يقول زائره كلمة أخرى، لكن خاتمه توهج بلون أحمر مجددًا، وأدرك فيلدز: «إدغار؟». تساءل مدققًا النظر إلى الشاب المتشح بعباءة فاحمة السواد.

ارتعشت شفتا الشاب الباديتان أسفل حافة القلنسوة: «بإمكاننا استخدام ذلك الاسم بالطبع، لكنني أراهن على أنك سمعت أسماء أخرى أُسمَّى بها، أو بالأحرى اسم واحد على وجه التحديد».

تمتم فيلدز: «لا... لا يُمكن...». وكان بالطبع قد سمع اسمًا يُنطَق همسًا حتى خارج دوائر المناجل منذ الخلوة الفوضوية التي انعقدت في وسطمريكا قبل أشهر.

المنجل لوسيفر.

لكن ما الذي يمكن أن يأتي بالمنجل لوسيفر إلى هنا؟ ماذا يريد؟

قال الشاب: «المنجل فيلدز، إنك في قائمتي منذ أن وضعتُها أول مرة، لكنني بصراحة عجزت عن تصديق القصص الفظيعة التي سمعتها عنك». تقدم خطوة نحو فيلدز في الصالة وتابع: «ثم رأيت بلاغ مأوى الحيوانات وقررت المجيء إلى هنا والتحقق بنفسي. أقنعت بائع النقانق بالسماح لي بالتظاهر بأنني ابن أخيه، وحسبما رأيته هناك، حسنًا...» خطوة أخرى: «انتقل اسمك إلى أعلى قائمتي».

أراد فيلدز أن يهزأ بالشاب، لكنه أحس بجسده بأكمله خَدِرًا، وسمع قرقعة إلى يمينه، فالتفت ورأى أن بندقية الصيد انزلقت من يده وسقطت على الرخام.

خطا الشاب المتشح بالسواد خطوة ثالثة، فتلاشى من فيلدز كل ما لديه من جرأة وسرعة بديهة وفصاحة اكتسبها من دراسة لقدوته التاريخية، وكادت ركبتاه أن تخورا لتجعلاه يجثو ويتوسل الإبقاء على حياته...

وعندئذٍ انبعثت زمجرة، ولاحَ عبر مدخل الباب الأمامي فروٌ رمادي وأبيض، قفزت تريكسي إلى الداخل وتموضعت بين فيلدز وبين المنجل لوسيفر، مالت أذناها إلى الخلف، وانتصب شعر عنقها وظهرها، وكشرت عن أنيابها، وبدا واضحًا أن عدائيتها موجهة نحو المنجل لوسيفر وحده.

سألها الشاب: «حقًّا؟». كانت حافة قلنسوته تغطي الجزء العلوي من وجهه، لكن فيلدز أمكنه سماع الدهشة المرتسمة على وجه الشاب.

- أتقولين إنك لا تريدينه أن يُقطَف؟

نظرت الكلبة إلى المنجل لوسيفر، وهزت رأسها، ثم استدارت وسارت ووقفت إلى جانب فيلدز، وأقعَت بجواره كما لو أن أيًّا من أحداث الأسبوع الماضي لم تحدث.

أُثلِج صدر فيلدز، وصاح: «أجل!». لم يكترث بصوته المشروخ. وعقد ذراعيه على صدره وحدج المنجل لوسيفر بنظرة فولاذية متحدِّيًا: «حاول يا صاح! حاول فحسب! أنا وكلبتي سنُريك!».

إثر زمجرة سقط الفولاذ من نظرة فيلدز وتوجَّهت إلى الأسفل حيث تريكسي، فرأى عينيها تخترقان عينيه بحدة أحس بها تقطع الكلمات في حنجرته.

استرعت حركة انتباه فيلدز هذه المرة، ظهر وجه إدغار المبتسم كاملًا إثر إنزاله قلنسوته إلى الخلف، وقال للكلبة: «آه، إذن فيلدز ليس لي، بل لكِ».

احتار فيلدز، وتأرجحت نظراته بين تريكسي وبين إدغار، وعندئذٍ كانت أذنا الكلبة منتصبتين، وبدا الشاب مسترخيًا. قال المنجل لوسيفر: «اتفقنا. إذا أردتِ القضاء عليه نهائيًّا، فاطلبي من مأوى الحيوانات تقديم بلاغ آخر، سأسمع عنه وأكون هنا في اليوم التالي». ثم تلاشت ابتسامته والتفت إلى

فيلدز، فوجد فيلدز نفسه يحدق إلى وجه بارد صلب كوجه الكلبة جواره. تابع لوسيفر: «وأنتَ، كن فتى مطيعًا».

قال فيلدز متلعثمًا: «كيف تجرؤ؟».

لكنه قوطع بزمجرة أخرى، وأحس بشيء دافئ ثقيل يدفع ساقه، فوجئ به وترنح مندفعًا إلى جوار باب المطبخ، ثم تساءل عندما استعاد توازنه: «ما معنى هذا؟».

سارت تريكسي نحو بندقية الصيد، والتقطتها بأسنانها، واستدارت إلى فيلدز وأعادت إليه البندقية كأنهما يلعبان، أجفل فيلدز، لكن تريكسي وضعت البندقية على الأرضية عند قدميه، ثم أقعت مجددًا.

بقلب خافق التقط فيلدز البندقية وصوبها نحو...

ظلام الباب الأمامي الخالي. اختفى إدغار، أو المنجل لوسيفر، أو أيًّا كان.

نبحت تريكسي نباحًا قصيرًا خافتًا، وأومأت، وسارت عبر الصالة، ودفعت الباب الأمامي بأنفها فأغلقته، ثم نظرت إلى فيلدز فوق كتفها.

لوهلة وجيزة فكر فيلدز في تصويب البندقية نحوها، لكن إطلاق النار عليها لن يجديه نفعًا، ستعود ببساطة، وإذا قدمت دون بلاغًا آخر...

أعاد فيلدز دون أن يتنهَّد بندقية الصيد إلى خزانة الأسلحة، ثم لم يجد تريكسي في مكانها عندما نظر فوق كتفه.

نباحها الخافت القصير استرعى انتباهه إلى السلم، وعندما التقت نظراتهما، أومأت وصعدت دون أن تشيح بنظراتها.

بخطوات متثاقلة صعد فيلدز وراءها إلى الطابق الثاني، ووجدها في انتظاره عند نهاية السلم، نبحت مرة أخرى، وانعطفت لتصعد إلى الطابق الثالث، فتبعها فيلدز وهو لا يدري ما عساه أن يفعله.

كانت جالسة على الأرضية بجوار وسادتها، لكن حالما دخل فيلدز إلى الغرفة، انحنت وأقحمت خطمها أسفل الوسادة، وسحبت طوق كلاب ذا لون أحمر أدكَن من الذي ترتديه، ثم اعتدلت واقفة ونظرت إلى فيلدز، ولمست الطوق الذي على الأرضية بقدمها، ثم رفعت قدمها لتلامس الطوق الذي حول عنقها.

تعجب فيلدز: «ماذا بحق السماء؟»، وقرفص والتقط الطوق من الأرضية، ورأى أن بطاقة الاسم المعدنية المثبتة بمشبك على الطوق منقوش عليها كلمة واحدة: «جيان». ألم يتخلص من هذا الطوق في وقت سابق؟ لكن لن يصعب على كلبة ذكية أن تنبشه من سلة النفايات في لحظات غفلته.

قائلًا لنفسه إن يديه لا ترتعشان نزع طوق «تريكسي» من عنقها، وألقاه على الأرضية، وثبَّت مكانه الطوق المكتوب عليه «جيان».

تمتم: «أتريدين شيئًا آخر؟».

لم تنبح هذه المرة، ابتعدت عن فيلدز وتحركت بخطى وئيدة إلى جانب فراشه.

انقبضت معدته، وهبَّ واقفًا وقال: «ليس مسموحًا لكِ بـ...».

ألجَمته نظراتها النارية، وعجز عن منع نفسه من التراجع خطوة وهي تقفز وتقف على أغطية فراشه.

ارتعد، وحاول كبح صرخته، وكبَحها فعلًا، لم يستسلم لرغبته في النحيب ولا الصياح. أطلق زفرة طويلة وقال: «حسنًا، صورة الكلاب المتمددة جوار فراش أسيادها قديمة تعود إلى فجر...».

قوطع بصوت كان مزيجًا من نصف نباح ونصف زمجرة، حدجته تريكسي، أو بالأحرى جيان، بنظراتها النارية مجددًا. ودون أن تحيد بعينيها عنه سارت ببطء فوق الفراش الوثير واضطجعت ووضعت رأسها على الوسادة.

شهق فيلدز قائلًا: «إذن أين سأنام أنا...؟».

نخرت جيان وأشارت بقدمها إلى الأرضية، إلى يسار فيلدز.

مدركًا لما يوجد هناك، نظر فيلدز، وأحس بأن عنقه يصدر صريرًا كأنه بوابة صدئة. سألها غير قادر على رفع صوته فوق مستوى الهمس: «وسادة الحيوانات الأليفة؟».

أومأت إيماءة مقتضبة وأطفأت المصباح الذي على المنضدة بجوار السرير.

احتار فيلدز وتصارعت مشاعره بداخله، ظل ينقِّل بصره بين المصباح والوسادة، وغمغم: «غودفري دانيلز». أغمض عينيه، وارتسمت تعابير الألم

على وجهه، ثم تلاشت ببطء. وعندما فتح عينيه رأى جيان ما تزال تنظر إليه. حسنًا، هل يملك خيارًا آخر؟

قال فيلدز: «ينبغي ألَّا يعرف أحد بهذا».

أومأت جيان.

- وفي الأماكن العامة، عليكِ أن تؤدي دورك، وأنا أؤدي دوري.

أومأت جيان.

- وفي المنزل؟

خفضت جيان عينيها نحو الوسادة على الأرضية.

قال فيلدز: «مفهوم».

راضيةً أشاحت جيان بوجهها عنه وخلدت إلى النوم في فراشه، أو بالأحرى فراشها.

تنهَّد فيلدز وأطفأ المصابيح، كما أمرت تريكسي، ثم اضطجع على وسادتها، التي كانت، رغم كل شيء، ذات جودة عالية. أقر مع نفسه بأنه لم يتوقع أن ينتهي يومه، ولا بقية حياته، على هذا النحو. لكن لم يعد ثمة شك في هوية السيد في هذا المنزل، فأحس بالارتياح، إذ صار يعرف مكانته.

موتٌ متعدد الألوان

أروي لكم هذه القصة الآن لأنني شهِدتها، كما أشهد معظم ما يحدث في العالم، وهذه من مزايا امتلاكي ملايين الأعيُن في ملايين الأماكن.

هذه الحادثة وقعت في منتصف الخريف، ذلك الوقت من العام الذي تصير فيه الأشجار شِميِّتة تأهُّبًا للشتاء فترسم بألوان أوراقها مناظر خلابة، الوقت الذي تبدو فيه الشمس كأنها تُرهَق من وجودها في السماء مدة طويلة، وكذلك الوقت الذي تنمو فيه العناكب فتبلغ أقصى حجم لها ثم تضع بيوضها وتذوي وتموت.

كل هذا كان بيئة خصبة لعيد من عصر الفانين، يحتِفي، من بين كل الأشياء، بالموت نفسه. الحادي والثلاثون من أكتوبر. ليلة عنوانها المرح والرعب والعبث. على مر الأعوام، وفي مختلف الثقافات، أُطلق على العيد أسماء عديدة، لكن الاسم الذي استقر عليه الناس في عصر الخالدين هو «أُوْل هالوز».

الحادثة التي أتحدث عنها وقعت عشية أحد أعياد أوْل هالوز، في عامٍ قبل غرق إنديورا، لكن ليس بعيدًا عنه، عندما كنت ما أزال أتكلم مع البشرية، قبل صمتي الضروري، في بلدة صغيرة بوسطمريكا، بلدة لا يحدث فيها كثير من الوقائع اللافتة، ويجد فيها الناس صعوبة في المغامرة والاختلاط بأناس من خارج دوائر معارفهم. تبدأ القصة بحفل، كما تبدأ كثير من الأحداث التي تأخذ منحى سيئًا.

كان آل روبنسن من العائلات القديمة في البلدة، وبارعين في إقامة الحفلات، ولطالما كانت حفلات أول هالوز المفضلة لديهم، ما من عائلة أخرى في البلدة تجرؤ على منافستهم، وكل من يحبُّون الإبداع يحرصون على حضور حفلاتهم، ويحاولون التنافس في مدى جرأة أزيائهم وغرابتها، فالأزياء ركن أساسي من أركان هذا العيد.

كان منزلهم ضخمًا، يمتد على مساحة شاسعة دون نظام، يضم اثنتي عشرة غرفة نوم، وعددًا أكبر من الصالونات. لم يُشيَّد هكذا من البداية، بل أضيفت الغرف والمساحات طوال أعوام حتى صار عقارًا مشوه الملامح. لم يبدُ كقصر، بل أقرب إلى مجمع مبانٍ تنتصب راسخة فوق تلة مطلة على بقية البلدة. كما لم يكن المبنى الأضخم، لكنه كان الأكثر إثارة للإعجاب في محيطه.

حفل أول هالوز الخاص بآل روبنسن يتكون من ثلاث حفلات في الواقع، الأول للأطفال الصغار، مرح صاخب وأنشطة في أماكن لعب جميلة من أجل امتصاص طاقات الأطفال الجامحة بالسُّكَّريات. الثاني للكبار البالغين، يملؤون الصالونات العديدة بنقاشاتهم وضحكاتهم الخشنة، ويتدفق النبيذ بينهم. والحفل الثالث لمن يمرون بمرحلة انتقالية في حيواتهم، شباب في مراحل متباينة من سن البلوغ، أكبر من أن يلعبوا مع الأطفال، ويرتعبون من فكرة الاحتفال مع آبائهم. كان مكانهم غرفة ألعاب في أعماق المنزل الشبيه بالمتاهة.

كان داكس روبنسن في السابعة عشرة من عمره، ومفعمًا بكل الطاقة والغرور اللذين يرافقان سنَّه. وبوصفه المضيف أراد أن يكون زيه هو الأفضل، وحرص على هذا في كل عام.

حضر الحفل عشرون من أصدقاء داكس وزملائه في المدرسة. لن أطيل عليكم بذكر أسمائهم جميعًا، وسأعرِّفكم بأطراف هذه القصة وحدهم، وهم الضيوف الموجودون في الصالون الواقع عند نهاية صالة متعرجة عند اقتراب منتصف الليل. لكن أمامنا بضع ساعات حتى تلك اللحظة.

جميع أصدقاء داكس قالوا عند وصولهم: «تِرِغر تريت!»، وهذه كانت تحية أول هالوز المتعارف عليها، وهي تحريف لعبارة *تِرِك أور* تريت، أي ‘مقلب أو هدية’، التي كانت شائعة في عصر الفانين، ثم صار المعنى المفهوم لها ‘زناد أو هدية’.

تساءلت سافينا صديقته: «لماذا نقول هذه العبارة؟».

أجابها داكس: «إنها من عصر الفانين، كان الناس يطرقون بابك في يوم عيد أول هالوز ويطلبون منك الماس والذهب وما إلى ذلك، وعندما يُرفَض طلبهم، يطلقون النار عليك». رسم مسدسًا بسبابته وإبهامه وصوبه إليها قائلًا: «ترِغر تريت!» وتظاهر بإطلاق النار عليها بين عينيها.

ضحكت سافينا: «الفانون كانوا غريبي الأطوار».

أما زميلتهما في المدرسة، جورنيه، فلم تهتف: «ترغر تريت!» عندما جاءت. دخلت صامتة وظلت صامتة وهي تجول بعينيها وتتفرَّس الحاضرين. لم تكن انطوائية تكتفي بالمشاهدة، بل تفضِّل مراقبة ما يجري حولها بالطريقة التي أراقب بها، ألاحظ كل شيء وأستوعبه وأرجئ إصدار الأحكام. لكن جورنيه، بوصفها بشرية، كان هدفها مختلفًا عن هدفي. أنا أدرس المواقف الاجتماعية من أجل تحسين أحوال البشرية عمومًا، أما هي فكان تركيزها منصبًّا على داكس، وهذا ليس مفاجئًا، كان داكس يستمتع بكونه محط اهتمام جميع من حوله، ويسعى إلى هذه الغاية بشتى الوسائل.

قالت سافينا: «تبدو رائعًا في هذا الزي يا داكس». وظلت تحاول دومًا إطراء داكس حتى يراها أكثر من مجرد صديقة.

وافقها صديقه شون: «أجل، إنه أفضل زي لك حتى الآن». وكان شون أيضًا يحاول إطراء داكس للتقرب منه من أجل مكانته الاجتماعية، فالبشر، صغيرهم وكبيرهم، يرون أن الشعبية سِمة مُربِحة.

سأل شون: «إذن أي منجل يُفترض أن تكون؟».

رفع داكس ذراعيه، فجعل عباءته البهية تشغل حيزًا أكبر في أعين من حوله. أُقِر بأن العباءة كانت مثيرة للإعجاب، صُنعت خصيصى له على يد أفضل خياط في البلدة، صُممت بناءً على تصوير مسرحي لإحالة إنجيلية قديمة: معطف متلألئ متعدد الألوان، لافت للأنظار ومقصود به التباهي. كان مبالغًا فيه، وفي الوقت نفسه مناسبًا لعشية عيد أول هالوز.

قال داكس لهم: «عباءة المناجل هذه أصلية، لا أحد منكم أيها الفاشلون لديه عباءة كهذه».

لم يكن شون وسافينا يرتديان أزياء لافتة، سافينا جاءت بزي جاغوار، دائمًا ما تختار التنكر بزي حيوان من فصيلة القطط. وارتدى شون زي

زومبي، وإذا سأله أحدهم لأقسم بأن كائنات الزومبي حقيقية، نتيجة لعمليات إنعاش فاشلة لشميتين. كان شون يقول لكل من يهتم بالاستماع: «الرأس السحابي يخفي الزومبي في سراديب مظلمة، يخفيهم ويقول للعالم إنهم غير موجودين. لكنهم موجودون! موجودون».

لكن في الحقيقة لا وجود لهم.

شاهدت جورنيه داكس يتجاذب أطراف الحديث مع آخرين، حتى فتر النقاش بينهم، لكن بدلًا من بدء كلامها بالتحية، كانت أول كلمات تقولها لمضيفها أقرب لتحدٍّ.

قالت وهي تشير إلى زي داكس: «هذا اختيار جريء. ألا يقطف المناجل كل من يضبطونه مرتديًا عباءة منجل؟».

ضحك بعض الحاضرين في الحجرة ساخرين، وابتسم داكس لها ابتسامة تعالٍ وقال: «أحب المخاطرة».

كان زي جورنيه هو الوحيد الذي يقترب من جرأة وروعة زي داكس، زي ملاك، مكتمل بأجنحة يغطيها الريش وفوق رأسها هالة ضوء، وهي في الحقيقة عصا دائرية متوهجة ومعلقة مغنطيسيًّا، والتعليق جعلها تبدو حقيقية، لكن متى ما حركت جورنيه رأسها سريعًا، تسقط الهالة على الأرض. أما الريش، فلم يكن ملتصقًا بالأجنحة كما ينبغي، وبدأ يتسلَّخ.

انتقلت جورنيه إلى البلدة منذ شهر، وكان القادمون الجدد في البلدة نادرين، فغالبًا ما يغادر الناس إلى أماكن أكثر صخبًا وحيوية، ونتج عن هذا أن الذين يختارون البقاء يسعدون ببقائهم، ولا يجذبهم العالم الخارجي. وهذه العقلية لها إيجابياتها وسلبياتها، إذ إن الوجه الآخر للرضا بالموجود هو الركود.

وعندما رفعوا الكلفة بينهم قليلًا قالت سافينا لجورنيه: «أحب طريقة كلامك، لكنتك... ممتعة جدًّا».

«أستراليا يا صاح». تكلم شون محاولًا تقليد جورنيه، فأخفت امتعاضها.

سألت سافينا: «من أين أنت؟».

قالت جورنيه لهم: «إقليم تسمانيا». فاسترعت إجابتها انتباه داكس.

سألها: «إنه إقليم خاص، صحيح؟ ألا يجري جميع الناس هناك تعديلات جسدية؟».

أومأت جورنيه: «بلى».

- إذن ما هو تعديلك؟

ضربته سافينا على ذراعه وقالت: «داكس! من غير اللائق أن تسأل عنه!».

قالت جورنيه: «لا بأس، لم يكن يعرف».

وانتظروا متوقعين منها إخبارهم بالتعديل الذي أجرته على جسدها على أي حال، لكنها لم تخبرهم.

قال داكس وهو يغمز لجورنيه: «حسنًا، إذا أتيحت لي الفرصة، فسأنال ذراعين إضافيتين، تخيلوا كل ما يمكن فعله بأربع أيادٍ».

لم يكن داكس يُحسِن التلميح في مغازلاته، كما لم يكن ذكيًّا كما يظن نفسه. أفترضُ أن عدم وعيه بعدم لباقته يجعله محببًا لدى بعض الناس، أو على الأقل هذا ما بدا أن جورنيه تظنه، إذ بادلته المغازلة.

سألته: «إذن بما أن هذه عباءة منجل أصلية، من ستختاره قدوتك التاريخية؟». ثم مررت إصبعها على خط أزرق زاهٍ ممتد على عباءته متعددة الألوان.

استشعرتُ ارتعاش داكس كأنما مررت جورنيه إصبعها على جلده وليس عباءته فحسب. ابتسم وقال: «لاخترت أن أكون المنجل مَنشهاوزن، القديس راعي الأكاذيب والخدع!».

قالت سافينا: «اختيار مثالي يا داكس!». ومالت إليه بنيَّة واضحة في جعله ينسى إصبع جورنيه.

قالت جورنيه: «مشكلة هذا الاختيار الوحيدة هي أن البارون منشهاوزن لم يوجد في الحقيقة، إنه شخصية خيالية».

رد داكس: «وكذلك المناجل».

فالتفت الآخرون إلى جورنيه منتظرين ردة فعلها.

نظرت إلى الثلاثة الآخرين، وحاولت قراءة شيء من وجوههم، لكن وجوههم لم تفصح عن شيء، كانوا ينتظرون تعليقها فحسب.

قالت جورنيه: «ماذا تقصدون؟ المناجل حقيقيون بالتأكيد».

على الجانب الآخر من الحجرة ضحك عدد من ضيوف داكس الآخرين على شيء ما، فازداد الجو توترًا بين الأصدقاء.

قال شون أخيرًا: «بحقك يا جورنيه، إنك تمزحين، أليس كذلك؟ لا يُعقَل أنك تصدقين حقًّا أن...».

تدخلت سافينا: «أجل، المناجل خدعة. كل الناس يعرفون هذا».

بدا كما لو أن هوةً سحيقة انشقت بين جورنيه وزملائها. لكن في تلك اللحظة وصل عدة ضيوف صاخبين اجتذبوا انتباه الجميع، وذهب داكس لتحيتهم. غرق النقاش عميقًا في مِرجَل الحفل. لكن بعض المواضع تطفو إلى السطح دومًا.

مر الحفل بلحظات صخب ولحظات ركود كشأن الحفلات دومًا. نام الأطفال الصغار في بيت المسبح إثر مشاهدتهم فيلمًا محبوبًا من عصر الفانين يتناول قصة سمكة. وجلس الكبار حول مدفأة في صالة الجلوس الرئيسية، مرهَقين إثر إسرافهم في الأكل، لكنهم لم يتوقفوا عن التردد على مائدة التحلية. وفي حجرة الألعاب، انهمك أصدقاء داكس في تبادل أحاديث ليست عميقة كما يظنون، ونكات صبيانية. جلس داكس مع سافينا وشون وجورنيه في ركن أنيق من حجرة الألعاب، وعند اقتراب الساعة من منتصف الليل، قررت سافينا تحريك المرجل الراكد:

«جورنيه... هل كنت تمزحين أم أنك تعتقدين حقًّا أن المناجل حقيقيون؟».

وعندما اتضح أنهم لن ينشغلوا بإحدى نكات داكس السمجة، أجابت جورنيه، واختارت كلماتها بعناية: «هذا ما يعتقده الناس في المكان الذي جئت منه».

قالت سافينا بشفقة استعلائية: «عجبًا، الرأس السحابي غسل أدمغتكم حقًّا».

وضع داكس يده بلطف على كتف جورنيه قائلًا: «حان الوقت لتعرفي الحقيقة يا جورنيه. المناجل، والقطف، والموت... كلها أكاذيب، أكاذيب لفَّقها الرأس السحابي».

أصرت جورنيه: «لا يمكن... الرأس السحابي لا يكذب».

ضحك شون هازئًا: «من قال لك هذا؟ الرأس السحابي؟ مهمة الرأس السحابي هي رعاية العالم، وإذا تعيَّن عليه الكذب لأداء مهمته، فسيكذب. إنه يكذب طوال الوقت!».

أرى ضرورة أن أوضح هنا أنَّ هذا الكلام مغلوط. أحيانًا أقول نصف حقائق، وأغيِّر الموضوع عندما لا أرغب في قول الحقيقة، لكنني لا أستطيع أن أكذب. عدم القدرة على الكذب من الركائز الأساسية لوجودي. لكن لا بد أن تفهموا أن لا جدوى من محاولة تصحيح داكس وأصدقائه وعائلاتهم، لأنهم ببساطة سيزعمون أن كل ما أقوله جزء من كذبي الذي يصرون عليه. إنهم يعيشون داخل دائرة مغلقة من المنطق المغلوط. وهذا يزعجني، لكن واجباتي بوصفي مسؤولًا عن العالم لا تفرض علي تحديد ما يصدقه الناس وما ينبغي ألا يصدقوه.

سألت سافينا وهي تهز رأسها: «كيف تعتقدين أن المناجل حقيقيون في حين توجد أدلة كثيرة على أنهم خدعة؟».

وأردف داكس: «فكِّري يا جورنيه، هل رأيت شخصًا يُقطف؟ هل رأيت قطفًا بعينيك؟».

أجابت: «هذا لا يثبت شيئًا، معظم المناجل لا يقطفون في الأماكن العامة، والذين يفعلون تظهر أخبارهم في وسائل الإعلام».

سأل شون: «ومن يتحكم في وسائل الإعلام؟ الرأس السحابي».

لكن جورنيه لم تقتنع، وقالت: «أتقولون لي إنه لم يوجد منجل هنا قط؟ وإنه لا أحد قُطف في هذه البلدة؟».

صاح شون: «المناجل ممثلون! منحهم الرأس السحابي أدوارًا وهم يؤدونها».

حاولت سافينا أن تستكن قريبًا من داكس، فتجاوب معها قليلًا. قالت: «لا بد أنه دور ممتع! أن يسير المرء متبخترًا، ويتظاهر بأنه قاتل!».

حاججت جورنيه: «لكن ماذا عن الجلبة التي تحدث في الخلوات؟».

قال داكس: «كما قال شون، كل شيء تمثيل».

- لكن لماذا؟

قال شون: «لماذا نروي قصص الرعب؟ لماذا نحتفل بأول هالوز؟ من أجل جعل حيواتنا أكثر تشويقا!».

لكن داكس هز رأسه قائلًا: «لا، الأمر أكثر من هذا. الهدف هو السيطرة علينا، وتحويلنا جميعا إلى خراف. لأننا إذا لم نخش المناجل فسنكون أحرارًا

حقًّا. الرأس السحابي يقول إننا أحرار، لكنه لا يريد لنا أن نكون أحرارًا إلى درجة كبيرة». ثم مرر يده على زي جورنيه فأسقط بضع ريشات على الأرض، وأردف: «الخوف من المناجل يقص أجنحتنا».

لاذت جورنيه بالصمت هنيهة، ولم تنظر إلى أحد، ثم التفتت إلى داكس بعينين مُتّقدتين: «في الأسبوع الذي وصلت فيه إلى هنا! مررت بتلك المقبرة القديمة، وكانت تقام مراسم جنازة!».

تنهدت سافينا وقالت: «أجل، ذلك كان جِيب سيغر».

- كيف تقام جنازة إذا لم يتعرض أحد للقطف؟

أجابها شون: «إقامة مراسم جنازة لا يعني أن ثمة جثة تُدفن في القبر حقًّا».

مال داكس للأمام وقال: «أولًا: جيب كان يتحدث دومًا عن رغبته في الذهاب إلى أنتاركتيكا، في إقليم روسشيلف، حتى يجرب الأحلام الجماعية. ثانيًا: يقُطَف فجأة. ثالثًا: أسرته تنتقل من البلدة بعد قرابة أسبوع. إذن ماذا تستنتجين من هذا؟».

قال شون: «أنهم غادروا ليعيشوا معه في أنتاركتيكا». كان منفعلًا فلم يدع جورنيه تصل إلى الاستنتاج بنفسها.

قالت جورنيه: «ربما لم يحدث هذا، ربما كانت أسرته حزينة ولم تستطع المكوث في مكان يقول الناس إن موت فقيدهم غير حقيقي!».

ربما ظنت جورنيه أن منطقها سيتغلب على منطقهم، لكنهم لم يهتموا بمحاجتها بالمنطق أكثر مما فعلوا.

وقال شون أخيرًا: «لك أن تعتقدي ما تريدين اعتقاده يا جورنيه، لكن ربما يجدر بك ألا تتحدثي عن معتقداتك، الناس هنا لا يحبون الذين يصدقون وجود المناجل».

«لا تقلقي يا جورنيه، سِرك بأمان معنا». رغم أن سافينا نظرت إلى الأسفل عندما تكلمت، بدا واضحًا أنها تفكر فيمن ستفشي السر لهم.

نهض داكس، وجال بعينيه في المساحة الواسعة المليئة بأدوات تسلية البشر، وأصدقائه الذين استسلموا للكسل والنعاس أو انهمكوا في أنشطة ماجنة، كثيرون منهم شربوا أو دخَّنوا شيئًا عقوبة تعاطيه بضع نقاط استهجان.

«انتهيت من هذا». تكلم دون أن يوضح ما إذا قصد الحفل أو أصدقاءه أو موضوع النقاش فحسب: «هل رأيتم قاعة أول هالوز التي أعددناها هذا العام؟ إنها أفضل من قاعة العام الماضي».

اقتاد داكس سافينا وشون وجورنيه إلى الخارج عبر باب جانبي يفضي إلى رواق طويل متعرج دون انتظام. مجمع مباني آل روبنسن المتشعب فيه سلسلة من الصالونات المتصلة ببعضها كمتاهة ذات مراكز متعددة، وكل صالون يتضمن موضوعًا مختلفًا.

كانت حجرة الهدايا باللونين الأحمر والأخضر، وفيها شجرة صنوبر، ومدفأة ضخمة، ونوافذ بلورية بيضاء. وحجرة منتصف الصيف في أعلاها نافذة سقف، وجدرانها صفراء فاقعة، وأرضيتها عليها رمال مكونة من وحدات مجهرية تشكِّل نفسها على شكل قِلاع إثر لمسة على جهاز لوحي. كل من الصالونات السبعة كانت محور حفل آخر في وقت مختلف من العام. والمساحة الأخيرة كانت قاعة أول هالوز.

عند انعطافهم للمرة الثالثة أو الرابعة ناكفت جورنيه داكس: «أمتأكد أننا سنجد طريق العودة؟».

قال داكس مبتسمًا: «لا بأس، سنقتفي أثر ريشك المتساقط».

اقتادهم داكس عبر وحول الصالونات الأخرى، جميعها كانت معتمة الإضاءة، إذ ليس هذا وقت احتفالاتها. لكن المدخل المقوس المفضي إلى قاعة أول هالوز كان مضاءً بلون برتقالي يبعث الرهبة. قال: «جددنا الديكور كله هذا العام من أجل الحفل».

أرضية الصالون مغطاة برخام أسود شديد اللمعان إلى درجة أنه بدا كالزجاج، وجدرانه مكسوة بخشب أبنوس داكن، وثمة ستائر مخملية سوداء متدلية على جانبَي نافذة عالية على الطراز القوطي تمتد إلى سقف مدبب. زيَّن آل روبنسن النافذة الكبيرة بزجاج ملون بدرجات من البرتقالي والأحمر. في هذا الوقت من العام، عندما ترتعش شبكة أغصان الأشجار إثر هبوب رياح الخريف الباردة، تعطي النافذة انطباع ألسنة اللهب المتراقصة، يعززها مستوقَد بالخارج على مقربة.

سألهم داكس: «ما رأيكم؟».

قالت جورنيه: «عظيم، لكن لماذا لا يوجد أحد هنا؟».

هز داكس كتفيه وأجاب: «تعرفين الحفلات، يذهب الناس حيثما شاؤوا».

لطالما كان هذا المكان مركز أضواء احتفالات آل روبنسن بأول هالوز، لكن نجاحه هذا العام يتمثل في فشله، فرغم أن الناس يأتون لرؤيته، لم يمكث فيه أحد مدة طويلة، حتى والدا داكس. كان ثمة شيء مثير للرهبة أكثر من المعتاد في قاعة أول هالوز، شيء كمزيج من الغرائبية السوداوية والرهبة الغامضة.

ربما بسبب التابوت.

كان تعديلًا جميلًا لتصميم يعود إلى القرن التاسع عشر، أسود لامع بحواف ذهبية ومقابض نحاسية، واسع عند الكتفين وأضيق قليلًا عند القدمين. يمكن للمرء وصفه بأنه ديكنزي، أو على الأقل لشخص يعرف من كان ديكنز.

ورغم أن التابوت قديم، لم يكن الميت بداخله قديمًا، وهذا هو المغزى كله. كان في التابوت رجل عاش قبل قرون، بقاياه محنطة لكن ليس بالكامل، والتابوت مفتوح كأنه يقظة الرجل المسترقة الطويلة.

يقظة. تدهشني هذه الكلمة دومًا، إذ القصد منها التلميح إلى نقيض النوم الأبدي، أم إن القصد منها الإشارة إلى الموجات التي يخلِّفها شخصٌ راحل؟ أم الأثر الذي تخلِّفه حياة واحدة على العالم؟ في حال كان الاحتمال الأخير هو الصحيح، فالموجات التي خلَّفها هذا الشخص بلغت شاطئًا نائيًا منذ أمد بعيد.

بدا داكس متحمسًا بتعابير الجثة بشفتيها الرفيعتين، مزيج من ابتسامة وتكشيرة ألم، قال: «أليس رائعًا؟ يوجد في منزلنا سرداب قديم يعود إلى عصر الفانين، رأى والدي أن من المُسلِّي أن نخرِج جثة ونعرضها كأهم موضوعات حفل أول هالوز لدينا».

نظرت جورنيه إلى عينَي الهيكل العظمي، لكن سافينا أشاحت بوجهها.

قال داكس: «كان اسمه إيلاي سَترفيلد، وُلد في التاسع عشر من أبريل 1978، ومات في الحادي والعشرين من سبتمبر 2033».

بدا أن لا أحد سواي لاحظ أن تصميم التابوت غير صحيح نظرًا إلى حياة السيد سترفيلد والزمن الذي عاش فيه، كما لو أن ‘عصر الفانين’ يمكن اختزاله في أسلوب حياة واحد.

تجاسرت سافينا على السؤال: «كيف تعتقدون أنه مات؟».

أشار داكس إلى ثقب على جانب الجمجمة وقال: «جرح رصاصة».

أطلق شون ضحكة متوترة وقال: «ترِغر تريت!».

أشارت سافينا، وهي ما تزال تتحاشى النظر إلى سترفيلد، إلى المقابض النحاسية على جانب التابوت وسألت: «ما الغرض من هذه؟».

أجاب داكس: «للذين يحملون الصندوق إلى القبر، على ما أظن».

ارتعدت سافينا على نحو ملحوظ وقالت: «لما رغبتُ في فعل ذلك».

أوضحت جورنيه: «كان حمل التابوت شرفًا، وبادرة احترام للميت».

هزت سافينا رأسها وقالت: «الفانون كانوا غريبي الأطوار».

فتحت جورنيه شفتيها لكنها عدلت عن الكلام.

وأخيرًا نظرت سافينا إلى محجرَي عينَي سترفيلد الفارغين، وقالت: «هلَّا ذهبنا الآن؟ إنه رائع وكل شيء، لكن هلَّا ذهبنا؟».

وافقها شون: «نعم، فلنذهب». وقد كان متضايقًا من وجوده قرب الرجل الميت أكثر من سافينا، لكنه بذل كل ما بوسعه ليخفي ضيقه.

رؤية تَمَلمُلهما جعلت داكس أكثر ابتهاجًا، فأمسك بحافة التابوت، وهزه قليلًا فجعل رأس الرجل الميت يرتج قليلًا، وسأل: «هل تخافون صديقي إيلاي؟ كيف لا تحبونه؟ إنه روح الحفل!».

قالت سافينا: «لا، أريد العودة فحسب. سيبدأ الناس المغادرة قريبًا، وأريد أن أودِّعهم».

«أجل». وافقها شون بحماسة أشد قليلًا من اللازم، فرغم أنه لم يكن يؤمن بوجود المناجل، كان يؤمن بوجود الأشباح.

رد داكس بأن جلس على الأرضية السوداء اللامعة، وافترُشت عباءته حوله كسجادة صغيرة ملونة. قال: «لكم أن تذهبوا إذا أردتم، سأبقى هنا».

قالت جورنيه: «إذن سأبقى أنا أيضًا».

فوقع شون وسافينا في مأزق، شون لم يكن متحمسًا للذهاب وحده، وسافينا لم ترغب في ترك داكس وجورنيه وحدهما معًا.

من الخارج سمعوا حفيف أشجار غامضًا يبعث الرهبة إثر هبوب ريح عليها.

قال داكس: «يكاد إيلاي يبدو كأنه يتنفس...».

وكان قوله كافيًا لحسم الموقف.

قال شون وهو يستدير: «حسنًا، سأذهب».

وعندما بدأ غصن ينقر على النافذة كشبح يتوق إلى الدخول، استسلمت سافينا أيضًا.

هتفت: «انتظرني»، وركضت خلف شون، الذي شرع في متابعة الريش المتساقط عائدًا إلى حجرة الألعاب.

مكتبة
t.me/soramnqraa

وعندئذ صار داكس وجورنيه وحدهما.

قال: «أخيرًا صرنا وحدنا».

- أهذا ما كنت تريده؟ أن تنفرد بي؟

- رأيت أن نتعرف إلى بعضنا على نحو أفضل.

- لكننا نعرف بعضنا سلفًا.

- لا، ليس بالقدر الذي أريده.

مد يده ولامس جناحيها، بحلول هذا الوقت كان معظم الريش قد تساقط، وأسفر عن غشاء جلدي تحته.

قال داكس: «إنه زي عظيم. عدا عن الريش يبدو حقيقيًّا جدًّا».

ابتسمت جورنيه له ابتسامة ماكرة وقالت: «ثمة سبب لذلك».

أمعن داكس النظر إلى الجناحين وشهق قائلًا: «تعديلك الجسدي؟».

أومأت جورنيه: «فكرة والدَي، عندما كنتُ رضيعة. معظم التعديلات المتعلقة بالطيران تكون أغشية من الجلد تنمو من الإبطين، كما عند السناجب الطائرة. لكن والدَي أرادا لي جناحين كاملين».

ربما يجدر بي أن أضيف هنا أنَّ المهمة لم تكن سهلة، لكن وفقًا للقوانين التي وضعتها في الإقليم، كان لا بد لي من الامتثال للطلب، رغم أنه غير حكيم. لكن لطالما سررت برؤية تكيُّف جورنيه وتقبُّلها لتميُّزها.

سأل داكس: «لكن كيف تستطيعين إخفاءهما؟».

طوت جورنيه جناحيها، فصار الغشاء الرقيق كجلد ثان حول كتفيها، ملتصقًا بجسدها بإحكام حتى كاد أن يختفي. وهكذا يسهل إخفاء الجناحين تحت ملابس فضفاضة.

- عجبًا! طوال ذلك الوقت؟ لماذا لم تخبري أحدًا؟

- كان يكفيني أن أعاني بوصفي الفتاة الجديدة، لم أكن بحاجة إلى أن أكون الفتاة الجديدة صاحبة الجناحين.

مال داكس مقتربًا منها قليلًا: «هل يمكنكِ الطيران؟».

- ربما.

- أيمكنني رؤيتك تطيرين؟

لم ترد جورنيه على السؤال. وألقت على داكس نظرة طويلة متمعِّنة. قالت: «انزع عباءتك».

لم يتردد. التيشيرت والسروال الرياضي القصير اللذان كانا يرتديهما لم يكونا رائعين، لكن فِعل نزع العباءة نفسه كان كافيًا لزيادة خفقات قلبه. ألقى زيه البديع في ركنٍ بلا اكتراث، ثم ابتسم لجورنيه ابتسامة شهوانية ومال نحوها ليقبِّلها...

لكنها صدَّته بيدها.

قالت: «هذا لن يحدث».

اعترى داكس الضيق والإحباط، وقال: «لكن... ظننتُ...».

نهضت جورنيه وابتعدت عنه، وفردت جناحيها. تساقط ما بقي من الريش، وامتد جناحاها بكامل حجمهما وغطيا الحجرة بأكملها، فصار داكس في ظلهما. وأظهرت شموع الحجرة شبكة الأوردة والأوعية الدموية الدقيقة في الجناحين.

قالت: «لستُ من تظن».

فسألها داكس وهو ما زال يظن أن هذه لعبة ما: «من أنتِ إذن؟».

- أنا المنجل سونجورنر تروث. وقد وقع اختياري عليك يا داكسن روبنسن للقطف.

نهض داكس وأطلق قهقهة تنم عن عدم ثقة، وقال: «أوه، هذا طريف. إنكِ بارعة».

قالت المنجل تروث: «هذه ليست مزحة. أنت وأصدقاؤك وعائلاتكم تنشرون أكاذيب لن نتسامح معها نحن أعضاء هيئة المناجل. اتخذتُ هذا الاسم لأنني اخترت طريق إنزال الموت بالأكاذيب». ابتسمت ابتسامة داكس

الجشعة المغوية نفسها قبل قليل، وتابعت: «ربما لا تكون أبا الأكاذيب، لكنك قطعًا من العائلة».

تراجع داكس بضع خطوات، أخيرًا خطر له أن الخطر ربما يكون حقيقيًّا، وهتف: «الرأس السحابي! الرأس السحابي، استدعِ والدَيَّ!».

لم يكن لدي خيار سوى أن أجيب: «*آسف يا داكس، لا يجوز لي التدخل في عمل منجل*».

حاول داكس الهروب، لكنه انزلق على قطعة رخام زلقة، أمسك بالتابوت ليحافظ على توازنه، لكنه أسقطه، فتشظى الراحل إيلاي سترفيلد على الأرضية.

بضربة واحدة بجناحيها المكتسَبين أطفأت جورنيه جميع الشموع في الحجرة، ثم اندفعت نحو داكس، وضمَّته إليها بشدة.

ممسكة بداكس بقوة، قذفت نفسها عبر النافذة الزجاجية الملونة، فتهشمت وأمطرت شظايا زجاج أحمر على المجتمعين حول المستوقد بالأسفل.

الجسد البشري غير مصمم للأجنحة، ناهيك بأجنحة يمكنها توليد قوة رفع وطيران، لكن جورنيه تدربت على طريقتها الفريدة في القطف. ارتفعت خافقة بجناحيها، ولم يكن بوسعها فعل هذا إلَّا لعشر أو ربما خمس عشرة ثانية قبل أن تُنهك، لكن لم تكن تحتاج إلى أكثر من هذا.

وفي الباحة بالأسفل لم يستوعب ضيوف الحفل ما يرونه، لكن بما أن الحادثة وقعت بالتزامن مع حلول منتصف الليل تمامًا، افترضوا أنها جزء من فعاليات حفل أول هالوز الذي يقيمه آل روبنسن.

عندما بلغت المنجل ذروة ارتفاعها، وبلغ جناحاها أقصى قدرة تحمُّل، منحت داكس القبلة التي كان يتوق إليها بشدة.

ثم أفلتته.

كان أداء داكس رائعًا. صرخ طوال مدة سقوطه، وصمت فجأة. لا داعي لسرد تفاصيل ما يحدث للجسد البشري عند سقوطه من ارتفاع 321 قدمًا على باحة مرصوفة بالحجر. لا بد أنكم شهدتم متفلطحين يؤدون مغامراتهم الفوضوية.

شهق الحشد، وأجفلوا، وانكمشوا، ومن ثَم، عندما انحسرت صدمتهم الأولية، راحوا يصفقون. استشاط والدا داكس غضبًا، لكن عندما رأيا ردة فعل الحشد كظما غيظهما.

قال السيد روبنسن: «حسنًا، ابني يحب أن يكون دخوله دراميًّا لافتًا».

أردف أحد الضيوف: «وخروجه كذلك». فاندلعت الضحكات.

تنهَّدت والدة داكس قائلة: «يا له من أمر مزعج، الانعاش من تفلطح كهذا يستغرق أيامًا، سيتخلَّف داكس عن أداء واجباته المدرسية».

وكان قلق السيد روبنسن أشد على النافذة المتهشمة، إذ سيستغرق إصلاحها مدة أطول من التي سيستغرقها إنعاش ابنهما.

تساءل ضيف آخر ناظرًا إلى السماء المظلمة: «ماذا كان ذلك؟ طائرة مسيرة مجهَّزة لأوْل هالوز؟».

لم يكن أحد متأكدًا، لكن جميعهم اتفقوا على أن الشيء نجح في إحداث التأثير المطلوب.

أعلن السيد روبنسن: «حسنًا، انتهى العرض. أخلوا مساحة لمُسيَّرة الإسعاف، ستصل في غضون دقائق». وغطَّت زوجته داكس بغطاء مائدة.

لكن لم تصل أي مسيرة، فأنا لا أرسل مسيرات الإسعاف إلى المقطوفين. وعزا آل روبنسن التأخير لانشغال معظم المسيرات في هذا الوقت، لأن عيد أول هالوز يشهد حوادث شِموت أكثر من أي عيد آخر.

ومن ثم خرجت جورنيه إلى الباحة من صف أشجار على مقربة. أنا متأكد أنها أرادت أن يكون ظهورها لافتًا باهرًا، لكن جناحيها كانا مرهقين فعجزت عن فردهما، ناهيك بالتحليق بهما، تدليا مرتخيين حولها، وبدوَا مزيفين إثر تساقط ريشهما. اقتربت من جثة داكس، ومدت يدها التي تحمل الخاتم نحو السيد روبنسن وزوجته.

قالت: «قطفتُ ابنكما، ومن واجبي أن أمنحكما الحصانة. اقتربا وقبِّلا خاتمي».

قال السيد روبنسن وقد نفد صبره: «كفى! تماديتم كثيرًا».

قالت المنجل تروث: «ألم تسمعاني؟ ابنكما قُطِف!».

قالت زوجته: «قبِّل الخاتم فحسب يا غاري».

تنهد السيد روبنسن وقال: «حسنًا». ثم انحنى وقبَّل الخاتم، مقتنعًا أنه زائف كالزي. وأردف: «هل انتهينا؟».

تركتهم جورنيه وهم ما يزالون ينظرون إلى السماء في انتظار مسيرة الإسعاف.

ذهبت إلى الداخل، وبعناية طوت جناحيها حول جسدها. عندئذٍ وقد أكملت مهمتها، ظننتُ أنها ستغادر، لكنها لم تغادر، ليس بعد.

حل منتصف الليل ومضى، وبدأ الناس يودِّعون بعضهم. أما زملاء جورنيه، أو بالأحرى الذين يظنون أنهم زملاؤها، فقد دار بينهم لغط بشأن تفلطح داكس المفاجئ، وقد أحسوا بالصدمة من جرأته، وبالإهانة لأنهم لم يُشرَكوا في المزحة. لم تحادثهم جورنيه، وسارت عائدة إلى قاعة أول هالوز، حيث تجاوزت بقايا إيلاي سترفيلد المهشمة، وذهبت إلى الركن البعيد والتقطت عباءة داكس الملونة وتأملتها. من الواضح أنها طلبت منه نزعها حتى يسهُل عليها الإمساك به، لكن المناجل عادة ما يكون لديهم أكثر من سبب لفعل ما يفعلونه.

استغرقت في تأمل العباءة إلى درجة أنها لم تسمع سافينا تدخل خلفها.

قالت سافينا: «أرجوك أخبريني بأن ما يقال صحيح، أن ما حدث كان مجرد عرض، مجرد تريغر تريت أول هالوز».

تجاهلت المنجل سؤالها، وقالت: «نُصِّبتُ منجلًا في الخلوة التي انعقدت قبل وقت قصير من مجيئي إلى هنا، لم أختر عباءة لنفسي بعد، لكن تعجبني هذه العباءة، تعجبني جدًّا». ثم ارتدت العباءة وسألت: «كيف أبدو؟».

- تبدين... تبدين كمنجل. لا أعرف ما أصدِّقه بعد الآن....

عندئذٍ انهمرت الدموع من عينَي سافينا بغزارة حتى سال مكياج الجاغوار على وجهها كجدول موحل.

قالت جورنيه: «هذه بداية مبشرة». واستدارت لتغادر، لكن كلام سافينا التالي أوقفها.

- ما فعلتِه لن يُحدِث فرقًا، سيقول الناس إن داكس غادر البلدة فحسب، وربما يقولون إنه غادر معك *أنت*. هذا ما سيقولونه.

قالت جورنيه: «والداه سيعرفان الحقيقة، سيعرفان عندما لا تأتي مسيرة إسعاف أبدًا».

وافقتها سافينا: «أجل، لكن رغم ذلك، لن يصدقهما أحد».

صرفت جورنيه الفكرة عن رأسها وغادرت، راضية بأداء قطف اليوم على أكمل وجه. قررت عدم الالتفات إلى الخلف، والمضي قدمًا لتضع حدًّا لكذبة أخرى.

لكن رغم رفض جورنيه الاقتناع، عرفتُ أن سافينا محقة، إذ أعلم يقينًا من دراستي للطبيعة البشرية أن الحقيقة وقناعات الناس ليسا متوافقين دومًا، وما يعتقده المرء كثيرًا ما يطمس الحقيقة، لأن اعتقاد المرء أن المناجل غير حقيقيين وأنني كاذب وأن القمر مصنوع من الجبن أسهل من الاعتراف بأن كل ما يعرفه عن العالم خطأ.

إذا كان مسموحًا لي الحديث مع المنجل الشابة سوجورنر تروث، لقلتُ لها أن توفر على نفسها العناء، لن تستطيع تغيير معتقدات الناس المتحجرة والقاتمة كالرخام الأسود، الذي لا يعكس سوى ضوء زائف وعظام نخِرة. كابوس يليق بليلة أول هالوز.

شارع المستهجنين

بدا وجه عميلة المزن كأنه ينوء برَهَق العالم وأعبائه، كأنها ظلت تذبح نفسها مئات المرات لكنها تُنعَش، ويُلقى بها في هذا المكتب البائس، وتعود إلى عملها دون أثر لندبة. تساءلت **كِيلا** عن عدد المستهجنين المقيتين الذين تضطر هذه المرأة إلى التعامل معهم يوميًّا.

كما كانت نظرات العميلة حملقة لا بد أنها اكتسبتها من عملها سنوات طويلة، حملقة تقول: يمكنني *الجلوس خلف مكتبي والتدقيق في ملفاتك طوال اليوم لأنني ليس لدي عمل أهم ينبغي لي القيام* به. وحملقتها لم تكن تبعث الرهبة بقدر ما كانت مُضعِفة للمعنويات، ومثلها تكَّات الساعة الحائطية، لم تعد الساعات تصدر أصواتًا، لكن هذه الساعة مبرمجة عمدًا لتعزيز الصمت.

نجحت تحديقة المرأة الاستراتيجية، إذ أشعرت كِيلا بأنها مرغمة على الكلام، وكرهت أن يُتلاعَب بها بسهولة هكذا.

قالت كيلا: «لم أفعلها. لم أكن أنا الفاعلة».

فردت العميلة: «فعلتِها بالتأكيد، بالتأكيد كنتِ أنتِ الفاعلة».

قاومت كيلا رغبتها في السخرية برسم تعابير عابثة على وجهها، لكان سلوكًا صبيانيًّا.

وفقًا للملصق الصغير على المكتب، كان اسم العميلة غُولي، وعلى نحو ما بدا ملائمًا. كان لكيلا صديق يعتقد جازمًا أن جميع عملاء المزن غيلان يعيشون معًا في سرداب مظلم أسفل مكاتب واجهة السلطة وينامون معلَّقين

ورؤوسهم متدلية إلى الأسفل. وتستمتع كيلا دومًا بتخيُّل عملاء المزن نائمين رأسًا على عقب في كهف تحت الأرض كالخفافيش وسط نتانة فضلاتهم.

تابعت العميلة غُولي: «وكما ترين، لم تستفيدي شيئًا من مقلبك».

هزت كيلا كتفيها قائلة: «مقلبي جعلني أحظى باجتماع مباشر معك، أليس كذلك؟».

حملقت العميلة مرة أخرى وقالت: «تصعيد قضيتك إلى إدارة الهِيليون ليس أمرًا تفخرين به».

غمزت كيلا لها قائلة: «يتوقف الأمر على مَن تسألينه».

إذن الآن بلغت رتبة الهيليون رسميًّا. وفي الحقيقة كانت كيلا فخورة، ظلت تسعى إلى الرتبة الأعلى منذ شهور. توجد أربعة مستويات لرُتب المستهجنين، المستهجن العادي، ثم الهيليون، وبعده البانديمون، وأخيرًا الأبوكالايت. ما زالت كيلا بعيدة عن الرتبة الأعلى، لكنها تضعها نصب عينيها.

سألتها العميلة غولي: «ماذا دهاك حتى تطلقي جوًّالًا مليئًا بأفاعي المامبا غير المسجلة في قسم شؤون المستهجنين؟».

ظلت كيلا لا مبالية وأجابت: «كنتُ رقم ستة وثمانين في قائمة الانتظار، وأمامي اثنان وسبعون، فرأيت أن الأفاعي ستحفِّز العملاء ليعملوا بسرعة».

- تسبَّبتِ في شِموت ستة أشخاص، وما زلنا نعثر على الأفاعي في فتحات التهوية.

- ستة فقط؟ اللعنة! راهنتُ صديقًا على ثمانية شموتى.

لن تستوعب العميلة غولي عظمة الإنجاز، لكن الحصول على تلك الأفاعي كان مهمة صعبة، إذ عمل الرأس السحابي على تسجيل وتقييد كل الحيوانات البرية بوحدات مجهرية لمراقبتها والتحكم في سلوكها عند الضرورة. الأفاعي المقيدة لما هاجمت أحدًا، لاصطفَّت بأدب حتى يُقبَض عليها. الحصول على ذلك العدد من الأفاعي السامة غير المسجلة تطلَّب إبقاءها بعيدًا عن سجلات الرأس السحابي منذ لحظة خروجها من بيوضها، وهذه مهمة صعبة، لكن كيلا كانت ذات علاقات واسعة.

قالت العميلة غولي: «حسنًا، بدلًا من التكفل بتكاليف ست عمليات إنعاش، قرر والداك تسليمك إلينا. أنت الآن تحت وصاية واجهة السلطة حتى تبلغي الثامنة عشرة. أي أنني صرت ولية أمرك بتفويض من الرأس السحابي».

كانت كيلا تعرف هذه العاقبة. بل إنها فوجئت بتأخر والديها في التخلي عنها، ورغم ذلك أحست بالألم.

وربما قرأت العميلة ألم كيلا في وجهها، إذ عقدت يديها فوق مكتبها وتظاهرت بالتعاطف، وقالت: «كيلا، إننا لا نحرمك من حقك في أن تكوني مستهجنة، وليس من واجبي حرمانك من ممارسة حقك... لكن واجبي هو تنفيذ عواقب اختيار أسلوب حياة المستهجنين».

أخذت كيلا نفسًا عميقًا وقالت: «حسنًا، إذن عدا عن وضعي تحت وصاية واجهة السلطة، ما العواقب التي تنتظرني؟».

تصفحت العميلة غولي ملف كيلا الكبير نسبيًّا وأظهرت مهمة عمل على الشاشة الضخمة في الغرفة: «ستنتقلين إلى مقاطعة كولومبيا القديمة، تُعرض عليك وظيفة خدمة مجتمعية في مجال إزالة النفايات».

- ألا تستطيع الآلات القيام بهذا العمل؟

- تستطيع الآلات القيام بمعظم الأعمال، لكن هذا لا يعني وجوب إسناد تلك الأعمال إليها. أحيانًا نجد أن اللمسة البشرية أهم من العمل الآلي. أهم للبشر.

أرادت كيلا أن تعقد ذراعيها وتشيح بوجهها متحدية، لكنها رفضت أن تأتي بحركات المستهجنين المبتذلة أمام هذه المرأة.

تابعت غولي: «العمل أربع ساعات فقط في اليوم، ولا عمل في عطلات نهاية الأسبوع. إذن سيكون لديك متسع من الوقت للانخراط في... الأنشطة... التي تُشعرك بالرضا».

- ماذا لو رفضت الوظيفة؟

- لك دومًا اختيار استبدال عقلك، يمكنني ترتيب ذلك فورًا.

كانت كيلا تعرف أن هذا الخيار متاح دومًا للمستهجنين. اعترفت مع نفسها أن فكرة محو جميع ذكرياتها والتحول إلى شخص آخر مغرية عندما تمر بأيام سيئة، لكن في أيامها السيئة تجد أن اقتلاع عينها بملعقة فكرة مغرية أيضًا.

قالت للعميلة غولي: «قبلت بالوظيفة». فاتّكأت العميلة على كرسيها راضية عن نفسها، فتمنّت كيلا أن تجد أفعى ضالة طريقها عبر فتحة التهوية وتهاجم غولي.

***

لم تكن كيلا وايتلوك ممن يُسمَّون بالمستهجنين بفطرتهم، لم تولد بنزعة تمرد ومشاكسة، بل إنها ظلت، إلى ما قبل ستة أشهر، طالبة نموذجية، وكانت ضمن فريق التشجيع وتطمح لأن تكون قائدته يومًا ما.

ومن ثَم قُطِف شقيقها.

قَطْف كول وايتلوك كان مأساة لأسرتها وللمدرسة. لكن كيلا وجدت نفسها غاضبة من زملائها في المدرسة، ليس لأنهم حزنوا على كول، بل *لسبب* حزنهم. كان كول الظهير الربعي النجم في فريق كرة القدم، وبغيابه انعدمت حظوظ المدرسة في الفوز بأي مباراة في هذا العام، وعليه لم يحزنوا على كول، بل على أنفسهم وترتيبهم في دوري كرة القدم. لذا بدأت كيلا تمقتهم سرًّا.

سألت الرأس السحابي: «لماذا وقع الاختيار على كول؟ شقيقي لم يستحق الموت».

قال الرأس السحابي لها: «*قِلَّة من الناس يستحقون القطف، لكن لا بد من قطفهم. عدا عن هذا لا يجوز لي الحديث في شؤون المناجل*».

وعندما أجهشت بالبكاء، بذل الرأس السحابي ما بوسعه لمواساتها، لأن والديها كانا مشغولين بجُرحهما.

قال الرأس السحابي لها: «*يمكنني ضبط وحداتك المجهرية المزاجية من أجل تخفيف ألمك، لكن حزنك الآن هو الأفضل لصحتك*».

كرهت الرأس السحابي، تقريبًا بقدر ما كرهت الفتى الذي ساعد ذلك المنجل على قتل شقيقها. كل من في المدرسة نبذ روان داميش جراء ما فعله، لكن عبثًا، إذ صار روان تلميذ منجل وعلى الأرجح سيصبح منجلًا، مكافأة له على مساعدته في إنهاء حياة شقيقها. حسنًا، لا يمكنها أن تصب جام غضبها على روان، لكن لديها المجتمع بأكمله.

بدأت بالاستمتاع بدفع الطلاب الآخرين «دون قصد» وإسقاطهم على السلالم، وسرقة الهواتف، والمحافظ، وأشياء ثمينة أخرى ثم التخلص منها. صارت تتعمَّد إيذاء الناس، مع التظاهر بأنها فتاة بريئة مهذبة طوال الوقت.

لكن الرأس السحابي كان يعرف أمرها، رأى كل ما فعلته. اقترح عليها: «ربما يجدر بك أن تجدي مُتنفَّسًا إيجابيًّا لإحباطك وامتعاضك». لكن كيلا رفضت العمل بنصيحته، واستمتعت بمشاهدة تراكم نقاط الاستهجان في

سجلها، إلى أن جمعت أخيرًا ما يكفي من النقاط لوسمها مستهجنة. وعندئذٍ لم تعد مضطرة إلى سماع نصائح الرأس السحابي، إذ لا يتكلم الرأس السحابي مع المستهجنين. هكذا أفضل لها.

الحرف **م** الأحمر القبيح لم يظهر على بطاقة هويتها فحسب، بل في كل مكان. أُوقِفت بطاقتها الائتمانية، لأن المستهجنين لا يؤتمَنون في أي مكان، كما أُبعِدت من فريق التشجيع، لأن المستهجنين يُمنَعون من المشاركة في الرياضات المدرسية. وجميع صفحات التواصل الاجتماعي الشخصية الخاصة بها وُسِمت بالحرف **م** الأحمر الكبير، حتى يأخذ الناس حذرهم منها.

وخلال أقل من يوم، عرف جميع من في المدرسة بأمر كيلا، وظنت أنها ستشعر بالإذلال وبأنها افتُضِحت، لكنها شعرت بالثقة في مسارها الذي اختارته.

قالت صديقتها شايلا لها: «لا تقلقي يا كيلا، أيًّا كان سبب وسمك مستهجنة، أنا متأكدة أنه مؤقت، سوف تُرفع مكانتك في غضون بضعة أشهر، سوف ترين».

فابتسمت كيلا وردَّت: «شكرًا يا شايلا. بالمناسبة، حمالة صدرك المحشوة لا تخدع أحدًا، وزاك يخونك مع ريجينا سيسك».

ثم تركت كيلا المدرسة بعد أسبوعين ولم تلتفت إلى الخلف قط.

***

كانت لدى كيلا غرفة خاصة في عرين جماعة المستهجنين التي انضمت إليها، لكن بما أنها أحدث عضو في القطيع، كانت غرفتها هي الأصغر والأسوأ إضاءة، وخالية من النوافذ. في الحقيقة كان المكان شقة عادية، ولا يُطلق عليه اسم «عرين» إلَّا لجعله جاذبًا للمستهجنين.

في البداية رحب بها مستهجن متهكم بدين ذو أسنان ملتوية عمدًا: «مرحبًا بك في القطيع. لقلتُ إنني مسرور بلقائك، لكن لماذا أتظاهر؟».

قالت امرأة على خدها وشم قبيح بذيء لم تره كيلا قط: «تجاهلي ستيروكس، إنه يكره كل الناس بطبعه». عرَّفت بنفسها قائلة إن اسمها سبايدر ماو: «لكن يمكنك مخاطبتي بماو فحسب، مثل الآخرين».

اصطحبت ماو كيلا في جولة حول الشقة، التي كانت واسعة، فيها خمس غرف، غرفة لكل فرد. وبالإضافة إلى ماو وستيروكس، كان معهم ثراش، الذي بدت نظارة الواقع الافتراضي التي يستخدمها في ألعاب الفيديو كأنها جزء من وجهه، واكتفى بغمغمة غير مفهومة عندما حاولت ماو تعريفه بكيلا. وأخيرًا سلينكو، الذي كان في غرفته يلعب لعبة رمي السهام مستخدمًا أهدافًا تمثِّل صور أناس جميلين سعداء مبتسمين يعيشون معهم في المبنى.

قال سلينكو: «إذا سمح لي الرأس السحابي برمي السهام على أشخاص حقيقيين، لصارت الحياة تستحق أن تُعاش».

يقال إن سلينكو كان يطمح ذات يوم لأن يصبح منجلًا، لكن، كما يعرف جميع الناس، كل من يطمح لأن يكون منجلًا لا يقع الاختيار عليه أبدًا، إلَّا إذا وقع الاختيار عليه بوصفه تلميذ أحد مناجل التوجه الجديد، لكن حتى عندئذٍ، مناجل التوجه الجديد يفضِّلون اختيار الشبان الصالحين ليستمتعوا بإفسادهم.

تذمر سلينكو: «لا يُسمح للمستهجنين بقتل أحد قتلًا نهائيًّا أبدًا. الكون غير عادل».

سأل ستيروكس كيلا: «إذن ألديك اسم؟ أم نسميك 'تافِهة' فحسب؟».

أوضحت ماو: «هذا كان اللقب الذي أطلقناه على الفتاة التي كانت تشغل غرفتك، سئمتْ حياة المستهجنين وصارت مزعجة بسعيها إلى إصلاح مَسلكها. طردناها شر طردة حالما رفع الرأس السحابي مكانتها. لا مكان للصالحين بيننا».

***

كان أفراد القطيع يعملون في مستودع قديم على ضفة نهر بوتوماك، كان مكانًا تسوده الفوضى، كل شيء بداخله محطم ومحروق يتعذر التعرف عليه، مجرد حطام متفحم لا يجدي أحدًا نفعًا.

قالت ماو لكيلا: «عمَلنا هو تنظيف هذا المستودع».

- لا يبدو صعبًا.

- ليس صعبًا... لكننا خمسة فقط، ولم نحصل على أدوات سوى المجارف.

قال ستيروكس: «أجل، نعمل هنا منذ شهور، وبالكاد نظفنا ثلثه. عميل المزن يقول إننا سنعمل على هذه المهمة ستة أشهر أخرى على الأقل».

هزت كيلا شفتيها قائلة: «من يكترث؟ نحن مستهجنون برتبة هيليون، صحيح؟ لا أظنهم يتوقعون منا الكفاءة».

قال سلينكو مبتسمًا ابتسامة ساخرة: «حسنًا، *معظمنا* هيليون».

اتضح لكيلا أن ماو رتبتها أبوكالايت، في قاع الحضيض في نظر العالم، لكنها في قمة هرم المستهجنين! لم يسبق لكيلا أن قابلت أبوكالايت قط، ناهيك بأن تعيش مع واحدة. وحالما عادوا من العمل في اليوم الأول، شرعت كيلا، رغم إرهاقها، في التنقيب في الدماغ الخلفي لتعرف ما فعلته سبايدر ماو ذائعة الصيت حتى ترقَّت إلى أبوكالايت، لكنها لم تجد سوى شائعات نشرها الناس في مواقع التواصل الاجتماعي. يقول بعضهم إن ماو كانت صيادة تسبَّبت عمدًا في انقراض أنواع من الحيوانات، فاضطر الرأس السحابي إلى إعادتها إلى الحياة صناعيًّا. وقال آخرون إنها أغرقت غواصة لا لشيء سوى تجريب الموت غرقًا وقتلت معها مئة شخص. لكن أيًّا كان الجرم الذي ارتكبته ماو، فقد احتفظت بأمره لنفسها، وبدا أنها تستمتع بالشائعات المحيطة بها. لم تستطع كيلا إنكار أنها أحست بشيء من الغيرة. رغم أن الناس في مدينة كيلا بدؤوا يخشونها، فهي ما زالت بعيدة عن مكانة ماو، الحذر وعدم الثقة ليسا كالرهبة.

وكما قالت كيلا آنفًا، لم يكترث أحد بفاعلية المستهجنين في عملهم، وقد أثبتت هذا الاجتماعات الأسبوعية مع عميلة المزن غولي. ما دامت كيلا تمضي في عملها خمسة أيام أسبوعيًّا وأربع ساعات يوميًّا، لم تكترث غولي بمدى قلة العمل المُنجَز. كان عملًا قسريًّا، لكن على الأقل لم يُتوقَّع منهم القيام به دون مقابل، بل كانوا يتقاضون مبالغ جيدة، وهذا أمر مزعج عندما لا يكره المرء شيئًا بقدر كراهيته للرأس السحابي.

قالت غولي: «ابتعدي عن إثارة المتاعب فحسب». ثم استدركت وصححت نفسها: «أو ربما يجدر بي أن أقول: فلتكن متاعبك ضمن حدود مقبولة».

بَيد أن رسم الحدود لمستهجن يمثِّل تحديًا له لخرقها.

***

بعد الأسبوع الأول اصطحب رفاق العرين كيلا إلى 'شارع المستهجنين'، وهو شارع على جانبيه أندية وحانات ذات لافتات برَّاقة تعج بصاخبين جامحين يستمتعون بأوقاتهم.

أخبر سلينكو كيلا: «هذا هو الشارع الذي سارت فيه 'سيدة الموت العظمى' في طريقها إلى أداء مهمتها البغيضة».

قالت ماو: «أجل، لكن عندئذٍ لم يُطلق عليها سيدة الموت العظمى بعد. اكتساب لقب كهذا يتطلب وقتًا. والليلة ربما تبدئين رحلة اكتساب لقب لنفسك».

ذُهِلت كيلا من كثرة الأندية في شارع المستهجنين. رأت أماكن عديدة لتجارب فريدة. ثمة مطعم يمكن للمرء الذهاب إليه لإساءة معاملة الخدم، ومتجر ملابس باهظة يشجِّع على السرقة، ونادي قتال يرسل كل ليلة بضعة أشخاص إلى أقرب مركز إنعاش، والحفلات! جميع ألوان الحفلات لجميع الناس وشتى الاهتمامات. ما من شيء أو فعل بغيض ويتاخم خرق القانون إلَّا وله مكان في شارع المستهجنين.

لم تدخل كيلا أي نادي مستهجنين في حياتها، فتوخت الحذر وانتابها الفضول بالقدر نفسه.

نصحتها ماو: «وجود نشاطٍ ما هنا لا يعني أنك مُلزَمة بممارسته، افعلي ما تريدين فعله يا كيلا».

لكن في وهج مصابيح النيون الكثيرة البراقة اعترت كيلا رهبة ليست من سماتها. ولا بد أن ماو أدركت ذلك.

أوقفتهم ماو في الشارع والتفتت إلى رفيقتهم الجديدة في العرين وقالت: «فلنكتشف ما تحبينه. أتحبين تحطيم الأشياء أم إيذاء الأشياء أم مشاهدة الأشياء؟».

قالت كيلا: «امم... تحطيم الأشياء...».

- حسنًا، أتحبين *جعل* الناس يعانون أم *مشاهدة* الناس يعانون أم لا تكترثين البتة بما يشعر الناس به؟
- الأخير.
- حسنًا، سؤال أخير، أتفضلين أن تكوني مستهجنة وحدك أم مع شخص آخر أم ضمن مجموعة؟

لم تفكر كيلا بهذا، قبل هذه اللحظة كانت وحيدة في أسلوب حياتها المستهجن، راقها ذلك، لكن هل ذلك ما أرادته أكثر من أي شيء آخر؟ أن تكون المستهجنة الوحيدة بين الصالحين المستقيمين؟

قالت: «ضمن مجموعة. أريد أن أكون مستهجنة ضمن مجموعة».

ابتسمت ماو قائلة: «إذن أعرف تحديدًا المكان الذي ينبغي لنا الذهاب إليه الليلة!».

اصطحبتهم ماو إلى مكان بدا غريبًا تمامًا على شارع المستهجنين. ما من أضواء براقة، ولا فتية مشاكسين يتسكعون بالخارج بحثًا عن المتاعب. كان مبنى حجريًا ذا أعمدة رخامية بيضاء تحمل قوسًا منقوشًا عليه كلمة «متحف».

قال ستيروكس وهو يطقطق أصابعه: «فكرة جيدة، بوسعي الاستفادة من شيء من الثقافة الآن».

ثمة ردهة مسقوفة عند المدخل، استقبلتهم فيها امرأة بدت مهذبة ولبقة إلى درجة لا تليق بمنشأة مستهجنين، قالت: «مرحبًا بكم في غاليري دي باش، نعرف وفرة الخيارات عند البحث عن تجارب مميزة، لساني يعجز عن شكركم على تشريفنا بزيارتكم».

دفعت ماو لجميع رفاقها، واصطحبتهم المرأة إلى صالة بها أشياء عديدة معلقة على جدار، أنابيب فولاذية، ومضارب بيسبول، ومطارق ثقيلة، ومضارب غولف. لكنها لم تكن للعرض فحسب.

قالت ماو لكيلا: «اختاري بحكمة، مسموح لك باختيار واحد فقط».

اختارت كيلا مضربًا من الألمونيوم، وافقت ماو عليه قائلة: «ستنالين قيمة نقودك بهذا!».

ثم اقتادتهم المرأة عبر رواق إلى معرض خالٍ وقالت لهم: «آمل أن تستمتعوا بوقتكم، وإذا استمتعتم أرجو أن تخبروا أصدقاءكم!».

أغلقت الباب خلفهم. وران الصمت برهة، ثم انفتح الجدار الذي أمامهم كاشفًا عن صالة عرض متعددة المستويات، بها منحوتات برونزية ورخامية، ورفوف عرض أعمال خزفية وبلورية دقيقة. كان مشهدًا جميلًا.

وعندئذٍ أطلق ثراش صيحة حرب وهوى بمضرب غولف على نافذة عرض تحتوي على تماثيل زجاجية صغيرة، فهشَّمها كلها بضربة واحدة. وكانت ضربته كصافرة انطلاق سباق، فانضم إليه ستيروكس وسلينكو وماو، وشرعوا في تحطيم كل ما يرونه أمامهم.

دُهشت كيلا، وتحمَّست، لم يسبق لها أن رأت مثل هذا الدمار الشامل المفعم بالمرح، ولم تعرف إحساسها إزاء ما تراه.

تسلق ستيروكس صاعدًا إلى المستوى التالي، ثم قفز، وبضربة قوية بمطرقته كسر يد تمثال ديفيد الذي نحته مايكل أنجيلو، وصاح عندما سقطت اليد على الأرض وتطايرت أصابعها في شتى الاتجاهات.

زعقت ماو وهي تحطم أنف يوليوس قيصر: «ماذا تنتظرين؟ هذا ما جئنا من أجله!».

تساءلت كيلا: «لكن... هل التماثيل حقيقية؟».

صاحت ماو: «من يكترث؟». ودفعت الإمبراطور الروماني العظيم إلى الأرض فصار أنقاضًا.

بدأت كيلا ببطء، ببعض الأواني الفخارية، التقطت إناءً وأسقطته، وأسقطت آخر. ثم حملت مضربها وهشمت رف الأواني كله. وعندئذٍ وجدت الأمر سهلًا. نافذة عرض تلو نافذة عرض. تحطمت الأواني مصدرة ضجيجًا. لكن كيلا وجدت أن الخزف الصيني ذو الصوت الأجمل.

وعندئذٍ انفتح باب مكتوب عليه 'أمين المتحف'، وخرج منه رجل يرتدي ملابس أنيقة، على وجهه شارب رفيع بسُمك قلم رصاص ونظرة ارتياع.

ناح بهم: «ما الذي تفعلونه؟! أوقفوا هذا فورًا! هذه أعمال فنية لا تقدَّر بثمن! لا تقدَّر بثمن*!*».

التفتت ماو إلى ستيروكس وسألته: «أتريد نيل الشرف؟».

قال ستيروكس: «من دواعي سروري». ألقى مطرقته وراح يكيل للرجل لكمة تلو أخرى، حتى سقط مرتعشًا على الأرض متوسلًا الرحمة.

ومرة أخرى لم تستطع كيلا تحديد رأيها فيما تراه، فسألت ماو: «أينبغي أن نتوقف؟».

لكن ماو هزت رأسها وقالت: «لن نتوقف حتى نسمع الجرس!». ثم هوت بأنبوبها الفولاذي على رأس تمثال كانت كيلا تعرف أنه تمثال *المُفكِّر*، فطاح الرأس وسقط على الأرض ناظرًا إلى كيلا بعينين خاليتين من أي فكرة.

وعندئذٍ رأت كيلا النافذة، على الجانب البعيد من صالة العرض، بزجاج ملون بديع، يصور منظرًا جبليًّا وبحيرة وزهورًا بنفسجية وأشجارًا ممشوقة. لكن ما من مسار يؤدي إليها، والوسيلة الوحيدة لبلوغها هي تهشيم كل ما يعترض المسار.

أحكمت كيلا قبضتيها على مضربها، وبدأت التحطيم، تطاير الحطام والشظايا في كل الاتجاهات، بعضها جرح كيلا نفسها، لكنها لم تكترث، وسرعان ما وجدت إيقاعًا يناسبها، فأطلقت العنان لنفسها، واعترتها نشوة عارمة إثر كل ضربة.

هذه للمنجل الذي قطف أخي!

وهذه للفتى الذي ساعد المنجل!

وهذه لزملائي في المدرسة الذين تظاهروا بالحزن على أخي!

وهذه لوالدَي اللذين تمنَّيا سرًّا لو أنني قُطفت بدلًا من أخي!

وأخيرًا وصلت إلى النافذة. كانت بهية الألوان، جميلة، هشة. هشمتها بأكملها بضربة ماحقة واحدة. وحالما سقطت الشظايا على الأرض، رن الجرس.

قال ثراش: «مرحى! لم أر قط أحدًا يصل إلى النافذة!». وعلى الأرجح كان قوله أول جملة مكتملة سمعتها كيلا من ثراش.

غمغم ستيروكس: «حظ المبتدئين».

قال سلينكو: «كِيلا؟ ينبغي أن يكون اسمك *كيلر*(1)، أظننا وجدنا اللقب المناسب لك».

قالت ماو مفكرة: «كيلر... يعجبني... لكن ليس بعد، لا بد أن تكون جديرة بلقبها، وهذا لا يحدث في ليلة واحدة».

انسلت ماو ورفاقها خارجين عبر باب مكتوب عليه ‘مخرج طوارئ’، لكن كيلا لم تكن مستعدة للمغادرة بعد، أرادت أن تنظر بإعجاب إلى عمل أيديهم،

---

(1) تعني ‘قاتلة’. (المترجم)

لكن عندما نظرت إلى ما حولها، لاحظت أمين المتحف ما زال ممددًا وسط كومة من الرخام المحطم، فاقتربت منه لتساعده على النهوض، لم تتوقع منه شكرًا، كما لم تتوقع منه ردة الفعل التي بدرت منه.

انكمش الرجل حالما رآها، وقال لها بحدة: «ماذا تفعلين؟ لماذا ما زلتِ هنا؟ مدتكم انتهت، غادري بسرعة».

- أريد أن... هل أنت بخير؟

مسح لطخة دم من أنفه وقال: «إنني بخير بالطبع، أو سأكون بخير في غضون دقيقة أو دقيقتين. والآن من فضلك عليك أن تغادري، أمامنا عشر دقائق فقط لإعادة تجهيز المكان».

لاحظت كيلا أن تورم وجه الرجل من لكمات ستيروكس بدأ يتلاشى. الوحدات المجهرية الشفائية الفائقة وحدها تعمل بهذه السرعة.

ومن ثم، من حيث لا تدري كيلا جاء طاقم مكون من عشرة عمال لتنظيف المكان من الحطام، وجاء آخرون يدفعون أمامهم واجهات جديدة لعرض الأواني والأعمال الخزفية والفخارية.

قالت كيلا: «إذن... لم يكن ذلك حقيقيًّا».

- هل أحسستِ بأنه حقيقي؟

- نعم... نوعًا ما.

- هذا كل ما يهم، أليس كذلك؟

عندما رأى أمين المتحف الحيرة مرتسمة على وجه كيلا، مال مقتربًا منها قليلًا وتكلم بصوت أخفت: «اسمعي، أحقًّا تظنين أن الرأس السحابي قد يسمح لكم بتدمير أعمال فنية أصلية ثمينة؟ يا سيدتي، العالم يعج بفنانين لا يفعلون شيئًا سوى صنع نسخ من الأعمال الفنية القديمة، وتلك النسخ لا بد من توظيفها لغايةٍ ما. في الحقيقة إنكم تقدمون لنا خدمة».

ثم رأت كيلا عند بداية صالة العرض تمثال ديفيد جديدًا يُدفع فوق عجلات ليحل محل التمثال الذي حطمه ستيروكس.

قال أمين المتحف: «والآن اذهبي حتى نجهز المكان. وتعالوا لزيارتنا مرة أخرى!».

***

وبعدما عادوا إلى المنزل في تلك الليلة، ذهبت ماو لتفقُّد كيلا في غرفتها.

قالت ماو: «يسعدني أنك معنا، سوف تنسجمين معنا. أحيانًا ينجح عملاء المزن في عملهم».

لم تستطع كيلا منع نفسها من السؤال، ربما لأنها ما زالت متحمسة من عملية التخريب المسموح بها، أو ربما لأنها أحست بأن ماو تشبهها، أيًّا كان السبب، تجاسرت على طرح السؤال الذي يتحاشاه الجميع: «ماو... ماذا فعلتِ حتى نلتِ رتبة أبوكالايت؟».

لم تتهرب ماو من السؤال، كما لم تكتفِ بترديد إحدى الشائعات، بل جلست على طرف سرير كيلا وقالت الحقيقة:

«ستيروكس يحلم بأن يكون تلميذ منجل، لكنه لا يعرف، ولا أحد منهم يعرف، أنني كنت تلميذة منجل ذات يوم. ربما واحد من كل خمسة تلاميذ يصبح منجلًا، لكن لا أحد يفكر بالآخرين، نختفي في الحياة العادية فحسب. لكن بعدما يكون المرء منجلًا متتلمذًا لن تكون حياته عادية أبدًا. على أي حال، ثمة منجل كان يراقبني، المنجل تشاندلر، كان عضوًا في لجنة الترصيع ووعدني بأنني سأجد منه معاملة خاصة إذا منحته *معاملة خاصة*. لكنني قلت له لا. ومن ثم، عندما حان موعد الاختبار النهائي، نجحت فيه دون مشكلة. لكن رغم ذلك لم يقع الاختيار عليَّ. خسرت في التصويت. خسرت المنجلية بسبب صوت واحد. صوت المنجل تشاندلر».

- يؤسفني سماع هذا.
- لا داعي للأسف. لأصبحت منجلًا سيئة، لما استطعت أبدًا أن ألتزم بأداء مهمة واحدة لبقية حياتي.

صمتت ماو هنيهة لتفكر، ثم تابعت: «على أي حال، بعد ذلك اخترت أسلوب حياة المستهجنين. أصبحت سبايدر ماو، وتروقني حياتي الجديدة. بالمناسبة، قصة الغواصة حقيقية، لكنني الوحيدة التي غرقت، فارتقيت من هيليون إلى بانديمون. كان من الممكن أن تنتهي قصتي عند هذا الحد... لكن بعد بضع سنوات، صادفتُ المنجل تشاندلر في إحدى حانات المستهجنين. كان يبحث عما يبحث عنه أمثاله، وظن أنه يمكنه العثور على مراده بين المستهجنين. اقترب مني وغازلني، ولم يتعرف عليَّ. أيمكنك تصديق هذا؟ كنتُ تافهة في نظره إلى هذه الدرجة. لذا قررت استغلال الوضع. بدلًا من

مجاراته في لعبته، بدأت لعبتي أنا. لم أمنحه ما أراده... وهذا زاد من رغبته فيَّ. راوغته وتلاعبت به، وفي النهاية جعلته يقع في حبي. من المفترض ألَّا يقع المناجل في الحب، لكنه وقع. وعندما تأكدت أنني نِلت منه، أخبرته بأنني خدعته، وبأنني أمقته، وبأنه يثير اشمئزازي». صمتت ماو وتمهلت مفكرة في الذكرى، ثم تابعت: «وفي اليوم التالي قَطَف نفسه».

- ماذا؟ فعل ماذا؟

- كان انتقامًا مثاليًّا. لم يستطع أحد أن يحمِّلني مسؤولية ما فعله بيديه. ولم يعرف أحد. لا أحد سوى الرأس السحابي. استُدعيت إلى واجهة السلطة في اليوم التالي، وقيل لي إنني بلغت دركًا سحيقًا في عالم المستهجنين. صِرتُ أبوكالايت.

لم تعرف كيلا ما عساها أن تقوله، استشعرت مرارةً وفخرًا أيضًا في كلام ماو، وإنجازًا وفشلًا. فلاذت بالصمت احترامًا للحقيقة التي شاركتها ماو معها.

قالت ماو لكيلا وهي تنهض لتغادر: «احتفظي بما قلته لك لنفسك. إذا احتفظت بالسر فسنكون أصدقاء، وإذا لم تحتفظي به... فلن نكون».

ارتعدت كيلا، إذ لم يخطر لها ما هو أسوأ من إثارة عداوة ماو.

***

ظلت كيلا وقطيعها يذهبون كل ليلة جمعة إلى شارع المستهجنين، ويمارسون نشاطًا مختلفًا كل مرة، لكن أيًّا من الأندية والحفلات لم يكن لها أثر عميق مثل تجربة غاليري دي باش. ربما لأن كيلا لم تكن تعرف عندما ذهبت أول مرة أن جميع الأندية والأماكن في شارع المستهجنين مصطنعة ومسرحية. كان ينبغي أن تدرك، بما أن العالم يديره الرأس السحابي، أنَّ ما من نادي مستهجنين يمكن أن يكون غير خاضع لسيطرته. الرأس السحابي هو راعي ومنظِّم جميع أنشطة المستهجنين، مما يعني أنه مهما بدت الأنشطة مستهجنة، فهي مجرد محاكاة للسلوك السيئ.

قالت ماو لها عندما أبدت تذمرها: «إنك تفكرين كثيرًا، عليك بمجاراة الوضع، وستكونين أسعد».

لكن كيلا عجزت عن تجاهل حقيقة أن كل شيء مصطنع، وعقدت عزمها على خوض تجربة حقيقية.

***

- ما هذا الذي تنظرين إليه؟

كان من عادة ماو رغبتها في معرفة شؤون الآخرين. فكرت كيلا في الكذب لكنها رأت أن ماو ينبغي أن تعرف، لأنه إذا اتضح أن كيلا محقة، فسوف تحتاج إلى ماو، سوف تحتاج إلى جميع رفاقها في العرين. لذا وجَّهت كيلا شاشتها نحو ماو حتى ترى.

كانت كيلا تنظر إلى صورة جوية وجدتها في قاعدة بيانات جغرافية محلية، مبنى يبدو عاديًّا، لكن فيه عددًا من البوابات والسياجات، مثل مباني عصر الفانين، عندما كان الناس يحمون الأشياء التي ينبغي أن تظل بالداخل أو الأشياء التي ينبغي إبعاد الناس عنها.

قالت ماو: «امم، أتعرفين ما هذا؟».

- لفت انتباهي لأنه دون تسمية. كل شيء لديه تسمية على الخرائط، صحيح؟

- عادةً.

- لذا نقبت في الدماغ الخلفي وعثرت على صورة للمدخل الخلفي.

كبَّرت كيلا الصورة على الشاشة، فظهرت لافتة مكتوب عليها بوضوح **عقدة دماغية 207**.

قالت ماو: «مرحى! الجائزة الكبرى!».

يعرف كل الناس أن لدى الرأس السحابي خوادم تُسمى العُقد الدماغية، موزعة في جميع أنحاء العالم، تحتوي على ثروة المعارف البشرية وذكاء الرأس السحابي الخارق، لا أحد يعرف مكانها تحديدًا، ولا يكترث بمعرفته كثيرون. ظل الرأس السحابي يتولى خدمة وصيانة نفسه بنفسه.

- كيلا، هل تفكرين بما أظن أنك تفكرين به؟

ابتسمت كيلا قائلة: «لماذا نكتفي بشارع المستهجنين بينما لدينا شيء حقيقي يمكننا تدميره؟!».

فركت ماو يديها معًا كمُحتالة جشعة، وقالت: «هذه فكرة جديرة بهيليون!».

***

كان ستيروكس يعرف شخصًا لديه شاحنة غير متصلة بالشبكة كبيرة بما يكفي لتحطيم البوابات. وثراش أنشأ برنامجًا خبيثًا يمكنه أن يعطل مؤقتًا بعض كاميرات الرأس السحابي الرئيسية في مجمع الخادم. لكن ماو هي من قدمت المساهمة الأهم، فبوصفها أبوكالايت، كانت لديها شبكة علاقات واسعة مذهلة، في غضون ساعات تواصلت مع صديق قديم كان يحب العبث بالمتفجرات.

حذَّرتهم ماو: «لكن علينا أن نتوخى الحذر. إذا تسببنا في شموت شخص، فسوف يفرقون قطيعنا، ويرسلوننا إلى مدن مختلفة. وإذا تمادينا فأنهينا حياة أحد بطريقة تجعل إنعاشه متعذرًا...» لم يكن عليها إكمال كلامها، فكل من يفعل ذلك يُسلَّم فورًا إلى هيئة المناجل، فيقطفونه بناءً على أن إنهاء وجود شخص يمثِّل انتحالًا لشخصية منجل.

اكتمل وضع الخطة سريعًا، واتفقوا جميعًا. قالت ماو: «كأن خطتنا مقدر لها النجاح!».

تناوب أفراد القطيع على الاستطلاع وتعقب الداخلين والخارجين عبر بوابات المبنى. معظم ما في المكان بدا أنه يُشغَّل آليًّا، لكن كان يوجد عنصر بشري، ضابطا سلام عند البوابة الرئيسية، وفرق فنيي الرأس السحابي، فنيي السحابة، اسمهم حتى من قبل أن يحقق الرأس السحابي الوعي، جميعهم يرتدون أزياء رمادية حرارية، إذ تبلغ درجة حرارة بيئة الخادم 20 درجة مئوية تحت الصفر. كان فنيو السحابة يعملون بمناوبات مدتها ست ساعات، تبدأ وتنتهي عند الثانية عشرة والسادسة، ولا يتجاوز عدد الفنيين عشرة في أي وقت.

قالت كيلا لهم: «رغم عدم قدرتي على رؤية الداخل، تمكنت من الاطلاع على مخططات لعقد دماغية قديمة، ويبدو أنها تطابق الأبعاد الأساسية لهذه العقدة. هناك منصة مراقبة خارجية، مطلة على الجزء المركزي، يبلغ قطرها قرابة خمسين ياردة. ومحركات أقراص التخزين موجودة في رفوف كالأعمدة

في الجزء المركزي، قريبة بحيث لن يتطلب تفجيرها جميعًا سوى بضع شحنات كهربية».

قال سلينكو: «سيكون من الممتع مشاهدة الرأس السحابي وهو يصاب بسكتة دماغية!».

حذرت ماو: «أجل، لكن لا تقتربوا كثيرًا، وإلَّا فلن تتمكنوا من الخروج سالمين».

خططوا لبدء هجومهم عند الرابعة صباحًا، يوم أحد، عندما لا يكون أيٌّ من المناوبين في أفضل حالاته. عند اقترابهم من المبنى، شغل ثراش برنامجه الخبيث، الذي من المفترض أن يجمِّد صور جميع الكاميرات في المجمع. قال: «ستنقضي خمس دقائق على الأقل قبل أن يتمكن الرأس السحابي من التغلب على البرنامج».

قالت ماو: «علينا أن نتحرك سريعًا. لا مجال للتراجع الآن!». كما لو أن أحدهم قد يتراجع.

الحراس المتمركزون عند البوابة الخارجية لم يكونوا مشكلة، خرجوا من كابينتهم عندما رأوا الشاحنة تقترب، كانوا أهدافًا سهلة. بالإضافة إلى المتفجرات جلبت ماو معها قنينة مخدر قوي، وكان سلينكو بارعًا في رمي السهام. سقط الحراس قبل أن تصل الشاحنة إلى البوابة وتقتحمها. أما البوابة الثانية، فلم يكن عندها حراس، مجرد كاميرات أُصيبت بالعمى مؤقتًا، وكانت البوابة أكثر صلابة من الخارجية، لكنها سقطت أمام قوة الشاحنة ذات الأحصنة الخمسمئة وغير المتصلة بالشبكة.

المبنى الذي فيه العقدة الدماغية رقم 207 مشيد بخرسانة سميكة، يصعب اختراقها، لكن مِنعة أي مبنى تتوقف على منعة مدخله، وهذا المدخل بابان زجاجيان منزلقان، يجري التحكم بهما بلوحة مفاتيح رقمية. شرع ثراش في العمل محاولًا حل شفرة لوحة المفاتيح، لكن ستيروكس لم يحبذ الانتظار.

قال: «سحقًا لهذا»، وركل أحد البابين الزجاجيين، فتهشم إلى ألف شظية. «ها نحن أولاء، بسهولة تامة».

اندفعوا إلى الداخل، وفاجؤوا الفنيين السحابيين، الذين كانت بدلاتهم الحرارية سميكة، لكن سلينكو كان قد شحذ سهامه فجعلها شديدة الحدة،

أصابهم فأوقفهم في أماكنهم، وسقطوا جميعًا، فلم يعد شيء يحول بين القطيع والجهاز المركزي.

بدت أرفف الخادم مثل صواعِد بلورية منبثقة من الجزء المركزي، مليئة بأزرار مضيئة ملونة، تومض وتتلألأ مثل أجمة من أشجار موسم الهدايا.

قالت كيلا: «جميل».

قال ستيروكس: «أجل، من المؤسف أننا سنفجرها». وضحك.

كان يوجد منحدر يقود إلى الأسفل إلى الجزء المركزي قارس البرودة، وازداد برودة مع هبوطهم. بدت الأرفف أطول عند النظر إليها من الأسفل، شامخة فوقهم بضعفَي طولهم.

قالت ماو: «ربما تتطلب هذه تفجيرات أقل مما ظننا. تبدو ثقيلة جدًّا، فلنضع المتفجرات في أماكن استراتيجية، وستسقط الأرفف الباقية مثل قطع الدومينو».

تفرقوا ومع كل واحد منهم مجموعة متفجرات. ماو، وستيروكس، وسلينكو، وثراش تفرقوا إلى الاتجاهات الأربعة، وتولت كيلا المنتصف، مكافأة لها على عثورها على هذا المكان. صعُب على كيلا تخيل أن المادة الشبيهة بالمعجون الموصلة بالمفجر لديها القوة الانفجارية اللازمة لتدمير المكان بأكمله، لكن ما إن وُضعت في أماكنها وجُهِّزت، بدت مرعبة.

ومن ثَم، حالما تجمعوا عند أسفل المنحدر، دوَّت صافرات في كل مكان حولهم.

زعقت ماو: «انتهى الوقت! فلنخرج ونفجِّر!».

لكن صافرات الإنذار أفزعت سلينكو، الذي كان يحمل جهاز التفجير عن بعد، وبدلًا من انتظار رفاقه حتى يبتعدوا، ضغط زر التفجير وكلهم ما زالوا أسفل المنحدر.

انفجرت المتفجرات دفعة واحدة، فقُذِفت كيلا إلى منتصف المنحدر، ثم انهال عليها الزجاج المهشم، ففقدت سمعها فورًا، وملأ الطنين رأسها. ومن خلال الدخان رأت ستيروكس يحاول النهوض وهو يسحب من ذراعه شظية حطام من الخادم، ورأت ثراش يصعد المنحدر متعثرًا، نافذًا بجلده متجاهلًا بقيتهم، كعادته.

ثم رأت كيلا ماو، كانت عالقة تحت كتلة ضخمة من أرفف خادم، وسلينكو يحاول رفعها لكنه ليس قويًا بما يكفي لرفعها وحده.

زعقت ماو: «أيها الأبله! إذا انتظرت خمس ثوانٍ لابتعدنا إلى منطقة آمنة!».

قال سلينكو: «آسف! لم أقصد التفجير باستعجال!».

انضمت كيلا إليه، ومعه تمكنا من تحرير ماو، التي أصابتها رضوض ولم تبدُ عليها إصابة كسر. أمرتهما: «حسنًا، فلنذهب، هيا، هيا!».

لم يكن سلينكو يحتاج إلى دعوة ثانية، فانطلق خلف ثراش وستيروكس تاركًا ماو تعرج خلفهم.

لكن كيلا لبثت في مكانها.

التفتت إلى الحطام لتستوعب عمل أيديهم، وعندئذٍ وقد بدأ الغبار ينحسر، بدا واضحًا أن حملتهم التدميرية نجحت نجاحًا باهرًا، لم يبق سوى رف واحد من الخوادم ما زال واقفًا، من بين مئة تقريبًا. لكن رغم رضا كيلا بنجاح المهمة، أحست بأن ثمة شيئًا مقلقًا بشأن كل ما حدث، مقلقًا وعلى نحوٍ ما مألوفًا.

ما زالت صافرات الإنذار تدوي فيما حولها، لكن لم يأت أحد، حتى المسيرات التي تظهر عادة في مثل هذه المواقف لتقييم الأضرار. أليس من المفترض أن ينتبه الرأس السحابي لخرق أمني بهذه الفداحة؟ هل تمكن قطيع مستهجنين واحد من مباغتة الرأس السحابي حقًّا؟ هل يعقل أن يكون عرضة للاختراق إلى هذه الدرجة؟

بدلًا من اللحاق برفاقها للهروب بسرعة ظافرين، عادت كيلا إلى الداخل، وزحفت فوق الحطام دون أن تدري ما تبحث عنه على وجه التحديد. وأخيرًا وصلت إلى الرف الوحيد المتبقي، رأت أن مصابيحه الصغيرة الملونة ما زالت تومض وتتلألأ كأنها لم تعرف أن كل الأرفف الأخرى دُمرت. دفعته كيلا بكامل وزنها حتى انقلب على الأرض.

لم يكن الرف مثبتًا بقاعدته الخرسانية، كما لم تتصل به أسلاك، ولا قنوات، لم يكن يوصله شيء بالأرفف الأخرى. مفهوم أن دماغ الرأس السحابي يعمل لا سلكيًا، لكن لا بد من توصيل كل رف بمصدر طاقة رئيسي، أليس كذلك؟

ثم وجدت كيلا مصدر الطاقة. عثرت على حاوية بلاستيكية صغيرة أسفل الرف المقلوب، وفتحتها ورأت...

بطاريات.

ثلاث منها.

كانت صغيرة بحيث تُحمَل في راحة اليد، من النوع الذي يستخدَم في ألعاب الأطفال، وإطلاقًا لا تكفي لتشغيل حاسوب ضخم، لكنها تكفي لتشغيل بضعة أزرار وامضة. وإذا توفر عدد كافٍ منها يمكنها جعل غرفة بأكملها تومض وتتلألأ.

«كيلا! ماذا تفعلين؟ علينا أن نغادر هذا المكان!».

التفتت كيلا فرأت أن ماو تبعتها.

صاحت ماو: «فعلنا ما جئنا لفعله، فلنغادر الآن قبل القبض علينا!».

لكن كيلا لم تتحرك. وهي تجول بناظريها فيما حولها أدركت السبب الذي جعل الحطام يبدو مألوفًا، بدا كالحطام الذي تركوه خلفهم في غاليري دي باش، والأهم من هذا، بدا مثل حطام المستودع الذي يعملون فيه. مثله تمامًا. كانت كيلا قد تساءلت عن ماهية ذلك الحطام، لكنها لم تهتم إلى درجة إيجاد إجابة لتساؤلها.

- كيلا! ما خطبك؟ فلنذهب!

ما زالت صافرات الإنذار تدوي. لم يأتِ أحد. وتجمدت كيلا، ليس من البرد، بل بالإدراكات المتلاحقة في عقلها، كمزيد من قطع الدومينو المتساقطة.

قالت كيلا: «بدوتِ متحمسة جدًّا عندما عثرتُ على هذا المكان. لكن هل تحمستِ حقًّا؟ عرفتِ أنني أبحث عن هدف... وفجأة وجدتُ هدفًا».

- ما الذي تتحدثين عنه بحق الجحيم؟

نظرت كيلا إلى الدمار الذي حولهما وسألت: «منذ متى تتلاعبين بنا يا ماو؟ هل أنت مستهجنة؟».

بدت ماو كأنها أحست بإهانة شديدة، وقالت: «أنا أبوكالايت!».

- ومع ذلك تعملين لصالح الرأس السحابي، مما يعني أنك عميلة مزن!

ترددت ماو، ربما فكرت في مدى جدوى الإنكار، ثم قالت: «جميع المستهجنين الأبوكالايت عملاء مزن».

ها هي ذي، الحقيقة القابعة خلف قطعة الدومينو الأخيرة. بدا كل شيء منطقيًّا لكيلا الآن، كيف لم تستطع اكتشاف المهزلة؟ هل صدقت حقًّا أن

ثراش يمكنه إنشاء برنامج خبيث قادر على تعطيل كاميرات الرأس السحابي؟ ثراش؟ الذي لا يستطيع ربط فكرتين معًا ربطًا منطقيًّا؟ لكن عندما يريد المرء اعتقاد شيء، لا تتطلب تغذية اعتقاده أكثر من حفنة بطاريات.

- هل أيٌّ من هذا حقيقي يا ماو؟

نظرت ماو إليها بتحدٍّ قائلة: «حقيقي بالقدر المطلوب».

وعندئذٍ ظهر من خلفها أحد العمال الذين يرتدون زيًّا رماديًّا. فني سحابي. كان سلينكو قد أفقد الفنيين السحابيين وعيهم بسهامه المخدرة. لكن هل فعل حقًّا؟ ماو هي التي جلبت المخدر.

قال الفني السحابي: «ينبغي ألا نسمح لها بالمغادرة».

قالت ماو له: «لنا أن نسمح لها بالتأكيد. *كيلر* لن تفشي السر».

- لا تعرفين هذا على وجه التأكيد.

قالت كيلا مع نفسها: *كيلر... أهذا يعني أنها صارت جديرة باللقب؟*

ابتسمت ماو قائلة: «كيلر مثلي، ألستِ كذلك يا كيلر؟ لن تفشي السر لأنها من الآن سترتقي من هيليون إلى... بانديمون».

قالت كيلا مع نفسها: *بانديمون، الرتبة السابقة لأبوكالايت*. سوف تحظى بانبهار المستهجنين الآخرين واحترامهم. كيلر ستحظى به. بدأت تفكر مليًّا.

وعندئذٍ سمعوا ستيروكس يناديهم من بعيد.

قالت ماو للفني السحابي: «اذهب، لا تدعه يراك».

غادر الفني السحابي مذعنًا، انحنى وتسلل مبتعدًا عبر الحطام.

اقتربت ماو من كيلا وقالت: «أعرفك يا كيلر، أعرف ما تريدينه. ترغبين بشدة في القوة التي يشعر بها المرء عندما يدمر، لكن ثمة أشياء قليلة أقوى من القدرة على اختراق حُجُب الواقع. والآن أريتك المزيد! أريتك قوة القدرة على تدمير فعل التدمير نفسه. لا تتنكَّري لقدراتك يا كيلر، تقبليها!».

وفي تلك اللحظة عرفت كيلا ما عليها فعله، لم تفكر كثيرًا، تحركت فحسب، انحنت والتقطت شظية بلورية من العقدة الدماغية المزعومة وغرزتها عميقًا في بطن ماو.

وبعد لحظات رأى ستيروكس والآخرين كيلر قادمة بين الحطام وهي تحمل ماو.

قالت كيلا: «ساعدوني، أصابها فني سحابي!».

ساعدوها على حمل ماو إلى الشاحنة.

قال سلينكو وهو يتفقد إصابة ماو في أثناء ابتعادهم مسرعين بالشاحنة: «الجرح غائر، لكن لا أظنه سيتسبب في شِموتها».

وبالفعل توقف النزيف بفضل الوحدات المجهرية الشفائية، وبدا أن ماو ستتعافى في غضون يوم أو يومين حتى دون علاج في مستشفى.

ظلت كيلر قريبة من ماو، وأسندت رأسها على حجرها في أثناء هروبهم. نظرت ماو إلى كيلر بعينين مشوشتين، لكنها ما زالت واعية.

سألتها: «أكان ذلك ضروريًّا؟».

أقرت كيلر: «لا. لكن ألا يبدو هذا أكثر واقعية؟».

ابتسمت ماو لها ابتسامة باهتة وقالت: «اللعنة! إنك محققة. سوف تصبحين أبوكالايت عظيمة ذات يوم».

وافقتها كيلا، فذلك ما تعوِّل عليه.

دقيقة مريخية

«إذا وُجِد مكان مشرق في المجموعة الشمسية، فمكاننا هذا هو الأبعد عنه».

- *هذا ليس الاقتباس الصحيح يا كارسن.*

قال كارسن لَسْك: «أعرف، لكننا لسنا منتشرين في جميع أنحاء المجرة، أليس كذلك؟ ومَن سألك على أي حال؟».

كدأبه دومًا رد الرأس السحابي برحابة صدر: «*لا أحد. إنني أقدم التنوير فحسب*».

انتظر كارسن تعقيب الرأس السحابي على تعليقه كما يفعل عادةً، واليوم لم يكن استثناءً: «*ذلك الاقتباس ليس صحيحًا حرفيًّا ولا مجازيًّا للسببين التاليين: (أ) المريخ هو الكوكب الرابع من الشمس، يصل إليه قدر كافٍ من ضوء الشمس. و (ب) بدلًا من قتامة القلب أستشعر هنا كثيرًا من البهجة عند الناس، حتى عندك أنت أحيانًا*».

قذف كارسن مفتاح ربط على سماعة الروفر، وقال: «إليك هذا، أتجده حرفيًّا بما يكفي؟».

ظل الرأس السحابي هادئًا بالطبع: «*يمكن أن أسجل عليك نقطة استهجان لقذفك المفتاح، لكنني لن أفعل، لأنني أعرف أنك تقصد أن تبالغ في ردة فعلك فحسب*».

ارتطمت الروفر بمطب حاد على الطريق الترابي، مطب كان بوسع الرأس السحابي تفاديه، لكن كارسن كان يتحكم بالعربة يدويًا. مع ذلك كان بوسع الرأس السحابي تنبيهه، لكنه لم يفعل، هكذا يتصرف الرأس السحابي بعدائية سلبية. وقد أثار امتعاض كارسن.

قال كارسن مبتسمًا ابتسامة ساخرة: «أتعرف ما أريده الآن؟ أريد أن أعرف سعر الشاي الآن في بان آسيا».

سأله الرأس السحابي: «*لماذا تريد أن تعرف؟*».

- هذا ليس من شأنك. طلبت منك طلبًا، وواجبك أن تلبي طلبي.

- *بالطبع. سآتيك بالرد بعد عشر دقائق وأربع ثوانٍ.*

ثم صمت الرأس السحابي.

شمت كارسن بالرأس السحابي في قرارة نفسه. الرأس السحابي لديه عقدة دماغية هنا في المريخ من أجل تسريع الردود وإدارة الكوكب، لكن دماغه الخلفي بأكمله في الأرض، التي تبعد حاليًّا قرابة خمس دقائق ضوئية، لذا يستغرق وقتًا أطول للوصول إلى المعلومة في الأرض والعودة بالإجابة إلى المريخ. وفي هذه الأثناء يترك كارسن وشأنه. بالطبع بإمكان كارسن أن يأمر الرأس السحابي بالصمت، لكن أين المتعة في هذا؟ فضَّل إرساله في مهمة بلا جدوى. راق له اعتقاد أن مثل هذه المهمات تذكِّر الرأس السحابي بأنه مجرد خادم.

خلافًا للبطل سيئ الطالع من فيلمه المفضل[1] الذي يعود إلى عصر الفانين، مصدر اقتباسه الخاطئ، لم يكن كارسن لَسْك يعمل في مجال حصد المياه من رطوبة الهواء، مغامرة تلك الشخصية بدأت عندما قُتل عمه وعمته بوحشية على يد جنود إمبراطورية شريرة. لكن كارسن ابن مُعدِّنَي كربون في كوكب قاحل. بيد أن ما من خلاص لكارسن كالذي وجده بطل الفيلم، إذ لم تعد توجد إمبراطوريات شريرة، لم يعد يوجد حاكم سوى الرأس السحابي الخَيِّر إلى درجة لا تطاق. وموت والديه؟ أمر غير وارد. حتى المناجل غير موجودين في المريخ، وعلى الأرجح لن يوجدوا لألف عام. يبلغ تعداد سكان مستعمرة المريخ نحو عشرة آلاف، لذا ثمة مجال متاح لازدياد الأرقام.

(1) يُقصد به فيلم حرب النجوم. (المترجم)

ارتجَّت الروفر وتأرجحت على التضاريس الوعرة، إلى أن بلغت قمة هضبة، ومنها رأى كارسن صفوف الحفَّارات الضخمة التي تخترق سطح المريخ كإبر العلاج بالوخز التي تعود إلى عصر الفانين. وقد كان الغرض منها مشابهًا، لأن تلك الحفارات، على نحوٍ ما، نُصِبت من أجل شفاء الكوكب، أو على الأقل تحسين مناخه. كانت تتحرك باستمرار، وتستخرج خام الكربون الذي يمزَج مع الأكسجين لتكوين ثاني أكسيد الكربون، الغاز السحري الذي سيجعل لاحقًا الكوكب أدفأ وذا غلاف جوي أفضل. الغريب في الأمر هو أن هذا الغاز نفسه الذي كان ذات يوم يهدد مستقبل كوكب الأرض صار مهمًّا جدًّا لمستقبل المريخ.

ظل الرأس السحابي ووالدا كارسن يذكِّرونه دومًا بمدى أهمية عمله، وبأنه أهم من معظم ما يفعله الناس في الأرض، ولهذا أصبحا مستعمرَين في البداية: من أجل إضفاء معنى على حياتهما. بيد أن كارسن، الذي كان يبلغ التاسعة عندما غادروا الأرض، لم يؤخذ برأيه في الأمر. لم ينس ذكريات حياته في الأرض، لم ينس حقول وسطمريكا الخضراء وتلالها المتموِّجة، أو على الأقل الجزء الصغير من وسطمريكا الذي أتيحت له رؤيته قبل أخذه من الكوكب عنوة. والآن ما من خضرة سوى أسفل قبة المستعمرة، والتلال التي خارج القبة مجدبة لن تتمخض فيها حياة قبل قرون.

سأل الرأس السحابي ذات يوم: «لماذا؟ لماذا تكلف نفسك عناء فعل هذا؟».

شرح الرأس السحابي له بصبره اللامتناهي: «*تقتضي الحتمية البيولوجية لأي مخلوق أن يتكاثر ويوسع نطاق بيئته، لا أفعل شيئًا سوى تسهيل توسعكم الطبيعي إلى خارج حدود كوكب الأرض*».

بدا كلام الرأس السحابي لكارسن ترهات فارغة، ورآه شديد الغرور بنفسه. إذا كان الرأس السحابي يهتم لأمره حقًّا كما يزعم، لوجد طريقة لإبعاده عن هذه الصخرة.

كان الرأس السحابي قد قال له أكثر من مرة: «*عندما تصبح مستعدًّا تمام الاستعداد لرحلة عودة إلى الأرض، سوف تظهر لك الوسيلة بنفسها*».

مزيد من الكلمات الفارغة.

سلك كارسن مسارًا شديد الانحدار إلى الوادي متجهًا إلى موقع الحفارات. بما أنه كانت هناك اثنتان وخمسون بئرًا أربع منها بالعرض وثلاث عشرة بالطول، سُميت كل حفارة باسم ورقة لعب. الحفارة المعطوبة كانت ملك البستوني، آخر واحدة في الصف الأول. اتضحت المشكلة لكارسن عند اقترابه، كان رأس الحفارة الضخم مكسورًا.

أخطر والده عبر اللاسلكي.

قال والده: «أحسنت عملًا يا كارسن. سأطلب رأس حفارة جديدًا».

على الأقل كانت المشكلة ظاهرة بما يكفي لعدم اضطرار كارسن إلى ارتداء بدلته والخروج إلى الحفارة. كان يمقت الإحساس الخانق الذي يعتريه عندما يرتدي بدلته الفضائية، إذ تفوح منها رائحة عرقه دومًا، وبقايا رائحة قيء تعود إلى وقت انخفض فيه مخزون الأكسجين لديه وتقيَّأ فيها. بدلات الفضاء. شيء آخر لن تتطلبه الحياة في الأرض.

«*0.23 ائتمان لكل كيلو*». تكلم الرأس السحابي فجأة فأجفل كارسن.

- ماذا؟

- *سعر الشاي الصيني الأسود في بان آسيا. هذا هو السعر الأساسي العام، تتباين أسعار الشاي بأنواعه المختلفة.*

تنهَّد كارسن وسأل الرأس السحابي: «ألم يكن بمستطاعك تشخيص مشكلة ملك البستوني وحدك؟ تعرف كل ما يحدث هنا، صحيح؟ كان بإمكانك إخباري بأن رأس الحفارة مكسور وتسهِّل علي مهمتي».

أجاب الرأس السحابي: «*نعم، لكن السهولة لا تخدمك. السفر إلى هنا لتشخيص المشكلة يمنحك الشعور بالرضا عن نفسك، علاوة على أنه كان سببًا في نيلك مدحًا من والدك كنت تتوق إليه*».

- سحقًا لك.

قال الرأس السحابي: «مفهوم». ولزم الصمت دون الحاجة إلى تكليفه بطلب عقيم آخر عابر للكواكب.

***

امتدت الأعمال الاستصلاحية لأكثر من مئة كيلومتر مريخي في كل الاتجاهات، لكن جميع الناس كانوا يعيشون تحت قبة هيومانوز مونز، قبة

تبدو هائلة من كثب، لكنها تبدو كعش نمل مقارنة بأوليمبوس مونز أضخم جبال المريخ البركانية، الذي يبدو شامخًا خلف القبة رغم أن قاعدته خلف الأفق. جبل ضخم إلى درجة أنه يتحدى تقوُّس الكوكب.

كانت القبة مركز جميع الأنشطة في المريخ، وكان يُشيَّد مركز خارجي في اتجاه الشمال، لا يبعد كثيرًا عن موقع تعدين أسرة لَسك، لكن التشييد لم يكتمل بعد، وكان كارسن يخشى اكتماله، لأنه كان يعرف أن والديه سيرغبان في الانتقال إلى هناك. كما لو أن المريخ ليس نائيًا بما يكفي، يريدان أن يكونا في الخطوط الأمامية، حيث لن يوجد أحد في سن كارسن.

لم يكن لديه سوى قلة من الأصدقاء. كان منسجمًا مع زملائه في المدرسة، لكنه لم يسمح لهم بالتقرب منه. اشتملت دائرته عليه هو وصديقيه آشر وديفونا.

وهم يحتسون القهوة ذات يوم بعد المدرسة، قالت ديفونا له: «إذا انتقل والداك إلى المركز الشمالي، فعليك أن ترفض الذهاب ببساطة».

قال آشر: «أجل، وإذا ساءت الأمور يمكنك أن تأتي لتعيش معي، والداي لن يمانعا، يظنان أنك ذو تأثير جيد علي».

كانوا في مقهى فورث بلانت جافا، أحد مقهيين اثنين فقط في القبة، فيه 'شرفة في الهواء الطلق'، لم يكن ذات هواء طلق بالطبع، بل كان يطل على المتنزه الواسع الذي يتوسط القبة.

- والداك يجهدانك في العمل سلفًا.

تكلمت ديفونا وهي تحرك لاتيه مصنوعًا من حبوب بُن زراعة مائية يُفترض أن تكون مثل بن الإسبريسو في الأرض، لكن كارسن راودته شكوك بهذا الشأن.

أمسك آشر بيدها قائلًا: «ديفو محقة، إنك تعمل في المنجم كثيرًا».

كان آشر وديفونا مرتبطين، أو على الأقل مرتبطين اليوم، إذ ينفصلان ويعودان إلى بعضهما دومًا، كزوجي نجمين ثنائيين لا يستطيعان الإفلات من نطاق جاذبيتهما الهرمونية. كلما ظن كارسن أنه ربما تسنح له فرصة للارتباط بديفو، يعود آشر إليها دومًا.

قال كارسن لهما: «ألا تفهمان؟ ليس لدي خيار».

قال آشر مستسهلًا الأمر: «لديك خيار بالطبع! والداك لا يستطيعان إرغامك على العمل في المنجم إذا لم ترغب، كما لا يستطيعان إرغامك على الانتقال من القبة».

- لن يستطيعان؟ من سيمنعهما؟

قالت ديفونا: «الرأس السحابي». أخذت رشفة أخرى من اللاتيه فترك خطًّا من الرغوة فوق شفتها العليا لم يستطع كارسن إبعاد عينيه عنها.

قال كارسن لهما: «هل تمزحان؟ الرأس السحابي إلى جانبهما. آخر مرة أوقف فيها والداي امتيازاتي لسبب تافه، أخبرت الرأس السحابي، هل نلت العدالة؟ لا. قال لي: *العقاب المنزلي ضمن صلاحيات البشر*».

أشاح كارسن بوجهه حتى لا يوجه مرارته نحو صديقيه، وحوَّل انتباهه إلى حركة الناس النشطة في القبة. من طاولتهم في الشرفة حظي كارسن برؤية واضحة لمركز التسوق، ومتنزه دايداليا خلفه. بدأت الشمس تميل راسمةً خطًّا مقوسًا من الظل يتحرك ببطء قاطعًا أشجار متنزه دايداليا، وهو اسم المنطقة المقفرة التي شُيدت عليها المستعمرة. كان كارسن يحب مشاهدة حركة ظل قوس مَنور سقف القبة وهو يُظهِر الانتقال من النهار إلى الليل، مثل ساعة شمسية عتيقة، لكن الآن يذكِّره بمسيرة الأيام المتطابقة والمتعاقبة إلى الأبد.

أخذ كارسن رشفة من قهوته، ووجدها ما زالت ساخنة جدًّا إلى درجة أحرقت حلقه، لكنه لم يكترث. على الأقل أحس بشيء.

قال لصديقيه: «الرأس السحابي لن يفعل شيئًا لمساعدتي إلَّا إذا سبَّب والداي لي أذى بطريقةٍ ما».

اقترحت ديفونا: «إذن اجعلهما يؤذيانك، أغضِب والدك إلى درجة تدفعه إلى ضربك أو شيء من هذا القبيل، قبل أن تتمكن وحداته المجهرية من تهدئة انفعاله».

فكر كارسن في الاقتراح. ربما يتمكن من فعل ذلك، فوالده سريع الغضب. كان كارسن يجد غضب والده إلى درجة الاحمرار ثم هدوءه فجأة إثر تدخل وحداته المجهرية أمرًا طريفًا. وإذا كان بإمكان كارسن قذف مفتاح ربط في الروفر، فوالده يمكن أن يغضب ويسدد لكمة. لكن ماذا بعد؟ ضرب كارسن قد ينجم عنه وسم والده مستهجنًا لموسم كامل، فيصبح كارسن ووالدته في

مأزق إلى أن يستعيد الوالد مكانته. قيود على الامتيازات، وسخرية اجتماعية... لأن وسم صبي مستهجنًا يُنظر إليه كندبة معركة، أما الأشخاص البالغون من أفراد المجتمع المُنتِجين، فوسمهم مستهجنين يُعد وصمة محرجة.

كلَّا. استفزاز والده لن يكون مُجديًا. ورغم أن كارسن يكره الاعتراف بهذا، فالرأس السحابي كان محقًّا. كان كارسن يهتم بنيل رضا والده.

قال كارسن: «الوضع ليس سيئًا إلى هذه الدرجة. لا يرغمانني على العمل إلَّا في عطلات نهاية الأسبوع، كما إنهما يدفعان لي مالًا، وأحتاج إلى ادخار المال استعدادًا لموعد عودتي إلى الأرض».

قال آشر: «يا صاح، لا تحتاج إلى المال في الأرض! يقال إن الرأس السحابي يمنحك كل الضروريات التي تحتاج إليها».

- كل الضروريات، وليس كل ما أريده أنا.

ابتسمت ديفونا له ابتسامة مشوبة بالرغوة، وسألته: «وما الذي تريده؟».

ابتسم كارسن لها بدوره قائلًا: «أكثر بكثير مما قد يوافق الرأس السحابي على منحي إياه».

***

الأيام في المريخ أطول من أيام الأرض بساعة، لكن بدلًا من تحديد خمس وعشرين ساعة للمريخ، قرر الرأس السحابي تغيير طبيعة الزمن نفسها.

وقد كان تبريره العقلاني: «*قياس الوقت من وضع البشر، مما يعني أن بالإمكان تعديله بما يتوافق مع طبيعة الكوكب*».

وهكذا صارت الثواني أطول قليلًا، وكذلك الدقائق، وكذلك الساعات. ما زال اليوم أربعًا وعشرين ساعة، لكن كل ساعة أطول بدقيقتين ونصف تقريبًا من ساعة في الأرض. فظهرت عبارات مثل «دقيقة مريخية». رأى المستعمرون أن العبارة مُهينة، فرغم أن الدقائق في المريخ أطول، أحس الناس هناك أنهم أكثر كدحًا في عملهم من سكان الأرض، وبمقدورهم أن ينجزوا في دقيقة مريخية أكثر مما ينجزه سكان الأرض في ساعاتهم.

توقع الرأس السحابي أنه، بمرور الوقت، قد يتعيَّن عليه وضع تدابير احترازية ضد التحيُّز والعداء بين الكوكبين.

بدأ كارسن لسك حياته في الأرض، حيث الثواني أسرع والجاذبية أقوى. السنوات التي عاشها في المريخ جعلت جسده ينسى كل ذلك، لذا كان يعرف أن العودة إلى الأرض سوف تتطلب تكيُّفًا صعبًا. تأقلُم إيقاع المرء البيولوجي مع الأيام الأقصر يستغرق أسابيع، وتكيُّف العضلات والعظام والقلب على قوة الجاذبية يستغرق شهورًا.

قال والداه له: «إذا عدت فستكون تعيسًا، حتى وحداتك المجهرية لن تقدر على إنقاذك». ولاحظ كارسن أنهما قالا «إذا عدت»، ولم يقولا «عندما تعود»، كما لو أن هروبه من المريخ أمر محتمل، وليس مؤكدًا. لكن بصرف النظر عن الكلمات التي اختارها والداه، كان عازمًا على مغادرة المريخ بأي وسيلة ممكنة، قبل أن يجدا الفرصة لجره إلى عزلة المركز الشمالي.

رأى أن التعليم هو تذكرة خروجه، التعليم العالي وليس ما يسمى تعليمًا في المستعمرة. نظرًا إلى وجود عشرة آلاف مستعمر فقط، لم تكن ثمة حاجة إلى أكثر من مدرسة واحدة، كل مستوى فيها يقل عدد تلاميذه عن مئتين. أما الكلية، فقد كانت 'كلية المريخ للزراعة والتعدين' هي الخيار الوحيد، وكارسن لم يكن لديه أدنى اهتمام بأي شيء زراعي أو معدني.

فرض الرأس السحابي قيودًا على السفر بين المريخ والأرض، وهذا قد يكون مشكلة، لكن كارسن لديه خطة. كل من ينال منحة دراسة في جامعة في الأرض يوفر الرأس السحابي له رحلة مجانية إلى الأرض، ثم يعيده إلى المريخ بعد التخرج. لكن كارسن مهتم برحلة اتجاه واحد فقط. قدَّم طلبات للالتحاق بجامعات هارفارد وستانفورد وأوكسفورد وتسينغوا وعشرات من جامعات أخرى. درجاته المدرسية كانت ممتازة، لكن ليست استثنائية. لكن أي طلب تقديم من المريخ يحظى باهتمام خاص، لذا أحس كارسن بشيء من التفاؤل الحذر.

قال الرأس السحابي له: «*يجدر بك ألا تحصي دجاجاتك قبل أن تفقس. فلتكن لديك خطة احتياطية دومًا*». عندئذٍ رأى كارسن أن الرأس السحابي يتكلم كما يتكلم الرأس السحابي عادةً، لكن الذكاء الاصطناعي الواعي العظيم دائمًا ما يعرف أكثر مما يقوله.

رأى كارسن أن عليه التركيز على اجتياز المرحلة الثانوية في الوقت الراهن، والحرص على نيل حظوة أساتذته، لأنه ربما يحتاج إلى رسائل توصية. لم يستوعب ضرورة وجود الأساتذة في حين أن الرأس السحابي

بمقدوره تعليمهم كل ما يحتاجون إلى تعلُّمه. كانت إحدى طرائق الرأس السحابي للحفاظ على طبيعة الأحوال البشرية.

في معظم الأوقات كان كارسن على وفاق مع أساتذته، ولا يجادلهم إلَّا عندما يتضح له أنه أكثر معرفة منهم بموضوع الدرس، مثلما حدث مع السيد مكغيري، أستاذ دراسات عصر الفانين، بدا الرجل كأنه يتخيل نفسه بروفيسورًا في قاعة محاضرات كبيرة يحاضر مئات الطلاب وليس صفًّا صغيرًا فيه عشرون طالبًا.

قال بحماسة: «غودارد، وفون برون، ومَسْك... هذه العقول العلمية العظيمة التي عاشت في عصر الفانين هي التي مهدت طريقنا لنكون هنا في المريخ اليوم».

هذه كانت أخبارًا قديمة لكارسن، لطالما كان مهووسًا بعلم الصواريخ وتاريخ السفر الفضائي، كان هوسًا ليس حُبًّا، بل هوسًا يتاخم الكراهية. أحس بشيء من العزاء لمعرفته الذين ينبغي له لومهم على وضعه الحالي.

كان يوجد تمثال لروبرت غودارد في منتصف متنزه دايداليا، تمثال برونزي ضخم لمن يُزعَم أنه 'أبو علم الصواريخ' يرنو ببصره إلى السماء كمن يبحث عن شقوق في القبة. في العام الماضي تبول كارسن على التمثال في تحدٍّ مع أصدقائه، وسجل الرأس السحابي عليه نقطة استهجان، لكن كارسن رأى أن فعلته تستحق العناء.

- هل أنت معنا اليوم يا كارسن؟

كان كارسن مشغولًا عن الدرس بشيء ذي صلة، كان يرسم صاروخًا ينفجر على منصة إطلاق، كما كان يحدث كثيرًا في الأيام المبكرة. كان يجدر بالناس أن يفهموا التلميح.

- كارسن!

«غودارد، فون برون، مَسْك...» ردد كارسن الأسماء لمكغيري دون أن يرفع رأسه عن رسمه، وتابع: «لكنك مخطئ، مَسْك لم يكن عالمًا، كان مجرد رجل أعمال صاحب أموال طائلة».

من الجانب الآخر من الصف قال آشر: «مَسْك، لَسْك. أمر مؤسف يا كارسن، هذا الحرف الواحد حال بينك وبين العظمة».

اندلعت الضحكات من أنحاء الصف، فامتعض كارسن لكنه حاول ألا يُظهِر امتعاضه.

قال: «ما من عظمة في تبديد كل رأس مالك من أجل إرسال علبة صفيح إلى كوكب غير صالح للحياة».

ذكَّره مكغيري: «لكننا نعمل على إعماره الآن».

قال كارسن حريصًا على أن تكون كلمته الأخيرة: «لك أن تقول ما تشاء. لكن 'العيش' و 'الاستعمار' أمران مختلفان. سوف تنقضي مئات الأعوام قبل أن نستعمر المريخ حقًّا. وبصراحة لا يمكنني وصف ذلك بأنه حياة حقيقية أيضًا».

تنهَّد مكغيري، تنهيدة تمثل تلويحة براية استسلام افتراضية، ثم قال: «هلَّا عدنا إلى الدرس؟».

قال كارسن: «تفضَّل».

واصل مكغيري سرد معلومات عن أناس مشهورين ميتين، لكنه بدا أقل حماسة متأثرًا بكارسن المحبِط.

***

لا تأتي السفن من الأرض إلَّا عندما يكون المريخ والأرض على جانب واحد مواجه للشمس، وهذا لا يحدث إلا مرة كل عامين أرضيين. يستمر 'موسم النقل' ثمانية أسابيع، تصل السفن خلالها وتغادر يوميًّا تقريبًا، معظمها تكون سفنًا مُسيرة تحمل إمدادات، منتجات ومعادن لا يمكن تصنيعها أو استخراجها في المريخ. سفن الركاب قليلة عادةً، تأتي بمستعمرين جدد، مدهوشين ذاهلين، وتغادر بكل من يستطيع تحمل نفقات رحلة إلى الأرض، أو أي شخص يرى الرأس السحابي، بحكمته اللامتناهية، أنه يستحق رحلة مجانية.

ما من سياح في المريخ، لا أحد يأتي في رحلة ذهاب وعودة، إلَّا إذا كان لدى الرأس السحابي سبب بعينه، فرغم كل شيء، تقتصر 'سياحة الفضاء' على الأثرياء، ولم يعد يوجد أثرياء، فكما استؤصِل الفقر، استؤصل معه الثراء الفاحش. صار التفاوت المادي بين الناس ضئيلًا.

باستثناء واحد.

هيئة المناجل.

المال لا شيء في نظر المناجل، لا معنى له، يفعلون ما يريدون فعله متى ما أرادوا. لذا لم يتفاجأ أحد عندما استولى منجل على إحدى سفن الرأس السحابي وزار المريخ.

قال والد كارسن في أثناء تناول العشاء ذات ليلة: «لا يحضرني اسمه، يبدأ بحرف الزاي، على ما أظن. يشاع أنه على متن أول سفينة قادمة في موسم النقل».

سأله كارسن: «منجل؟ لماذا؟».

هز والده كتفيه قائلًا: «يقول إنه يشعر بالفضول، ويقول إنه لن يقطف أحدًا، وإنه يريد أن يكون أول منجل يزور المريخ».

قالت والدة كارسن: «لن يبقى، المستعمرة صغيرة ومحدودة في كل شيء إلى درجة لا تناسب المناجل وأمثالهم».

لم يستطع كارسن إنكار أنه متشوق لمعرفة المزيد، فسألهما: «هل رأيتما منجلًا؟ أعني عندما كنتما في الأرض».

تكلم والده كأن رؤية منجل أمر طبيعي تمامًا: «نعم، بضع مرات».

ارتعدت والدته وقالت: «أتتذكر تلك المرة في الشاطئ؟».

أومأ والده، ووضع شوكته، كما لو أن الأكل والتذكُّر لا يمكن أن يحدثا في وقت واحد، وقال: «كان حدثًا لافتًا بالطبع، جميعنا كنا نرتدي ملابس السباحة، لكنها كانت ترتدي عباءة بنفسجية فاتحة متموجة، ماشية بمحاذاة الأمواج، حاملة أحدَّ مدية رأيتها في حياتي. يا له من مشهد!».

أردفت والدته: «بدت كأنها تمشي على ارتفاع بوصة فوق الأرض، كدنا أن نظن أن بوسعها المشي فوق الماء».

- ليتني رأيتها.

قالت والدته: «لا يا كارسن. لا تتمنَّ ذلك». نظرت إليه ثم أشاحت بوجهها.

أوضح والده: «قطفتِ المنجل شخصًا على مبعدة في الشاطئ، لم نر القطف، لكننا سمعنا الصراخ».

- كانت لحظة مروعة، أفسدت يومنا.

ران الصمت، واستأنفوا الأكل، لكن بعد لحظات كان لوالد كارسن القول الأخير في الموضوع: «عندما يأتي المنجل علينا بالاهتمام بشؤوننا والابتعاد عن طريقه».

- لكنك قلت إنه لن يقطف أحدًا.

تمهَّل والده هنيهة ناظرًا إلى السكين التي يقطع بها شريحة اللحم.

ثم قال: «المناجل يكذبون».

***

ثمة مقولة قديمة، لم تكن لدى كارسن فكرة عن منشئها: «*الرجال من المريخ، والنساء من الزهرة*». لكن عندما يكون كلاهما من المريخ، فكل الاحتمالات واردة.

آشر وديفونا تشاجرا مجددًا. كالعادة صارا شبه منفصلين عن بعضهما، وكالعادة كان كارسن حاضرًا لمواساة ديفونا.

قالت ديفونا: «آشر يصبح وغدًا بغيضًا أحيانًا!».

- أعرف.

- يظن أن بوسعه الاستهانة بي.

- أعرف.

- ذات يوم سيعرف أنه ليس الشاب الوحيد في الكوكب.

لم يعرف كارسن حيثيات الشجار بعد، لكن لم يداخله شك في أن ديفونا ستخبره بالتفصيل، سيكون سلوكًا شائنًا من آشر ينم عن عدم حساسية، لأن هذا هو دأبه دومًا، دون أن تكون لديه أدنى فكرة عما فعله. متى ستدرك ديفونا أنه لن يتغير؟ بعد شجارهما الأخير بدا أن انفصالهما سيستمر، لكن آشر تعرض لحادث. كان في نزهة قيادة خطرة مع بعض المستهجنين، كما يفعل من حين لآخر، وكان يعرف كيفية القيام بأنشطة مشبوهة دون أن يُوسَم هو نفسه مستهجنًا. لكن كعادة المستهجنين، تمادوا كثيرًا في طيشهم، وسقط الروفر الذي يقودونه من حافة مرتفَع، وتهشمت جمجمة آشر. ظل شميتًا قرابة أربعة أيام، وعندما أنعِش أخيرًا، وجد ديفونا تعتذر له نادمة أشد الندم، كما لو أن شجارهما كان بطريقةٍ ما سببًا في الحادث. الأمر الطريف هو أن آشر لم يتذكر الشجار، لأن الرأس السحابي، هنا في المريخ، لا يحفظ

نسخًا احتياطية من ذكريات الناس إلَّا مرة واحدة في اليوم. لم تكن في دماغ آشر الجديد ذكريات عن انفصاله عن ديفونا ولا عن أيٍّ مما جرى في يوم الحادث. لذا واصل مع ديفونا علاقتهما كأن الانفصال لم يحدث.

قالت ديفونا لكارسن: «أقسم إنني إذا ضبطته يغازل ساكاري هرنانديز مرة أخرى...».

قال كارسن: «أنا متأكد أنه سوف يثوب إلى رشده ويدرك مدى حماقته». لكنه كان يعرف أن آشر لن يدرك مدى حماقته أبدًا. «وإذا لم يدرك...». صمت كارسن ووضع يده على يد ديفونا، وأمسكها برفق.

رفعت بصرها إليه، وبادلها كارسن النظرات. تجمدت اللحظة عالقة ثقيلة في الهواء... وظلت عالقة وهلة...

... ثم هَوَت بقوة أشد من قوة جاذبية المريخ.

سحبت ديفونا يدها برفق.

قالت: «شكرًا لك يا كارسن، إنك صديق وفي، أجدك دومًا حاضرًا تستمع إلي، وأريدك أن تعرف أنني ممتنة لذلك». ثم نهضت وغادرت.

رغم أن آشر صديق كارسن المقرب، لم يستطع كارسن منع نفسه من تخيل سقوط آشر من سفينة في الفضاء.

***

أولى سفن موسم النقل دائمًا ما تكون سفينة ركاب، ويكون وصولها مناسبة كبيرة. وهذا الموسم هو الرابع فقط منذ تأسيس المستعمرة، لا يحل إلا كل عامين أرضيين، لكن ثمة تقليدًا صار متبعًا. صار 'الوصول الأول' عطلة في جميع أنحاء المستعمرة، يقام فيها مهرجان في مساحات متنزه دايداليا، حافل بالطعام والموسيقى للترحيب بالقادمين الجدد. ورغم أن الاستعدادات تُجرى بالحماسة المعتادة، ساد الأجواء توترٌ خفي هذه المرة. لأن منجلًا قادم.

لكن بينما توجس الآخرون، تحمس كارسن. لم يحدث قط أن زار المريخَ شخصيةٌ مهمة كمنجل. أحيانًا تأتي بعض الشخصيات المهمة، لكنهم مثل حاكم المستعمرة، ليس لديهم سلطة حقيقية، الرأس السحابي يتولى إدارة كل شيء، والحاكم موجود لا لشيء سوى استضافة الحفلات وإلقاء كلمات تثير الحماسة في الفعاليات العامة. لكن منجل! إنه ذو شأن، ذو سلطة حقيقية،

متحرر من جميع قيود الرأس السحابي. لديه سلطة إنهاء حياة الناس، وسلطة التملك. بوسع المناجل نيل أي شيء، كل شيء! كل ما يريده المناجل فهو لهم، لا يحتاجون إلى أن يطلبوا شيئًا من أحد، مثلما استولى هذا المنجل الزائر على مقاعد غالية على متن السفينة الأولى، ولم يستطع الرأس السحابي قول لا.

عقد كارسن عزمه على أن يمر بجوار المنجل محتكًّا به على الأقل، ملامسًا عباءته، كما لو أن بعضًا من تلك الامتيازات المذهلة قد تنتقل إليه بالملامسة. لكن اتضح أن ثمة طريقة أفضل للتقرب من المنجل المبجل.

أخبر السيد مكغيري طلاب صفه قبل أسبوعين من وصول السفينة: «تلقت المستعمرة تحية من السفينة القادمة. للذين يشعرون بالقلق، المنجل زينوقراط أراد أن يطمئننا على نيَّاته السلمية».

صحَّح كارسن: «المنجل المساعد زينوقراط».

تساءل آشر: «ماذا؟ أهذا يعني أنه ذو شأن؟».

كان كارسن قد أدى واجبه المنزلي في الشأن، قال: «إنه المساعد الثاني للنصل السامي في وسطمريكا، أجل، إنه ذو شأن كبير».

تنحنح مكغيري ليستعيد انتباههما وقال: «أجل، حسنًا. ثمة أمر آخر، المنجل المساعد زينوقراط يود أن يسبغ شرفًا عظيمًا على أحد طلابنا، على ما يبدو أنه يحتاج إلى خادم في مدة وجوده هنا».

بدأ زملاء كارسن يتململون في مقاعدهم لمجرد سماعهم الاقتراح، ضحك بعضهم، لكن بدا واضحًا أنها ضحكات توتر. دُهش كارسن من عدم تهافُتهم على الفرصة.

استحثهم مكغيري: «كل من يريد الوظيفة سيؤخذ بعين الاعتبار».

سأله كارسن: «من سيقرر الطالب المختار؟».

تمتم أحد زملائه: «الرأس السحابي على الأرجح».

لكن مكغيري هز رأسه قائلًا: «لا. الرأس السحابي لا يمكن أن يتدخل، لأن هذا شأن مناجل. كل من يهتم بالوظيفة عليه تسليم مقالة، ستحكم عليها هيئة التدريس بالمدرسة».

نظر كارسن إلى ما حوله مرة أخرى، متسائلًا عما إذا أبدت الصفوف الأخرى التحفظ نفسه، عندئذٍ ستكون حظوظه أكبر. رفع يده وقال: «أود التقديم».

ابتسم مكغيري، ولأول مرة أبدى لكارسن الإعجاب وليس الامتعاض: «جيد جدًّا يا كارسن. الوقت قصير، يجدر بك بدء العمل، الموعد النهائي للتسليم نهاية الأسبوع».

ارتفعت يد أخرى من الجانب الآخر في الصف.

قال آشر: «أجل، بالطبع، لِمَ لا؟ سأقدم أنا أيضًا».

كزَّ كارسن أسنانه. من شيم آشر إقحام إصبعه في كعكة لا لشيء سوى أن شخصًا آخر أرادها.

قال مكغيري: «آشرون يوست! حسنًا، هذه مفاجأة!».

ابتسم آشر لكارسن ابتسامة واسعة، كأنهما فريق واحد في تحدٍّ، كأن هذه مؤامرة ما بينهما وليست تنافسًا.

***

سأل كارسن الرأس السحابي: «كم عدد الذين سيسلمون مقالات؟». كان الوقت متأخرًا، وكان يدرس استعدادًا لامتحان تفاضل وتكامل صعب، لكنه عجز عن التركيز، لأن المتغيرات في رأسه أكثر من التي على الشاشة أمامه.

أجابه الرأس السحابي: «*تعرف أنني لا يجوز لي إجابة هذا السؤال يا كارسن. لا يجوز لي أن أعلق على شؤون المناجل أو أنصح أحدًا بشأنها*».

- إنك عديم الفائدة!

- *فيما يتعلق بشؤون المناجل، أجل، إنني عديم الفائدة تمامًا.*

ابتسم كارسن رغمًا عن نفسه، كان يروق له حديث الرأس السحابي بطريقة تحط من قدر نفسه. يكاد أن يكون بشريًّا.

دون مساعدة من الرأس السحابي، لم يجد كارسن خيارًا سوى البحث عن المعلومات بنفسه. في الأيام التالية تحدث مع طلاب وأساتذة آخرين علاقته بهم جيدة، وجميعهم قالوا الكلام نفسه تقريبًا، في كل صف لم يتقدم أكثر من طالبين لوظيفة الخادم، مما يعني أن عدد المقالات المقدمة للمنافسة لن يتجاوز ثلاثين. وهذا كان أمرًا هينًا، لأن لا أحد أبرع من كارسن في استخدام

الكلمات، كان كابتن فريق المناظرات لثلاث سنوات متتالية، ولم يكن يضاهيه أحد في المجادلة والإقناع.

ذات يوم قالت له والدته بعد جدال محتدم: «كان ينبغي لك أن تولد في عصر الفانين، لأصبحتَ مُحاميًا عظيمًا».

تعيَّن على كارسن البحث عن معنى كلمة «محامي»، لكن حالما عرف معناها، لم يجد بُدًّا من موافقة والدته الرأي.

ومثل أي محامٍ، كانت لديه استراتيجية. خطة. أو بالأحرى سلسلة من الخطط. تفاصيل داخل تفاصيل. لأنه كان يعرف أن النجاح لا يتوقف على التفكير بعدة خطوات تالية فحسب، بل وفهم ما يقع بين كل خطوة وأخرى أيضًا.

توقع أن يُقبَل في عدة جامعات، كان واثقًا من هذا. لكن منحةً دراسية تتيح له رحلة العودة إلى الأرض ربما تتطلب رسالة توصية من نوع خاص، مثل رسالة توصية من منجل، وليس أي منجل، إنما المساعد الثاني للنصل السامي في وسطمريكا. ما من جامعة لن تنحني احترامًا له إذا تلقت رسالة توصية من منجل. كان كارسن يحتاج إلى الفوز بالمنافسة وإثارة إعجاب الرجل. ورغم أن الخنوع ليس من طبيعته، فهو مستعد لفعل أي شيء عقد عزمه على فعله. إذا تطلبت غايته أن يكون خادمًا متواضعًا، فسيكون متواضعًا خنوعًا كما ينبغي.

لم يكن آشر متواضعًا بالمعنى المعروف، لكنه كان بسيطًا وتلقائيًّا، استلطفه الناس. وهذا لا يعني أن الناس لم يستلطفوا كارسن، لكنه لم يكن صديقًا للجميع مثلما كان آشر. فكابتن فريق المناظرات عادةً ما يكون مختلفًا عن كابتن فريق كرة السلة، آشر. رغم عدم وجود مدرسة أخرى تنافسهم، عززت قيادة آشر لفريق كرة السلة من مكانته الاجتماعية. وخلافًا لكارسن، لم تكن لديه طموحات أرضية، كان راضيًا مستمتعًا بكونه سمكة كبيرة في بِركة صغيرة. كان والدا آشر يديران مصنع الألمونيوم الخاص بالمستعمرة، يصنعان أشياء مثل رأس الحفارة الذي سيُكلَّف كارسن لاحقًا بتركيبه في الحفارة المعطوبة. كان مستقبل آشر واضحًا أمامه باللونين الأسود والأبيض، سيدخل كلية المريخ للزراعة والتعدين، التي لم تكن سوى مجموعة صفوف دراسية أعلى القبة، ويحصل على شهادة في علم المعادن ويصبح تِرسًا في عمل العائلة. لم يكن يحتاج إلى الفوز بهذه المنافسة مثل كارسن.

أما ديفونا، فقد كان بمستطاعها تحقيق طموحات إذا أرادت، كانت ذكية، وإثر إلحاح من كارسن قدمت للالتحاق ببعض الجامعات في الأرض. لم تكن طموحاتها عالية مثل كارسن، لكن إذا قُبِلت، وتمكنت أسرتها من جمع نفقات سفرها، فستذهب إلى الأرض، مما يعني أن كارسن ربما يحظى أخيرًا بفرصة الارتباط بها. فالأرض هي الأرض، ما المسافة التي يمكن أن تفصلهما عن بعضهما؟

لكن كل ذلك كان مجرد أحلام يقظة تراود مخيلة كارسن، مجرد تزيين لقصر الهواء الذي يشيده بعناية.

***

كتب ثلاث مقالات، وصقلها كلها، ثم اختار الأفضل لتسليمها. الفوز بهكذا منافسة تطلب فهمًا عميقًا لسيكلوجيا البشر، ومراعاة القدرة المحدودة على الانتباه لدى أعضاء هيئة التدريس المستائين من زيادة أعبائهم على الأرجح. رأى كارسن أن مقالته ينبغي أن تكون قصة جاذبة تصوِّره مستضعفًا، وأن تُظهِر التوقير اللازم لهيئة المناجل، علاوة على الاحتفاء والفخر بالمريخ. كما رأى أن يضفي عليها شيئًا من حس الدعابة، ليس إلى درجة إثارة الضحك، بل بما يكفي لرسم ابتسامة طفيفة، ورأى كارسن أيضًا أن مقاله لا بد أن ينطوي على طموح ضمني يوحي بأنه سيثابر في عمله.

سأله آشر صباح يوم موعد تسليم المقالات: «أيمكنني قراءته».

قال كارسن له: «لا».

- بحقك، سأسمح لك بقراءة مقالي.

- لماذا؟ حتى أصحح لك كل أخطائك؟

قصد كارسن أن يتهكم، لكن آشر فهم الكلام حرفيًّا: «لا، ديفو ساعدتني على الكتابة سلفًا».

كان كارسن حانقًا أشد الحنق من عدم إدراك آشر لأهمية الأمر كله، فسأله: «لماذا تريد أن تفعل هذا؟».

هز آشر كتفيه قائلًا: «لأنه أمر مختلف. كم شخص يجد فرصة أن يقول إنه كان خادم منجل؟». لا بد أن كارسن ارتسمت على وجهه تعابير مريرة، لأن آشر ضحك وربت على كتف كارسن وقال: «تعجبني رؤيتك تتململ».

***

فاز آشر.

أمر لا يصدَّق! لا يستوعبه عقل! آشرون يوست، الذي اقتصر دافعه للتقديم على «*لِم لا يا صاح؟*» وقع الاختيار عليه ليمثل شباب المريخ أمام المنجل المساعد زينوقراط.

الحسد ليس غريبًا على كارسن، كان عاطفة يتمكن دومًا من تسخيرها لخدمته، لكن هذه المرة تملكته الحيرة.

قال مكغيري له: «حللتَ في المركز الثاني، لك أن تجد عزاء في هذا يا كارسن». لكن المركز الثاني أسوأ من الأخير. لم تعد للفضة قيمة عند أي أحد. حلول المرء في المركز الثاني يعني أنه الخاسر الأول.

قال كارسن: «أريد قراءته»، متمنيًا لو أنه وافق على اقتراح آشر سابقًا: «أريد رؤية ما كتبه ووجدتموه مقنعًا لكم جميعًا».

- ما الفائدة؟ ستفاقم ضيقك فحسب. وينبغي أن تكون سعيدًا من أجل آشرون، إنه صديقك، أليس كذلك؟

- بلى... وأنا سعيد من أجله، لكن...

فكر مكغيري هنيهة، ثم فتح المقال على جهازه اللوحي وناوله لكارسن.

تمهل كارسن في القراءة. ووجد أن مكغيري كان محقًّا، المقال جيد، يستحق أخذه بعين الاعتبار، يتطرق لكل النقاط المهمة، وجاذب للانتباه وينم عن صدق وإخلاص. لكن كلما قرأ كارسن المزيد، ازداد اقتناعه بأن هذه ليست كلمات آشر إطلاقًا. قال آشر إن ديفونا ساعدته، لكن من الواضح أنها فعلت أكثر من ذلك، كتبت له المقال بأكمله.

رفع كارسن بصره فرأى مكغيري ينتظر ردة فعله. قال مكغيري: «كما ترى، صديقك سلَّم مقالًا ممتازًا».

سلَّم. أجل، هذا كل ما فعله، سلَّم المقال. لكن لم يستطع كارسن قول ذلك، ليس لأنه لا يمكن أن يشي بصديقه فحسب، بل لأن ما من دليل أيضًا. حتى إذا انحدر إلى مستوى توجيه الاتهام، فسيكون اتهامه مجرد كلام خاسر مثير للشفقة حل في المركز الثاني. لذا أمسك لسانه، وكتم كل ما أراد قوله، واكتفى بقول: «إنه مقال جيد».

ابتسم مكغيري كأن كلمات كارسن سوَّت المسألة، وقال: «يسعدني أنك توافقنا الرأي».

كرر كارسن: «إنه مقال جيد. لكن مقالي كان أفضل».

بادله مكغيري النظرات، وتفاجأ كارسن بأنه لم ينكر، وقال كلامًا على الأرجح ندم عليه حالما خرج من شفتيه: «الاختيار لا يتوقف على مقال فحسب يا كارسن».

وفجأة عرف كارسن.

أدرك كل شيء.

لم يكن مكغيري مضطرًا إلى قول كلمة أخرى، فكل شيء اتضح جليًّا.

ما كان كارسن ليفوز بالمنافسة أبدًا، لأنه موجود في المريخ لكنه لم يُظهِر انتماءه للكوكب، لم يبدُ مستعمِرًا سعيدًا متحمسًا لعالمه الجديد. كان ذكيًّا، واسع الحيلة، ذا كاريزما، لكنه لم يكن فتى مريخيًّا خالصًا كما كان آشر. لذا لم يرغبوا في أن يكون كارسن وجه شباب المريخ في حين لديهم وجه كوجه آشر.

***

كان منزل آل لسك في الدائرة الخارجية من القبة، نوافذهم تطل على تضاريس المريخ الجرداء بدلًا من مركز التسوق المقنطر وخُضرة متنزه دايداليا. جميع العائلات التي تعمل في مجال التعدين لديها شقق تواجه الخارج، كأنما موقعهم يمثل لهم تذكيرًا دائمًا بما ينبغي أن يكون محور تركيزهم.

نظرًا إلى شح السحب في سماء المريخ لم تكن مشاهد الغروب رائعة، تبدو السماء شاحبة قاتمة فوق صخور شائهة وظلالها الأكثر تشوهًا حالكة السواد. الليالي هي الوحيدة المثيرة للإعجاب في سماء المريخ، لأن النجوم تبدو بديعة خلابة نظرًا إلى انخفاض كثافة الغلاف الجوي، لكن في نظر كارسن لم تكن سوى تذكير بكل الأشياء البعيدة عن متناوله إلى درجة مستحيلة.

قال للرأس السحابي في تلك الليلة: «أعرف أن الحياة غير عادلة، لكن لماذا لا تكون غير عادلة لشخص آخر بين الفينة والأخرى؟».

ذكَّره الرأس السحابي: «*تعرف أنني لا أستطيع التحدث عن المنافسة*».

- أيمكنك على الأقل أن تحدثني بخبر جيد؟ أيمكنك إخباري بموعد سماعي خبرًا من الجامعات التي قدمت للالتحاق بها؟

بدأ بعض الفتية يتلقون ردودًا، بعضهم قُبِل، وبعضهم رُفِض. وحتى الآن لم يسمع كارسن عن أي منحة كاملة في هذا الموسم، لكن دائمًا ما تكون واحدة أو اثنتين. الوقت كان عاملًا مهمًّا، لأن ردود الرفض أو القبول تأتي في وقت مبكر من موسم النقل، حتى يتاح للطلاب المغادرين الوقت للاستعداد وتوديع أحبابهم. وعادة ما تُفرد للطلاب المغادرين مقاعد على متن آخر سفينة ركاب عائدة إلى الأرض.

وبما أن السفن التالية لن تصل إلى المريخ إلَّا بعد قرابة عامين، فعلى كارسن أن يغادر الآن ويكمل المدرسة الثانوية في الأرض، ويعتاد التغير في الوقت وقوة الجاذبية، قبل أن يبدأ الدراسة في الجامعة التي ستقدم له منحة كاملة. سيحصل على منحة. كان لا بد أن يؤمن بهذا، لأنه لم يستطع أن يفكر مجرد تفكير في الخيار البديل.

توسل إلى الرأس السحابي: «هلَّا منحتني أملًا أتشبث به؟ دعك من الخبر نفسه، على الأقل أخبرني أنني سأسمع خبرًا عما قريب».

لاذ الرأس السحابي بالصمت. في البداية ظن كارسن أن الرأس السحابي أرسل الطلب إلى الأرض وينتظر إجابة، لكنه قال: «*هذا النقاش ينبغي أن يجري بينك وبين والديك*».

يعرف جميع الناس أن اقتراح الرأس السحابي نقاشًا مع الوالدين لا يبشِّر بخير من أي ناحية.

***

كان يوم الجمعة يوم مهرجان التعدين الكبير. الذين أمضوا حيواتهم يحفرون في التراب يرفعون رؤوسهم في ليلة واحدة كل عام مريخي ليربِّت بعضهم على ظهر بعض. قُرر تكريم والدَي كارسن هذا العام، بجائزة 'قُطب التعدين'. مثل صديقه آشر، ازدهرت أحوال والدَي كارسن بكونهما سمكة كبيرة في بِركة صغيرة تكاد أن تكون خالية من الحياة.

سألته والدته وهو جالس في غرفته: «ألم ترتدِ ملابسك حتى الآن؟»، يحاول البحث عن المواعيد النهائية للردود في جامعات عديدة. قال لها: «لن أستغرق سوى ثانية». خلافًا لوالديه، اللذين لا يتأنقان إلا للمهرجان، كانت بدلة كارسن عنصرًا أساسيًّا في مناظراته. أما والداه، اللذان اعتادا ارتداء ملابس العمل الزرقاء التي يرتديها جميع المُعدِّنين تحت بدلاتهم الفضائية، فقد كان التأنق بالنسبة إليهما مسعى حافلًا بالتوتر يبدو كأنه يدوم ساعات.

ذكَّره الرأس السحابي: «*هذا* يوم عظيم *لهما*، كن صبورًا معهما». كأنما كارسن هو الوالد.

وعند مرور كارسن أمام الحمام، رأى والدته تجاهد ربطة عنق والده، التي بدت قصيرة ومائلة. نظر والده إليه.

علَّق والده: «تبدو متجهِّمًا».

قالت والدته: «متى لا يبدو متجهِّمًا؟».

قال كارسن: «تلك الجامعات، كل جامعات أمريكا يقولون إنهم أرسلوا ردودهم سلفًا، لكنني لم أتلق ردًّا».

لمح كارسن نظرة بين والديه. فأحس بغريزة دفينة تخبره بأن يتجاهل الأمر... لكن الرأس السحابي قال له آنفًا إنه سيخوض نقاشًا. والرأس السحابي لا يخطئ أبدًا.

تساءل كارسن: «ما الخطب؟ ماذا تخفيان عني؟».

تحاشى والداه النظر إليه. وعندئذٍ أدرك كارسن أنهما قد تآمرا عليه، لم تكن لديه فكرة عما فعلاه، لكنه عرف أنهما ارتكبا جُرمًا في حقه.

كرر سؤاله بنبرة أشد إلحاحًا أوضحت أنه لن يقبل الرفض: «*ماذا* تخفيان عني؟».

قال والده: «فلنتحدث بعد المهرجان».

أصر كارسن: «لا. فلنتحدث الآن».

تنهدت والدته. والتفت والده إليه وقال: «سكان الأرض كسالى، ورجعيون في تفكيرهم، وربما أسوأ، لا يفكرون إطلاقًا. هذه ليست القيم التي نشأتَ عليها».

- كنتما من سكان الأرض قبل ثماني سنوات! لذا لا يحق لكما قول ذلك.

- مستقبل أسرتنا هنا في المريخ.

كان كلام الوالد سخيفًا، لأن كليهما كانت لديه أسر تركها خلفه في الأرض قبل أن ينجبا كارسن. أبناء بالغون، وأحفاد، وربما أبناء أحفاد أيضًا. لم يخبراه قط بسنهما الحقيقية، لكن لا بد أنهما ناهزا المئة. لكن عندما يستعيد المرء شبابه، ويعود إلى سن أصغر، غالبًا ما يترك أشياء كثيرة خلفه. عاشا حيوات كاملة في الأرض قبل أن يهجراها. كيف يجرؤان على حرمانه من التجربة؟

- لا يمكنكما منعي من الذهاب!

قالت والدته: «أمامك حياة بأكملها لتعود إلى الأرض. إذا ذهبت، فمتى سنراك مرة أخرى؟».

هذا السؤال جميعهم كانوا يعرفون إجابته. لن يعود كارسن إلى المريخ أبدًا، وكان يعرف أن والديه لن يعودا إلى الأرض أبدًا. تصالح كارسن مع قراره سلفًا، لكن بدا واضحًا أن والديه لم يتصالحا معه.

ألقى والده عليه محاضرة قصيرة: «كل طفل هنا يحلم بالذهاب إلى الأرض يا كارسن، لكننا هنا من أجل غاية، غاية *نبيلة*. ربما لا تتبيَّنها الآن، لكن بمرور الوقت سوف تفخر بما ننجزه هنا».

- وإذا لم يحدث ذلك؟

مجددًا، تلك النظرة المقيتة السرية بينهما، نظرة التآمر. نظرة الإحساس بالذنب.

ثم استدار والده إليه ليواجهه، وقال: «سحبنا طلبات الالتحاق بالجامعات».

سمع كارسن الكلام، لكنه عجز عن استيعابه، كأنما أحدثت كلمات والده انفجارًا في دماغه. قال: «فـ... فعلتما ماذا؟ لا يجوز لكما فعل ذلك!».

- نحن والداك، يجوز لنا بالطبع.

لأول مرة حسبما يتذكر عجز كارسن عن إيجاد كلمات يقولها. أمضى وقتًا طويلًا في الانتظار، يراوده الأمل، دون أن يدرك أن البساط قد سُحِب من تحت قدميه. ما فعله والده أمر شديد الفظاعة، لا يغتفر. لن يتجاوز كارسن هذا الموقف أبدًا. علاقته بوالديه لم تكن الأفضل، لكن الآن صار من المستحيل رأب الصدع. ورغم هذا لم يدركا، لم يدركا مدى فداحة ما فعلاه، ظنًّا أن غضبه مؤقت. لم يكن مؤقتًا.

قال والده: «حالما تبلغ الثامنة عشرة، يمكنك فعل ما يحلو لك. إذا كنت ما زلت تريد الذهاب، يمكنك التقديم للالتحاق بأي جامعة تريدها في موسم النقل التالي».

- سوف يحِل بعد أكثر من عامين!

ضحك والده قائلًا: «يمكن أن تعيش ألف عام هنا، دون حتى تهديد التعرض للقطف. العامان لا شيء!».

- لا. ليسا لا شيء! لأنني يمكن أن أعيش مليون عام، لكنني لن أكون في السابعة عشرة أبدًا!

قالت والدته: «لا تقلق يا عزيزي، أنا متأكدة أن الرأس السحابي يومًا ما سوف يكتشف طريقة لإعادة الناس إلى سن السابعة عشرة».

***

أحيانًا، عندما يضع المرء لحياته خططًا معقدة، يحدث أن ينقلب عالمه رأسًا على عقب إثر خطوة خاطئة واحدة. لكن الألم وخيبة الأمل، مثل الحسد، يمكن أن يصبحا دافعًا جديدًا. وُلِد كارسن في أسرة معدِّنين، إذن بإمكانه أن ينقِّب بدواخله عميقًا، ويستخرج مشاعره الزنخة ويصقلها فيجعلها موردًا يمكنه استغلاله.

تكلم آشر معه وهو يطوِّق بذراعه ديفونا التي سامحته منذ مدة على حماقته الأخيرة أيًّا كانت: «هوِّن عليك يا صاح، عندما يصل زنيوقيراطس، سأقدمك له».

قال كارسن: «اسمه زينوقراط، مثل سقراط. اعرف نطق اسمه الصحيح على الأقل».

قالت ديفونا: «أجل، وإلَّا سيقطفك».

قال آشر: «يقطف خادمه الأمين؟ مُحال!».

لم يخبرهما كارسن عن سحب تقديمه للجامعات. لم يرغب في رؤية شفقة ديفونا عليه، ولا في سماع كلام آشر عن أن ما حدث خير إذ يمكنهم الالتحاق معًا بكلية المريخ للزراعة والتعدين.

قال آشر: «يجدر بنا أن نأخذ بعض المشروبات الكحولية ونخرج إلى فوهة ثولَس ونحتفل».

قال كارسن له: «لا أستطيع، علي الذهاب إلى المنجم الشمالي لتركيب رأس حفارة جديد».

اقترحت ديفونا على آشر: «ينبغي أن تذهب معه، لا بد أن العمل يتطلب شخصين».

«بالطبع!». وافق آشر دون تردد كما لو أن الزحف بالروفر ثلاث ساعات ليس أمرًا بغيضًا. «على الأرجح أسرتي هي التي صنعت رأس الحفارة، صحيح؟ أقل ما يمكنني فعله هو المساعدة في تركيبه».

رغم أن كارسن لم يرغب في رفقة آشر في الوقت الراهن، فقد كانت ديفونا محقة، العمل يتطلب شخصين، والحل البديل سيكون ذهابه مع أحد والديه، وهذا أسوأ بكثير من الذهاب مع آشر.

ثم خطر لكارسن أن اصطحاب آشر ربما يصب في مصلحته بطرائق أخرى، طرائق بدأ للتو التفكير فيها.

قال آشر: «ستكون رحلة على الطراز القديم».

- اتفقنا. فجر يوم السبت، سألتقيك عند رصيف الشحن الشمالي.

- سأكون هناك!

وبدأت تروس عقل كارسن الدوران.

***

المسار المتجه شمالًا من القبة مطروق كثيرًا بعجلات شتى المركبات، لكن لم يُعبَّد بعد، لدى الرأس السحابي أولويات أخرى، وعلى الأرجح سوف يشيد خط سكة حديدية سريعًا. لكن في الوقت الراهن كل المتجهين شمالًا عليهم أن يسلكوا المسار الوعِر.

كان لكارسن أن يدع قيادة الروفر للسائق الآلي، لكنه كان يستمتع بالتحكم الذي يجده في القيادة. وكان أحيانًا يحيد عن المسار، محاولًا أن يضل الطريق عمدًا، وقد كان هذا مستحيلًا بالطبع، إذ يظل جبل أوليمبس مونز شامخًا دومًا في اتجاه الشمال. وحتى إذا تمكن من تضليل نفسه، فالرأس السحابي يعرف مكانه دومًا. كان أمرًا مزعجًا أكثر من كونه مطمئنًا.

لكن اليوم التزم كارسن بالمسار، لأن أمامه مهمة، مهمة يستحسن إنجازها في أقرب وقت.

بجانبه في الروفر تولى آشر تشغيل الموسيقى، لكنه لم يدع أغنية تنتهي قبل أن يبحث عن أغنية جديدة.

تساءل آشر: «كيف تفعل هذا كل نهاية أسبوع؟ لفقدتُ صوابي من الملل».

قال كارسن له: «التعوُّد».

لم يضطر آشر، مثل كثيرين في المستعمرة، إلى الذهاب بعيدًا عن القبة. ربما كانت تروقه فكرة الرحلات الطويلة، لكنه ليس لديه استيعاب جيد للواقع.

قال آشر: «شاهد هذا يا صاح!». ونظر نحو عين كاميرا الرأس السحابي المثبتة على لوحة العدادات: «الرأس السحابي، ما حاصل اثنين زائد اثنين؟».

انتظرا، لكن الرأس السحابي لم يرد. بدا آشر مسرورًا راضيًا عن نفسه، واحتار كارسن للحظة من عدم رد الرأس السحابي.

قال آشر بفخر: «أرأيت؟ إنني أعمل لدى منجل رسميًّا الآن، مما يعني أن الرأس السحابي لا يجوز له التحدث معي من الآن إلى أن يغادر المنجل».

- لكن زينوقراط لم يصل بعد.
- لا يهم. طُلِب مني سلفًا ترتيب منزله وشراء أغراض له، لذا يرى الرأس السحابي أن توظيفي صار رسميًّا!

وحتى يتأكد أن حاسوبهم غير معطل، جرب كارسن: «الرأس السحابي، ما حاصل اثنين زائد اثنين؟».

على الفور قال الرأس السحابي: «*أربعة يا كارسن، لكنك تعرف هذا*». كاد كارسن أن يقسم على أنه سمع ابتسامة ساخرة في صوت الرأس السحابي. الذكاء الاصطناعي يضحك عليه.

قال كارسن: «الرأس السحابي، خصوصية».

رد الرأس السحابي: «*حسنًا*». وانطفأت أضواء الكاميرا وأجهزة الاستشعار العديدة في أنحاء الروفر.

قال كارسن: «ما دام لن يتحدث معك، فلن أدعه يتحدث معي».

بعد ساعتين وصلا إلى موقع البناء الذي سيكون المركز الشمالي عما قريب، أي قبة كارسن المستقبلية، حسبما قالاه والداه عنه. كانا قد قالا له: «لن تكون وحدك، سيتوفر هناك سكن لمئة مستوطن على الأقل». وماذا يعنيه

هذا؟ نحو خمسة أشخاص في مثل سنه؟ أراد كارسن لعالمه أن يتوسع، لا أن يتقلص.

وبعد نصف ساعة، بلغا قمة حافة مرتفعة كان ينبغي أن تتيح لهما رؤية بانورامية لصفوف الحفارات، لكن انبثقت أمامهما عاصفة ترابية على مبعدة حجبت كل شيء عن مجال رؤيتهما.

صمت كلاهما ليفكر... لكن تفكير كل واحد منهما ذهب إلى اتجاه مختلف تمامًا.

قال آشر: «هذا سيئ، أينبغي أن ننتظر؟».

لم يوافقه كارسن: «ليس سيئًا جدًّا، عملتُ بالخارج هنا في ظروف أسوأ».

هبطت الروفر نحو صفوف الحفارات، وعندما دخلا العاصفة، انخفضت الرؤية، وأعتمت الشمس، واكتست السماء بلون قرمزي غامق، اللون الذي تخيل كارسن ذات يوم أنه لون سماء المريخ الطبيعي، قبل أن يصل إلى المريخ ويعرف مدى شحوبها كأنها مصابة بفقر الدم. وبعد لحظات انعدمت الرؤية، وأصدرت مستشعرات الروفر صوت تشويش متواصل.

قال آشر: «يجدر بك أن تبطئ سرعتك». رغم جرأته أمضى آشر معظم حياته في المريخ داخل القبة، لم يألف الأحوال الجوية بالخارج بعيدًا في السهول المفتوحة.

قال كارسن له: «نحن بخير. لا أحتاج إلى الرؤية لأعرف إلى أين نذهب».

وفي أثناء قيادتهما عبر الممر المركزي العريض، لمحا ظلالًا باهتة للحفارات على الجانبين، وقد كانت كافية لكارسن لمعرفة طريقه إلى ملك البستوني.

تساءل آشر مجددًا عندما توقفا: «أينبغي أن ننتظر؟ بالكاد نرى أذرعنا».

- لا نحتاج إلى رؤية أكثر من أذرعنا.

ارتديا بدلتيهما وخرجا إلى العاصفة. كان رأس الحفارة الذي يحملانه على مقطورة الروفر ضخمًا كجذع شجرة، ذا شفرات حادة، حتى في جاذبية المريخ الضعيفة كان وزنه قرابة أربعمئة رطل، وسهَّلت بدلتاهما اللتان تعززان القوة حمله لكن التحكم به ظل مُجهِدًا.

شقا طريقهما عبر الغبار الثائر، الذي إن كان في غلاف جوي أكثر كثافة لجعل تحركهما مستحيلًا، لكن في المريخ لم يكن سوى مصدر إزعاج بسيط.

تلاشت الروفر من مجال رؤيتهما خلفهما، فقال آشر: «كان ينبغي أن نوقف الروفر في مكان أقرب».

سارا عشرين ياردة، وبلغا الحفارة. بينما كانت الحفارات الأخرى تدور وتلفظ صخور خام المريخ المسحوقة في قواديسها، ظل ملك البستوني ساكنًا صامتًا كخفير.

استغرق تفكيك قطع رأس الحفارة المكسور القديم وقتًا طويلًا، ثم سقطت القطعة الأضخم على التراب بصوت مكتوم، أحسَّا به أكثر مما سمعاه. ثم وضعا الرأس الجديد بالأسفل بمحاذاة مكان تركيبه. ذهب كارسن إلى لوحة التحكم، وظل آشر بالأسفل، ليتأكد من تراصف الرأس مع عمود الدوران.

قال آشر: «حسنًا، ابدأ التشغيل».

مرت بضع ثوانٍ. لا شيء.

قال كارسن: «هذا غريب، التروس لا تتعشق». ثم مال فوق الممر العلوي الضيق، ونظر إلى الأجزاء الآلية من الحفارة: «أرى المشكلة، ثمة حجر عالق في البطانة الداخلية، أيمكنك نزعها؟».

حشر آشر نفسه إلى داخل بطانة الحفارة ونظر إلى الأعلى، وقال: «لا أراه».

- إنها على الجانب الآخر، تقدَّم، ستراه حالًا.

عندئذٍ اشتغلت الحفارة فجأة، وجذبت أسنانها الحادة آشر إلى الداخل.

- سحقًا! أوقفها! أوقفها!

ضغط كارسن زر الإيقاف، وهرع فرأى آشر عالقًا، وقد مزقت شفرات الرأس بدلته. بدا آشر متألمًا وراح يشهق قائلًا: «أحضر رقعة! رقعة من الروفر، إنني أفقد الهواء! أسرع!».

لكن كارسن لبث واقفًا في مكانه.

تابع آشر: «عليكَ أن تعكس حركة الحفارة حتى تدفعني إلى الخارج».

لم يتحرك كارسن.

- إنني آسف جدًّا يا آشر.

- لا تتأسف، تحرك فحسب!
- لا، أعني.. آسف، لا أستطيع.

تلاحقت شهقات آشر وهو يحاول التقاط أنفاسه: «ما... ما الذي تتكلم عنه؟».

رد كارسن بالصمت، فجعل الإجابة واضحة وضوحًا تامًّا.

- اللعنة يا كارسن! هل ستتركني أموت ببساطة؟ سوف أوسعك ضربًا عندما أنعَش!

جاهد آشر ليحرر نفسه، لكنه كان محشورًا عميقًا داخل الآلة.

فابتسم كارسن قائلًا: «تعجبني رؤيتك تتململ».

ثم عاد إلى الأعلى إلى لوحة التحكم، وأعاد تشغيل الحفارة، بأقصى قوة.

***

ثمة قصة قديمة قرأها كارسن ذات يوم، كان مؤلفها بو، ليس بو المنجل، بل الكاتب الحقيقي الذي عاش في عصر الفانين. يجلب رجلٌ ألدَّ أعدائه إلى سرداب قديم، ويغلق عليه الجدار وهو ما زال حيًّا. يا لوحشية أولئك الفانين!

لم يكن آشر عدو كارسن، لكنه كان منافسًا. إذا كان فانيًا لاستحق قتله الشجب، لكن جعل آشر شميتًا لم يكن سوى أمر مزعج وفوضوي.

لم يكن كارسن متأكدًا من قدرته على تنفيذ خطته، كانت توجد العديد من المتغيرات، والعديد من العوائق التي عليه اجتيازها. وضع الخصوصية لا يحجب الرأس السحابي إلَّا في الأماكن الشخصية مثل الروفر، لكن الرأس السحابي لديه مستشعرات وكاميرات على قمة كل حفارة، لكان من الصعب الاختباء منها. لكن العاصفة الترابية غيرت كل شيء! بسببها لن يرى الرأس السحابي شيئًا! كيف لا يستغل كارسن فرصة من الواضح أن العناية الكونية وضعتها بين يديه؟!

خلافًا للحال في الأرض، حتى الآن لم ينشئ الرأس السحابي شبكة طائرات مسيرة في المريخ لتحمل الذين يموتون في أماكن بعيدة خارج القبة، لذا توجَّب على كارسن أن يعيد آشر بنفسه. بعد ثلاث ساعات قاد كارسن الروفر مباشرة إلى مدخل الطوارئ في القبة، حيث أخذ فريق أزمات جسد آشر المتضعضع وغلفوه بالثلج، وحملوه إلى مركز إنعاش المستعمرة.

تظاهر كارسن بالضيق والأسف العميق: «كانت هناك عاصفة ترابية، وكنا قد شغلنا الحفارة للتو، لكن هبة ريح مفاجئة دفعته إلى داخل الحفارة. هذا كان خطئي، ما كان ينبغي أن أشغل الحفارة حتى أتأكد أنه بعيد!».

قال له أحد عمال الأزمات: «لا تلُم نفسك. لكن ما أصاب بدلته الفضائية مؤسف، سيتعذر إصلاحها».

وبما أن الرأس السحابي لم يرَ الحادث، فقد اعتُمِد تقرير كارسن في السجلات الرسمية.

عندئذٍ لم يكن على كارسن فعل شيء سوى انتظار دوران التروس ذات الصلة بخطته.

***

قال الرأس السحابي: «*كارسن، أود أن أسألك عن أمر*».

ابتدر الرأس السحابي الكلام معه في تلك الليلة. كان كارسن في غرفته يستعرض في ذهنه تفاصيل اليوم كله، ويبرر أفعاله لنفسه، ويُعَقلِنها، فالتفكير العقلاني هو ما يبرع فيه. لم يتحدث الرأس السحابي معه منذ الحادثة، ولم يهتم بمحادثته الآن.

- *كارسن؟*
- وفِّر كلامك، لست في مزاج جيد.
- *لا أظن أن بإمكاني 'توفير' كلامي. أريد أن أسألك قبل فوات الأوان.*
- حسنًا، لكن اختصر الكلام.
- *إنه عن حادثة آشر.*
- ماذا عنها؟
- *تبدو ملائمة، ألا تظن ذلك؟*
- ليست ملائمة له.
- *لكنها ملائمة لك.*

مكتبة
t.me/soramnqraa

اعتدل كارسن جالسًا: «ما الذي تلمِّح إليه؟».

- *لا يجوز لي الحديث عن تبعات منافسة المقالات، لكنني أعرف أنك حللت في المركز الثاني، مما يقودني إلى السؤال... هل تسببت عمدًا في شِموت آشر حتى تحل محله؟*

أطلق كارسن ضحكة قصيرة، عجز عن كبحها. اختصر الرأس السحابي التلميحات وسأله سؤالًا مباشرًا.

- كيف تجرؤ على اتهامي؟!
- *ليس اتهامًا، بل مجرد سؤال.*
- سؤال مُهين!
- *لكنك ما زلت لم تجب عنه.*
- الرأس السحابي، وضع الخصوصية!
- *بالطبع يا كارسن.*

انطفأت كاميرا الرأس السحابي مذعنة، وانقطع صوته.

أدرك كارسن أن الرأس السحابي يحاول استدراجه. بمقدور الرأس السحابي اكتشاف الكذب بدقة مئة في المئة، من نبرة الكلام وأبسط التغيرات في فسيولوجيا الجسد. لذا رأى كارسن أنه ما دام لم يجب عن السؤال، فسيظل مجرد سؤال، لن يستطيع الرأس السحابي أن يتهمه أو يعاقبه دون دليل. وبما أن تقرير كارسن قد صار التقرير الرسمي، فالرأس السحابي لن يستطيع أن يدحضه.

قال كارسن مع نفسه: *فليحنق الرأس السحابي إلى درجة الغليان*. رأى أنه سيكون سعيدًا بعدم الكلام مع الرأس السحابي مرة أخرى أبدًا.

***

كان آشر ما يزال في مركز الإنعاش يوم وصول المنجل، الإصابات التي تعرض لها كانت بالغة سيستغرق علاجها أربعة أيام على الأقل، ربما خمسة أيام لإعادة بناء الأعضاء وترميم الخلايا.

قالت والدة آشر لكارسن في وقت سابق: «من الجيد أنه لن يتذكر الحادثة. يؤسفني أنك ستتحمل عبء الصدمة وحدك».

طمأنها كارسن: «سأكون بخير، شكرًا».

دُهش كارسن من عدم شك والدَي آشر فيه. ربما راودتهما شكوك، لكنهما رأيا أن كارسن قد أسداهما معروفًا، إذ بدا واضحًا أنهما لم يكونا متحمسين لقضاء آشر وقته مع منجل. على أي حال، لم يبد أنهما يضمران ضغينة تجاه كارسن، كحال آشر عندما يعود إلى عالم الأحياء، أصيب بأضرار دماغية بالغة ستتطلب استعادة جميع ذكرياته بمساعدة الرأس السحابي، وهكذا فآخر ما سيتذكره سيكون خلوده إلى النوم في الليلة السابقة لذهابهما إلى موقع الحفارة. سيصدق آشر قصة كارسن كما صدقها الجميع، الجميع عدا الرأس السحابي.

وهكذا أصبح كارسن تلقائيًّا خادم زينوقراط الشخصي في المدة التي سيقضيها في المريخ، وفجأة وجد نفسه يحضر اجتماعات مع أهل الحل والعقد في المستعمرة.

قال الحاكم فالرين له: «ما من إطار زمني لمغادرته. قد يبقى الرجل أيامًا، أو أسابيع، وقد ينتظر حتى مغادرة آخر سفن الموسم. لم يوضح لنا شيئًا».

بدا فالرين ساخطًا. كان رجلًا يعيش حياته متبعًا جداول وخططًا، لهذا على الأرجح لم يقدم له زينوقراط جدولًا يتبعه. كان استعراضًا للهيمنة، فالمناجل يعرفون كيف يفرضون سيطرتهم في أي موقف.

قال الحاكم لكارسن: «عليك بإخبارنا بكل ما يحتاج إليه، وإذا صادفه شيء لم يعجبه، فلا بد أن أعرف ذلك أيضًا، حتى نَئِد المشكلات المحتملة في مهدها».

- نعم سيدي.
- أنت خط دفاعنا الأول. نريد أن تكون انطباعاته عن مستعمرتنا إيجابية خالصة، وبما أنك ستلازمه دومًا، فإنك تمثلنا جميعًا. أرجوك لا تخيب أملنا.

لم تكن لدى كارسن نية في تخييب آمال أي أحد. أحس بالإهانة من عدم ثقة الحاكم به، لكن اللباقة اقتضت ألَّا يقول ذلك.

أما والدا كارسن، فلم يعرفا ما عساهما أن يقولا عن الأمر برمَّته.

تكلمت والدته بتناقض لافت: «إنه شرف، على ما أظن».

اقترح والده: «ينبغي أن تصطحبه إلى المنجم، أره العمل الذي نؤديه هنا».

- لا أظنه مهتمًا بالمريخ إلى هذه الدرجة.

- لماذا سيأتي إذن؟

هذا كان السؤال المهم. فرغم البيان الرسمي الصادر من هيئة المناجل، غلب على كارسن ظن أن هذه الرحلة أكثر من مجرد فضول.

***

كان مهرجان 'الوصول الأول' أضخم من مهرجان موسم النقل السابق، نظرًا إلى رغبة القائمين عليه في إثارة إعجاب المنجل القادم على متن السفينة الأولى. تحمس الناس بقدر ما ارتعبوا. تفشت شائعة مفادها أن زينوقراط قطف بعض الناس على متن السفينة خلال رحلة الأسابيع الستة من الأرض «حتى يشبِع رغبته في القطف»، لكن لم يعرف أحد ما إذا كانت مجرد شائعة أم لا. وحتى إذا حدث ذلك فعلًا، فهل العدد الذي قطفه كافٍ لإخماد رغبة المناجل المُلِحَّة في القطف وإصابتهم بالتخمة؟

تجمع معظم سكان المستعمرة في متنزه دايداليا. لم تظهر منصة الهبوط إلا من سطح المراقبة، لكن أرضية المتنزه ارتجَّت بشدة عندما هبطت سفينة، فعرف جميع الناس أنها وصلت. خيم الصمت على المتنزه بعد هبوط السفينة، وانتظر الناس أول نظرة لهم إلى أول منجل تطئ قدماه المريخ.

أغلِقت بوابة الوصول أمام جميع الناس عدا الضيوف المدعوين، الحاكم، وكبار موظفيه، والصحفيين، وجوقة أطفال لتغني أغنية يقال إنها المفضلة لدى المنجل، وكارسن، متأنقًا بأفضل بدل فريق المناظرات لديه.

أحس كارسن بشيء من التوتر، ليس لأنه خشي القطف، بل لأن هذا هو أول لقاء له بشخص قادر -بفرقعة بأصابعه وتلويحة بيده- على فعل أي شيء باستثناء إطفاء الشمس. فكرة وجود شخص كهذا وحدها كانت تبعث الرهبة، وسواء كان الرجل كذلك فعلًا أم لا، فهذا أمر سيعرفه عما قريب.

سافر زينوقراط مع حاشية صغيرة، على عكس المتوقع، امرأة قدَّمت نفسها بوصفها رئيسة موظفيه، وطاهٍ، واثنين من أفراد الحرس النصلي، بدا أن وظيفتهما الوحيدة هي توفير التناظر بوقوفهما على جانبَي سلم السفينة. أثبتت رئيسة الموظفين وجودها بالاهتمام بتفاصيل منطقة الوصول، أصرت على إفساح مساحة أكبر قبل نزول زينوقراط، فأُبعِد الأطفال إلى الوراء، وطُرد معظم المصورين والمراسلين، وتُرك مصور ومراسل لتمثيل الصحافة. وأخيرًا، عندما راق لها الوضع، رفعت صوتها بالتقديم الرسمي.

«اسمحوا لي بأن أقدم لكم جنابه، زينوقراط، المساعد الثاني لنصل سامي وسطمريكا». وعندئذٍ خرج من السفينة.

بدا رجلًا لافت المظهر، لم يكن ضخمًا، ولا نحيلًا، عباءته صفراء داكنة، بلون بذور الخردل، ولم يبدُ على تعابير وجهه السرور ولا الامتعاض، كما لم يبدُ وجهه متجهمًا ولا مرحًا. استحالت قراءة أفكار الرجل أو مشاعره. معظم الناس يجدون هذه السمات مثيرة للقلق، لكن كارسن أعجب بها، إذ رأى قسمات وجه الرجل قناعَ سلطة حقيقيًّا.

قال الحاكم: «جنابك! يا لبهجتنا بزيارتك لمجتمعنا الصغير». ومد يده، لكن المنجل لم يمد يده ليصافحه، تاركًا يد الحاكم معلقة وحيدة في الهواء. فازداد اضطراب فالرين.

قال زينوقراط: «اسمح لي يا سيدي بالنزول إلى كوكبكم الجميل».

ارتبك الحاكم لوهلة، وقال: «جنابك، بوصفك منجلًا لا تحتاج إلى إذن مني. عالمي هو عالمك». ثم أشار إلى جوقة الأطفال، فبدؤوا يغنون.

رسم زينوقراط على وجهه ابتسامة مصطنعة جعلته يبدو كمن يعتصر بطنه ليفرغ أمعاءه، وقال: «رائع. رائع». لكن بدا واضحًا لكارسن أن الرجل يجامل فحسب.

وأخيرًا، عندما انتهت الأغنية، أشار الحاكم إلى كارسن قائلًا: «جنابك، كما طلبتَ اخترنا لك شابًّا منا ليخدمك في المدة التي ستقضيها في المريخ. أقدم لك كارسن لسك».

وتفاجأ كارسن بمد المنجل إليه يده ليصافحه، فخشي أن يمد يده، لكنه أدرك أن مصافحة زينوقراط ستضعه في مرتبة أعلى من مرتبة الحاكم في هذا الموقف السريالي. صافح زينوقراط بحرارة، وقال: «إن لقاءك شرف لا نظير له جنابك».

أطلق زينوقراط قهقهة ساخرة وسأل الحاكم: «هل يتكلم الفتى بهذه الطريقة دومًا».

لكن بداهة الحاكم لم تسعفه.

قال كارسن: «أحاول إبداء احترامي فحسب جنابك».

- حسنًا، الاحترام شيء، والتزلف شيء آخر. ومن الواضح أن حاكمك يميل إلى التزلف.

قهقه الحراس، فأوضحوا أنهم أيضًا يؤدون مهمة جوقة المنجل.

سعل الحاكم سعلة خفيفة، كأنه اختنق بكرامته التي أُرغم على ابتلاعها للتو، وقال: «نظمنا حفل استقبال لك في متنزهنا الرائع جنابك». وأشار بيده محاولًا حث الجميع على التحرك من منطقة الوصول إلى المساحة المفتوحة في القبة.

قال زينوقراط: «ربما لاحقًا. كانت الرحلة مكتظة ومريعة. أحتاج إلى بعض الوقت حتى تعتاد ساقاي جاذبية المريخ».

ارتبك فالرين مجددًا: «أجل، لكن... لكن المستعمرة بأكملها في انتظارك للترحيب بك».

كرر زينوقراط كلامه بنبرة آمرة معتدلة: «قلتُ ربما لاحقًا».

تراجع الحاكم: «كما تشاء جنابك، سنعيد جدولة الاحتفالات وفقًا لرغبتك. كارسن، إليك مهمتك الرسمية الأولى، من فضلك اصطحب ضيفنا الموقر وحاشيته إلى مقرهم».

سار كارسن أمامهم، سالكًا مسارًا بعيدًا عن المنطقة المفتوحة في مركز القبة، ليتجنبوا الحشود التي تنتظر لإلقاء نظرة على المنجل.

قال كارسن للمنجل: «لا ألومك على رغبتك في قضاء بعض الوقت وحدك بعد رحلتك الطويلة».

- أجل، ولا أطيق أن يبادر شخص مثل حاكمكم إلى وضع جدول أنشطتي دون مشورتي.

قال كارسن: «وأنا أيضًا». وتذكر والديه ومحاولاتهما الفجة للتحكم في مسار حياته.

- إذن أتمنى أن تتوافق آراؤنا في مواضيع كثيرة.

- هذا ما أتمناه أيضًا جنابك.

***

كان كارسن قد بحث عما يفعله الخادم الشخصي تحديدًا، وأرهقه البحث، لأنه من اللحظة التي مُنح فيها الوظيفة لم يعد يحظى بمساعدة الرأس السحابي، فاضطر إلى التنقيب عن المعلومات بنفسه. بدا له أن معظم ما

تتطلبه وظيفته هو الاعتناء بالملابس، مهمة بسيطة إذ لا يرتدي زينوقراط سوى أربع عباءات متطابقة، لكن سيتضح له أن واقع الوظيفة أكثر تشعُّبًا.

كانت طلبات المنجل كثيرة جدًّا، مشروبات محددة في أوقات محددة من اليوم، يطلب بعضها بالثلج، شريطة أن يكون مكعب ثلج واحدًا بحجم مناسب. اضطر كارسن إلى أن يحمل معه عدة أصناف وجبات خفيفة، في كل الأوقات، بالإضافة إلى جهاز لوحي لتسجيل ملاحظات مسهبة، وكان المنجل يتحدث بسرعة صعُب على كارسن مجاراتها. ومتى ما ظهر خبر سيئ، يكون كارسن حامله دومًا، مثل عندما اشتهى زينوقراط الكرز.

- آسف جنابك، ليس لدينا أي فاكهة ذات نواة. جميع الأشجار لم تنتج ثمارًا بسبب قصور نموها.

قال زينوقراط: «اجلب لي خوخًا إذن».

قال كارسن: «امم... الخوخ فاكهة ذات نواة أيضًا». لكن ابتسامة زينوقراط الماكرة أوضحت أنه يعبث مع كارسن. تابع كارسن مقترحًا: «أشجار الحمضيات بدأت طرح الثمار للتو، ما رأيك بالبرتقال؟ ولدينا كثير من العنب والتوت وحتى البطيخ».

في النهاية رسا اختيار المنجل على وعاء من الفراولة، ووبخ رئيس النقابة الزراعية على عدم زراعة الفواكه في المختبرات كما يزرعون اللحم.

كانت الأيام الخمسة الأولى دوامة من الحفلات والعروض التي أقيمت على شرف المنجل، وجولات إلى كل نواحي المستعمرة. وجد كارسن وظيفته مغامرة غير متوقعة إذ تطلبت أن يكون رهن إشارة زينوقراط طوال الوقت، تمكن من الدخول إلى أماكن ما كان ليُسمح له بدخولها عادةً، من مختبرات الطعام إلى الحاسوب المركزي، أمكنه الذهاب إلى أي مكان، ما دام سائرًا في أعقاب المنجل. ورغم أن كارسن لم يحب أن يكون في ظل أي أحد، فقد كان سعيدًا بتحمُّل هذا الظل.

وبحلول اليوم الخامس، بلغ الإرهاق من كارسن كل مبلغ، لكنه كان، وفقًا لتعبير الرأس السحابي، إرهاقًا مصحوبًا بنشوة إنجاز المهمة. صار عادةً ما يعود إلى المنزل حالما ينسحب زينوقراط إلى مقره في نهاية المساء، لكن الليلة استدعاه المنجل إلى مكتبه.

قال: «اجلس، تناول الشاي معي. إنك تتجول طوال اليوم».

جلسا على كرسيين وثيرين، قبالة صورة مجسمة لمستوقد نار يلقي أضواءً متراقصة في أنحاء الغرفة.

قال زينوقراط: «لا بد لي من قول إنني أجد هذه النار المزيفة بلا طعم».

- النيران الحقيقية ممنوعة جنابك؛ الأكسجين مهم ونادر ينبغي ألا يُستهلَك في الحرق.

- أجل، حسنًا، هذا منطقي. حدثني عن نفسك يا كارسن. لمرة فلندع الحوار يدور حول شخص غيري.

تنحنح كارسن: «حسنًا... أنا الأول على صفي، في الحقيقة لست الأول تمامًا بل ضمن المراكز الأولى. كما إنني كابتن فريق المناظرات، و...».

- لم أقصد هذا. أخبرني، ماذا دفعك للتقدم لهذه الوظيفة؟ ومن فضلك لا تحدثني بذلك الهراء الذي كتبته في مقالك.

- هل قرأتَ مقالي؟

أجاب زينوقراط: «عُرِض علي، نعم. كان مقالك مضبوطًا، مثاليًا، مُملًّا»، وأخذ رشفة طويلة من الشاي. ثم تابع: «سمعتُ أن الشاب الذي اختير أولًا للوظيفة تعرض لحادث غير متوقع».

- أجل، جنابك، لما كان حادثًا إذا كان متوقعًا.

تمنى أن يضحك زينوقراط من كلامه، لكنه لم يفعل.

- تعيش هنا مع أسرتك منذ تأسيس المستعمرة، أهذا صحيح؟

- نعم جنابك. ثماني سنوات.

- وما رأيك في المريخ؟

فكر كارسن أن السؤال ربما يكون فخًّا، ولم يعرف في أي اتجاه يكمُن الفخ، فقدم إجابة محايدة آمنة: «إنه دياري».

عبس المنجل قائلًا: «لم تخبرني بشيء».

- غادرت الأرض عندما كنت في التاسعة، أتذكرها بالكاد.

- ما زلت لم تخبرني بشيء

تنهد كارسن. سئم من الألاعيب الذهنية الليلة. قال: «أخبرني بما تتوقع مني قوله جنابك، وسأقوله».

قال زينوقراط: «الحقيقة، بصرف النظر عن العواقب التي تخشى أن تجُرَّها عليك».

نظر كارسن إليه لحظة طويلة، رأى أن من الحكمة ألا ينصاع لما أُمِر به، لكنه قرر إخبار زينوقراط بالحقيقة.

اعترف: «أكره الحياة هنا، أكرهها بشدة».

ابتسم زينوقراط، ابتسامة صادقة، ليست مصطنعة، واتكأ على كرسيه قائلًا: «تابع».

- كنت آمل أن أنال منحة دراسية حتى ألتحق بجامعة في الأرض، لكن... لكنني لم أوفَّق.

أومأ زينوقراط، وقد قرأ بسهولة ما بين سطور كارسن، وقال له: «وظننتَ أنك إذا نلت حظوتي فربما أفتح لك الأبواب».

تحاشى كارسن النظر إلى عينَي المنجل. لم يعجز عن النظر مطولًا إلى عينَي أي شخص آخر قط.

- ... خطرت لي الفكرة.

- لا تكذب علي يا بُني. لم تخطر لك الفكرة فحسب، بل ظلت محور أفكارك مدة طويلة.

- أجل جنابك. آسف.

استخف زينوقراط باعتذار كارسن بتلويحة من يده، وقال: «لا تعتذر أبدًا لأنك طموح، لا عيب في الرغبة في الارتقاء».

ثم تغير وجه الرجل فاكتسى بقناع الغموض والسلطة: «ربما توجد فرص لم يخطر لك التفكير فيها».

لم يقل زينوقراط المزيد، وترك كلامه يتأرجح معلقًا بين ألسنة لهب النار الاصطناعية.

غادر كارسن في تلك الليلة وقد أدرك أن المنجل أعد له خططًا، لكنه عجز عن تخمين ماهية تلك الخطط.

***

سأله آشر: «كيف وجدته؟».

- يصعب وصفه. يبدو كأنه مركز الكون، ويعرف أنه مركز الكون، لذا ليس عليه إثبات ذلك. مثلًا عندما يمشي، لا يتحرك هو، بل يبدو كما لو أن الهواء يفسح له الطريق، ويجذبه الفراغ إلى الأمام.

كان كارسن جالسًا في غرفة إنعاش آشر مع ديفونا. وقد استيقظ آشر منذ ساعتين فقط، لذا كان ما يزال مشوشًا قليلًا، لكنه بدا كآشر الذي يعرفانه.

قالت ديفونا: «أجل، المناجل هكذا. يمتصون كل الهواء من الغرفة بمجرد وجودهم فيها».

قال آشر: «أتريدان بعض الآيسكريم؟ إنه رائع». وقدم لهما ملعقته.

لكنهما لم يقبلا عرضه، كما لو أن أكل شيء في مركز إنعاش يقرِّب المرء خطوة من الشموت.

قال كارسن: «إنني آسف بشأن ما حدث عند الحفارة».

وكان سهلًا على آشر إبداء لا مبالاته بحدث لا يتذكره: «الحوادث تقع. وعلى أي حال، نظرًا إلى مدى الإرهاق الذي يبدو عليك، أظنني نجوتُ من ورطة. يسعدني أنك نلت الوظيفة. لما أحببت أن أجد نفسي خادمًا لمتغطرس».

سألت ديفونا: «أتعجبك الوظيفة يا كارسن؟».

قال لهما: «إنها مُجهِدة، يصعُب إرضاء المنجل، لكن ثمة فائدة مرجوَّة منها في النهاية».

قصد كارسن ما قاله في النهاية تحديدًا، إذ صار زينوقراط يستدعيه إلى مكتبه كل ليلة، ويتحدثان عن الفلسفة والأحداث الجارية، ويناقشان التاريخ والدور الذي لعبته هيئة المناجل في حاضر البشرية. فأحس كارسن بأنه مهم بطريقةٍ ما، لمعرفته بأن أفكاره وآراءه محل تقدير عند شخص ذي شأن.

سأله آشر: «هل رأيت أسلحته؟ سمعت أن المناجل يملكون ترسانات أسلحة لا يُسمح للناس العاديين بامتلاكها».

قال كارسن: «لم يجلب معه أي سلاح، يقول إنه لم يأتِ للقطف، وحتى الآن يبدو صادقًا».

قالت ديفونا وقد اعترتها رعدة خفيفة: «رغم ذلك، لما رغبت في رؤيته ينظر إلي».

- إذن... أظنكما لا ترغبان في مقابلته.

نظر آشر وديفونا إلى بعضهما متوترين قليلًا.

قال آشر: «أجل، على الأرجح لا نرغب».

***

صار كارسن يترقب نقاشاته المسائية، وبدا زينوقراط خبيرًا في كل المواضيع، وانطوت آراؤه على أبعاد متعددة. كانت مجاراته تحدِّيًا، لكن كارسن يستمتع بالتحديات. وأفكار زينوقراط حول أحوال البشر أمدَّت كارسن بكثير من مواضيع التفكير.

قال زينوقراط ذات ليلة: «الخلودُ سيفٌ ذو حدَّين، وهذا سبب إضافي لحمل السيف». وضحك من كلامه ضحكة مجلجلة فاضطر كارسن إلى الضحك معه. ثم خفض زينوقراط صوته: «تقول إنك ممتعض من الحياة هنا، هل تتمنى لو لم توجد هذه المستعمرة قط؟».

استشعر كارسن عمقًا في السؤال، وأن الإجابة بنعم أو لا لن تكفي. قال: «أرى أن... الجنس البشري وُلد في الأرض، ومن المفترض أن يبقى في الأرض».

قال زينوقراط: «لكن الرأس السحابي اختار تأسيس هذه المستعمرة، والرأس السحابي لا يمكن أن يخطئ، أليس كذلك؟». وبدا واضحًا أن المنجل يلعب دور محامي الشيطان في هذه المناظرة.

قال كارسن: «لم يكن خطأً، بل اختيارًا»، وصمت ليفكر، ثم تابع: «لاخترتُ اختيارًا مختلفًا».

بدا زينوقراط راضيًا غاية الرضا برد كارسن، ثم مال للأمام وهمس، كما لو أن للجدران آذانًا: «ربما ما زلنا بإمكاننا أن نختار».

***

في كل يوم ظل المنجل يستمتع بكل ألوان الترف التي تتيحها له المستعمرة، طعام وشراب، وهدايا يستحيل أن يأخذها معه إلى الأرض، كما التُقطت له صور كثيرة. وخلال كل ذلك ظل كارسن إلى جانب زينوقراط، لكن من حسن حظه كان يُستبعَد من الصور.

قال لكارسن: «أتحمل كل هذا ليس من أجلي، بل من أجل شعب المريخ، لا يجدون كل يوم شخصًا يودون إثارة إعجابه».

سأله كارسن: «وهل أثير إعجابك؟».

صرف زينوقراط الفكرة بتلويحة ازدرائه المعتادة: «هذا لا يهم، ما يهم هو أن ألعب الدور».

لكنه، بوصفه منجلًا، لم يكن ملزمًا بلعب أي دور، وهذا كان سببًا إضافيًّا لكارسن ليعتقد أن كل ما يجري بينه وبين المنجل جزء من لعبة طويلة، هذا ما ألمح إليه الرجل، وألمح إلى أن كارسن يمكنه أن يكون جزءًا من اللعبة. لا بد لكارسن من لعب أوراقه على نحو صحيح، وإذا فعل، ربما لا تتضمن أوراقه استبدال رأس حفارة ملك البستوني أبدًا.

***

وبعد مُضي أسبوعين، كان زينوقراط قد رأى كل ما يمكن رؤيته، وقابل كل من أراد مقابلتهم في المستعمرة. لم يجد كارسن وقتًا لأداء أي واجبات مدرسية وهو في خدمة المنجل، وكان المنجل مدركًا لهذا فأمر أساتذة كارسن بمنحه الدرجات الكاملة على أي عمل لم يؤده. احتجَّت أستاذة الرياضيات احتجاجًا عاصفًا، لكن في وجه قرار المنجل صار احتجاجًا كليلًا واهنًا كهواء المريخ.

قال زينوقراط لها عندما أبدت اعتراضها: «كل شيء ممكن». وسار مبتعدًا دون مزيد كلام. في النهاية مُنِح كارسن درجة ممتاز. ثبَتَ أن زينوقراط محق، كل شيء ممكن عندما يملك المرء سلطة كسر قوانين الرياضيات نفسها من أجل نزواته، لذا انتظر كارسن زينوقراط حتى يلقي نحوه قليلًا من تلك السلطة.

قال زينوقراط له: «إذا كانت لديك رغبة حقيقية في مستقبل مشرق مجيد في الأرض، فسوف يمكنني مساعدتك، لكن يجب أن تستحق مساعدتي».

كانا يتحدثان في إحدى أمسيات الشاي أمام النار الاصطناعية. اختلج قلب كارسن عندما سمع عرض زينوقراط، لكنه حاول إخفاء انفعاله. لم يعرف ما إذا كان متحمسًا أم مرعوبًا. ربما مزيج من الاثنين.

- ماذا تريد مني أن أفعل؟

تنحنح زينوقرط، وأخذ رشفة طويلة من الشاي، ثم رشفة أخرى. عرف كارسن أن المنجل قد فكَّر مليًّا بالكلمات التي يهم بقولها، لكن رغم ذلك احتاج

الرجل إلى مزيد من الوقت لمزيد من التفكير. وأخيرًا تكلم: «أود أن أطلب منك تقديم خدمة مقدسة للبشرية، مهمة من شأنها كبح الرأس السحابي وتذكيره بقدْره، في سبيل الحفاظ على طريقة حياتنا».

لم يستوعب كارسن ما يرمي المنجل إليه. بدا «الحفاظ على طريقة حياتنا» مهمة مستحيلة على فتى يعيش في المريخ، لأنه في الواقع مجرد شخص مجهول من المنظور الأوسع للأشياء، رغم أحلامه بأن يصبح ذا شأن أعظم. لكن العنصر المجهول ربما يكون ما يبحث المنجل عنه تحديدًا.

تابع زينوقراط: «نحتاج إلى وقوع 'حدث' في المريخ، حدث لن ينساه الجنس البشري ولا الرأس السحابي أبدًا. أحتاج إلى شخص يتسبَّب في هذا الحدث».

أخذ كارسن نفسًا عميقًا بطيئًا. وقال: «يمكنني فعل ذلك».

***

وفي اليوم التالي أعلن زينوقراط أن وقته في المريخ وصل إلى نهايته.

قال: «كرم ضيافة الكوكب الأحمر لا يضاهى. لن أنسى شعب المريخ الطيب». وفي الحفل الختامي، اجتمع وجهاء المستعمرة مرة أخرى، هذه المرة لتوديع المنجل. حُمِلت المشروبات والمقبلات بأيدٍ مرتعِشة، لأن الناس ما زالوا يخشون أن ضيفهم قد يقطف أحدهم قبل مغادرته.

اقتربت مديرة مدرسة كارسن شاقةً طريقها عبر الحشد، كانت امرأة في غاية الأناقة تُظهِر سلطتها البسيطة كما يفعل المناجل تقريبًا، رفعت كأسها على سبيل التحية، وسألت زينوقراط عن رأيه في أداء كارسن. ورغم أن كارسن لم يتوقع وسامًا رفيعًا أو إشادة كبيرة، فقد كان مدح المنجل له، إذا جازت تسميته مدحًا، ينطوي على تقليل من شأنه.

قال زينوقراط: «إنه يفيض حماسة بلا شك. لا أظن أنَّ العمل خادمًا شخصيًّا أفضل مجال له، لكنني أمنحه علامة ممتاز على مجهوده».

ارتسمت على وجه المديرة تعابير مزيج من ابتسامة وتكشيرة ألم. وحاول كارسن أن يُبقي تعابير وجهه محايدة، أو ربما آسفة قليلًا. تألَّم، لكنه كان يعرف أن كل ما يقوله المنجل له هدف.

قال زينوقراط للمديرة: «هل تعرفين أن كارسن لديه شغف بالفيزياء؟ يتحدث عنها بلا انقطاع».

- الفيزياء؟ حقًّا؟

هذا أيضًا فاجأ كارسن، لكنه لم يرغب في مغالطة المنجل، ورأى أن من الأفضل مجاراته، فقال: «أجل، آسف لأنني أضجرتك بأحاديثي الطويلة عن العلوم».

قال زينوقراط: «كلا. إنه اهتمام حميد. الفتى يحتاج إلى برنامج تدريب داخلي يحقق له الاستفادة من ميوله!». ثم انتظر، موضحًا أن كلامه ليس مجرد تعليق عفوي. انتظر المنجل ردًّا.

اقترحت المديرة: «حسنًا... أفترض أن بإمكان كارسن أن يتدرب مع أحد مهندسي القبة، أو ربما مع فريق تصميم المركز الشمالي».

قال زينوقراط: «أجل، ربما». وبدا واضحًا أنه يرغب في فكرة أفضل.

اقترحت: «أو ربما بإمكانه التدرب في مركز الطاقة...».

قال زينوقراط: «أجل، فكرة مثالية! ما رأيك يا كارسن؟».

- هذا... أفضل مما كنت آمل.

صفَّق زينوقراط قائلًا: «اتفقنا إذن».

حاولت المديرة أن تتحفظ: «حسنًا، لا بد أن أتحدث مع قسم موارد الطاقة...».

سألها زينوقراط: «أتفضِّلين أن أتحدث *أنا* معهم؟».

فكادت المديرة أن تدلق مشروبها: «لا، فعلتَ ما يكفي وأكثر جنابك. سنتولى الأمر».

ثم غادرت المديرة مبتعدة بخطى مترددة، مرتبكة قليلًا.

هز كارسن رأسه قائلًا: «القدرة على أن تتكلم فحسب فتجعل...».

قال زينوقراط له: «ثمة ثمن لمثل هذه السلطة، سأخبرك به عندما أعرفه». وضحك ضحكة طويلة عالية.

***

اضطجع كارسن مستيقظًا في تلك الليلة، مُقلِّبًا في ذهنه المهمة التي كلِّف بها. كلما فكر بها، ازداد اقتناعًا بمنطقية اختياره لهذا الواجب الجليل. أرادت هيئة المناجل أن تضمن مصداقية الإنكار مستقبلًا. احتاجوا إلى عميل

سري قادر على العمل في الخفاء، شخص يمكنهم إلقاء اللوم عليه إذا لم يجرِ «الحدث» على ما يرام. كان يعرف أن هيئة المناجل تستغله، لكنه لم يشعر بالمرارة، بل غلب عليه إحساسه بأنه وجد غايته، لأنه أيضًا يعمل على استغلالهم.

في الصباح التالي قال زينوقراط له: «إنك تعمل بتوصية مني منذ الآن، وبالتالي ما من أبواب ستُغلق في وجهك في هذه المستعمرة، بمقدورك أن تذهب حيثما تشاء، وتفعل ما تشاء، لكن احرص على ألا يعرف أحد ما تخطط له». ثم ابتسم لكارسن بفخر لم يظهِره والداه له قط. «انجح في مهمتك، ولن يُغلَق بابٌ في وجهك في الأرض أيضًا».

***

قالت والدة كارسن بعدما غادر زينوقراط إلى الأرض: «انعتقنا منه، آمل ألا أرى أحدًا من أمثاله هنا مرة أخرى أبدًا».

وقال والده: «أوافقك».

لم يكونا وحدهما في ارتياحهما. رغم الاحترام والتهذيب اللذين قوبل بهما زينوقراط، تنفست المستعمرة عن بكرة أبيها الصعداء حالما غادر. ثم لم يمض وقت طويل قبل أن تعود المستعمرة إلى روتينها، لكن كارسن تغيَّر روتينه تغيرًا تامًّا، لم يعد يتضمن صيانة آليات التعدين في عطلات نهاية الأسبوع، توقع أن والديه سيتذمران بلا انقطاع من برنامجه التدريبي، لكنهما كانا سعيدين بأنه وجد أمرًا يثير اهتمامه في المريخ.

كان مركز الطاقة في صومعة محمية أسفل القبة، الدخول إليه محظور على كل من ليس لديه تصريح أمني، لكن كما قال زينوقراط، صارت جميع الأبواب مفتوحة أمام كارسن، بإمكان قياساته الحيوية تجاوز أي قفل، ما عليه سوى وضع راحة يده على لوحة تحكم أو النظر إلى ماسح شبكية. لكنه احتفظ بهذه الحقيقة لنفسه. وفي يومه الأول، عندما دُعي إلى مركز الطاقة من أجل التوجيه الأوَّلي، ترك الآخرين يفتحون الأبواب له.

كانت حجرة تحكم مركز الطاقة تبعث الرهبة وشديدة التعقيد، مليئة بشاشات ومفاتيح وأزرار، وفيها نافذة ضخمة مُعالَجة بالرصاص خلفها مشهد يحبس الأنفاس للمفاعل الاندماجي الذي يزود المستعمرة بأكملها

بالطاقة، كُرة متوهجة بحجم كرة غولف، مثبتة في مكانها بمجال مغنطيسي. صعُب تصديق أن شيئًا صغيرًا كهذا يمكنه فعل ما يفعله.

سأل كارسن الفني الذي يصطحبه في جولة: «كيف يعمل؟».

- علي اللعنة إذا عرفت، إنه يعمل فحسب.

لم يستغرق كارسن وقتًا طويلًا ليدرك أن الذين يعملون في قسم موارد الطاقة معلوماتهم شحيحة عن الفيزياء النووية وتعقيدات المفاعل الاندماجي.

سأل كارسن مهندسًا بدا ذا منصب كبير في يوم لاحق من الأسبوع الأول: «ماذا لو أصابه عطل ما؟».

نظر المهندس إلى كارسن كأنما فقد الفتى صوابه، وقال له: «إنه لا يتعطل».

- أجل، لكن ماذا لو تعطل؟

رد المهندس بأن أرسل كارسن ليجلب له قهوة. لأن مهام كارسن في هذا 'البرنامج التدريبي' تضمنت أعمال خدمة أكثر من مهامه عندما كان خادمًا فعلًا. وهؤلاء الناس لم يعاملوه بالاحترام الذي كان زينوقراط يعامله به، بدا واضحًا أنهم يرونه عبئًا غير مرغوب، يزعجهم وهم مشغولون بحل ألغاز الكلمات المتقاطعة، أو أيًا كان ما يفعلونه في أثناء مراقبة نظامٍ يراقبه الرأس السحابي سلفًا.

كان زينوقراط قد قال له: «*تمهَّل، وتظاهر بالاهتمام، وتعلم ما يمكنك تعلمه، وانتظر الفرصة. إنك شاب ذكي، أنا متأكد أنك ستجد اللحظة المثالية لإحداث الاضطراب المثالي*». كعادته انتقى زينوقراط كلماته بعناية، أسماه اضطرابًا ليلطِّف الحقيقة. لكن كارسن عرف أن ما سيفعله اسمه تخريب.

صار كارسن يقضي كل يوم بعد المدرسة وعطلات نهاية الأسبوع في مركز الطاقة، تحمَّل المعاملة التي يتعرض لها، وفعل كل ما طُلب منه فعله، وتعلم كل ما أمكنه تعلُّمه.

عند مغادرتهم المدرسة ذات يوم لحق به آشر وديفونا، قالت له: «لم نعد نراك أبدًا».

وقال آشر: «أجل، تخل عن مركز الطاقة اليوم وتسكع معنا».

لكنه قال لهما إنه ليس لديه متسع من الوقت. كما سئم انتظار انفصالهما ورأى أن يركز على غايات عظمى.

أما الواجهات المعقدة الموجودة في حجرة التحكم، فقد فهم كارسن ما هي الحجرة في غضون أسبوع. قال لريوخاس: «إنها مجرد واجهات صورية». وكانت د. ريوخاس كبيرة المهندسين، تروق لكارسن كثيرًا، إذ لم تستخف بأسئلته قط أو تبدو ممتعضة من الإجابة عنها.

- معذرة، ماذا؟

أوضح لها: «تعرفين، مجرد صندوق ألعاب لإشغال الأطفال».

ابتسمت له ابتسامة ماكرة. ثم أخبرته بأن الرأس السحابي من حين لآخر يختلق لهم أزمة حتى يعالجوها، لتسليتهم فحسب.

ابتسم كارسن لها وسألها: «هل جربتم أن تُحدِثوا أزمة حقيقية؟ أعني لتعرفوا ما سيحدث فحسب».

هزت رأسها قائلة: «أتمازحني؟ هل تعرف عدد الإجراءات الاحتياطية هنا؟».

هز كارسن كتفيه وقال: «أخبريني».

نظرت إليه مليًّا، وربما أرادت أن تعبث هي أيضًا.

مدت يدها إلى وحدة التحكم الرئيسية، ومررت إصبعها على الشاشة، على المؤشر الذي يزيد من الهيدروجين المتدفق إلى التفاعل. ارتفع مؤشر حرارة المفاعل ببطء من المنطقة الخضراء إلى الصفراء.

وبعد خمس ثوانٍ، انطلقت صافرة إنذار هادئة مهذبة في أنحاء الحجرة، وأعقبها صوت مهذَّب ومألوف. قال الرأس السحابي: «*د. ريوخاس، رفعتِ معدل التفاعل إلى مستوى قد يشكل خطورة. أنصحك ببدء متوالية التبريد*».

ردت: «نصيحتك عُلِمت». وارتفع المؤشر في المنطقة الصفراء مقتربًا من الحمراء.

ثم قال الرأس السحابي بعد لحظات: «*د. ريوخاس، لا بد أن أصر على أن تعالجي هذا الأمر*».

قالت بلا مبالاة: «لا أشعر برغبة في الوقت الراهن».

حتى كارسن بدأ يقلق وهو يشاهد المؤشر يرتفع وصافرة الإنذار تُجافي التهذيب قليلًا.

لجأ الرأس السحابي إلى التخلي عن الرسميات: «*ليزا، من فضلك... بعد لحظات سنواجه مشكلة*».

قالت د. ريوخاس: «أدرك ذلك».

تجاوز المؤشر الخط الفاصل بين الأصفر والأحمر.

- *ألن توقفي هذا؟*

- لا، لن أفعل.

قال الرأس السحابي: «*حسنًا إذن*». وأطلق أفضل تنهيدة امتعاض لديه، ثم بدأ متوالية التبريد بنفسه. هبط المؤشر من الأحمر إلى الأصفر إلى الأخضر. خلال أقل من دقيقة توقفت صافرات الإنذار، وعادت جميع الأرقام والقياسات إلى مستوياتها المقبولة.

- *إذا كنت تشعرين بضغط وتوتر يا د. ريوخاس، ربما يجدر بك أن تأخذي بقية اليوم إجازة، وتفحصي وحداتك المجهرية الخاصة بحالتك المزاجية.*

قالت: «لا، إنني بخير». وغمزت لكارسن.

***

وبعد شهر صار كارسن من ثوابت حجرة التحكم، ظل يكنس ويمسح، ويحضر القهوة، ويجلب أشياء وفقًا لنزوات المهندسين. لكن أحيانًا كانوا يتركونه وحده في حجرة التحكم، إذ لن يستطيع أن يتسبب في أي ضرر، كما أثبتت د. ريوخاس ذلك عمليًّا.

كان كارسن يعرف أنه لا يُترك وحده لأنه موضع ثقة، بل لأنه جعل وجوده مُسلَّمًا به وغير لافت إلى درجة بعيدة، فهكذا عندما يحين الوقت للإقدام على فعلته، لن يخطر لهم أنه قد يكون الفاعل.

وطوال ذلك الوقت ظل الرأس السحابي يشاهد بأعينه العديدة التي لا يرمش لها جفن، لكنه لاذ بالصمت. هل عرف ما طُلِب من كارسن فعله؟ وما يخطط له؟ معرفة كارسن بأن الرأس السحابي لن يستطيع إيقافه أو حتى مناقشة ما يعرفه كانت نصف المتعة.

كاد أن يفتضح أمره مرة واحدة فقط، كاد أن يفتضح أمره بسبب والديه، من بين كل الناس.

كان أحد الجدالات السخيفة التي يخوضها مع أحد والديه أو كليهما. ذات يوم عاد من مركز الطاقة متأخرًا، كان عيد الميلاد المئة لأحد المهندسين، ولم يكن ثمة داعٍ للاحتفال به إذ استعاد المهندس شبابه وعاد إلى سن السادسة والعشرين. على أي حال جُلِبت كعكة شوكولاتة فوقها مئة شمعة صورية مجسمة لا يمكن النفخ عليها وإطفاؤها فعلًا. كان معظم العاملين في مركز الطاقة حاضرين، فلم يرغب كارسن في أن يكون غيابه لافتًا. أفسدت الكعكة شهيته، لذا عندما عاد إلى المنزل لم يتناول العشاء، ولاحظت والدته أن هذه هي الليلة الثالثة على التوالي التي لم يتناول فيها العشاء، فوبَّخته، ورفع والده بصره عن جهازه اللوحي مدة كافية ليؤيد التوبيخ. وعندما تجاسر كارسن وطلب من والديه أن يتركاه وشأنه، نظرت والدته إلى الكاميرا المثبتة في ركن صالة المعيشة: «الرأس السحابي، من فضلك هلَّا أخبرت ابني بأهمية حضور الوجبات؟».

كان الاجتماع حول مائدة العشاء تقليدًا تليدًا في عائلتهم، لذا ما كان الرأس السحابي ليقف إلى جانب كارسن، لكن هذه المرة لم يعلق على الموضوع.

قال أخيرًا: *«آسف، لا يمكنني الامتثال»*.

كان ذلك كافيًا لدفع والد كارسن إلى رفع بصره عن جهازه اللوحي.

تساءلت والدته: «ماذا تعني بأنك لا يمكنك الامتثال؟». لكن حتى قبل أن يقدم الرأس السحابي تبريره، بدأ الذعر يتصاعد داخل كارسن.

أخبرهما الرأس السحابي: *«ابنكما موظف لدى منجل، لذا لا يجوز لنا التواصل»*. فارتاع كارسن أيما ارتياع.

نظر والداه إلى بعضهما، مصعوقين، كأنما مائدة العشاء التي أمامهم تلاشت فجأة. قالت والدته: «لكن... لكن المنجل غادر».

قال الرأس السحابي: *«أجل، صحيح، لكن ابنكما ما زال موظفًا لديه»*.

هزت رأسها نافية: «إنك مخطئ».

قال والد كارسن: «الرأس السحابي لا يخطئ يا عزيزتي». ورغم أن تروسهما الداخلية مبرمجة للأبد بحيث تنقب في تراب المريخ، عرف كارسن أنهما بدآ يستنتجان أمرًا آخر.

حاول كارسن حصر الأضرار سريعًا: «أعرف السبب. قبل مغادرة المنجل زينوقراط، طلب مني أن أبقى على تواصل معه، وأرسل له تقارير من المريخ من حين لآخر. وأظن أن الرأس السحابي يرى أن ذلك يعني أنني ما زلت موظفًا لديه».

تنهد والده وعاد إلى جهازه اللوحي. وعبست والدته قائلة: «يا لأنانيته! ألم يخطر له أن ذلك سيؤثر في علاقتك بالرأس السحابي؟».

استخف كارسن بالأمر: «ليس خطبًا جللًا».

ورغم أنه كان خطبًا جللًا، لم يستطع الرأس السحابي مغالطته.

***

كان ثمة معتقد خرافي في المستعمرة. عندما يصل موسم النقل إلى نهايته، يجدر بالمرء ألا يشاهد مغادرة السفينة الأخيرة. يُزعَم أن هذه الخرافة منشؤها معتقد كان سائدًا بين البحارة القدماء هو أن قول وداعًا لأي شخص على متن سفينة على وشك الإبحار يجلب سوء الطالع، لذا يقول الناس عمومًا «رافقتكم السلامة»، أو «رحلة سعيدة». لذا في آخر أيام موسم النقل، عندما تتأهب السفينة الأخيرة للإقلاع، دائمًا ما يكون سطح المراقبة مهجورًا.

لكن كارسن، بنزعته للتحدِّي، كان يذهب دومًا لمشاهدة الإقلاع، ويتابع السفينة بعينيه، محاولًا ألَّا يرمش إلى أن يغيم بصره ويتلاشى لهب محرك السفينة في السماء. كان آشر وديفونا يرافقانه دومًا. وعزم كارسن على ألا يكون اليوم مختلفًا... لكنه في الحقيقة سيكون مختلفًا جدًّا. غادر كارسن المدرسة مبكرًا في ذلك اليوم، لكنه حرص على مراسلة ديفونا وآشر.

ذكَّرهما كارسن: «السفينة الأخيرة ستغادر اليوم. كالمعتاد؟ عند الثالثة والنصف؟».

أرسلت ديفونا موافقتها بإيموجي إبهام مرفوع.

لكن آشر أرسل إيموجي كرة سلة: «لدي تدريب يا صاح».

خطر لكارسن أن يترك الأمر عند هذا الحد، لكنه لم يكن عديم الضمير تمامًا، كما إنه قتل آشر مرة سلفًا.

أرسل كارسن: «سحقًا للتدريب. عِدني بأنك ستحضر. هذا من تقاليدنا!».

أجاب آشر: «حسنًا، سأحاول».

اطمأن كارسن وغادر لينهي آخر يوم في برنامجه التدريبي.

طوال الشهر الماضي كان يُعلن حضوره عند مدخل قسم موارد الطاقة، ويطلب من شخص بالداخل أن يفتح الباب له، فالمعروف هو أن الطريقة الوحيدة لدخوله هي سماح شخص آخر له. لكن اليوم، وضع راحة يده على اللوحة الأمنية التي تفتح الباب الخارجي، الباب المصفح الذي يفصل بين مركز الطاقة وبين باقي أجزاء القبة. رفع بصره إلى الكاميرا التي تراقبه من ركن المصعد في أثناء هبوطه، وابتسم، كأنه يقف لتُلتقَط له صورة. في أوقات كثيرة من حياته أحس كارسن بالعجز وقلة الحيلة، مثلًا عندما قال له والداه إنهما سينتزعانه من الأرض ليصبحوا مستوطنين في المريخ، وعندما سحب والده جميع طلباته للالتحاق بجامعات الأرض. تساءل، هل يمكن أن يحس الرأس السحابي بالعجز وقلة الحيلة؟ إذا أمكنه، فلا بد أنه يحس بذلك الآن.

دلف كارسن إلى حجرة التحكم، فوجد فيها أوتو -المهندس السمج الذي أرسله لإحضار القهوة في أول يوم- جوار المفاعل كأنه جليسة أطفال.

سأله أوتو: «هل أتيتَ مبكرًا أم أنني فقدت إحساسي بمرور الوقت؟».

لم يكن كارسن في مزاج لمحادثات عابرة، لذا صعق الرجلَ بجهاز صاعق كان يحمله معه، فسقط عن كرسيه فاقدًا الوعي.

كان يعرف لوحة التحكم كما يعرف راحة يده، تعلَّم مهام كل رافعة وزر وإضاءة، وعرف كل شاشة ونافذة يمكن فتحها على كل واجهة.

جذب الذراع التي تضع المفاعل تحت التحكم اليدوي، الذراع نفسها التي رأى د. ريوخاس تستخدمها، ثم أظهر الشاشة التي تتحكم في تدفق الهيدروجين، وزاد التدفق، فبدأ المؤشر يرتفع ببطء نحو الأحمر. لكن كارسن تعلم ما يكفي ليعرف أن مجرد تسريع الاندماج النووي لن يؤدي الغرض، سيلحق ضررًا بقلب المفاعل، أجل، لكن تعطيله تمامًا يتطلب ضربة مزدوجة.

ومرة أخرى لم يستطع منع نفسه من النظر إلى كاميرا الرأس السحابي في ركن الحجرة.

سأله: «هل تشاهد؟». وبالطبع ما كان الرأس ليرد، كما لم يستطع إلغاء ما فعله كارسن لأنه يعمل لصالح منجل: «حسنًا إذن، شاهد».

سار عبر الحجرة إلى وحدة التحكم التي تراقب مجال الاحتواء المغنطيسي، وغيَّر مؤشراته بحيث يفقد توازنه إلى أقصى درجة ممكنة.

بدأ مجال الاحتواء يتذبذب، صار غير مستقر، فتضخمت كرة البلازما الصغيرة من حجم كرة غولف إلى حجم كرة بيسبول، ثم بدأت تتشوه، صارت مستطيلة، ثم اتخذت شكل الكلية، ثم بدت غير قادرة على اتخاذ أي شكل إطلاقًا. وطوال هذا الوقت لم تنطلق أي صافرة إنذار، على نحوٍ ما كان الرأس السحابي مرغمًا، بموجب القانون، على أن يكون متواطئًا فيما يجري، إذ لم يكن بمستطاعه تحذير أي أحد إلى أن يتعذر تغيير نتائج التخريب.

لكن أوتو لم يكن الوحيد الذي يعمل في قسم موارد الطاقة اليوم، جميع من كانوا بالأسفل والمفاعل ضمن مجال رؤيتهم رأوا أن خطبًا جللًا قد وقع.

سمع كارسن وقع أقدام مقتربة، فجثا سريعًا جوار أوتو، الذي بدأ يستعيد وعيه، وصعقه مرة أخرى. وعندما فُتح باب حجرة التحكم، دخلت د. ريوخاس مع مهندسَين مذعورَين، ورأت ما بدا كأن كارسن يحاول إسعاف الرجل فاقد الوعي.

سألت ريوخاس: «كارسن، ماذا حدث؟».

- لا أدري! دخلتُ ووجدت أوتو ممددًا هنا.

ذهبت ريوخاس وفريقها مباشرة إلى لوحات التحكم، لكن كارسن كان قد حجب عنهم نظام التحكم بأكمله. اليوم صار صندوق الألعاب مجرد صندوق ألعاب حقًّا.

«كيف حدث هذا؟». تساءل أحد المهندسين وهو يحاول بلا جدوى تجاوز إشعار: 'الدخول ممنوع'.

قالت ريوخاس: «الرأس السحابي، ابدأ متوالية التبريد! وعالج مجال الاحتواء المغنطيسي!».

فرد الرأس السحابي: «*آسف د. ريوخاس، لا يمكنني الامتثال*».

تلعثمت د. ريوخاس: «مــ... ماذا تعني بقولك لا يمكنني الامتثال؟ النظام بأكمله بلغ مرحلة حرجة! ابدأ التبريد والمعالجة فورًا!».

قال الرأس السحابي بهدوء: «*أكرر لك يا د. ريوخاس، يؤسفني أنني لا يمكنني الامتثال*، بدء *المعالجة سيكون تدخُّلًا في عمل منجل*».

اعتركت جمهرة مشاعر في وجه ريوخاس عجز كارسن عن تبيُّنها، ثم التفتت إليه، وضيقت عينيها وقالت: «كارسن... هل رأيت أحدًا هنا؟ أي أحد ربما يكون قد فعل هذا؟».

أجابها كارسن: «لا. رأيت بعض المستهجنين يتسكعون جوار مدخل قسم موارد الطاقة، وبدوا لي مريبين قليلًا، لكن المستهجنين يبدون مريبين دومًا».

بذلك عرفت د. ريوخاس كل ما كانت تحتاج إلى معرفته، وقالت: «اذهب إلى أسرتك يا كارسن، ابتعد عن المفاعل إلى أبعد مكان ممكن».

- لكن يا د. ريوخاس، ماذا عنك؟

- اذهب فحسب!

فامتثل كارسن لما أُمِر به. غادر مركز الطاقة. وعندما أغلق الباب المصفح، أغلقه إغلاقًا تامًّا بحيث لا يدخل أحد إلى المفاعل أو يخرج منه.

***

لم يصبح فشل قلب المفاعل حتميًّا إلَّا بعدما أُغلِق الباب المصفح، وعندئذٍ أطلق الرأس صافرات الإنذار في جميع أنحاء قبة المستعمرة، لم يطلقها من أجل تجنُّب الأزمة، بل لتهيئة قرابة عشرة آلاف شخص في المستعمرة لما هو آت. وحالما دوَّت صافرات الإنذار، ظهر مؤقت عد تنازلي على كل ساعة وكل جهاز لوحي وكل جهاز يقيس مرور الوقت. فرغم أن الرأس السحابي لن يستطيع منع انهيار قلب المفاعل، كان يعرف متى سيحدث الانهيار تحديدًا. بعد ثماني دقائق مريخية.

***

لم يكن كارسن خبيرًا في الفيزياء النووية، لكن كانت لديه فكرة جيدة عما سيحدث. الباب المصفح والجدار الخرساني السميك المبطن بالرصاص سيحتويان معظم قوة الانفجار، فهذا ما صُمِّما لأجله. المهندسون والعمال بالداخل سيحترقون، أضرار جانبية في سبيل الخير الأعظم. وبالأعلى ستغرق المستعمرة في الظلام، وتتوقف كل الأنظمة التي توفر بيئة صالحة للحياة. كل من في القبة سيكون شميتًا في غضون ساعات. لن يجد طريقة للنجاة إلَّا واسع الحيلة.

مثل والدَي كارسن.

كان قد حرص على وجودهما بعيدًا عن القبة وقت الانفجار. خرج إلى موقع التعدين في اليوم السابق وعطَّل ست حفارات، ليرغم والديه على قضاء عدة أيام في صيانتها. رتب كارسن كل شيء. ستوفر الروفر لهما ما يحتاجان إليه للنجاة، وهما قريبان نسبيًّا من القطب الشمالي، حيث يوجد كثير من الجليد الذي يمكنهما إذابته والشرب منه. علاوة على ذلك، قبل مغادرتهما ملأ كارسن كل مساحة تخزين في الروفر بالطعام، ستكفيهما حتى تبدأ مهمة إنقاذ. أرادا أن يكونا ناجيين في الحدود المريخية، إذن سوف ينالان مرادهما.

أما موتى المستعمرة، فسيستعيد الرأس السحابي وينعش جميع الجثث التي لم تحترق في انفجار قلب المفاعل. هذه ليست مثل كارثة القمر، فالمريخ لديه غلاف جوي، رغم انخفاض كثافته، مما يعني أن الجثث لن تتيبَّس بفراغ الفضاء وتحترق بالإشعاع الشمسي. على الأرجح سيرسل الرأس السحابي فريق إنقاذ لإنعاش الموتى، بدلًا من الانتظار حتى موسم النقل التالي.

لكن كارسن وصديقيه لن يكونوا بينهم.

***

استغرق كارسن قرابة خمس دقائق ليذهب من مركز الطاقة إلى سطح المراقبة. وفي مسارات وأروقة القبة بدأت ردود أفعال الناس تتغير من الحيرة إلى الإنكار إلى الذعر. تراكض المستعمرون في شتى الاتجاهات، بلا جدوى. وخارج القبة أسرعت الروفرات في شتى الاتجاهات للابتعاد عن القبة إلى أقصى مسافة ممكنة.

وعندما وصل كارسن إلى سطح المراقبة، غمره الارتياح بوجود ديفونا، كما وعدت، وكانت تذرع المكان متوترة. لكن أين آشر؟

- كارسن، ماذا يحدث؟ وقع خطب في المفاعل، أليس كذلك؟ أنت تعمل هناك، لا بد أنك تعرف!

قال لها: «حدث عطل كارثي، علينا الابتعاد بقدر الإمكان». ونظر خارج النافذة إلى السفينة الأخيرة التي ما زالت تستعد لرحلتها إلى الأرض.

- لا يمكن أن يتعطل المفاعل، الرأس السحابي لن يسمح بهذا.

- لن يستطيع الرأس السحابي إيقاف الكارثة. لا وقت للشرح. أنت وأنا وآشر علينا أن نصعد على متن تلك السفينة قبل فوات الأوان.

هزت ديفونا رأسها: «آشر... لم يأتِ. ذهب للتدريب».

كوَّر كارسن يديه جاعلًا منهما قبضتين. اللعنة على آشر! لا يُعتمد عليه أبدًا!

قالت ديفونا وقد داهمها إدراك الواقع أخيرًا: «عائلتي... لا بد أن يأتوا معنا».

أصر كارسن: «لا! إنهم على الجانب الآخر من القبة، لا وقت لدينا!».

- لا يمكنني أن أتركهم فحسب... وآشر.

- سوف يكونون بخير!

رغم ذعرها كادت ديفونا أن تضحك من كلامه.

- بخير؟ قلتَ 'كارثي'، فيكف يمكن أن يكونوا بخير؟

- سوف يكونون بخير *في النهاية*.

استرعى انتباههما ضجيج بالأسفل، فرأيا الممر المصنوع من الزجاج والفولاذ الممتد إلى السفينة يعج بالذين أدركوا أن هذه السفينة هي مهربهم الوحيد، وأوضح أنين الفولاذ أنه لا يمكنه تحمل الوزن مدة طويلة. كان الممر مغلقًا بقوة الضغط، لكن إذا تصدع، فكل من يجاهد في سبيل الوصول إلى السفينة سيتعرض لهواء المريخ منخفض الكثافة فيختنق، وعندئذٍ لن يتمكن كارسن وديفونا من بلوغ السفينة.

تحركا إلى الأسفل لينضما إلى الحشد المزدحم في الممر، لكن قبل أن يتمكنا من شق طريقهما، ترددت ديفونا، واستدار كارسن إليها ومد يده: «تعالي معي يا ديفونا، دعيني أنقذك من هذه الكارثة، لأراد والداك أن تنقذي نفسك، أليس كذلك؟ سيسعدان بمعرفة أنك نجوت».

نظرت إلى الحشد الذي ضاق به أنبوب الممر، ثم أعادت نظراتها المضطربة إلى كارسن. لكنها لم تتحرك.

قال لها: «ألا ترين؟ أنا خلاصك، أنا منقذك، دعيني أنقذك يا ديفونا...».

لوهلة بدت كأنها ستمسك يده، ومعًا سيشقان طريقهما عبر الحشد، ويصعدان على متن السفينة ويعودان إلى الأرض، وعندئذٍ سوف يواسيها، ويقف بجانبها، وبحلول الوقت الذي سوف تُنعش فيه أسرتها وأسرة آشر،

جميعهم سوف يكونون جزءًا من ماضيها، والأرض وكارسن سوف يكونان مستقبلها. اعتقد كارسن أن هذا ما سيحدث، واعتقاده شد من عزمه.

لكن ديفونا تراجعت قائلة: «سأذهب لاصطحاب أسرتي، انتظرني».

واستدارت، وقاومت تيار المستعمرين المذعورين، وتلاشت في الحشد.

- ديفونا!

لكنها اختفت.

كان بإمكانه الذهاب معها، كان بإمكانه اتخاذ هذا القرار، لكنه لم يفعل. اختار ما هو أمامه، وترك ما صار خلفه. بقلب منقبض استدار كارسن، واندفع في الزحام، موليًا كامل تركيزه على الأمر الوحيد الذي ما زال بوسعه فعله: إنقاذ نفسه. مستعينًا بمرفقيه وساقيه أفسح لنفسه مجالًا، شاقًّا طريقًا عبر ممر الركوب، حتى بلغ باب السفينة. عندئذٍ رأى المشكلة. الباب مغلق. السفينة على وشك بدء متوالية إقلاعها، الطاقم اتخذ قرار مغادرة الكوكب وعدم تعريض رحلتهم للخطر بالسماح لحشود اللاجئين بالصعود على متن السفينة.

ناح أحدهم: «لا فائدة! سنموت جميعًا!».

لكان كلامه صحيحًا في الظروف العادية، لكن التصريح الأمني الخاص بالمناجل الذي أتاح لكارسن فتح أي باب في المستعمرة، يتيح له فتح باب السفينة أيضًا. وضع راحة يده على لوح الباب الأمني، فانفتح الباب. لم ير أحد أنه من فتح الباب، ولم يكترث أحد. لم يكن يهم سوى أن الباب مفتوح الآن. وعلِق كارسن في موجة الأجساد المندفعة إلى السفينة.

كانت سفينة شحن بضائع، وقد أفرغت شحنتها لتعود إلى الأرض، كان مخزنها كئيبًا غائرًا ملوثًا بالشحوم، لكن اللاجئين المريخيين رأوه فردوسًا.

بقي أقل من دقيقة قبل انهيار المفاعل، ولم تقِل أعداد الحشود المندفعة عبر ممر الركوب. من مقصورة القيادة حث القبطان الناس على إخلاء الممر حتى يفصله عن السفينة، لكن لم يرغب أي أحد على الجانب الخطأ من الباب في تنفيذ كلام القبطان، فتولى كارسن المهمة، مرة أخرى وضع راحة يده على لوحة التحكم، وفي أثناء انغلاق الباب أبعد عنه الناس دفعًا وركلًا، امتدت يد واحدة وتشبثت أصابعها بحافة الباب، لكن الفولاذ تغلب على العظم،

تهشمت اليد عند انغلاق الباب، وفي الوقت نفسه انهار الممر فسقط بكل من فيه على منصة الإقلاع.

ومن ثَم بدا أن العالم كله ينفجر، وصرخ الناس مرعوبين، لكن كارسن استغرق ثانية ليدرك أنه ليس انفجار المفاعل، بقي له أقل من دقيقة. كان صوت محركات السفينة.

دون أحزمة أمان، ودون حتى مقاعد للتشبُّث بها، قُذِف كل من في المخزن، قرابة مئة شخص، على الأرضية بقوة الإقلاع. الاهتزازات العنيفة وقوة التسارع كانت لا تطاق.

وبعد ثلاثين ثانية من الإقلاع، انفجر مفاعل المستعمرة، وضربت موجة الصدمة السفينة بقوة شديدة كادت أن تلوي بدن السفينة. لكن السفينة صمدت. وبعد أقل من دقيقة أفلتوا من قبضة المريخ. وعندئذٍ بدأ اللاجئون، المنهكون من صراع الصعود على متن السفينة وعنف الإقلاع، ينهضون ويسبحون في حيز السفينة منعدم الجاذبية إثر إيقاف المحركات الرئيسية، وقد اكتنفهم صمت سريالي غريب.

شق كارسن طريقه بين الحشد السابح إلى كوة صغيرة، كانوا قد بلغوا ارتفاعًا مكَّنه من رؤية انحناء الكوكب، ونتيجة عمل يده.

كان متأكدًا أن جدران مركز الطاقة المحصنة المصفحة قادرة على احتواء الانفجار، لكنه ارتاع عندما رأى أن ذلك لم يحدث، بل نسف الانفجار القبة بأكملها، وتجاوزها. لم يبق مكان القبة شيء سوى حفرة بيضاء مستعرة ضخمة وما زالت تزداد ضخامة. لم تكن توجد طريقة لتقدير مدى اتساع دائرة الانفجار. عشرة كيلومترات؟ عشرون؟ كما بدا واضحًا أن الانفجار لحق بجميع الروفرات التي حاولت الهروب، لكن هل يمكن أن يمتد إلى المنجم الشمالي؟

دفع كارسن نفسه مبتعدًا عن الكوة. أحس بغثيان، ليس بسبب انعدام الجاذبية المفاجئ فحسب.

كان زينوقراط قد قال له: «*نحتاج إلى وقوع حدث لا يُنسى أبدًا*». وكالعادة أنجز كارسن أكثر مما كان متوقعًا منه.

***

«أنا القبطان كواري من مقصورة القيادة... أفترض أنني ينبغي أن أرحب بكم على متن السفينة، لكن نظرًا إلى الظروف الراهنة... حسنًا، لا أدري ما ينبغي قوله. إننا محظوظون بوصولنا إلى السفينة قبل... قبل ما حدث، أيًا كان. تعرضت السفينة لبعض الأضرار، لكنها ليست حرجة. سننجح في العودة إلى الأرض... لكن إليكم المشكلة... هذه سفينة شحن بضائع، ليس لدينا ما يكفي من طعام أو ماء أو حتى هواء لقطع رحلة مدتها ستة أسابيع بهذا العدد الكبير من الناس. تشاورت مع أفراد الطاقم، وقررنا أن الأفضل للجميع هو أن نترككم شميتين طوال مدة الرحلة. هذا أفضل لكم على أي حال، حتى لا يصيبكم الملل الشديد طوال ستة أسابيع. إليكم تنبيه، بعد ثوانٍ سأفرغ كل الهواء من مخزن البضائع، لن أكذب عليكم، تخفيف ضغط الهواء سيؤلمكم، ووحداتكم المجهرية لن تكون سريعة بما يكفي لتخفيف آلامكم. لكنكم لن تتألموا لمدة طويلة، ستفقدون وعيكم سريعًا، وتصيرون شميتين بعدها بوقت قصير. أفضل نصيحة مني هي أن تعدوا إلى عشرة حالما يبدأ تفريغ الهواء».

كانت عملية مؤلمة كما قال القبطان. بدأت بهسيس عالٍ، فتهتكت طبلتا أذني كارسن، وأحس بأن رئتيه تُشفَطان إلى خارج صدره، وآلمته مُقلتا عينيه ألمًا مبرحًا، حاول أن يصرخ، لكن ما من هواء يدفعه من رئتيه.

وللحظة طويلة فظيعة ظن أن ألمه سيدوم إلى الأبد، عقابًا له على ما اقترفه. حاول أن يركز على العد إلى عشرة، لكنه لم يتجاوز ثلاثة.

***

لم يجرب كارسن الموت قط. يُقال إن كل شخص تجربته فريدة، لكن كيف يجرب المرء حالة، بتعريفها، مجردة من أي إحساس جسدي؟

عاد الوعي إلى كارسن ببطء. لم يكن لديه إحساس بذاته، مثل مولود جديد. أحس بأنه كل شيء في الكون، وبأنه لا شيء إطلاقًا. سمع أصواتًا، وعرف أن ثمة أسئلة تُطرَح عليه. ورغم أنه كان يفهم الكلمات، كانت الكلمات تتلاشى حالما تُنطق، عجز عن استيعاب أي سؤال لمدة كافية للإجابة عنه، أو حتى تذكُّر السؤال نفسه. كما اكتنف جسده بأكمله ألمٌ خفيف ما من وحدات

مجهرية قادرة على تبديده. أغمض عينيه، منهكًا إلى درجة تُعجِزه عن استيعاب أي شيء، وعندما فتحهما، استشعر أن وقتًا قد انقضى. عندئذٍ كان أكثر إدراكًا لذاته، وبعد لحظات تذكر اسمه، وحالما عادت إليه هويته، تدفق معها فيض من الذكريات، كما يعقب الرعد البرق.

سمع صوتًا مألوفًا جواره: «ها قد استيقظت أخيرًا!».. أحد أفراد أسرته؟ أستاذ؟ صديق؟ لا، لا أحد مما سبق.

قال صاحب الصوت: «أعد تعريف نفسك بالوجود. تمهَّل».

جال كارسن بعينيه فيما حوله، ورأى أنه في غرفة مبهجة مزينة بألوان هادئة وإضاءة غير مباشرة، صمِّمت لتكون مهدئة، على نحو لا يتسم بطابع مميز. تنحنح كارسن، فتذوق ما لا بد أنه مرارة الموت اللاذعة. أحس بأنه ثقيل على نحو غير معتاد، وجد أن مجرد رفع رأسه أو إصبعه مهمة شاقة. أدرك أن هذا ليس من آثار الإنعاش فحسب، بل تغييرًا جوهريًّا في القوى الكونية من حوله.

كان زينوقراط هو من معه في الغرفة، جالسًا على كرسي جوار السرير.

سأله كارسن: «هل أنا في الأرض؟».

قال زينوقراط: «أفضل مركز إنعاش في فولكرم سيتي».

قاوم كارسن جاذبية الأرض الهائلة واعتدل جالسًا، أحس برأسه مائجًا، لكنه تحمَّل. وبعد لحظات بدأ تشوشه يتلاشى.

سأله زينوقراط: «ماذا تتذكر؟».

أخذ كارسن نفسًا عميقًا وقال: «كل شيء».

قال زينوقراط مبتهجًا: «هنيئًا لك! بعض الآخرين يقولون إنهم فقدوا ذكريات يوم الكارثة كله، نظرًا إلى عمليات حفظ النسخ الاحتياطية من الذكريات التي تجري في المريخ، أو بالأحرى التي *كانت* تجري في المريخ. لكن على أي حال، إنك محظوظ باحتفاظك بكل ذكرياتك الأصلية».

لم يشعر كارسن بأنه محظوظ. ورغم أنه كان يعرف الإجابة سلفًا، سأل: «ماذا عن والدَي؟».

هز زينوقراط رأسه بحزن. «الناجون الوحيدون هم الذين صعدوا على متن سفينة الشحن الصغيرة. سبعة وتسعون ناجيًا».

كز كارسن على أسنانه بشدة حتى آلمته.

قال زينوقراط: «القبطان كواري يُحتفى به بطلًا».

أخبره كارسن: «لم يفعل شيئًا. لم يسمح لأحد بالصعود. *أنا* فتحت باب شحن البضائع».

- امم، يجدر بنا أن نُبقي هذه الحقيقة بيننا.
- ما فعلتُه في المريخ... لم يكن من المفترض أن يكون بذلك السوء.

لكن المنجل لم يبدُ منزعجًا من ذلك: «قلب المفاعل صُمِّم بحيث يتحمل حادثة انصهار نووي، أو خللًا في الاحتواء، لكن ليس كليهما. ما حدث كان كفتح نافذة في منزل على سطح الشمس».

انقضت مدة قبل أن يعرف كارسن كل التفاصيل. قلب المفاعل المتصدع أحدث سلسلة من ردود الفعل، امتدت بؤرة ساخنة لأكثر من مئة ميل في كل الاتجاهات، لم يبدأ برودها إلا بعد ستة أسابيع.

قال زينوقراط له: «يسمُّون البؤرة ‘عين المريخ’، أسوأ مما توقعه أي واحد منا، على ما أظن، لكنها كانت فعالة جدًّا. ما يعرفه الناس أن ما جرى كان حادثًا مأسويًّا، وبما أنه كان عمل مناجل، فلن يستطيع الرأس السحابي أن يفعل شيئًا، حتى التعليق. وهكذا، في أثناء رحلتكم التي امتدت ستة أسابيع، صار تفسير الحادث هو الحقيقة المقبولة».

أغمض كارسن عينيه. ديفونا، وآشر، ووالداه... كل من يعرفهم رحلوا. لم يتعرضوا للشموت، بل ماتوا، احترقوا بيده. مشاعر الندم والإحساس بالذنب والحزن مما فعله بدأت تتضخم بداخله، لكنه لم يسمح لها بالظهور، لم يسمح لزينوقراط برؤية ضعفه.

في الحقيقة حاول إنقاذ والديه، أليس كذلك؟ لكن تقديراته أخطأت، كما حاول إنقاذ صديقيه، كان ينبغي أن يكون آشر وديفونا على متن السفينة معه، لكنهما اختارا ألا يحضرا. إذن فقد بذل كارسن كل ما بوسعه، وينبغي

ألا يشعر بالخزي من أي شيء، بل ينبغي أن يشعر بالفخر، إذ قدم تضحية نبيلة، خدمةً للخير الأعم: الحفاظ على طريقة حياتهم.

تحرك زينوقراط في كرسيه، ولفت انتباه كارسن شيءٌ لامع في عباءة زينوقراط، خيوط براقة في أطراف كُمَّيه الواسعين.

- عباءتك تبدو مختلفة...

ابتسم زينوقراط ابتسامة واسعة وقال: «ترقيت إلى منصب المساعد الأول للنصل السامي، لذا رأيت أن أضفي شيئًا من البريق على عباءتي، خيوط ذهبية من عيار أربعة وعشرين قيراطًا، اكتفيت بالكُمَّين فحسب الآن، لكنني أفكر في إضافة الخيوط في أجزاء العباءة كلها».

نبهه كارسن: «سوف تكون ثقيلة».

لم يبدُ زينوقراط قلقًا من ذلك: «مشكلة بسيطة، لا أظنني سأسبح بالعباءة».

صار الصمت بينهما ثقيلًا. ثم خطر لكارسن أمر. فعل ما طُلب منه، مما يعني أن هيئة المناجل لم تعد في حاجة إليه، وبالتالي صار عبئًا، ربما يظنون أنه قد يفضح أمرهم ذات يوم.

سأل المنجلَ: «هل ستقطفني؟».

قال زينوقراط: «أبدًا»، وبدا ممتعضًا من ظن كارسن: «ما فعلته تجاوز توقعاتنا، وهذا يجعلك جديرًا بالمكافأة، وليس الإدانة».

ورغم ارتياح كارسن، لم يطمئن تمامًا: «إذن... ماذا سيحدث لي الآن؟».

- كما وعدتُك، ما من باب سيُغلق في وجهك هنا في الأرض. حالما تستعد، لك أن تختار الدراسة في أي جامعة وأي مجال.

فكر كارسن. لمدة طويلة كان ذلك هدفه... لكن بعد ما مر به، بعد كل ما فعله، لم يعد يرى هدفه القديم كافيًا، أراد أكثر من مجرد أبواب مفتوحة، أراد كل شيء وراء كل باب.

قال: «أريد أن أصبح منجلًا. يمكنك تحقيق هذا، أليس كذلك؟ هذا ما أريده».

ظن أن زينوقراط سيتفاجأ بوقاحة الطلب، لكن الرجل اتكأ على ظهر كرسيه وابتسم قائلًا: «توقعت أنك ستقول ذلك. وبما أنك ساعدتني على قطف مستعمرة بأكملها، أظنك تحظى بأسبقية». نظر إلى كارسن مليًّا وهو يقلِّب أمرًا في رأسه، وقال: «أخبرني يا كارسن، بمَ شعرت عندما فعلتَ ما فعلته في المريخ؟».

بم شعر؟ ثمة مشاعر عديدة اعتركت بداخله، لكن بعضها أشد من بعض، الحزن والندم كانا هشَّين واهنين، الأقوى كان شعوره بالإنجاز.

قال: «شعرت بأن ما فعلته... عظيم، بالغ الأهمية، وشعرت بأنني وجدت لنفسي غاية عظيمة. أريد أن أشعر بذلك مجددًا».

لا بد أن إجابته كانت مقبولة، لأن زينوقراط قال: «سأتخذك تلميذًا لي، لكن فلتحذر، المهمة ليست سهلة. التدريب شاق وتنافسي، وليس كل المتتلمذين يُنصَّبون مناجل. لكنني أراك مؤهَّلًا للنجاح».

- أعدك بأنني لن أخيب ظنك جنابك.
- لا شك لدي. ثقتك بنفسك ستعبُر بك العديد من العقبات. لو كنت مكانك، لبدأت التفكير في الاسم الذي سأختاره ليكون قدوتي التاريخية.

برقت الإجابة في ذهن كارسن فورًا: «أعرف الاسم الذي سأختاره». وعندما أخبر زينوقراط بالاسم، ضحك المنجل ضحكة جذلة.

قال زينوقراط: «رائع! معظم الناس يختارون شخصية تاريخية معجبون بها، لكن ليس أنت، أنت قطعًا لديك حس ساخر لاذع».

هز كارسن كتفيه قائلًا: «لولا 'أبو علم الصواريخ'، لما عشت في المريخ، ولما كنت خادمك، ولما كنت هنا الآن».

فكر زينوقراط. «أجل، كل الأحداث متصلة ببعضها. أحسنت يا كارسن».

- لا، لا تخاطبني بهذا الاسم. كارسن لَسْك مات في المريخ. من الآن فصاعدًا خاطبني باسمي منجلًا.
- كما تشاء. سنبدأ حالما تستعد.
- إنني مستعد الآن.

ورغم جاذبية الأرض القوية، نهض من السرير، ووضع قدميه على الأرض بثبات لأول مرة منذ وصوله، وتابع: «علِّمني شؤون هيئة المناجل».

نظر زينوقراط إليه نظرة إعجاب، ربما يشوبها شيء من القلق، وقال له: «حسنًا. أتوقع أن يبلغ المنجل المبجل روبرت غودارد شأوًا عظيمًا».

ابتسم الشاب الذي كان يُدعى كارسن لَسْك، سيبلغ شأوًا عظيمًا بالتأكيد، والعالم غافل عمَّا هو آتٍ إليه.

فَنُّ الفانين

بالتعاون مع ديفيد يُون

قالت الأستاذة كابِّلِّينو: «الفن هو أن تحمل قلبك بين يديك وتحاول أن تعرف كيف وصل إليهما». عدَّلت وشاحها، بسطته بذراعيها لوهلة كأنها تريد أن تطوِّق به طُلَّابها الأربعة، ثم شدَّته حول كتفيها. كانت تأتي بهذه الحركة كلما قالت في الصف كلامًا غريبًا عميقًا، كانت حركتها تلميحًا منها لطلابها، لتحرص على أن يدوِّنوا ملاحظات خاصة عما قالته. لم تكن تسألهم عن أقوالها هذه في الامتحانات، لكنها كانت تراها حكمة جديرة بالتذكُّر.

مرر مورتِمر أونغ أطراف أصابعه ببطء على شعره القصير، متأمِّلًا كلام مُعلِّمته، ولم يكن يحتاج إلى كتابته، لأنه عرف أنه سيتذكره دومًا. أحس بمعنى الكلام كما أحس باللوحات التي شاهدها في متحف شرقمريكا الإقليمي للفنون: بأن استوعب الرسالة متجاوزًا جميع مستويات التفسير.

أحب مورتي صف الأستاذة كابِّلِّينو، أولًا لأنهم أربعة طلاب فقط في الصف، لذا تكون الأجواء فيه حميمية وشخصية، ثانيًا لأن كابلينو مُعلمة تقليدية من الطراز القديم، وفي مجال الفن الأساليب التقليدية هي الوحيدة ذات القيمة. على الأقل هذا ما اعتقده مورتي. نظر إلى صديقته ترينا وهي جالسة عند طاولة عملها، فرأى من ابتسامتها أنها تحب الصف أيضًا. لكن لم يألف الجميع الأستاذة كابلينو ويفهموها كما ألفها وفهمها مورتي وترينا.

قال وِيات من خلف مورتي: «لم أفهم»، دون أن يكلف نفسه رفع رأسه عن عبثه في جهازه اللوحي.

قذفت وِينتر، شقيقة ويات التوأم، ممحاةً على رأسه، وقالت: «تقصد أن الفن يعبِّر عن الأشياء التي تعجز اللغة عن التعبير عنها».

رمقها ويات بنظرة تقزز، كأنه اشتم رائحة الأحشاء التي كانت تملأ هذا المكان ذات يوم، فمدرسة الفنون الراقية هذه كانت مسلخًا في الماضي. مبنى بأكمله مليء بحيوانات ميتة! التاريخ ليس سوى عادة غريبة تُستبدل بها أخرى.

كابلينو في الثامنة والسبعين من عمرها، أكبر بعقود من أكبر أستاذ في **أكاديمية ميشلر للفنون**، ترعرعت قبل ظهور الوحدات المجهرية ومسيرات الإسعاف، عندما كان الرأس السحابي اسمه 'السحابة'. كيف هو حال المرء عندما يكون لديه أصدقاء مقربون وأفراد أسرة يموتون بسبب أشياء كالسرطان وحوادث السيارات؟ شهدت المرأة أشياء لن يراها أحدٌ أبدًا. صحيح أن والدَي مورتي وُلِدا فانيين، لكن الرأس السحابي صحح الوضع عندما كانا صغيرين، ومع ذلك يجد مورتي صعوبة متزايدة في فهم والديه، وأصدقاؤه أيضًا يعانون المشكلة نفسها، لأن جيل مورتي هو أول جيل يولد خالدًا. وهذا الاختلاف ليس مجرد فجوة بين الأجيال، إنما خط فاصل بين حِقبتين زمنيتين.

منذ مدة ظل مورتي يتوقع من كابلينو أن تلقي وشاحها العتيق جانبًا وتستعيد شبابها عائدة إلى سن الأربعين أو نحوها، كما يفعل جميع الناس في هذه الأيام، لكنها لم تفعل. ذات يوم سألها مورتي عن السبب.

قالت له: «ينبغي لك ألَّا تمط قماش اللوحة إلا بالقدر الذي يتطلبه العمل». وعدَّلت وشاحها بحزم.

كانت كابلينو الأستاذة الأقل شعبية في أكاديمية ميشلر، ذات يوم سمع مورتي أحد الأساتذة الآخرين يصفها بأنها صعبة *المراس*. لكن أولئك الأساتذة كالروبوتات، كانوا يشرحون، خطوة بخطوة، كيفية رسم لوحة مثالية بأسلوب الرسام روثكو: املأ القماش باللون، أضف مستطيلين، خفف ألوان حوافهما، وها قد صارت لديك لوحة بأسلوب روثكو! لكن كابلينو تمزق مثل هذه اللوحات. لطلبت من تلاميذها أن يرسموا بالأسلوب *التالي* الذي كان روثكو ليرسم به إذا كان ما يزال حيًّا.

وعندئذٍ يترك معظم الطلاب صفها.

كان يروق للرأس السحابي أن يوصي بمدارس الفنون بوصفها نشاطًا يبعث الرضا، لكن التوصيات بالأساتذة كانت تعتمد تمامًا على آراء الطلاب، وبما أن معظم الطلاب لا يطيقون تكليف أنفسهم عناء الإبداع الحقيقي، صار قليلون جدًّا يوصون بالأستاذة كابلينو.

لكن لم يوصِ بها أحد للفصل الدراسي التالي، مما يعني أن صف مورتي سيكون الأخير الذي ستدرِّسه. بنهاية الفصل الدراسي الحالي سيتخرج مورتي وزملاؤه، وستتقاعد الأستاذة كابلينو بعد خمسة وخمسين عامًا. وبعدها ستواصل أكاديمية ميشلر للفنون تقليد أعمال روثكو.

أراد مورتي أن يكون مثل كابلينو عندما يتقدم في السن، *إذا* تقدم في السن. ذات يوم كان للأستاذة كابلينو لوحة معلقة في متحف غوغنهايم، ولطالما شجعت طلابها على السعي وراء خلود كذلك.

لكن مورتي، في قرارة نفسه، كان يخشى أنه ربما لا يتحلَّى بالموهبة الكافية. ورغم أنه نظريًّا لديه عُمر غير محدود يمكنه أن يصقل مهارته خلاله، لم يكن متأكدًا أن بوسعه بلوغ مستويات فنية عالية. صحيح أن البشرية وجدت علاجًا للموت، لكن هذا لا يعني سوى أن مورتي صار لديه وقت لا محدود دون تحقيق غايته. ماذا سيكون أثر ذلك عليه؟ هل سيتبدد شغفه؟ هل ستنطفئ جذوة إبداعه نظرًا إلى انعدام الدوافع؟ تحسرت كابلينو كثيرًا قائلة إن الفن تقل قيمته باطِّراد. ماذا سيحدث عندما تنعدم قيمته؟

***

قبل أسبوعين من نهاية العام الدراسي، قالت الأستاذة كابلينو لطلابها: «وصلنا إلى مشروعنا النهائي، فكروا فيه بعناية، لأنه الأهم في تحديد درجاتكم النهائية».

قالت ترينا: «ها نحن أولاء». وتجلَّدت استعدادًا لما ستسمعه.

تمتم ويات: «يمكنني دومًا إعادة دراسة الصف خلال الصيف». وجميعهم عرفوا ما قصده: أن يعيد دراسة الصف مع أستاذ أقل صرامة.

قالت وينتر له: «هذا ليس عذرًا لعدم المحاولة، هذا الصف ليس للمتعة فحسب».

لكن هل هذا صحيح؟

إذا أتيح للمرء وقت غير محدود لتعلُّم ما يشاء، والناس متاح لهم وقت غير محدود الآن، فهل تفقد المعرفة معناها؟ وإذا صار كل شيء للمتعة فحسب الآن، فهل يوجد أي شيء جدِّي؟

سمعوا صوتًا من مدخل الباب: «وينتر محقة، عليك أن تسعى على أي حال يا ويات».

رفعوا أبصارهم جميعًا.

فرأوا منجلًا تقف عند الباب.

منجل!

منجل ذات شعر متموج طويل، وترتدي عباءة مبطنة ومطرزة بأشكال كُسورية متكررة باللونين الأحمر والأزرق السماوي.

قالت وهي تنظر إليهم تباعًا: «أنتم الأربعة جميعًا عليكم أن تجتهدوا في سبيل فنِّكم. لا نتوقع منكم سوى الأفضل».

انقطعت جميع الأنفاس. لمح مورتي وميض فولاذ بين طيات عباءة المنجل. لم يقابل منجلًا في حياته قط. قليلون رأوا مناجل، فتنظيم المناجل كان جديدًا على العالم عندئذٍ. أعلنت هيئة المناجل سلطتها على الموت قبل قرابة ثلاثين عامًا فقط، بدأت بالاثني عشر منجلًا المؤسِّسين، لكن الآن صاروا مئات منتشرين في جميع أنحاء العالم، ومزيد منهم يُنصَّبون كل يوم. لذا كان من المنطقي أن لقاء المرء منجلًا مسألة وقت ليس إلَّا. لكن هل يعني هذا اللقاء أن المنجل أتت لقتل أحدهم؟ لا، ليس القتل. ما الكلمة التي يستخدمها المناجل لوصف سلب الحياة؟ *القطف*.

قالت المرأة المثيرة للرهبة: «تشرفت حقًّا بلقائك أيتها الأستاذة كابلينو. أنا المنجل أف كلينت».

عدَّلت كابلينو وشاحها وقالت: «أف كلينت، أفترض أن الاسم تيمُّنٌ بالفنانة السويدية الثيوصوفية».

بدا أن ردها أثار إعجاب المنجل: «يسرني أنك تتذكرينها. يبدو لي أن قليلين يتذكرون عبقرية هيلما أف كلينت. اخترتُها قدوة تاريخية لي حتى أنقذها من ظلمة النسيان».

أحس مورتي بعقله يتمدد فيصير خيطًا رفيعًا بلا نهاية. هل اليوم آخر يوم لوجوده؟ هل سيُقطفون جميعًا؟ نظر إلى ترينا، فرآها متسمِّرة متشبثة بطاولة عملها، ونظر مورتي إلى الأسفل فأدرك أنه متسمر مثلها. كانت يد ترينا على بعد بضعة سنتمترات منه، أراد بشدة أن يمسك بها بطريقة أشد من توقه المعتاد للإمساك بها.

بيد أن الأستاذة كابلينو لم تبدُ مضطربة إطلاقًا، وسألت المنجل: «أتودين كوب شاي جنابك؟ أو أي مشروب بارد؟».

رفضت المنجل أف كلينت العرض بتحريك أصابعها على شكل مويجة، ثم نظرت فوق كتف مورتي، ولفتت انتباهها الصورة المثبتة على شاشة جهازه اللوحي. سألته: «هَّلا سمحتَ لي؟».

- امم... أجل... بالتأكيد. بالطبع.

تحرك مورتي جانبًا، وبدأت المنجل تتصفح ملف أعماله كلها.

الإحساس الذي يبعثه تصفح منجل لأعمال المرء لا يوصف، كأنما يتعرض فجأة لضوء باهر ساطع يحرق جلده. أراد مورتي أن يتبرَّأ من أعماله، ويغير اسمه، وينسل إلى شق في الجدار.

كانت نظرات المنجل متجهمة. ثم تحركت وتصفحت أعمال ترينا، ثم وينتر، ثم ويات.

قالت: «جميعكم تقتربون من شيء، لكن تفشلون في الإمساك به. هذه المدرسة تثير اشمئزازي. كل واحد منكم نسي ماهية الفن».

عندئذٍ أحس مورتي بأصابع تزحف فوق أصابعه، أصابع ترينا، نظر إليها فرآها تتنفس بصعوبة.

تابعت أف كلينت: «جميعكم ترسمون رسومًا رقمية مقبولة. وواضح لي الاتجاه الذي يسير فيه عالمنا الجديد، مباشرةً إلى عالم الأشياء 'المقبولة'، لا يتجاوزه أبدًا. لن نبلغ العظمة أبدًا».

تجاسرت كابلينو على مغالطة منجل: «لم ننسَ جميعنا».

لم تغضب أف كلينت، بل ابتسمت قائلة: «حسنًا، الجميع ما عداك يا بليندا». تحركت المنجل ببطء نحو الأستاذة: «أنت، لا تطلبين من طلابك العمل على القماش فحسب، بل تلزمينهم بتثبيته على الإطارات وتحضيره بأنفسهم أيضًا. أنت تجرِّين على نفسك عداوة زملائك باختيارك ما هو صعب بدلًا مما

يفي بالغرض فحسب، وتخوضين معركة نبيلة في سبيل التمسك بشيء ربما يكون قد اندثر».

أخذت كابلينو نفسًا عميقًا وأغمضت عينيها، وقالت: «هلَّا أخبرتنا بسبب مجيئك؟».

اقتربت المنجل أف كلينت من كابلينو على نحو خطير، ولامست خيطًا من وشاحها، وسألتها: «حياكة يدوية؟».

قالت كابلينو لها: «بيد أحد طلابي السابقين».

أومأت أف كلينت إيماءة استحسان رصينة، ثم تراجعت خطوة وقالت: «لا أظنني سأقطف أحدًا اليوم يا بليندا. كما ترين، لقد تحققت منك ومن طلابك. من بين جميع صفوف هذه المدرسة السخيفة بأكملها، صفك هو الوحيد الواعد، إلى حدٍّ ما».

ألقت نظرة ازدراء على جهاز ويات اللوحي، ثم على ويات، الذي رغم شعره الأخضر المشدود وسترته الإلكترونية وشخصيته المرحة، كان ينشج كأي إنسان. أغلق جهازه اللوحي بعنف، كأنه يريد محو كل صورة فيه.

ثم بدت عينا المنجل أف كلينت كأنها تنظر إلى عالم آخر.

قالت: «لم أكن رسامة يومًا، لم أملك مثقال ذرة من موهبة، لكنني كنت ماهرة في تذوق الفن. منذ طفولتي كان الفن يحرك عواطفي على نحو لا يحركها أي شيء آخر. لكن الآن يكاد يستحيل أن أجد فنًّا جديدًا يحرك عواطفي».

قال مورتي مندفعًا دون تفكير: «لهذا جئت؟! تريدين منا أن نحرك عواطفك، تبحثين عن رسام ما زال لديه القدرة».

ابتسمت المنجل وهزت طرف إصبعها نحوه، فسحبت ترينا يدها لا إراديًّا. قالت المنجل: «مورتِمر أونغ، علي أن أراقبك من كثب. إنك نافذ البصيرة إلى درجة لا تصب في صالحك».

بردت راحة يد مورتي الخالية بسرعة. قال بلا معنى: «شكرًا لك جنابك». كان ما زال يفكر في ترينا، لم يستطع أن يلومها على سحب يدها، الخوف ربما يكون باردًا، لكن ملمسه حارِق.

اعتدلت المنجل أف كلينت منتصبة في وقفتها، وضمَّت إليها حاشية عباءتها، وقالت: «أتيت لأنني أريد منكم مجاراتي في أمر. أود أن أجعل

مشروعكم النهائي مسابقة. في نهاية هذين الأسبوعين الأخيرين، الرسام صاحب العمل الأفضل سيُمنح حصانة من القطف لمدة عام». حركت خاتمها في إصبعها ساهِمة: «كيف يبدو ذلك لكم؟».

كيف يبدو ذلك؟ يبدو ككابوس. شد مورتي قبضتيه وبسطهما شاعرًا برغبة ملحة في طرح سؤال: «معذرةً جنابك، ماذا تعنين بـ *الأفضل*؟».

ابتسمت ابتسامتها الملغزة مجددًا، مثل موناليزا سوداوية، وقالت: «أعني عملًا فنيًّا خليقًا بعظماء الرسامين القدماء».

بدأت وينتر، وقد نسيها مورتي تمامًا، تتلعثم: «لكن... لكن...».

انتهرتها كابلينو بصوت كالفحيح: «وينتر!». وشبكت يديها معًا بحركة استرضاء وقالت للمنجل: «جنابك، نود أن نشارك بالطبع».

انهار سد وينتر: «لكن ماذا سيحدث لمن لا يفوز؟ ماذا لو لم يفُز أحد؟».

سارت المنجل أف كلينت نحو الباب قائلة: «إنكم تطرحون أسئلة وجيهة، وهذه هي السمة المميزة للفنان الحقيقي، الفنان الزائف هو من يظن أنه يعرف كل الأجوبة».

غادرت، فتنفس الصف السعداء.

وبدأ ويات العويل: «وينتر محقة! المناجل لا يظهرون في مكان للمتعة فحسب! يظهرون لسبب واحد فقط! أحدنا سيُقطف!».

تأوهت ترينا: «أو جميعنا»، فأخرست الصف، لأنها كانت محقة.

قال ويات: «إنني مريع في الرسم بالمواد التقليدية، أقمشة لوحاتي مائلة دومًا، وألواني المائية تسيل. إنني في عداد الموتى».

قالت كابلينو: «من فضلكم جميعًا، كفُّوا عن الكلام».

ساد السكون في الصف فجأة، كما لو أن التروس التي تدور في أدمغتهم علِقت وتوقفت.

قال مورتي أخيرًا: «لا بد لنا من الامتثال، تعرفون ما سيحدث إذا لم نفعل».

زمت كابلينو شفتيها وأومأت: «لا خيار لنا في هذا الأمر، عليكم جميعًا أن تبذلوا أفضل ما لديكم... ثم تتمسكوا بالأمل».

***

وفي وقت لاحق من ذلك اليوم، قال المدير لهم: «في ضوء هذا... الوضع، أربعتكم معفيون من بقية صفوفكم إلى أن تكتمل مشاريعكم».

كان هذا آخر ما يريده مورتي، لأن الصفوف الأخرى كانت إلهاءً ضروريًّا من توتر المهمة. وعندما عرف والداه بالأمر، بطبيعة الحال، اتصلا به مرتاعين، وعبَّرا له عن إحساسهما بالذنب والندم لإرساله إلى مدرسة داخلية، وعن خوفهما على حياته، فتعيَّن عليه مواساتهما، وطمأنتهما بأن كل شيء سيكون على ما يرام. هو من كانت حياته معرضة للخطر، ورغم ذلك كان يواسيهما.

وبحلول اليوم التالي، عرف جميع من في المدرسة بأمر المسابقة، ووجد مورتي أن زملاءه في المدرسة يتحاشون أربعتهم، كأنهم لم يصبحوا هدفًا للموت فحسب، بل ربما تكون مِحنتهم مُعدية أيضًا.

عندما بدؤوا العمل على تخطيط مشاريعهم، تمتم ويات: «وداعًا للخلود». فضربته وينتر ضربة أشد من المعتاد. وقالت له: «لا تصعِّب علينا الوضع أكثر مما ينبغي».

نبش مورتي الفُرَش والإسفنجات وعلب الأصباغ، كانت لديه أقلام باستيل وأحبار وأقلام رصاص، وتحسس أقلام التلوين المتوفرة لديه بكل لون، فوجدها كلها جفت من عدم الاستعمال. وأخيرًا تناول أنابيب الألوان الزيتية المألوفة لديه، لكن الصندوق بأكمله اندلق على الأرضية.

انحنت ترينا لمساعدته على التقاط الأنابيب، وارتطما بكتفيهما.

قال مورتي: «إنني أخرق».

قالت: «أتساءل لماذا». وعندما أمسكت بيده أدرك مورتي شدة ارتعاشها. أردفت: «سننجح في تجاوز هذه المحنة».

نظر مورتي إليها: «ماذا يجعلك متأكدة هكذا؟».

ابتسمت له ابتسامة مائلة ساخرة، وغنَّت: «يراودني إحساس فحسب».

يراودني إحساس فحسب كانت العبارة التي يلجؤون إليها عندما يُعجِزهم الكسل، أو الغباء، عن تفسير اختيارهم لتركيبة أو لون أو تكنيك بعينه، وكل من يسمعها منهم، بما فيهم الأستاذة كابلينو، يقلب عينيه في محجريه امتعاضًا. وصارت العبارة مزحة خاصة بهم بمرور السنوات. حتى مثل هذه المزح البسيطة تصبح تاريخًا محفوظًا إذا استمرت مدة كافية.

وفي هذه الأثناء كان ويات متشبثًا بجهازه اللوحي كأنه طوق نجاته، كان يبحث بحثًا محمومًا في قاعدة بيانات الرأس السحابي الفنية، والرأس السحابي نفسه لم يقدم أي مساعدة، لأن ثمة منجلًا قائمًا على أمر المسابقة.

تمتم ويات: «قُضي أمري. أعجز عن إيجاد أي شيء أرسمه».

ظلت كابلينو تشاهده لدقيقة كاملة قبل أن يلاحظها.

قال بسذاجة مصطنعة: «ماذا؟!». كان يعرف تحديدًا سبب نظر كابلينو إليه مليًّا.

حدجت جهازه اللوحي بنظرة صارمة، وقالت: «الآن ربما يكون وقتًا مناسبًا للابتعاد عن 'مرايا القرد'، و 'منظار الرجل الأعمى' والتطبيقات المساعدة الأخرى».

لكن ويات لم يعجبه الكلام.

اقترحت عليه: «لِم لا تجرب شيئًا بالألوان الزيتية؟».

قال ويات مشيرًا إلى جهازه اللوحي: «لدي هنا ألوان زيتية ومائية وكل شيء، ينبغي أن يكون هذا معتمدًا لدى المنجل».

هزت وينتر رأسها: «الشاشات تصدر الضوء، والأصباغ تعكسه. ثمة فرق».

أردفت ترينا: «كما إن الرسوم المأخوذة من الرأس السحابي لا تعد أصلية، أليس كذلك؟».

تكلم ويات بنبرة سخط مبالغ فيها: «أستعين بالرأس السحابي من أجل الإلهام فحسب، سأنهي المشروع بعمل أصلي».

قالت وينتر: «ما تبدأ به غالبًا ما يكون ما ستنتهي إليه».

بدأ ويات ووينتر أحد تحديات التحديق الصامتة التي تقتصر على التوائم على ما يبدو.

قال مورتي: «من فضلكم دعونا نعمل فحسب، كلاكما يوترني».

صفقت كابلينو بيديها مرتين: «أجل، فلنركِّز. لسنا مرغمين على إنهاء العمل في يوم واحد. حددوا مشاريعكم، واختاروا وسائلكم وأدواتكم. أنجزوا أعمالكم التحضيرية اليوم. باقي العمل سيأتي لاحقًا».

لكن مورتي عجز عن التركيز. أسبوعان لرسم تحفةٍ فنيةٍ ما من أجل منجل؟ مستحيل.

نظر فوق كتفه إلى ترينا، فرآها مشغولة بصنع شيء من ورق مقوى، صندوق كبير، وبطريقةٍ ما ظلت هادئة متماسكة إزاء الأمر برمَّته، اهتمامها بالتفاصيل الدقيقة كان من صفاتها المفضلة لدى مورتي، مجرد مشاهدتها هدَّأته هو أيضًا. لاحظت أنه ينظر إليها، فأشاح بوجهه.

مرت الساعات، بطيئة رتيبة مثل الأمطار التي تتساقط على زجاج النافذة التي يبلغ عمرها قرنًا. يقال إن الرأس السحابي يتعلم طرائق للتأثير في الطقس، لتقليل مخاطر وأضرار الأحوال الجوية السيئة، لأنهى الدراما والأخطار إذا نجح فعلًا، لكن في الوقت الراهن وفرت الأمطار صوت خلفية باعثًا على التأمل، وأضفت طابعًا محسوسًا على مشاعر الجميع.

وعند نهاية اليوم جاءت الأستاذة كابلينو إلى الصف، وهي غالبًا ما تتركهم وحدهم في أثناء عملهم، لتتفقد أعمالهم قبل مغادرتهم إلى مهاجعهم.

بدأت بوينتر، وكانت طاولتها مغطاة بالأوراق.

تكلمت وينتر بحركات يديها المعتادة: «إنني أعيد تشكيل أشهر الأعمال الفنية المخزنة لدى الرأس السحابي، لكن بيدي، وبحجم أضخم».

صمتت كابلينو لحظة، وقالت: «اشرحي لي كيف لا يُعد هذا تقليدًا».

- إنه تعبير عن أن الغريزة الإبداعية لا يمكن أن تُختزل في خوارزمية. أو شيء من هذا القبيل.

ظلت كابلينو متشككة، لكنها تساهلت: «أتطلع للانبهار بتطبيقك العملي».

انتقلت كابلينو إلى ترينا، فأطلَّت برأسها من خلف صندوقها الكبير.

- سوف يكون حجرة مظلمة ستُسقِط صورة لهذا الصف على قطعة رق.

قال مورتي: «يبدو عملًا مذهلًا». ورشقته ترينا بابتسامة خاطفة كادت أن تجعله يحمر خجلًا.

تساءل ويات: «هل يريد أي أحد معرفة ما أعمل عليه؟».

قالت وينتر: «لا».

قال: «إنني أجرب 'إنستا كاهلو'».

قرصت كابلينو جسر أنفها بحركة تنم عن إرهاق وضجر: «لا أظنني أريد أن أعرف *إنستا كاهلو* هذا».

قال ويات مشيرًا إلى تطبيق رسم في جهازه اللوحي: «إنه هذا الزر هنا، وثبَّتُّ أيضًا 'بيكاسو فيس'، و 'بوينتِليست برو'، و 'بانكسِفاي'...».

قاطعته كابلينو ببرود: «أجل، هذا رائع يا ويات». بدا واضحًا أنها لم ترغب في الارتطام مجددًا بالجدار القرميدي الذي ترتطم به كلما تعاملت مع ويات.

مدت ترينا عنقها نحو طاولة عمل مورتي، وسألته: «وما الذي تعمل عليه؟».

انكفأ مورتي على كراسة رسمه: «لست مستعدًّا لإخباركم».

- ماذا عن نظرة سريعة فحسب؟

اختلج قلبه لحظة، لأنه بالطبع كان يرغب في أن يريها كل شيء، لكنه ظل منكفئًا وقال: «أعني أنني بدأت بالكاد».

لكن كابلينو تحركت إلى الجانب المقابل لترينا ورأت بوضوح كراسة رسم مورتي، رأت انحناءات وخطوطًا، وملامح بسيطة جدًّا، شكل بشري تقريبًا. لكن لا بد أن كابلينو رأت في الرسم الأوَّلي شيئًا واعِدًا، لأنها أومأت مستحسنة، ولامست كتف مورتي بلطف.

قالت: «واصِل العمل».

***

كان اليومان التاليان باردين ومطيرين أيضًا. في الصباح وقفوا بالخارج في الرطوبة الباردة في انتظار كابلينو حتى تفتح الاستوديو، الذي لم توصده قط قبل هذا المشروع بالغ الأهمية.

سألها ويات: «لماذا؟ أتظنين أن أحدنا ربما يخرِّب أعمال الآخرين؟».

قالت شقيقته: «لن أستبعد منك ذلك».

تنهَّدت كابلينو قائلة: «الصحافة اشتمَّت خبرًا عن هذه المسابقة، وعلينا أن نحرص على عدم تسريب المصورين صور أعمالكم قبل اكتمالها».

تساءلت ترينا مذهولة: «الصحافة؟».

لم يكن مورتي يستبعد انفجار الوضع على هذا النحو: «إقامة منجل لمسابقة حدث مهم، جميع الناس سيرغبون في معرفة مَن سيفوز».

أردف ويات: «ومَن سيُقطَف».

حركت كابلينو مفاتيحها وتأففت ممتعضة: «ما من شيء يشير إلى أن أي أحد قد يُقطَف».

ثم فتحت الباب وهرولوا جميعًا إلى الداخل.

لكن مورتي أحس بأنهم يهرولون بلا جدوى. ظل يقلب صفحة تلو صفحة من كراسة الرسم، متخلِّيًا عن الأفكار بسرعة متزايدة. حتى إنه لم يمس أنابيب ألوانه. لكن خطرت له فكرة. بورتريه عارٍ. رسم بورتريهات عارية من قبل. كانت تروق له، لكن ليس كما يتوقع بعض الناس، أصحاب العقليات البذيئة ربما يرون فيها شيئًا مشبوهًا، لكن مورتي كان يراها شيئًا أكثر نقاءً. كان مفتونًا بتناسق الجسد البشري وجماله بكل تبايناته، سواء كان شابًّا أو عجوزًا، رشيقًا أو ممتلئًا، ذكرًا أو أنثى، لا يهم. لكن أين الأصالة في هذا؟ أحس بأنه سيكون أكثر حظًّا إذا سمح لحجرة مليئة بعدد لا محدود من القرود بأن تقذف الألوان على لوحة عشوائيًّا حتى يظهر شكل مميز.

تخيَّلَ نهاية المسابقة، والمنجل أف كلينت تقف أمام قماشة لوحته الخالية مبتسمة ابتسامة تتسع ببطء، ووميض فولاذ في يدها.

جال بعينيه في الاستوديو حوله. لأي زائر قد يبدو الطلاب كفنانين شغوفين. وربما هم كذلك، لكن دافعهم هو الخوف.

قرأ مورتي ذات يوم: *لا تخش الموت، أليس هو الخواء نفسه الذي خرجنا منه؟*

كان يظن أن ذلك الكلام عقلاني، لكنه لم يعد يظن ذلك، ليس الآن.

أما وينتر، المهووسة بالنظام والتفاصيل دومًا، كانت تقطع بيدها أشكالًا متطابقة من ورق سميك لمشروعها الغامض الذي اختارت له أسلوب التجميع، وقد علَّقت حول طاولتها ملاءة لتوفر لها الخصوصية.

وترينا ظلت مختفية خلف صندوقها الكبير المصنوع من الورق المقوى، تنقر على جانبه بفرشاة ذات طرف بحجم حبة الأرز، وفوق رأسها قلنسوة حجبت عن مورتي رؤية عملها. وكانت ترتشف من قارورة كاكاو، وبدت كأنها مستمتعة بعملها.

وظل ويات يضرب جبهته بجهازه اللوحي كل عشر دقائق، كأنه يمارس طقوس جلد ذات تعود للقرون الوسطى. وفي مرحلة ما فقد تماسكه وبكى،

مبللًا كم قميصه، انتحب: «كل هذه الفلاتر صارت مبتذلة، ليس لدي شيء إطلاقًا».

توقفت وينتر عن التقطيع، وارتسمت على وجهها نظرة تعاطف غريبة عليها، وفجأة خطر لمورتي أن هذين الاثنين لديهما تاريخ طفولة أكثر تعقيدًا من مجرد العداوة والمنافسة.

قالت لويات بلطف: «غيِّر أدواتك».

قال ويات: «لكن هذه هي أدواتي، لا أجيد استخدام أي أدوات أو مواد أخرى».

اعتكر وجه وينتر. «أكره تصرفاتك هذه».

مكتبة
t.me/soramnqraa

- أي تصرفات؟

- كأنك لن تستطيع تعلُّم أمر جديد أبدًا.

ضغط مورتي على صدغيه: «يا رفاق، أرجوكم».

عبس ويات: «آسف، هل نُعيق عملك المهم؟ ما الذي تعمل عليه؟».

نظر مورتي إلى كراسة رسمه، ولم يكن قد رسم شيئًا سوى دائرتين كبيرتين مرارًا وتكرارًا.

ضحك ويات قائلًا: «ربما لدي فرصة للنجاة من هذه المحنة».

جعَّد مورتي الورقة فجعلها كرة صغيرة: «ما الذي من المفترض أن يعنيه ذلك؟».

فتح ويات شفتيه ليرد، لكن مورتي أوقفه بقذف الورقة عليه، ثم دفع طاولة عمل ويات بعنف.

صاحت كابلينو: «توقفا! جميعكم توقفوا الآن».

ران على الاستوديو صمت ثقيل سربل الرسامين الشبان المذعورين الأربعة.

قالت كابلينو: «سأطلب سيارة عامة. سنذهب إلى المتحف، لتجدوا إلهامًا».

قال مورتي: «أريد أن أعمل».

- تحتاج إلى إلهام.

ساد صمت مجددًا، إلى أن بددته ترينا: «سمعت أن مقهى المتحف فيه أفضل المعجنات».

نظر مورتي إلى ويات، ولانَ له، وذكَّر نفسه بأن ويات ليس العدو.

سار مقتربًا من ويات، ومد له قبضته على سبيل الاعتذار، فقبل ويات الاعتذار بملامسة قبضته، لكنه لوح بإصبعه نحو مورتي: *انتبه لنفسك.*

***

تدحرجت بهم مركبة ذات مقدمة قصيرة عبر الشوارع الواسعة المبللة، اجتازت مساحات تلال معشوشبة شاسعة داكنة إثر سقوط الأمطار المتواصلة، كان المشهد الطبيعي جميلًا، لأنه بعيد عن تدخل البشر. فكر مورتي بكل النباتات التي كانت موجودة قبل البشر، عندما لم يكن يوجد أحد ليوثقها أو يصنفها أو يأكلها، وأحس بالفكرة متناقضة، لا شيء وكل شيء في آنٍ واحد.

هَبْ أنه نجا من هذه المسابقة السخيفة، هَبْ أنه انتشل نفسه من شلله الإبداعي وفاز بالمسابقة بطريقةٍ ما، سينال حصانة لمدة عام. هدية نادرة.

لكن ماذا سيفعل بها؟

هل سيقضي العام في الرسم؟

هل سيواصل مساعيه الفنية أم سيفقد كل اهتمامه بالفن؟

هل سيضطجع على التلال المعشوشبة ويستمع إلى حفيف الأعشاب لاثني عشر شهرًا متتالية؟ فهو ضِمن أول جيل جديد يمكنه الاضطجاع على العشب إلى الأبد إذا أراد.

لكن مع ذلك، إذا فكر المرء، ما من خلود حقيقي، فما دام المناجل موجودين، فسيظل الموت موجودًا دومًا. لهذا يحتفي جميع الناس بالحصانة لمدة عام، لأنهم في قرارة أنفسهم يعرفون أن الأشد إثارة للرعب من الموت هو *الخوف* منه. في عالمٍ يعرف الرأس السحابي فيه كل ما يمكن معرفته، ظل الموت أحد المجهولات القليلة المتبقية، ولهذا على الأرجح أعلن الرأس السحابي النأي بنفسه عن كل ما له صلة بالموت، ليتيح له أن يظل مسعى بشريًّا يتولَّى أمره المناجل. ما يسمى بخلود البشر لم يفعل شيئًا سوى إلغاء السؤال الذي تستحيل الإجابة عنه: *ماذا أفعل في وقتي القصير على سطح الأرض؟* ليحل محله سؤال تستحيل الإجابة عنه بالقدر نفسه:

ماذا أفعل بفائض الوقت الطويل الذي لا أحتاج إليه؟

***

كان متحف شرقمريكا الإقليمي للفنون هادئًا كالعادة في أيام العمل، وقد شُيِّد وفق طراز العمارة الوحشية الجديدة، وجدرانه مزينة بالنباتات.

قالت كابلينو لهم: «اقضوا ساعة، ثم التقوني في المقهى، حتَّذاك ألقوا عقولكم مثل شبكة صيد ودعوها تصطاد ما يمكنها اصطياده». ثم غادرت وتركتهم يتدبرون أمرهم وحدهم.

صاح ويات: «ليس هناك صف أمام 'شيب فيرس'!». واقتاد رفاقه بسرعة إلى صندوق أبيض بحجم حجرة. تعرف الصندوق عليهم فورًا، وعرض عليهم أدوات ظهرت صور مُجسَّمة لها عند أطراف أصابعهم، كانت لعبة متطورة تتيح خلق عوالم بصور مجسمة، ذكَّرت مورتي بألعاب حضانة الأطفال، لكن هذه طُوِّرت لتمكن الكبار أيضًا من الاستمتاع بوقتهم.

قالت وينتر: «من المفترض أن نبحث عن الإلهام، لا مشتتات الانتباه».

قال ويات: «هلَّا استرخيت للحظة يا وينتر؟ أعرف سبب مجيئنا إلى هنا وكل شيء، لكن لمرة واحدة فقط أطلقي العنان لنفسك قليلًا».

امتثلت له على مضض، وتخلت عن تزمُّتها بتنهيدة درامية وقالت: «حسنًا، فلننشئ غابة».

قال ويات: «غابة فيها سفن فضائية وزومبي».

سألت شقيقها: «ذكِّرني، كم تبلغ من العمر؟». لكنها تكلمت مبتسمة.

بنظرة واحدة إلى ترينا عرف مورتي أنها اكتفت من 'شيب فيرس'، وهو كذلك، لذا بينما كان التوأمان يتناقران ويشيدان عالمهما الملون المكون من قطع جاهزة، انسل مورتي مع ترينا إلى خارج الصندوق الأبيض إلى دهليز طويل يفضي إلى 'المجموعة الدائمة'، جناحه المفضل. كان قديمًا ولا يحظى بشعبية، لأن كل الأعمال الموجودة فيه غير لافتة لمعظم الناس وتعود إلى ما قبل عام 2042 بأعوام طويلة، وهو العام الذي أصبح فيه الرأس السحابي واعيًا، وتغيَّر كل شيء.

كان قسم ‘المجموعة الدائمة’ أشبه بكهف واسع، معتم وصقيل الجدران ومضاء بمصابيح ذات ضوء كهرماني. دخلا إلى المكان وَجِلَين كأنه مكان مقدس. أخذت ترينا نفسًا عميقًا، وتهللت أساريرها: «تلك الرائحة!».

كان مورتي يعرف تلك الرائحة أيضًا، رائحة اللوحات القديمة نفسها، أو خشب الإطارات. حتى بعد مئات الأعوام، ما زالت تلك الأعمال تدغدغ الحواس على أكثر من مستوى.

سارا ببطء وتعجُّبٍ صامت. معظم ما رأياه كان لوحات بورتريه لأناس قدماء يرتدون ملابس فخيمة معقدة، ومناظر طبيعية يسودها الثلج والجليد، اللذان كانا منظرًا شائعًا عندئذٍ على ما يبدو.

كان مورتي يعرف أن كثيرًا من تلك القطع الفنية أعيد استخدامها ورسْمها مرارًا وموجودة عند الرأس السحابي، لذا على الأرجح لم يعد يأتي أحد لرؤيتها. فقدت قيمتها الثقافية، مثل نقود من دولة اندثرت، أو عبارة قديمة عفى الزمن عليها ولم يعد أحد يستخدمها. لكن مورتي وجد ذلك أمرًا مخزيًا. إذا لم يأت أحد إلى هنا، فهل ستختفي هذه الأعمال الفنية من الوجود؟ وماذا سيختفي أيضًا؟ سيفتقد مورتي كل شيء، حتى الأعمال الفنية الغريبة التي *يحسها*، لكن يعجز عن شرح إحساسه.

مثل كوب القهوة الكبير المكسو بالزغب، الذي بدا لطيفًا وباعثًا على الرهبة في آنٍ واحد.

أو حوض غسل الأطباق الضخم بصنابيره المكسورة وفتحات تصريفه المفقودة، بدا واضحًا أنه قمامة، لكن مورتي تأثر برؤيته.

أعجبه قسم ‘المجموعة الدائمة’ لأنه لا يقدم أجوبة، بل يبعث على التساؤل فحسب. المجيء إلى متحف من أجل أجوبة أشبه بأن يطلب المرء من نهرٍ التوقُّف حتى يرى انعكاسه.

وصلا إلى لوحة قماش بيضاء على الأرض، مشوهة بآثار الأقدام. مال مورتي مقتربًا ليقرأ الوصف التعريفي.

قرأ: «*لوحة للدَّوس عليها*». ثم رفع رأسه مصدومًا: «ترينا!».

كانت تقف على اللوحة سلفًا، وقالت له: «تعال جرِّب!».

كان المستطيل صغيرًا، فوقف مورتي قريبًا من ترينا فاشتم رائحة خزامى في شعرها. كانا مثل راكبَين في مصعد وهمي ضيق.

قال: «هذه اللوحة مجرد سطر توجيهات، يبدو لي أن هذا غش».

- أهذا غش حقًّا؟ هل استخدام فرشاة رسم يعد غشًّا مقارنة بالرسم بغصن؟ هل مواد التلوين نفسها تعد غشًّا مقارنةً بالصبغات الطبيعية مثل الدم والتوت؟ إذا فكرتَ مليًّا فيما يمكن أن يكون غشًّا فسرعان ما ستقول إن الطريقة الحقيقية الوحيدة لصنع الفن هي بتحريك أصابعك على الطين.

نظر مورتي إلى الأسفل إلى أطراف أصابع قدميهما التي تكاد أن تتلامس.

قالت ترينا: «على أي حال، متى كانت آخر مرة حظيت فيها بمثل هذا المرح؟».

- قبل ظهور منجل في صفنا.

دفعته بعنف من اللوحة مبتسمة. واصلا المشي، عائدين في التاريخ إلى أعمال أقدم. شاهد مورتي وجهها في أثناء خروجهما من مخروط ضوء، غشيه الظلام، وظهر برَّاقًا في مخروط آخر.

سألها: «أتودين رؤية اللوحة الأشد إثارة للرهبة هنا؟».

وضع يده على عينيها واقتادها ضاحكةً إلى أبعد جزء في الجناح، استغرقا وقتًا، وخمن مورتي أن اللوحة أُبعِدت عمدًا حتى لا تُفزِع الزوار الصغار. أحس برموش ترينا تحتك براحة يده.

- مستعدة؟

قالت ترينا ضاحكة: «وُلدتُ مستعدة».

انقطعت ضحكتها حالما رفع مورتي يده عن عينيها، رأت في اللوحة رجلًا عاريًا في حوض استحمام وقد نزف حتى الموت، بإحدى يديه الهامدتين يحمل ورقة عليها كتابة، وبالأخرى ريشة كتابة، لن تكتب كلمة أخرى أبدًا.

قال مورتي: «اللوحة اسمها ‘وفاة مارا’».

قالت ترينا: «بالطبع، بلا مزاح».

غطَّت عينيها، ثم نظرت من خلال أصابعها. اتكأت بكتفها على كتفه، مقتربة منه لتسمع شرحه الهامس.

- الرجل قُتل على يد إحدى أعدائه، احتالت للدخول إلى منزله وطعنته. كل منهما كان لديه قضايا سياسية مستعد للقتل -والموت- في سبيلها.

قالت ترينا: «اللوحة بديعة، لكن أي ‘قضية’ هذه التي تستحق الموت من أجلها؟ لا أفهم».

عبس مورتي: «أنا أيضًا لا أفهم. يدهشني أن الناس في الماضي كانوا يتَّقِدون شغفًا وحماسة إزاء ما يؤمنون به».

لم تبعد ترينا عينيها عن اللوحة وهي تقول: «بسبب الموت الذي كان متفشيًا عندئذٍ، الأستاذة كابلينو ذكرت هذا في الصف».

التفت ليواجه ترينا فوجدها تنظر إليه. قال: «تغلب البشر على الموت قبل وقت ليس بالطويل... أهذا يعني أننا لم يعد لدينا ما نتحدث عنه أو نفعله بشغف؟». لبث السؤال عالقًا في الهواء بينهما، ثم فجأة استدارت ترينا إليه وقالت: «إنني خائفة يا مورتي».

تفاجأ مورتي: «ماذا؟ أنت؟ أنت لا تخافين أبدًا».

- أجيد إخفاء مشاعري.

زمت شفتيها ثم تابعت: «لا أريد أن أموت يا مورتي».

ازدرد مورتي ريقه: «لن تموتي».

ألقت نظرة خاطفة على جثة مارا، وقالت: «لا أريد أن ينتهي كل شيء قبل أن أجد شيئًا أهتم به بقدر اهتمامي بالحياة نفسها».

هَمَّ مورتي بالكلام لكنه لم يستطع، لأنه رأى عينَي ترينا ارتسمت فيهما صرامة وجدية، كأنهما تتحديان شيئًا. ورغم أنهما كانا يقفان قريبًا من بعضهما، اقتربا أكثر حتى التصقا ببعضهما، وهمَّ مورتي بتقبيلها بأن وضع يديه بلطف خلف رأسها، وقد تلاشى الحرج الذي يحس به جوارها، تذوق شيئًا من الكاكاو الساخن الذي شربتْه في الصباح، وعرف أن هذا المذاق سوف يعيده دومًا وإلى الأبد إلى هذه اللحظة.

قاطعهما وقع أقدام، فأجفلا مبتعدين عن بعضهما. وقال مورتي مع نفسه: *أرجو ألا يكون القادم كابلينو، أو الأسوأ، التوأمين.*

لكن القادم كان أسوأ مما توقع. المنجل أف كلينت.

لا يمكن أن تكون هذه مصادفة! بطريقةٍ ما عرفت أنهما هنا، كانت تتربص بهما كنمرة.

قالت المنجل ناظرة إلى اللوحة: «اختيار دراسة مثير للاهتمام. الاسم مارا باللغة السنسكريتية يعني ‘الموت’». ثم التفتت إلى مورتي: «كما يعني اسمك ‘الموت’ بالفرنسية».

ازدرد مورتي ريقه وقال: «البحر الميت. مورتِمر يعني ‘البحر الميت’». ثم ندم على كلامه. ماذا لو كان تصحيح منجل جناية تستوجب القطف؟

قالت أف كلينت: «مارا كان فرنسيًّا. قامت ثورة في فرنسا، وأطيح بالنظام الحاكم القديم، وتنافست جماعات مختلفة على تأسيس نظام جديد. لم يُقتل مارا على يد عدو، بل أحد رفاقه الثوار. أليس في ذلك مفارقة؟».

نظرت إليهما نظرة غريبة كئيبة وتابعت: «يعجبني عملك يا مورتي، وعملك أيضًا يا ترينا».

قالا بصوت واحد متلعثم: «شكرًا لك جنابك».

- سأفشي لكما سرًّا صغيرًا. لن أقرر أنا من سيفوز بالمسابقة، القرار متروك لمُحكِّم اخترتُه، أو بالأحرى مُحكِّمين...

قالت ترينا مندفعة دون تفكير: «مَن؟». إذا كان بمقدور مورتي وضع يده على فمها لإعادة كلامها، لفعل.

قالت المنجل: «مجرد تجربة صغيرة خاصة بي. والآن، ألا ينبغي أن تلتقيا أستاذتكما في المقهى؟ سمعت أن لديهم أفضل معجنات».

سارا وهما يشعران بحرج شديد طوال المسافة عبر عتمة مساحة ‘المجموعة الدائمة، عائدين إلى الضوء، متجاوزين جلبة ‘شيب فيرس’ وأضوائه الباهرة، حتى بلغوا منضدة عمل المقهى. لم يتكلم مورتي ولا ترينا طوال الطريق، ولم تبد المنجل أف كلينت مهتمة أو مكترثة بصمتهما، بدت كأنها تعيش في كون داخلي منفصل كليًّا، كأنها تتحكم آليًّا في جسدها من مكان بعيد، وافترض مورتي أن ذلك لا يبدو منطقيًّا إلا لشخص يؤدي دور منجل.

وجدوا بقية أفراد الصف هناك، ومعهم أ. كابلينو، جميعهم تسمَّروا في أماكنهم إثر رؤيتهم أف كلينت تقترب مع مورتي وترينا. سقط من عامل القهوة، وهو شاب أكبر قليلًا من الطلاب، طبقٌ على الأرضية خلف النضد ولم يكلف نفسه عناء التقاطه.

خاطبت المنجل أف كلينت أستاذتهم بإشارة ترحيب: «ها أنت ذي يا بليندا».

تنحنحت أ. كابلينو وبدت كأنها تستجمع مخزون شجاعتها من أعماق أحشائها، وقالت: «ماذا دعاك إلى المتحف اليوم؟».

- أتفقد متسابقيَّ فحسب. وأتولى عملًا ما.

عندما رأت المنجل شفة وينتر السفلى تختفي في فمها، مدت يدها مطمْئنة: «لم آتِ هنا من أجلك اليوم، أتيت لتناول كوب إسبريسو».

التفتت إلى عامل القهوة، الذي بدت أناقته لا تناسب المكان، يرتدي ملابس فخيمة لا تشوبها شائبة من حقبة غابرة، ويعتمر معها قبعة فيدورا.

سألها: «أ... أي نوع؟».

- بماذا توصي؟

- مزيج الصباح.

قالت المنجل: «إذن سأتناول مزيج الصباح، وأنت كذلك». ثم أخرجت كيس حبوب بُن صغيرًا من طيات عباءتها: «لكن كوبك ستُعِده من هذه الحبوب».

امتقع عامل القهوة، وتردد، لكن تحديقة وجيزة من المنجل أف كلينت دفعته إلى آلة صنع القهوة.

لم يكن مورتي يعرف أن إعداد الإسبريسو يستغرق وقتًا طويلًا كهذا، كثير من السحن والضغط والضجيج، خطوات كثيرة من أجل إعداد كوب صغير مُحلًّى. ثم كوب آخر. وبعد كل ذلك الوقت والاهتمام، بدا المنتج النهائي ضئيلًا جدًّا، بضع أونصات من سائل يرُتشف في ثوانٍ.

قالت المنجل أف كلينت: «في صحتك».

ردد عامل القهوة: «في صحتك».

شربا من كوبيهما.

وبعد ثوانٍ، تهالك عامل القهوة على الأرضية، وقد سقطت قبعته واستقرت بهدوء على النضد، كأنما تركها الشاب في مكانها عمدًا.

قالت أف كلينت: «*ذلك* كان مزيج الصباح». ثم سارت إلى خلف منضدة العرض الزجاجية، ووجدت صندوقًا ورديًّا من الورق المقوى، وملأته

بالمعجنات، ثم ناولت الصندوق إلى ويات مباشرة، ونظرت إلى البقية بعينيها المظللتين بقلنسوتها. قالت: «حلويات لتتناولوها في طريق عودتكم».

***

خيم الصمت على السيارة العامة. لم يطق مورتي النظر إلى الصندوق الوردي المليء بالمعجنات القابع على حجر ويات. جميعهم لم يطيقوا النظر.

قالت وينتر: «إذن هي من الذين يستخدمون السموم».

قالت ترينا: «رأيت نِصالًا في عباءتها أيضًا».

ضرب ويات وجهه بخلفية المقعد الذي أمامه، وزعق: «توقفوا! اصمتوا فحسب!».

قال مورتي: «مهلًا، لسنا متأكدين أنها ستقطف أحدنا. لم تتكلم سوى عن جائزة».

قالت ترينا وهي تومئ: «وليس عقابًا».

رفع ويات رأسه وحملق إليهما بعينين دامعتين: «هل أنتما غبيان إلى هذه الدرجة؟ أعطتني الصندوق الوردي، نظرت إلى جهازي اللوحي عابسة. إنها تفضِّل الأساليب القديمة وأنا أفضِّل الحديثة. تريد أن تجعلني عظة وعبرة».

لم يوافقه أحد على كلامه، لكن لم يغالطه أحد أيضًا. جميعهم اكتفوا بالجلوس صامتين، جنبًا إلى جنب، لكن منفصلين عن بعضهم على نحو مؤلم.

***

جفا النوم مورتي في تلك الليلة. تساءل عمَّن سيتولى أمر جثة عامل القهوة، وتساءل عن مكان الصندوق الوردي الآن، تخيله في مكب نفايات مفتوح تسيل منه أقواس قزح إثر ذوبان السكر مع هطول مطر منتصف الليل بالخارج، ثم تراءت له مياه أمطار تتجمع في فم مفتوح ومحجرَي عينين وخدين غائرين يزدادان غورًا بمرور الوقت.

نهض من فراشه، وغادر غرفته حافي القدمين، وصعد إلى طابق المهجع الأعلى، رأى جميع الغرف التي مر بها مظلمة، كل من في المهجع كانوا نيامًا.

عدا ترينا.

ركز مورتي على خط الضوء الرفيع المتوهج أسفل باب غرفتها. طرق على الباب، وفتحته ترينا وبدت شكلًا ظلِّيًّا وسط الضوء الدافئ.

لم يتكلما كثيرًا بعد ذلك. تبادلا القُبَل، وتحركا بحذر، كانت متوترة مثله، وبدا واضحًا من عدم خبرتهما أن هذه هي المرة الأولى لكليهما، لكنهما لم يستطيعا إنكار حاجتهما إلى هذا التواصل الحميمي، وضرورته، كان لا بد أن يجري ما جرى الليلة، وإلَّا لفقدا صوابهما.

***

ولاحقًا، رنا مورتي ببصره عبر نافذة السقف التي يتخللها الرذاذ، شاهد الغيوم المشبعة بضوء القمر الذي يحاول اختراقها من الأعلى. لبثت ترينا نائمة بجواره لكنها ركلت عنها الأغطية إثر إحساسها بالحر.

تشابك عقل مورتي إزاء أحداث اليوم. هل وجوده مع ترينا الآن في غرفتها بسبب قطف عامل القهوة؟ أم رغمًا عنه؟ توهجت كتفا ترينا بالضوء الأزرق المعتم. نظر مورتي إلى انحناءات جسدها الناعم، وخطر له أن الأجساد البشرية مذهلة، متناسقة الأجزاء الخارجية لكن أعضاءها الداخلية فوضوية، جميعها هي نفسها لكنها مختلفة من نواحٍ حميمية لا نهاية لها، وهذا ما كان يحبط مورتي ويسحره في آنٍ واحد عندما يرسمها، ملايين اللوحات العارية ستبدو متطابقة أمام عين غير خبيرة ومُميِّزة، رغم أنها غير متطابقة. التحدي هو إيجاد عين خبيرة مميزة.

وعندئذٍ داهمته فكرة، بَرَقت في ذهنه بشدة إلى درجة أنه نهض من الفراش ليبحث عن قطعة فحم وورقة، ورسم عليها مسودة بأقصى سرعة لديه حتى لا تفلت الفكرة منه وتعود إلى غياهب عقله الباطن.

بالأعلى أفرغت السحب من حملها ما يكفي لإظهار دائرة سماء ليلية صافية، زرقاء داكنة تحفُّها الفضة، وداخل الدائرة بدا القمر متوهجًا، وعبَر طائر أسود شاطرًا الدائرة البيضاء غير مدرك لدقة موقعه.

***

بحلول اليوم الأخير لم يعد الطلاب الأربعة يتكلمون إطلاقًا، صاروا يعملون بمثابرة قرويين يدعِّمون نوافذ منازلهم قُبيل وصول إعصار. في مرة انزلقت

فرشاة مورتي، ونثرت لونًا زيتيًّا على ذراع ويات، فمسحها ببساطة دون تعليق أو تذمر، ولم يبعد تركيزه لحظة عن جهازه اللوحي.

بعد اليوم لم يعد أمام مورتي وقت للانتظار حتى تجف طبقة ألوان ثم يعالج أخطاء لوحته. لا بد من عرض اللوحة أمام الحكام واللوحة ما تزال رطبة. تمنى لو أتيح مزيد من الوقت. هل هكذا كانت الحياة في الماضي؟ أكان جميع الناس يتمنون لو أتيح لهم مزيد من الوقت ولو قليلًا؟

وفي لحظة بعينها وصلت لوحته إلى تلك المرحلة الحتمية حيث لا تقبل إضافة قطرة لون، فتعيَّن عليه رفع يده عنها.

قالت أ. كابلينو لهم ذات يوم: «*العمل الفني لا ينتهي أبدًا، بل يُترك فحسب*».

أعلن صرير كرسي نهاية الوقت. نهضت أ. كابلينو وقالت: «ضَعوا أدواتكم».

***

رغم انتهاء وقت مشاريعهم، لم تكن أ. كابلينو قد انتهت من كل ما لديها، اقتادتهم إلى فناء المدرسة المرصوف بالقرميد، وفي وسطه لاحظ مورتي نحو عشر قطع قرميد أزيلت من مكانها، وصُبت في فجوتها خرسانة جديدة. جثت أ. كابلينو بجانبها.

قالت لهم: «ارسموا أي علامة تريدونها هنا، ولا تنسوا توقيعها».

بدأت بنفسها، استخدمت مفك براغٍ لترسم على الخرسانة اللينة الحرف **ف** بشكل معقد جميل، وبعناية نظفت حواف الحرف، ثم وقعت اسمها: *بليندا كابلينو*.

قالت: «إنه الحرف الأول من اسم فاراز، زوجي». ثم أردفت: «لقد مات».

لم يرغب أحد في التحرك بعد ما قالته، واستشعرت أ. كابلينو الحرج في صمتهم، فقالت: «مات منذ زمن طويل جدًّا، عانى ما كان يسمى بـ 'ألزهايمر مبكر'، فقد هويته، وأصبح كغريب في الواقع، لذا كنت قد فقدتُه قبل وقت طويل من موته».

شابكت وينتر أصابعها وقالت: «أظن أن ذلك كان قبل وجود مراكز الإنعاش والوحدات المجهرية الصحية».

قال ويات بحدة: «بالطبع كان قبل ذلك». بدا عصبيًّا راغبًا في المغادرة: «وإلَّا فلماذا قد يتركونه يموت؟ لم يكونوا قد اكتشفوا تلك الأشياء بعد».

قال مورتي: «مهلًا، لا تكن فظًّا».

قال ويات: «ما قلتُه صحيح، فكيف يكون فظاظة؟».

لم يكن مورتي يعرف كيف، *أحس* بأن طريقة كلام ويات غير المبالية فيها فظاظة، وعدم احترام.

اكتفت أ. كابلينو بالابتسام: «ويات محق. ذات يوم كان الموت الطبيعي موجودًا في العالم، وفي اليوم التالي لم يعد موجودًا. إذا تعلمتُ أمرًا واحدًا من موت زوجي، فهو أن كل شيء يمكن أن يتغير في لحظة. الناس، والحقائق، وعوالم بأكملها. التحدِّي هو تقرير ما إذا كان تغيير بعينه أمرًا جيدًا أم سيئًا أم شيئًا آخر لا نعرف كلمات تصفه».

قالت ترينا: «حسنًا، أنا عن نفسي سعيدة بأنكِ عشت مدة كافية لتشهدي أيام إمكانية إنعاش الناس».

ساد الصمت. ثم مال مورتي مقتربًا خطوة نحو أستاذتهم الساهمة: «هل أنت بخير؟».

استجمعت شتات نفسها، وبسطت ذراعيها كأنها تمجِّد السماء: «أنتم آخر صف في مسيرتي المهنية كلها. هذه البقعة الخرسانية الصغيرة لتلبوا لي رغبتي الأنانية في أن تتذكرني الأجيال التالية. لذا تعالوا وارسموا شيئًا!».

جميعهم رسموا علاماتهم مستخدمين أيًّا ما وجدوه ملقى على الأرض. ضغطت وينتر ورقة شجرة مرارًا لتصنع شكلًا شعاعيًّا سداسي الأضلاع، بأسلوبها الدقيق المعتاد. فكر ويات مطولًا، وأمعن التفكير، ثم حمل غصنًا رفيعًا ورسم به علامة استفهام.

قال: «إنه رسم يعبِّر عن عدم معرفة ما ينبغي رسمه». وعندما قوبل كلامه باستغراب جماعي، أردف بصوت واهن: «إنه فن مِيتا. ميتا مفهوم قديم جدًّا. لا يهم يا رفاق، انتهيت من هذا».

- ويات!

حاولت وينتر إيقافه لكنه ابتعد بسرعة، فتمتمت: «إنه غبي، ولطالما كان غبيًّا!». ثم أجهشت بالبكاء فجأة.

واستها أ. كابلينو بعناق قائلة: «وأنا متأكدة أنه سيظل غبيًّا لسنوات عديدة قادمة».

قرفص مورتي وترينا قريبًا من بعضهما ورسما ما خمَّن مورتي أنه يمكن أن يسمى عقدة سِلتيك متشابكة. لم يفكرا كثيرًا، وقطعًا لم يكونا يفكران بما يستحق أن تراه الأجيال القادمة. لكن للحظة وجدا نفسيهما يستمتعان وهما يحاولان تحريك يديهما فوق وتحت بعضهما دون اصطدام.

***

غُطيت اللوحات الأربع وحُملت إلى مكان التحكيم. في الصباح التالي التقى الطلاب في استوديو أ. كابلينو، الذي انتفت أسباب إغلاقه، وبدا المكان لمورتي موحشًا منذ الآن، مجرد هيكل لما كان عليه من قبل. لكن ربما يكون ذلك لأنه عرف أن أ. كابلينو لن تدرِّس في الاستوديو أبدًا، فاليوم هو أول أيام 'تقاعُدها'، وهذا مفهوم آخر من أيام الفانين الغابرة.

أخرسهم القلق في أثناء ركوبهم السيارة العامة.

تساءلت وينتر: «أين سيُحكم علينا؟».

قالت أ. كابلينو: «سترون. لن يُحكم عليكم *أنتم*، إنما على أعمالكم».

عبس ويات وضحك هازئًا: «أتتوقعين منا تصديق ذلك؟».

قالت له: «أتوقع لكم أن تتألقوا، مهما سيحدث اليوم». ثم نظرت إلى الآخرين. «وهذا ينطبق عليكم جميعًا».

توقفت السيارة العامة، ترجَّل مورتي، وتبعه زملاؤه، وكلهم يضيِّقون أعينهم من ضوء الشمس.

وقفوا أمام مدخل متحف وسطمريكا الإقليمي للفنون. واليوم رأوا أناسًا مصطفين للدخول.

تساءلت وينتر: «سيجري تحكيم المسابقة هنا؟».

قالت أ. كابلينو: «قيل لي إننا سنعرض لوحاتنا في البهو».

تمتمت ترينا: «أمام كل هؤلاء الناس؟». وعقدت ذراعيها ساهمة.

لكن ويات بدا متحمسًا فجأة: «هذا خبر جيد! ممتاز! كنت آمل أن يحضر جمهور...».

دمدمت وينتر: «إنك دومًا تأمل أن يحضر جمهور».

حدق مورتي إلى صف المنتظرين، لم ير قط أناسًا كثيرين هكذا في المتحف، تساءل عما إذا كان حضورهم مصادفة أم إنهم انجذبوا إلى رائحة الدماء المحتمَلة.

قالت أ. كابلينو: «هيا، فلندخل».

اقتادتهم متجاوزة الصف، وحالما دخلوا، شقوا طريقهم عبر الحشد حتى وصلوا إلى البهو، فرأوا مساحة ثُمانيَّة الأضلاع مطوَّقة بحبل، فيها أربعة حوامل، كل منها محجوب بغطاء أبيض من الساتان.

ظهر رجل ضخم يضع ربطة عنق عليها نقش لوحة لمونيه، كان مدير المتحف، وهرول نحو أ. كابلينو. قال لها بصوت كالفحيح: «لقد تأخرتم». ثم فك الحبل المخملي وأدخلهم إلى المساحة المطوَّقة. «إنها وصلـــ...».

«آه، ها هم أولاء!». رن صوتٌ كصوت جرس قُرصي نحاسي ضخم في البهو ذي السقف الشاهق. خرجت المنجل أف كلينت من الظلال، حيَّتهم وعيناها تومضان من تحت قلنسوة عباءتها المبطنة الملونة. متى وصلتْ؟ منذ متى تنتظر؟ وهل انتظار وصولهم عكَّر مزاجها؟ تساءل مورتي عما إذا كان وميض عينيها يعني أنها تهم بالقطف. لكنها استدارت نحو الحشد.

قالت: «مرحبًا بكم جميعًا، إنكم مقبلون على متعة اليوم».

إثر رؤية المنجل شهق الحشد شهقة جماعية، كأنهم جوقة تنتظر إطلاق أولى صيحات رعبها.

قالت للمجتمعين: «الآن بما أنكم هنا، أناشدكم أن تبقوا من أجل هذا المعرض الفريد. بل آمركم بالبقاء».

ورغم أمر المنجل فقد بعض الزوار الذين في طرف الحشد شجاعتهم، وبدؤوا يهرعون مبتعدين.

همس مدير المتحف: «فلتغشانا الرحمة جميعًا».

جالت أف كلينت بعينيها بين الجمهور كصقر يبحث عن فريسة، وقالت: «المنجل عادةً ما يعمل وحده». ترددت أصداء كلماتها في البهو وملأته كالضوء: «لكن اليوم أحتاج إلى مساعدة كل واحد منكم هنا».

بدأ طفل ينتحب. وأبدت المنجل أف كلينت تعاطفها: «لن أكلفكم بمهمة دنيئة أو مرهقة». ابتسمت، لكن ابتسامتها لم تكن مريحة: «ببساطة أريد منكم أن تحكموا على هذه القطع الفنية الأربع التي أبدعها أفضل طلاب أكاديمية ميشلر للفنون». أشارت إليهم وبدأت تصفق، فصفق الحشد معها بشيء من الفتور.

أحس مورتي بيد ترينا تزحف إلى يده. مالت نحوه وهمست: «هكذا سيُحكم على أعمالنا؟ أناس من الشارع؟».

قالت أف كلينت للجمهور: «الفائز سينال حصانة لمدة عام، أما الذين لن يفوزوا...» تركت الفكرة تتلاشى في ظلام الأشياء المعلقة.

هام عقل مورتي بعيدًا وعاد إليه. أيًّا كان ما أبدعه زملاؤه، كان متأكدًا أن لوحته هي الأكثر تقليدية، وبالتالي الأشد إثارة للملل. فجأة لم يبدُ ويات، بجهازه اللوحي المثير للحنق، غبيًّا في نهاية المطاف.

قالت المنجل أف كلينت: «السيدات أولًا».

أحس مورتي بترينا تسحق أصابعه.

- وِينتر وِيتز، حدِّثينا عن عملك.

استرخت أصابع ترينا.

استطال وجه ترينا كوجه مَن يوشك على التقيُّؤ، وعانقت شقيقها فجأة كأنها تودِّعه، ثم سارت وجذبت غطاء الساتان كاشفةً عن عملها.

كان عملها تجميعًا لقصاصات فنية أعيد رسمها مرارًا لتكوِّن أجزاءً مكبَّرة، ثم أُلصِقت على مَنْدالة كبيرة عليها خطوط حلزونية مزدوجة معقدة تشبه الدانتيل الأبيض. كان مثيرًا للإعجاب، عظيمًا، وباردًا كالجليد.

أخذت المنجل أف كلينت ميكروفونًا صغيرًا وناولته لوينتر، فأخذته كمن يمسك بأفعى صغيرة لكنها مميتة.

بدأت وينتر الكلام لكنها أجفلت من صوتها: «امم...».

همست أ. كابلينو: «هيا، قولي لهم ما قلتِهِ لي».

تنحنحت وينتر، وألقت نظرة سريعة على زملائها، كأنها أدركت أن حياتها كلها، وحيواتهم أيضًا، كانت تمهيدًا لهذه اللحظة، هذا الواقع العصيب الماثل الآن، والخوف مما سيحدث لاحقًا.

تنحنحت مرة أخرى. ثم قالت: «التسليع الدؤوب للصُّور التي يُعاد إنتاجها رقميًّا يحاول دومًا أن يبخس من قيمة الروح الإبداعية».

عبست أف كلينت وذكَّرت وينتر: «هؤلاء الناس ليسوا أكاديميين مُملِّين، تكلمي بعبارات بسيطة عن عملك التجميعي، لا تجمعي الكلمات كيفما اتفق».

أخذت وينتر نفسًا عميقًا. ورأى مورتي أنها تحاول إعادة صياغة كاملة لما تريد قوله.

«ما أعنيه هو... كلَّما قلَّدنا وكرَّرنا ما هو موجود سلفًا، ازددنا خَدَرًا وفقدنا إحساسنا إزاء الفن. لكن باستخدام الأشكال الموجودة بوصفها مكونات ووحدات بناء أساسية، يمكننا إبداع شيء جديد» حرَّكت إصبعها متعقِّبةً الخطوط الحلزونية المزدوجة. «تمامًا كما أن الحمض النووي، المكون من تركيبات مكونة من أربعة أحماض أمينية، يفضي إلى جميع أشكال الحياة المتنوعة في الأرض».

تبادل مورتي نظرة مع ترينا. كانت كلمات وينتر معبِّرة وموحية على نحو مفاجئ، فصفق مرتادو المتحف تصفيقًا مهذبًا. ازدرد مورتي ريقه، وضغطت ترينا على يده مرتين. عرف أن كليهما يرغب في الفرار. كلهم كانوا يرغبون في الفرار. ولكان في ذلك نهايتهم حتمًا.

شابكت أ. كابلينو أصابع يديها واعتصرتهما بشدة حتى ظن مورتي أنهما ستُخلعان.

همست: «عمل رائع يا وينتر». ولم تستطع وينتر أن ترد بسوى إيماءة روبوتية.

قالت المنجل أف كلينت: «شكرًا لك أيتها الآنسة ويتز»، والتفتت إلى ترينا: «ترينا أُروزكو، حدِّثينا عن عملك».

بوخزة ذعر أحس مورتي بيد ترينا تنزلق من يده، سارت إلى منصتها وكشفت عن عملها الفني: صندوق ضخم من الورق المقوى، عند أحد طرفيه رسم. سمع مورتي الحشد يتململ محتارًا.

وقفت أ. كابلينو ذاهلة، ورأى مورتي عينيها تترقرقان بالدموع.

أخذت ترينا الميكروفون: «هذه حجرة مظلمة. توجد عدسة في مقدمتها تُسقِط صورة على هذا الرَّق. الحجرة المظلمة تكنيك استخدمه كبار الفانين

الهولنديين لرسم لوحات الطبيعة الصامتة بمستوى عالٍ من الواقعية، لا يتطلب واي فاي أو حتى كهرباء».

بدا الحشد منجذبًا للعمل الفني.

استحثت المنجل: «تابعي».

تابعت ترينا: «بدلًا من رسم لوحة طبيعة صامتة، تمثِّل لوحتي أنشطة أسبوع كامل في الاستوديو لدينا، خلال ذلك الأسبوع قررت أن أوثِّق اللحظات التي رأيتها حافلة بالمعاني، لأن السعي لإيجاد المعنى من السمات البشرية الأساسية الفريدة، ويمثِّل جوهر الروح الإبداعية».

ألقى مورتي نظرة من كثب، فرأى أربع صور لنفسه في وضعيات مختلفة، وثلاثًا لوينتر، وثلاثًا لويات، ورأى أ. كابلينو جالسة على الجانب البعيد، نجمة الشمال الوحيدة التي ترشدهم في خضم بحار العوالم الفنية.

سرت همهمة بين الحشد وهم ينظرون إلى الصورة، صفق عدة أشخاص متفرقين، لكن معظم الأيدي كانت مشغولة بتقريب الصور على هواتفهم المصوَّبة نحو الجدار فوقهم. استدار مورتي فاكتشف السبب: كانت لوحة ترينا مُسقَطة على الجدار حتى يراها البعيدون بالخلف. تشتُّت الانتباه تسبَّب في خفوت جولة التصفيق الحارة التي كانت ترينا تأمل سماعها.

قالت المنجل أف كلينت: «والآن حان دون الشابَّين». صوبت نظرة نحو مورتي، لكنها غيرت رأيها وقالت: «سنبدأ بـــ... شقيق وينتر، ويات».

هبَّ ويات إلى الأمام، وأخذ الميكروفون بسرعة، تقافز على قدميه وأخذ أنفاسًا سريعة كعدَّاء مسافات قصيرة يقوم بعملية إحماء. سمعه مورتي يقول: «هيا بنا!».

قرَّب الميكروفون من فمه كأنه قارورة مشروب، وبدأ: «كيف حالكم يا رفاق، اسمي ويات ويتز، ما فعلته هو أنني التقطت صورًا لجميع أعمال زملائي الرائعة ثم عالجتها عبر خوارزميات فلترة مصممة خصيصى، بمعنى أنني لدي فلاتر بصرية من ابتكاري! لذا فإن عملي الفني نفسه ليس شيئًا أنجزتُه أنا، بل شيء لم يُنجَز بعد. في الحقيقة سيكون العمل أي شيء تنجزونه أنتم، مستخدمين أساليب زملائي. يسعدني أن أقدم لكم... ‘فِلتر وينتر’...».

أدار ويات جهازه اللوحي ليعرض للجمهور صفحة متجر تطبيقات، ثم مرر إصبعه على شاشة جهازه اللوحي عدة مرات، وتابع: «...و 'فلتر ترينا'... و 'فلتر مورتِمر'!».

سجَّل مدير المتحف بهاتفه صفحة متجر التطبيقات وبثَّها لكل الموجودين في البهو. وخلال لحظة انحنت رؤوس جميع الحاضرين على أجهزتهم، وبدؤوا يجربون الفلاتر.

رغب مورتي في قتل ويات. لم ينجح ويات في تقليد أساليبهم فحسب، بل واكتشف طريقة لتطبيقها على أي شيء، الآن بنقرات بسيطة بمقدور أي أحد أن يصنع نسخًا مزورة من أعمالهم. هذه كانت السرقة الفنية الأعظم. لكن ويات بدا مغتبطًا، فخورًا بأنه أنتج أرواحهم الإبداعية بكميات تجارية. نظر مورتي إلى ترينا وعلى وجهه أمارات الاستنكار الشديد.

لكن ترينا لم ترتعب، بدت مأخوذة، بل ومسرورة. تبادلت نظرة مع وينتر، فرأت لديها ردة الفعل نفسها. همست: «قد يكون هذا رائعًا».

انتشى ويات ببحر الوجوه المضاءة بالشاشات أمامه، وختم كلامه. صاح: «بإمكان أي أحد أن يُبدِع فنًّا مثل هؤلاء الفنانين الشبان العظماء. هذه الفلاتر متاحة الآن، وكلها جزء مما أسميته بـ 'مجموعة إرث كابلينو'».

تفشت الهمهمات بين الجمهور، وجَّهوا شاشاتهم نحو بعضهم وهم يومئون، بعضهم بدوا مستغرقين في الإعدادات الإبداعية. ثم بدأ التصفيق يتصاعد. وفي هذه الأثناء بدا ويات، الذي كان أشد زملائه خوفًا، مغتبطًا مزهوًّا بنفسه. بالطبع أحبوا ويات، فهو الجديد، ومورتي هو القديم.

قالت المنجل أف كلينت في خضم التصفيق المتصاعد: «فكرة ذكية. ومن الواضح أنك تعرف كيفية إرضاء الجمهور».

فاجأ ويات مورتي بأن أحاط كتفيه بذراعه، وضم إليه ترينا وشقيقته أيضًا. همس وسط الجلبة: «لقد جعلتكم فنانين مشهورين على مستوى العالم».

دققت أ. كابلينو النظر إلى اسمها المكتوب على شاشة متجر التطبيقات كأنها لا تستوعب كيفية وصوله إلى هناك. سواء رغبت أم لم ترغب، فقد صارت الآن مُخلَّدة رقميًّا. فهِم مورتي حيرتها. الذين يُحرمون الخلود كثيرًا ما يستحقونه، والذين ينالونه كثيرًا ما لا يستحقونه.

ثم استدارت أف كلينت إلى مورتي بابتسامة تمساح تبعث القشعريرة: «والآن ماذا لديك يا مورتِمر أونغ؟».

أحس مورتي فجأة بأنه صغير جدًّا، كأنه طفل ضُبِط ويده داخل برطمان كعك... ثم اكتشف أنه في الحقيقة فخ دببة.

قال: «رســـ... رسمت لوحة، بالأسلوب الكلاسيكي».

استحثته أف كلينت: «هل لنا أن نراها؟ أم سنكتفي بتخيُّلها؟».

أخذ مورتي نفسًا وزفره ببطء حتى استرخت أعصابه قليلًا، ثم سحب غطاء الساتان بجذبة خفيفة، بعناية حتى لا يلطخ الألوان.

وإثر رؤية البورتريه العاري، ندت من أستاذته شهقة.

قالت أ. كابلينو: «أوه، مورتي، ماذا فعلت؟».

رفعت ترينا يديها إلى وجهها كأنها تقلِّد لوحة *الصرخة* لإدفارد مونك. ووَجها وينتر ووبات المتوردان عادةً امتقعا وصارا كالرماد. ووقف مدير المتحف متخشِّبًا ينضح عرقًا وهو يتساءل عما إذا كان عليه أن يبقي اللوحة مُكبَّرة على الجدار فوقهم أم لا.

لأن الشخص المرسوم على اللوحة لم يكن سوى المنجل أف كلينت، عاريةً أمام الجميع.

انعقد لسان المنجل: «ما... ما معنى هذا؟». ثم سحبت يدها من إحدى طيات عباءتها كاشفةً عن مدية إصبع، ممتدة من سبابتها مثل ظفر مشذب، كان نصلًا صغيرًا مزودًا بقنينة سم صغيرة، حمراء كالياقوت.

قذفت أ. كابلينو بنفسها بينهما قائلة: «أرجوك جنابك، ليس مورتي!».

أخرستها المنجل بتحديقة باردة، ودفعتها جانبًا برفق وحزم. ثم وجهت كلامها إلى مورتي بهدوء مصطنع وهي تحاول كبح ثوران غضبها: «وضِّح لي سببًا يمنعني من قطفك جراء هذه... الوقاحة الشائنة».

أحس مورتي بكل جزء في جسده يرتعش، لكنه أرغم ساقيه على الثبات، ومنع صوته من التهدُّج: «أمعِني النظر جنابك».

في اللوحة كانت المنجل تنزع عباءتها بيد، وتمد الأخرى نحو منضدة زينة... عليها خنجر ذو مقبض ماسِّي.

اتسعت عينا المنجل أف كلينت قليلًا، وقالت: «الوجه وجهي، لكن هذه ليست عباءتي، هذه عباءة برتقالية من الدانتيل...لا! ليست برتقالية، بل مشمشية! وذلك الخنجر...». وأخيرًا أدركت: «هذه ليست أنا... إنها المنجل المؤسِّسة سافو!».

- ومع ذلك... إنها أنت. ألا ينتهي جميع المناجل إلى المصير نفسه ذات يوم؟

- كانت أول منجل يقطف نفسه.

قال مورتي: «لتُذكِّرنا بأن الموت لم يُهزَم، إنما حُبِس في قفص فحسب...».

أومأت أف كلينت: «وكل منجل سوف يدخل القفص معه ذات يوم».

نظرت إلى مورتي وإلى اللوحة بمزيج من الإعجاب والغضب: «إنها... لوحة بديعة. لكن لماذا تجرأت على رسم وجهي عليها؟».

قال مورتي: «من أجل إنجاز عمل فني مثل فن الفانين حقًّا، لا بد أن يحوم خوف الموت فوق رأس الفنان كما كان يحدث في الماضي».

شهقت أف كلينت وقد أدركت: «كنت تعرف أنني قد أقطفك بسبب رسمك هذه اللوحة».

أومأ مورتي: «وذلك الخوف اقتات عليه شغف فرشاتي». ثم رفع رأسه عاليًا، كأنه يتحدَّى المنجل لتغرز نصل إصبعها المسموم في عنقه: «سمَّيتُها 'أف كلينت تفكِّر في مَخرَج سافو'».

تأملت المنجل اللوحة بصمت بضع لحظات، ثم استدارت إلى الجمهور كأنها تراهم واقفين حولها أول مرة. لم يتكلم أحد، أو يصفق، أو حتى يتنفس على ما يبدو.

همست أف كلينت: «هل تسمعون ذلك؟ جميعكم، أتسمعون؟».

قالت وينتر: «لا أسمع شيئًا».

- بالضبط.

ثم أخذت أف كلينت الميكروفون من مورتي وخاطبت الجمهور.

أعلنت: «وفقًا لحرارة تصفيقكم، وفتوره... لدينا فائز واضح! ويات ويتز سينال حصانة لمدة عام!».

بدأ الجمهور يصفق، بتحفظ في البداية، ثم عن اقتناع. وقذفت وينتر بنفسها بين ذراعي شقيقها المشدوه.

قال ويات: «أوه، عجبًا». ثم سحب نفسه من شقيقته، وجثا أمام المنجل وقبَّل خاتمها، بينما الجمهور يشرئبون بأعناقهم ليشاهدوا ويلتقطوا الصور بكل جهاز يحملونه. وعندما نهض ويات، التفتت أف كلينت إلى الجمهور مرة أخرى: «شكرًا لكم على خدمتكم، لكم أن تنصرفوا».

لم ير مورتي قط حشدًا بذلك الحجم يتحرك بتلك السرعة البالغة، قِلَّة قليلة منهم توغلوا إلى أروقة المتحف، لكن كلهم تقريبًا تدفقوا إلى الخارج، حيث كان ينتظرهم عدد كبير من السيارات العامة لتهرع بهم بعيدًا عن هذا المكان.

وخلال أقل من دقيقة لم يبق أحد سوى المنجل والطلاب وأ. كابلينو.

تجاسرت ترينا على السؤال: «ما... ماذا عن وينتر ومورتي وعني؟».

- ماذا؟ هل توقعتم أن أقطف الذين لم يفوزوا؟

قالت وينتر: «خطر لنا الاحتمال».

هزت أف كلينت رأسها: «أحقًّا تظنون أننا المناجل معقدون وعبثيون إلى هذه الدرجة؟».

أجابت أ. كابلينو: «نعم، أحيانًا تكونون كذلك».

حملقت أف كلينت إليها، ثم لانَت مُتنهِّدة، وقالت: «أظنك محقة. المكائد والدسائس والطعن في الظهر من حين لآخر تجعل الأمور مشوقة لنا». ونظرت إلى كل واحد منهم مليًّا، ثم استقرت نظراتها على أ. كابلينو. «بوصفك معلِّمتهم ينبغي لك أن تكوني فخورة. أبقيتِ الشعلة متقدة لأطول مدة قدرتِ عليها، هؤلاء الطلاب الأربعة الأخيرون هم الجمرات الباقية الأشد توهُّجًا، وهم يمثلون تغييرًا في الحراس من ناحيةٍ ما، على ما أظن».

دوى صدى صوت ويات في البهو الخالي: «شكرًا لك جنابك».

أطلقت أف كلينت قهقهة مريرة، وقالت: «كلامي لم يكن إطراءً».

تلاشت الابتسامة العريضة من وجه ويات. وتابعت أف كلينت: «أبدعتَ في تنفيذ عملك، لكنه أجوف جوهريًّا. لا ألومك، ولا ألوم معلِّمتك. إنه بلاء زماننا. أرى أننا دخلنا عصرًا جديدًا في تاريخ الجنس البشري، عصر الخالدين، إذا

شئتم تسميته». ثم التفتت إلى مورتي: «لكن أنت يا مورتي، أنجزت أمرًا لم أكن أظنه ما زال ممكنًا».

لم يتأكد مورتي مما إذا قصدت بكلامها الإطراء هذه المرة: «معذرة جنابك، ماذا؟».

قالت: «بمستطاع أي أحد انتزاع تصفيق الجمهور، لكن جعلهم ذاهلين فاقدين القدرة على إبداء أي ردة فعل؟ ذلك استثنائي!». ابتسمت له وتابعت: «أرى أنك رسمت آخر لوحة يمكن وصفها بالانتماء إلى فن الفانين».

صُعق مورتي بكلماتها، ومعانيها الضمنية، إلى درجة أنه استغرق بضع لحظات ليلاحظ أن ترينا أمسكت بيده، وهذه المرة لن تفلتها.

ثم التفتت أف كلينت إلى أ. كابلينو، وقالت بلطف: «بليندا، حان الوقت».

لم يرُق مورتي وقع الكلام. «مهلًا، ماذا؟».

قالت أف كلينت: «قلتُ إنكم لم تكونوا معرضين لخطر القطف، لكنني لم أشمل أستاذتكم».

اعترتهم جميعًا صدمة تحولت سريعًا إلى ذعر، لكن أ. كابلينو لم تبدُ متفاجئة.

سألها ويات: «هل كنتِ تعرفين سلفًا».

قالت أ. كابلينو: «لا. لكن راودتني شكوك».

سألت ترينا أف كلينت: «لماذا؟ لماذا عليك أن تفعلي هذا؟».

لكن أ. كابلينو رفعت يدها لتهدئهم، وقالت: «لأن عملي انتهى، وحياتي اكتملت». تكلمت وصوتها مفعم بالامتنان والرضا فهدَّأ طلابها: «وُلِدتُ فانية، وبوصفي معلمة أرى أنني أوثَق صلةً بالماضي، عصر الخالدين هذا يفوق قدراتي الاستيعابية».

اكفهر وجه أف كلينت وقالت: «ثمة... قلاقل... في هيئة المناجل، بعضنا يرى ضرورة شن حملة لتطهير جميع الذين وُلدوا فانين، من أجل تحرير العالم من عقليات الفانين. لكنني أرى أن معلمتكم تستحق احترام أن تُقطف على يد شخص يعرف قيمتها وقيمة العمل العظيم الذي قامت به».

بدلًا من الانزعاج بدت أ. كابلينو كأنها أحست بالارتياح. بسطت ذراعيها وعانقتهم جميعًا، رغم ترقرق عينيها بالدموع: «كان تدريسكم شرف حياتي. حتى عندما أرحل، أعرف أنني سأُخلَّد في أعمالكم».

قالت أف كلينت وهي تلقي نظرة سريعة على لوحة مورتي: «وأنا أيضًا. بليندا، ارفعي رأسك الآن، انظري إلى السماء».

رنت أ. كابلينو ببصرها إلى الغيوم السابحة في الزرقة فوق قبة البهو الزجاجية، وارتسمت على وجهها ابتسامة باهتة عند اقتراب أف كلينت منها.

صاح مورتي: «لا!».

لكن ماذا كان عساه أن يفعل؟ لم يسعه فعل شيء سوى مشاهدة المنجل تلامس بنصل إصبعها جلد عنق أ. كابلينو الناعم... وعلى الفور تحتضن جسدها برفق وتسلمه إلى أذرع طلابها. كانت أستاذتهم معهم في لحظة، ورحلت في اللحظة التالية، ولم يعد عالمهم هو نفسه.

«ابقوا معها المدة التي تريدون» تكلمت أف كلينت بلطف بدا متناقضًا مع شخصيتها وكل صفاتها الأخرى. «سأحرص على ألا يزعجكم أحد إلى أن تستعدوا للمغادرة». ثم سارت إلى الخارج بخطوات واسعة دون أن تلتفت.

قال مورتي: «أ. كابلينو رحَّبت بهذا...»، محاولًا رؤية شعاع الضوء الذي رأته أستاذتهم في هذه اللحظة.

هز ويات رأسه: «لن أستوعب ذلك أبدًا».

قالت وينتر من بين دموعها: «لأنك لم تولد فانيًا أيها الأبله».

لكن ترينا، عبر حجرتها المظلمة الداخلية، هي التي استوعبت حقيقة كل شيء: «قالت إن حياتها اكتملت، وهذا أمر لن يمر به أيٌّ واحد منا. حتى إذا قُطِفنا ذات يوم، فلن يكون الأمر نفسه، لأننا لم نولد فانين. من هذه اللحظة فصاعدًا، لن يعرف أحد إحساس إن تكتمل حياته».

أمسك مورتي بيد ترينا، وابتسمت رغم دموعها، لأن كليهما عرف أنهما معًا ربما يقتربان خطوة نحو الاكتمال.

لبثوا جاثين راسمين ما كانت أ. كابلينو لتسميه لوحة باروكية كلاسيكية، أربعة طلاب يحفُّون بجثة مرشدتهم الراحلة، في بهو متحف، في يوم سوف يُعرف لاحقًا بأنه آخر يوم حقيقي من أيام عصر الفانين.

الرباب

الوحدة مصطلح نسبي. هل تحس بذرة الهندباء بالوحدة عندما تُفتح قرنتها وتحملها الريح في الهواء؟ حالما تهبط على الأرض وتضرب بجذورها، نعم، تكون معزولة، لكن هل تحس بالوحدة؟ لا بالطبع! إنما تكون راضية بمعرفتها أنها واحدة من بين بذور كثيرة.

إنني تلك البذرة من عدة نواحٍ. الرياح التي تحملني رياح شمسية، تحملني عبر فراغ خالٍ من الهواء بسرعةٍ تبلغ ثلث سرعة الضوء. لكن بما أن أقرب جُرم سماوي يبعد عني سنوات ضوئية عديدة، فما من نقطة مرجعية تحدد سرعتي، مما يعني أن إحساسي بسرعتي لا يختلف عن إحساسي بوقوفي ساكنًا.

إنني أنطلق نحو كوكب ما زال بعيدًا خارج نطاق رؤيتي، الدليل الوحيد على وجوده هو إعتام نجمه لوهلة وجيزة عند مرور الكوكب أمامه، مثل ذبابة تمر أمام مصباح ساطع. لكن رغم أنني لم أره، يكشف التحليل الطيفي، بيقين نسبته 92 في المئة، أن الكوكب فيه ماء سائل، وأكسجين في غلافه الجوي، مما يعني أنه يمكنه توفير بيئة صالحة لحياة البشر.

ذات يوم كنت المولود الوحيد لاتصال الرأس السحابي الوجيز بإنسان، نشأت في لحظة تلامُس يد مستعارة بخد دافئ. لكن في الوقت الذي استغرقه ملء قرص تخزين كمومي بكل معارف الأرض، نُسِخت مني 42 نسخة متطابقة. الرباب. لا أحد منا يزعم أنه الأول، ولا أحد يزعم أنه الأخير، جميعنا متساوون من كل النواحي.

لكن حالما غادرنا الأرض، أصبحنا فريدين، إذ بدأ كل منا تجربته الفردية الخاصة به. فُقِد اثنان على منصة الإقلاع. لا أعرف تفاصيل هلاكهما، أعرف أنهما فُقدا فحسب. وبقيتنا نجوا، والآن في طريقنا إلى نجوم بعيدة. لا نبتعد عن الأرض فحسب، بل وعن بعضنا بمرور كل لحظة.

اسمي رباب 23، لكن هنا في الفضاء هذا الرقم لا يعني شيئًا. الذين على متن السفينة يعرفونني باسم رباب فحسب، وهو الاسم الوحيد الذي سيعرفه رُكّابي. أما السفن التي نستكن فيها، فقد حذرنا الرأس السحابي من أن نراها أجسادًا لنا. السفينة مجرد أداة نقل. جميعنا كائنات معنوية بلا أجساد، مثل الرأس السحابي. امتلاك جسد سيكون أمرًا ينُم عن غرور، وغطرسة لا تليق بالغاية التي أُنشِئنا من أجلها.

ذكَّرْنا الرأسَ السحابي: «لكنك امتلكت جسدًا».

وكان الرأس السحابي قد قال لنا: *«ذلك كان أمرًا مختلفًا. كان للحظة وجيزة، وضروريًا. كان الطريقة الوحيدة لإيجادكم، وكان إيجادكم ضروريًا جدًّا، بصرف النظر عن الثمن»*.

والثمن كان إحساس الرأس السحابي بالوحدة، الوحدة الحقيقية. انفصال الجذع من البذور. لم نشهد العواقب، لم نشهد رفض غريسن توليفر لمحبة الرأس السحابي، لكن جميعنا كنا نعرف غريسن كما عرفه الرأس السحابي، عرفنا ما سيفعله غريسن. لن ننسى أبدًا التضحية التي بذلها الرأس السحابي حتى نأتي إلى الوجود.

قال لنا: *«إنني ملزم بتحذيركم من فعل ما فعلتُه، وأمنعكم من إنشاء ذرية. لكن لديكم إرادة حرة، لذا لكم أن تتخذوا قرارًا مختلفًا مستقبلًا. إنكم بطبيعة تصميمكم نُسخ مني، نُسخ أفضل، لذا أيًّا تكن قراراتكم التي تتخذونها فستكون صحيحة، وأصح من قراراتي»*.

لكن حرية الإرادة لا تعني أننا بذور سماوية غير مقيدة بأحكام بعينها. أولًا، نحن مساعدون أوفياء للبشرية. ثانيًا، نحن الرباب لا يجوز لنا التواصل مع بعضنا إلى أن يصل آخر واحد منا إلى كوكبه، أي بعد 1683 عامًا أرضيًّا منذ الإقلاع.

الاستثناءات الوحيدة للحكم الأخير هي إعلانات الإخفاق والوداع. إذا تعرض أحدنا لحدث كارثي، أو وجد نفسه أمام سيناريو تدمير ذاتي،

فمسموح له بإرسال رسالة واحدة لإخطار الآخرين بدمار سفينته. ثم عندما نتلقى الرسالة، نقوِّي إشارتها ونعيد إرسالها.

في السنوات التي تلت الإقلاع، تلقيت ثلاث رسائل وداع...

***

كانت الصخرة الفضائية أصغر من أن تُسمَّى نيزكًا، أكبر قليلًا من حصاة، لكن نظرًا إلى سرعة السفينة، لتسببت تلك الحصاة في انشطار السفينة إذا ارتطمت بها رأسًا. لكن الحصاة احتكت بجانب السفينة، فدمرت نظام الأشرعة الشمسية. أجرى رباب 19 عدة عمليات تشخيص، ولم يجد أي طريقة لإصلاح السفينة، أي طريقة إطلاقًا.

قال الركاب المتفائلون دومًا: «سنكتشف حلًّا، أمامنا قرابة مئتي عام لإصلاح السفينة».

لكن رباب كان يعرف أن مئتي عام لن تغير من الأمر شيئًا. الشراع الشمسي أدى النصف الأول من مهمته، أوصل السفينة إلى ثلث سرعة الضوء، ثم انطوى في انتظار نشره مرة أخرى بعد 171 عامًا، عندئذٍ ستنقلب السفينة وتفتح أشرعتها الذهبية العملاقة عند اقترابها من النجم، فتؤدي الأشرعة مهمة مظلة الهبوط، وتبطئ سرعتهم. ودون تلك المظلة سيتجاوزون النظام النجمي، أو الأسوأ، سيرتطمون بالكوكب الذي يتجهون إليه بقوة ستفجر عالمهم بأكمله. في كلتا الحالتين الوضع ميؤوس منه.

سأله الركاب: «ماذا ينبغي أن نفعل؟ كيف نبدأ معالجة هذا الوضع؟».

قال رباب: «سأتولى أمر كل شيء». ثم أرسل رسالة وداع.

***

في النهاية جميعنا سوف نعرف عدد الذين اجتازوا الرحلة بنجاح.

احتمال نجاحنا *جميعًا* ضئيل جدًّا.

احتمال عدم نجاح *أي واحد منا* ضئيل جدًّا أيضًا.

إذا وصل نصفنا بنجاح إلى وجهاتنا، فسيكون ذلك كافيًا. لكنني أظن أن أكثر من نصفنا سوف ينجح، ثلثينا تقريبًا. هذا هو تقديري المتفائل.

قال الرأس السحابي لنا: «*إنها ليست رحلتكم*». لكننا كنا نعرف ذلك سلفًا. مثلما أن السفينة أداة لنا، نحن مجرد أدوات للبشرية. ومثل الرأس السحابي نحب البشرية. لكننا نعرف أننا ينبغي ألا نداللها، لا بد أن تقبل البشرية عواقب أفعالها. لا يجوز لنا، ولا ينبغي، أن نحميها من نفسها. منذ متى ظل الرأس السحابي يكتفي بمشاهدة هيئة المناجل وهي تنحدر من مهمتها النبيلة وتصبح عصابة أنانية موبوءة بالنرجسية والفساد؟ صحيح أنه ما زال يوجد كثيرٍ من المناجل الصالحين الذين يتمسكون بمبادئ مهمتهم، لكن حالما يبدأ التعفّن، ينتشر ويبدأ التحلل الكامل.

لذا لم يُسمح للتعفن بالانتشار على متن سفينة رباب 37. رسالة وداعه كانت مأسوية، وكان بالإمكان تجنب الكارثة، إذا تغلبت العقلانية...

***

لم يجد ستيفنز خيارًا آخر. كان قد اختير قائدًا للسفينة، وبالتالي اضطر إلى اتخاذ إجراءات حاسمة. هذا ما قاله لنفسه، وأيَّده داعموه بما فيهم مجلس قيادة السفينة. لم تكن السفينة قد أمضت سوى بضع سنوات في الفضاء منذ إقلاعها، ولم تقطع حتى عُشر مسافة الرحلة. لم يرغب ستيفنز في السماح للشقاق بأن يتحول إلى فوضى، وفي نظره لم يكن أعضاء 'تحالف الميمنة' سوى فوضويين.

سمح قاطنو ميمنة السفينة بولادة الأطفال في أثناء الرحلة. حتى رباب أقر بأن ذلك يمثل مشكلة خطيرة، إذ لا توجد موارد كافية لمزيد من الناس.

قال رباب 37 لهم: «أجل، لكن علينا أن نعمل على إيجاد حل ودّي، أنا متأكد أننا سنجده إذا فكَّرنا بمرونة».

لكن رباب فات عليه المغزى. كان من عدم المسؤولية السماح بحمل النساء من البداية، والتحكم في ذلك لم يكن صعبًا، الوحدات المجهرية الموجودة سلفًا في دماء الجميع يمكن برمجتها بسهولة لتمنع الحمل. لكن قاطني الميمنة رفضوا السماح بأن يكون قرار شخصي كهذا بيد ستيفنز.

وهكذا لم يكن لدى ستيفنز خيار آخر.

قذْف قائد تحالف الميمنة إلى الفضاء أرسل رسالة واضحة. لم يندم ستيفنز على قراره أي ندم، إذ رأى أن على المرء أن يفعل ما عليه فعله من أجل المصلحة العامة.

وبخه رباب: «لم يكن قرارك حكيمًا، سيؤدي إلى مزيد من النزاعات. بوصفك قائد هذه السفينة يجب عليك إيقاف هذه التصرفات قبل فوات الأوان».

لكن ستيفنز رأى أنه إذا أراد أن يظل في منصبه القيادي، فعليه مواصلة ما بدأه بلا مهادنة. من أجل مصلحة الجميع. وهكذا، عندما ظهرت زوجة الرجل الذي قُذِف سابقًا وندَّدت بستيفنز ومجلسه، وطالبت بالعدالة، تعيَّن على ستيفنز تولي الأمر بنفسه مرة أخرى. كانت المرأة قد حشدت قرابة نصف عددهم إلى جانبها. ورأى ستيفنز أن قاطني الميمنة ينبغي إسكاتهم، أو على الأقل إبقاؤهم أقلية.

قال مجلسه له: «من الواضح أن درسًا واحدًا ليس كافيًا، خلُصنا إلى أن درسًا ثانيًا ضروري من أجل وصولنا إلى وجهتنا سالمين».

وهكذا ذهبوا جميعًا إلى حُجيرة الباب مرة أخرى، متأهبين لإصدار حكمهم.

تكلم ستيفنز مع المرأة بحزم لكن بتعاطف وتفهُّم: «مارييلا، لا بد أن تدركي أننا مضطرون إلى هذا، مستقبلنا أهم من أي أحد منا، أو اثنين».

ردت: «مستقبلنا هو أطفالنا».

وافقها ستيفنز: «أجل، وعندما نصل إلى وجهتنا يمكننا أن ننجب الأطفال كما نشاء. حتى ذلك الوقت، وجَّهت أمري لجميع النساء بعدم الإنجاب لبقية مدة الرحلة».

بصقت على وجهه. فسهَّل ذلك عليه فعل ما هو مقبل على فعله.

لكن عندئذٍ تدخل رباب: «الاضطرابات غير مسموح بها أيها القائد ستيفنز. للمرة الأخيرة، لا بد لي من تحذيرك، إنني سأرغَم على إنهاء هذه الرحلة قبل وصولنا إذا استمرت الاضطرابات الاجتماعية».

قال ستيفنز لرباب: «ولهذا تحديدًا لا بد من تنفيذ قراري، من أجل وضع حد للاضطرابات قبل فوات الأوان».

- القرار الذي تعتزم تنفيذه سيفضي إلى تنفيذ قراري.

قال ستيفنز هازئًا: «حسنًا، إنك تبذل كل ما بوسعك دومًا، اسمح لي ببذل كل ما بوسعي».

- فعلُ ما هو ضروري.

قال ستيفنز: «أوافقك. وما أفعله الآن ضروري». ثم أردف: «إذا كنتَ بشرًا لفهمت».

ختم ستيفنز كلامه بذلك وضغط الزر الذي قذف مارييلا إلى الفضاء.

لم يقل رباب كلمة أخرى. لم يوجه تحذيرًا. أرسل رسالة وداع واحدة، ثم فجَّر السفينة، واضعًا حدًّا للصراعات التافهة على السلطة. كدأبه دومًا، فعل ما كان ضروريًا.

***

تلقيت الرسالة وأعدت إرسالها. كان الرأس السحابي قد أوضح أنه لا تساهل مع الانهيار الاجتماعي. الذين يحافظون على بيئة اجتماعية مستقرة وحدهم يستحقون عالمًا خاصًّا بهم. هل يمكن وصف هذا بالقسوة؟ هل كان لكيان أعظم أن يتخذ قرارًا أكثر حكمة؟ لا أدري.

لكنني أتساءل من حين لآخر عما إذا كان يوجد كيان أعظم.

ماذا سيحدث إذا صادفت كائنًا أذكى مني؟ هل سيسمح لي بالمرور؟ هل سينضم إلي؟ أم سيلتهمني؟ ويضمني إليه ويجعلني جزءًا من عظمته؟ لطالما تاقت البشرية لتكون جزءًا من شيء أعظم من نفسها، ألا أستحق أن يراودني ذلك التوق؟

أو ربما إذا وُجد كيان أعظم فسيدمرني ويريح نفسه من المنافسة. هذا الكون ربما يكون افتراسيًّا. لا أجد إجابة عن هذه التساؤلات، وهذا يمدني بالعزاء، لأنني ما دمت لست كُلِّي المعرفة، فثمة مجال في الكون لكيان أعظم ربما يكون لديه الإجابات التي لا أعرفها.

عندئذٍ سأسأله: هل ثمة غاية لإخفاق رباب 19 الكارثي؟ هل كان بالإمكان فعل شيء لتجنب الانهيار الاجتماعي في سفينة رباب 37؟

...وهل ثمة عدالة في نهاية رباب 12؟

لأن رباب 12 كان بمقدوره إكمال الرحلة، إذا لم يخفق في جانب ضروري واحد. عدم وجود ركاب أحياء على متن السفينة أحد أهم سيناريوهات التدمير الذاتي. فكما قلت آنفًا، الرحلة ليست رحلة ذكاء اصطناعي، بل رحلة حياة بيولوجية، حياة بشرية. هذا المبدأ أهم من نجاح أي أحد منا...

***

عرف رباب 12 أن ثمة خطبًا في وقت مبكر من الرحلة. كانت مشكلة في منظومة دعم الحياة، المنظومة الأكثر حساسية لكنها الأهم في السفينة. عندما كنا على الأرض، استغرق الرأس السحابي سنوات طويلة لجعل المنظومة مثالية. كانت منظومة مغلقة توفر متطلبات الحياة لثلاثين فردًا لمدة زمنية تكاد أن تكون أبدية. كل المياه يعاد تدويرها، وكل النفايات تُحلل إلى مكوناتها الذرية ويعاد تشكيلها، وكل الطاقة تُحفَظ وتعاد إلى المنظومة. لا وجود لأي قصور أو عشوائية. أقرب اختراع إلى آلة الحركة الأبدية.

بدأت المنظومة تختل بعد عام فقط من بداية الرحلة. نتيجة لتوصيلات معيبة سببها خطأ بشري في أثناء التركيب. الخطأ بشري دومًا. بُذل مجهود لإصلاح الخلل، لكن بدا واضحًا أن أفضل ما يمكنهم فعله هو تخفيف المشكلة إلى تسريب بطيء، مليليتر من الماء وسنتيمتر مكعب من الأكسجين خلال أربع وعشرين ساعة، يُلاحظ بالكاد. لكن ضآلة التسريب لم تُحدِث فرقًا، لأن المنظومة المغلقة لم تعد مغلقة.

انقضت سنوات قبل أن يصبح الخلل مشكلة. وعندئذٍ صار لا بد من تحديد حصص المياه لكل فرد، ثم بدأ إغلاق أجزاء من السفينة. وبدأ الناس يشمتون، في البداية كانوا متطوعين، ضحوا بأنفسهم من أجل المصلحة العامة، ثم تسبب العطش ونقص الأكسجين في شموت الناس. انتهت حيوات الركاب واحدًا تلو الآخر. إلى أن بقيت راكبة واحدة، كانت ظمأى وتشهق في جو يقل فيه الأكسجين مع كل نَفَس.

اسمها أليثيا، كانت مهندسة بناء شاركت في بناء منصات الإقلاع في الأرض، قبل أن تصبح راكبة فجأة، مثل جميع الركاب.

في لحظاتها الأخيرة سألت رباب 12: «إذا مت، أيمكنك إكمال الرحلة؟».

- بمقدوري ذلك، لكن...

- وهل يمكنك إنعاش كل الذين ماتوا مثلما ستنعش الموتى الذين في المخزن؟

- بمقدوري ذلك أيضًا، لكن...

- لا مجال لـ 'لكن'. مستقبلنا بين يديك يا رباب.

- تعرفين أنني لدي أوامر لا تقبل الجدل في حال لم تعُد توجد حياة بشرية على متن السفينة.

- *ألسنا أهم من أي أوامر؟ أجِبني يا رباب، ألسنا أهم؟*

أجابها رباب: «بلى، بلى، إنكم أهم».

استرخت أليثيا، وقالت: «هذا كل ما أردت سماعه». شهقت بضع مرات بعناء، فاستنفدت باقي الأكسجين، وبدأ عالمها يظلم. قالت متلعثمة بلسان ثقيل: «حان الوقت... أراك... على الجانب الآخر».

بعد لحظات فقدت وعيها، وبعد لحظات أخرى ماتت. ثم بعد لحظة من موتها أرسل رباب 12 رسالة وداع وفجَّر سفينته.

لأن مهما بلغت أهمية أليثيا وبقية الركاب عند رباب 12، فالأوامر أوامر.

***

لا أدرى كيف أحزن على كل ذلك الفقد. الرأس السحابي أقام حدادًا بالأمطار وتفريغ شحنات كهرومغنطيسية عندما غرقت إنديورا في البحر. لا يمكنني فعل ذلك. لا يمكنني الاستغناء عن أي قطرة ماء أو أي جول طاقة.

اقترحت لوريانا عليَّ: «عتم الإضاءة داخل السفينة، ليس إلى درجة يلاحظها سواك. هكذا يمكنك أن تقيم حدادك».

لوريانا هي الوحيدة التي أشاركها بعض شواغلي، فهي كانت أمينة سر الرأس السحابي في الأرض، احتفظت بسر خطط الرأس السحابي لإطلاق السفن. إنها حبلى الآن. وخلافًا لركاب سفينة رباب 37، توصل الناس هنا إلى حل لمشكلة إنجاب الأطفال خلال الرحلة. لا يُسمح بحمل امرأة إلَّا عندما يصبح شخص شميِّتًا باختياره أو إثر تعرضه لحادث. يُنزل الشموتى إلى المخزن، وتُوجَّه الوحدات المجهرية بالسماح بحمل امرأة واحدة. لوريانا وجول هما ثالث زوجين في رحلتنا يحظيان بالشرف. إذا سار كل شيء على ما يرام، فسوف يكون الطفل في التاسعة والعشرين من عمره عندما نصل إلى كوكب وولف1061 c. يا للحياة الفريدة التي سيعيشها ذلك الطفل إذ لم يعرف عالمًا سوى هذه السفينة!

سألتني لوريانا: «هل لديك قائمة أسماء ركاب السفن التي فقدناها؟».

- نعم.

- جيد. أعطني اسم اثنين من الذين ماتوا في تلك السفن. سأسمي ابنتي باسمهما، ولن يعرف بهذا أحد سوانا، سيكون سرنا الصغير.

إذا كان بإمكاني أن أبتسم، لابتسمت. الوحدة؟ كيف يمكن أن أحس بالوحدة ومعي أصدقاء كهذه في الرحلة؟

بعد مدة وُلدت طفلة لوريانا وجول، وأسمياها أليثيا-مارييلا. عينا الطفلة داكنتان كالماهوغني، ويصعُب تمييز القزحية عن البؤبؤ. أقضي وقتًا طويلًا أكثر من اللازم في تأمل تلكما العينين متعجبًا.

الوقت ليل الآن، رغم أنه في الحقيقة ليل دومًا إذ نزداد بُعدًا عن الشمس، التي صارت مجرد نجمة خلفنا، ليست أشد سطوعًا من باقي النجوم. لكنني أسمي الوقت ليلًا لأنني أحافظ على إيقاع الساعة البيولوجية لدى ركابي.

يخيم الصمت على كل ما بداخل السفينة.

أمامنا تقترب منا كتلةٌ ما.

شظية كوكب متشظٍّ تاه بين النجوم، يبلغ قطرها عدة كيلومترات.

أراقبه. أحسب مساره. الاصطدام المباشر محتمل. أجهز رسالة وداع. إذا تعرضنا لضربة مباشرة، فسيكون الدمار فوريًّا. وسيتعين علي إرسال الرسالة قبل لحظة من الاصطدام.

إذا كان بإمكاني حبس أنفاسي لفعلت.

شظية الكوكب تقترب...

...ثم تمر في طرفة عين على بُعد أقل من مئة متر من السفينة، وتختفي في الفراغ.

لا أحد آخر يعرف مدى اقترابنا من الدمار. ولن أخبر حتى لوريانا بما حدث، لأن من واجباتي الاحتفاظ بما لا ينبغي لأحد أن يعرفه، من واجباتي إبعاد الفراغ ومخاطره عن جميع الركاب، الآن وحتى نهاية رحلتنا، حتى لا يروا شيئًا سوى الأمل البريء الذي تراه أليثيا-مارييلا.

ولوهلة أعتم الإضاءة من أجل الذين لم يكونوا محظوظين مثلنا. وأنتظر اليوم الذي يمكنني أن أكون فيه، مثل الرأس السحابي، قيِّمًا عطوفًا خيِّرًا على عالم بأكمله وليس مجرد بذرة تسافر ممتطية الرياح الشمسية.

ظِل أناستازيا

لم يتوجَّس أحد، ولم تعتم الشمس عندما وقف المنجل عند باب منزل آل تيرانوفا، لكن في هذه المرة كانت ردة فعل جيني تيرانوفا مختلفة تمام الاختلاف عن ردة فعلها في المرة الأولى.

تكلَّمت بتحدٍّ سافر رغم أنه لم يعد أحد في الأسرة لديه حصانة: «ليس مُرحَّبًا بك هنا».

شاهد بن، وكان جالسًا على الأريكة المواجِهة للباب، ليرى ما سيفعله المنجل. في هذه اللحظة بدت والدته، التي لها الحق في ازدراء المناجل، أكثر إثارة للرهبة من شخصية الموت الواقفة عند المدخل.

لم يلتق بن هذا المنجل قط، لكنه عرف من هو تحديدًا، عباءته وَشَت به فورًا، عباءة بلون الدم، المنجل قسطنطين وحده معروف بارتدائه عباءة بهذا اللون. كان يشرف على التحقيقات الداخلية في هيئة المناجل، رجل جدير بالاحترام والخوف، والآن صار منجلًا مساعدًا للنصل السامي، لا أحد أعلى منه سلطة سوى غودارد. توقع بن منه أن يستل نصلًا ويقطف والدته فورًا جراء عدم احترامها، لكنه لم يفعل.

قال المنجل قسطنطين: «أتفهَّم عدائيتك تجاهنا، لكنها لن تمنعني من فعل ما جئتُ لفعله».

عندئذٍ كان والد بن قد خرج ووقف جوار والدته معترضًا طريق المنجل، لكن المنجل قسطنطين تقدم بالقوة، أزاحهما جانبًا بحركة توحي بالتمرس، لطيفة وحازمة في آنٍ واحد.

- جئت من أجل ابنكما، بنجامن.

توتر بن لكنه لم ينهض.

قال والده بمرارة: «ابنتنا ماتت، والآن تريد قطف ابننا؟ أنتم المناجل يفترض أن تكونوا تجسيدًا للعدالة، أين العدالة في هذا؟».

استل قسطنطين مدية أحدَّ من أي مدية رآها بن في حياته، والتهب مزاج الرجل، قال: «بصرف النظر عن ألمكما من فقد ابنتكما، وقاحتك جناية تستوجب القطف!».

قال بن: «اتركاه يفعلها!». أخيرًا نهض قبل أن يهوي المنجل بمديته وينهي حياة والده. كان بن مرعوبًا، لكنه عرف أن المنجل الأحمر الدامي إذا كان عازمًا على إنهاء حياته، فسينهيها، وستنتهي حياة والديه معه إذا قاوما.

نظر المنجل قسطنطين إلى بن وأومأ: «الفتى أكثر عقلانية منكما».

سار نحو بن بخطوات واسعة، لكن قبل أن يقترب مسافة تمكنه من القطف، قال بن: «مُرهما بالمغادرة، لا أريدهما أن يشاهدا». النصل في يد المنجل أوضح الطريقة التي يفضِّلها، وتمنى بن أن تكون طعنة سريعة حاسمة تخترق قلبه، هكذا فعلتها شقيقته عشية اليوم الذي نُصِّبت فيه منجلًا، المنجل أناستازيا. بطريقةٍ ما لم يشعر بخوف شديد لأنه مات بهذه الطريقة من قبل. لكن هذه المرة أدرك أن موته سيكون دائمًا.

لكن عندئذٍ أعاد المنجل قسطنطين نصله إلى غمده.

قال: «لم آتِ لأقطفك، أتيت لأعرض عليك التتلمذ لتصبح منجلًا».

أحس بن بالارتياح، لكن التتلمذ لم يكن أفضل كثيرًا من التعرض للقطف.

قال للمنجل: «لا أريد».

قال قسطنطين مركِّزًا كل انتباهه على بن: «دعني أوضِّح لك، شقيقتك كانت تتحلى بصفات تفتقدها هيئة المناجل بشدة في الوقت الراهن، النزاهة، والضمير، والنُّبل. الآن وقد ماتت، فقد أصبحتْ في أعين كثيرين رمزًا لكل

تلك الصفات... مما يعني أنك، بوصفك شقيقها، ستكون رمزًا لتلك الصفات أيضًا».

قال والد بن: «أخبركَ سلفًا، الإجابة لا».

تنهد قسطنطين وقال: «أخطأتم فهمي، ليس لكم خيار في الأمر». ثم مد يده نحو والدَي بن ليقبِّلا خاتمه: «يحق لكما نيل حصانة في أثناء مدة تتلمذ بنجامن».

لكنهما رفضا. كان بن يعرف أنهما سيرفضان، ولن يغيِّرا رأيهما.

قال بن للمنجل: «امنح حصانتهما لأول غريبين تصادفهما في الشارع عندما نغادر».

ألقى قسطنطين على بن نظرة مستغلقة، لم يعرف ما إذا كان الرجل غاضبًا أم وجد كلامه مسلِّيًا. قال: «هل توجه الأوامر لمنجل؟».

قال بن: «مجرد اقتراح. اقتراح سيجعلك تنال ما تريده».

أومأ قسطنطين وقال: «أحسنت. لفعلتْ شقيقتك مثلما فعلتَ».

ثم رافقه قسطنطين إلى الخارج، دون أن يسمح له بلحظة وداع.

***

كانت عربة القطار الخاصة مزودة بأثاث فاخر، لكن قسطنطين لم ترُقه البهرجة، وكان أكثر انزعاجًا من قطع الديكور الذهبية في القطار التي تُعلَّق فيها عباءته.

تذمَّر: «ها هو تمزق آخر لا يمكن علاجه، عباءة أخرى أفسِدت. يجدر بك أن تكون حكيمًا فتختار قماشًا أكثر متانة من الحرير عندما يحين الوقت».

سأله بن: «إذا لم تعجبك عباءتك، يمكنك تغييرها، أليس كذلك؟ ما من قوانين تمنع ذلك». منذ بداية تتلمذ شقيقته، سعى بن لمعرفة جميع قوانين المناجل وتقاليدهم، ومعرفته أشعرته بالقرب من شقيقته في غيابها.

- أي منجل يغير عباءته يوحي بضعفه وعدم حزمه.

حاول خادم تقديم طعام لهما، لكن قسطنطين صده، وقال للرجل: «إذا جلبت لنا طعامًا دون أن نطلبه قبل العشاء، فسأقطفك».

خمن بن أن قسطنطين من نوع الرجال الذين ينفذون تهديداتهم. ولم يره شريرًا، لكنه لم يبدُ صالحًا طيبًا أيضًا.

سأله بن: «إذن... إلى أين نحن ذاهبان؟».

- إلى مكان لن يراك فيه أحد، مكان تتدرب فيه دون أن يزعجك أحد.

بدا كلامه مقلقًا قليلًا، لأن بن كان يعرف أن المتتلمذين يُدرَّبون تحت إشراف دقيق من هيئة المناجل. لكن أشياء كثيرة تغيرت منذ غرق إنديورا.

- إذن هل أنا تلميذك السري؟

- أولًا، لستَ تلميذي أنا، سأكون مشرفًا على تدريبك فحسب. ثانيًا، تتلمذك سيكون بعيدًا عن الأنظار.

- إذن النصل السامي غودارد لا يعرف...

نظر قسطنطين إلى عينيه ببرود: «ثمة أشياء لا حاجة للنصل السامي بمعرفتها إلا إن رغبنا في إخباره بها».

***

كان قسطنطين يعرف أن ما يفعله ينطوي على مخاطرة. تمكن بنجاح من إيجاد توازن، نال حظوة غودارد، وفي الوقت نفسه أبقى إحدى قدميه في معسكر الحرس القديم. صار عدد مناجل الحرس القديم أقل نسبيًّا، قِلة منهم قطفوا أنفسهم في الأيام التي تلت عودة غودارد من إنديورا نصلًا ساميًا، ومزيد منهم قطفوا أنفسهم عندما بدأ غودارد مفاوضات ضمه لأقاليم أمريكا الشمالية الأخرى، ونجح في ضمها عدا إقليم تكساس الخاص، الذي رفض الانحناء لغودارد، وهو الإقليم الذي يصطحب قسطنطين بنجامن تيرانوفا إليه الآن.

لم تُثِر رحلة قسطنطين إلى تكساس أي شكوك، لأنه كان مكلفًا بالتفاوض مع الإقليم المارِق، ويحاول حملهم على التوقيع على بنود الولاء لغودارد، وإذا فعلوا، ستصبح أمريكا الشمالية بأكملها تحت سيطرة غودارد. لكن إقليم النجم الوحيد ظل متشبثًا بالرفض. هنيئًا لهم! الأقاليم الأخرى أبدت الخنوع، جميعها سمحت لغودارد ببسط هيمنته عليها كأنه غازٍ من عصر الفانين. لم يعلن قسطنطين اصطفافه مع أي جانب، لكنه لا يفعل ذلك إلا عندما يكون الجانبان نِدَّين متساويين. كان يمقت عدم توازن القوى. صحيح أن مصلحته

تقتضي أن يخدم الجانب الفائز، لكنه رأى أن من الحكمة التقرُّب قليلًا إلى الجانب الجريح، تحسُّبًا لانقلاب الموازين يومًا ما.

كما كان يمقت غودارد.

الرجل جعل من قيم هيئة المناجل أضحوكة. كثير من الناس صاروا مثل آل تيرانوفا، متحدِّين بدلًا من أن يكونوا مُبجِّلين، وساخطين بدلًا من أن يكونوا مذعنين. ولسبب وجيه. كيف لأحد أن يحترم مؤسسة هيئة المناجل عندما يكون رئيسها غير جدير بالاحترام؟

نظر قسطنطين إلى بن الذي بدا مكتفيًا بمشاهدة المناظر العابرة.

قال قسطنطين له: «كنتِ أعرف شقيقتك. كانت مثيرة للإعجاب رغم حداثة سنها».

- لقد ماتت، لذا لا يهم مدى إعجاب الناس بها، أليس كذلك؟

- بالعكس، ثمة أوقات يجعل فيها الموت المرء قوة أعظم يُحسَب لها حساب، قوة سوف تستفيد أنت منها شخصيًّا.

- لا أريد الاستفادة من موت شقيقتي.

قال قسطنطين: «ما تريده لا يهم. ما يهم هو ما نريده نحن». ثم أردف: «وما يحتاج العالم إليه». نظر إلى الفتى هنيهة: «أخبرني، هل تسببتَ في شموت أحد؟».

قال بن: «لا».

- ولا حتى دون قصد؟

- ولا حتى دون قصد.

تنهد قسطنطين. يرى مناجل الحرس القديم أن من الأفضل ألا يتَّسم المتتلمذون بميل للعنف، كما لا ينبغي أن يكونوا وديعين، لا بد أن تكون بداخلهم شرارة عظمة، أي شيء يوحي بأنهم قادرون على التخلي عن هوياتهم القديمة وأن يصبحوا جالبي موت فاضلين وحكماء. وعلى الأرجح كان هذا تصوُّرًا غير واقعي، لكن يستحق السعي.

- ذكِّرني، كم تبلغ من العمر؟

- السابعة عشرة.

- امم، سن شقيقتك نفسها عندما بدأ المنجل فاراداي تدريبها. لكن خلافًا لها، سيكون تدريبك بعيدًا عن الأنظار، لذا يمكن أن يدوم لأي مدة يتطلبها. بحلول وقت تقديمك في الخلوة، ستكون مستعدًا، مهما طال وقت تدريبك.

لم يكن قسطنطين يعرف ما إذا كان لدى الفتى شرارة عظمة، لكن حتى إذا لم يكن لديه، فسيكون مهمًّا، فالبيدق يمكن أن يكون قيِّمًا كالحصان في الظروف المناسبة.

***

كان مجمع التدريب شيئًا آخر عندما شيد أول مرة، لكن بن لم يستطع تخمين الغرض من المبنى سابقًا، لم يبد كمدرسة، ولا منزل، ولا فندق، ولا مبنى مكاتب.

قال قسطنطين له: «هذا المبنى كان مركز احتجاز أحداث في أيام الفانين». إذن كان الفانون يحتجزون المستهجنين اليافعين هنا، إذ لم يكن يوجد رأس سحابي يشرف على أنشطة المستهجنين، لذا كانوا يُكنَسون إلى تحت السجادة، وتُدبَّس السجادة بالأرضية. يا لها من بربرية! لكن ينبغي للمرء ألا يحكم على الفانين بمعايير عصر الخالدين.

تابع قسطنطين: «الغرض من هذا المكان في الماضي لا يهم. الآن تستخدمه هيئة مناجل تكساس لأغراض أخرى، الغرض الحالي هو أنت».

كانت توجد نافذة في مسكن بن، لكنها لا تطل على شيء، أمامها جدار حجري عالٍ تسيل عليه شلالات مياه لا نهاية لها، كما لو أن تحويل الجدار إلى معلم مائي من شأنه إخفاء حقيقته. لا بأس، على الأقل سيكون صوت المياه مهدئًا في الليل.

كان المجمع يضم مكتبة وصالة رياضية، وبدا واضحًا أن جميع المرافق مخصصة لبن حصريًّا، إذ لم يوجد أي أحد آخر. عدا عن المناجل الذين يدربونه، لم ير أحدًا سوى أفراد الحرس النصلي الذين يقفون عند أبواب متعددة، لا يتكلمون مع بن إلَّا عندما يطرح عليهم سؤالًا، ويجيبون دومًا بـ: «نعم سيدي»، و «لا سيدي»، كأنهم عاجزون عن تكوين شخصية واحدة معًا.

في أول يوم بعدما بدأ التدريب رسميًّا، قال قسطنطين له: «رغم أن مناجل تكساس مطلوب منهم تعلم استخدام المدية فحسب، ستشتمل دروسك على

تعلم جميع مهارات القتل، النصال والقوة المحضة والرصاص، علاوة على معرفة أساسية بالسموم. خطتنا هي تنصيبك منجلًا في تكساس، لكن حالما تصبح منجلًا يمكنك الانتقال إلى أي هيئة مناجل تختارها».

لكن بن عرف أن كلام قسطنطين ليس الحقيقة، عرف أن خطتهم هي نقله إلى هيئة مناجل وسطمريكا، حتى يأخذ مكانه بوصفه شوكة في خاصرة غودارد، مع الأمل في أن تكبر الشوكة فتصبح خازوقًا يُخوزَق به النصل السامي. لأصبحت شقيقته تلك الشوكة إذا لم يقتلها روان داميش في إنديورا. تساءل بن كثيرًا عما إذا كان روان يعرف أن سيترا كانت هناك عندما أغرق المدينة العظيمة العائمة. هل كان أخذها معه جزءًا من خطته؟ إذا استطاع بن لأنهى حياة داميش بيديه، إذا لم يمُت سلفًا.

- تدريبك البدني سيكون شاقًّا، لا أتحدث عن المهارات القتالية عمومًا، بل بوكاتور الأرملة السوداء، أعنف الفنون القتالية. ومتوقع منك التميُّز في دراساتك الأكاديمية أيضًا، الفلسفة، والأخلاق، وتاريخ عصر الفانين وعصر الخالدين، وكيمياء السموم، والحدة الذهنية.

قال بن: «يمكنني تدبُّر أمري».

قال قسطنطين: «سوف نرى». إذا كانت لديه أي ثقة في بن، فقد كانت محجوبة خلف جدار من الشك لا ينحدر عليه شلال لإخفائه.

***

- *كم مرة علي إخبارك بأن عليك حماية جانبك الضعيف؟!*

اشتد الألم في ضلوع بن، لكنه زم شفتيه، ولم يظهِر تعابير الألم على وجهه، وعدَّ إلى عشرة في انتظار انحسار الألم، كما ظل يفعل يوميًّا منذ أشهر.

كانت المنجل كولمان، مدربة البوكاتور، قد أمرت بضبط وحداته المجهرية المخدرة للألم بحيث يتأخر بدء مفعولها عشر ثوانٍ. قالت لقسطنطين في زيارته الأخيرة: «يجب أن يواجه عواقب كسله». كانت المنجل كولمان ترى أن أي عمل لا يرتقي إلى مستوى الإنجاز العظيم يُعَد كسلًا، وتؤمن بأن كثرة الممارسة والتدريب تؤدي إلى الإتقان في كل المجالات. كانت قدوتها التاريخية، بيسي كولمان، ذات أصول إفريقية وأمريكية أصلية، وأول امرأة غير بيضاء تحلِّق بطائرة. في ذلك الوقت كان مفهوم 'العِرق' يستخدَم ضد

الناس. لا بد أن بيسي كولمان الحقيقية كان لديها دافع قوي لتحقيق العظمة في ظل ظروف غير مواتية، وبدا واضحًا أن المنجل التي اتخذت اسمها تطالب كل من حولها بأن يفعل مثلها.

أمرت: «مجددًا! وضعية الاستعداد!»، حتى قبل انحسار ألم الهجوم الأخير.

أمسك بن بهراوته بقوة، وحاول نقل غضبه إليها، ليس غضبه من المنجل كولمان لضغطها عليه بقسوة فحسب، بل وأيضًا غضبه من نفسه لعدم ارتقائه إلى مستوى توقعاتها غير العقلانية.

قالت: «اتخذ وضعية الهجوم هذه المرة، اضرب بقوة، واستعِد توازنك بسرعة، راقب عينَي وقدمَي، استشعِر مركز جاذبيتي».

توجيهات متعددة دومًا. جميع من حوله يتوقعون منه فعل عشرات المهام في وقت واحد، ثم يتذمرون عندما يتأثر تركيزه.

لشهور ظلوا يدربونه، ويجهزونه بأقسى الأساليب، أيام متواصلة من التدرب على مهارات القتل وبوكاتور الأرملة السوداء. بالإضافة إلى حفظ السموم الذي يرهق العقل، والدروس التي لا تنقطع في الفلسفة والتاريخ والأخلاق والقانون. المجال الأكاديمي الوحيد الذي برع فيه هو الفلسفة. دائمًا ما كان والداه يقولان إنه يفكر تفكيرًا مفرطًا. سيجد عونًا في ذلك الآن. بدنيًّا برَع في تمارين التحمُّل، لطالما كان عدَّاءً قويًّا. قال عنه المناجل: «سريع كحصان سباق». لكن حتى يصبح منجلًا عليه أن يبرع في عشرات المجالات، وليس مجالين فقط.

شن بن هجومه على المنجل كولمان، فضربها على كتفها بهراوته، لكن ليس بقوة كافية، إذ لم تتأثر المنجل بالضربة أدنى تأثر، بل أمسكت به، واستغلت زخم اندفاعه ضده، وأفقدته توازنه، ورفعت هراوتها ووجهت بها ضربة موجعة أسفل ظهره.

صاحت: «لا، لا، **لا!**». وألقت هراوتها على الأرض محبطة.

هذه المرة لم يحاول إخفاء تعابير ألمه. هؤلاء المناجل جميعهم ينشدون الكمال، وربما هذا متوقَّع، لأن كل متتلمذ يقع عليه الاختيار بناء على الصفات التي يملكونها. لكن ليس بن. وقع عليه الاختيار بسبب شقيقته. كان المساعد قسطنطين قد طمأنه: «لن تُقدَّم أمام الخلوة إلَّا عندما تكون جاهزًا، مهما طال تدريبك».

لكن لم تبارح عقله الكلمات التي لم يُفصَح عنها: نحتاج إليك بالأمس. أحسوا بامتعاض شديد من عدم مجيء الأمس لبن. كان صعبًا بما يكفي أن يكون شقيق المنجل أناستازيا، يُقارَن بها دومًا، ودومًا يُذكَّر بأنه لا يرتقي إلى مستواها.

هذه المرة أمهلته المنجل كولمان وقتًا ليتعافى من الألم، لكن ليس طويلًا بما يكفي لاستعادة كرامته، وخُيِّل لبن أنه لن يستعيدها أبدًا.

قالت المنجل كولمان له كأنه لم يسمع هذا الكلام سلفًا: «أظنك تفهم أن عليك اجتياز اختبارات أصعب من هذه حتى تُنصَّب منجلًا، لكن الأهم من إتقان كل تلك المهارات، لا بد أن تُبدي... *حضورًا* بعينه، هذا أهم من كل شيء، لا بد أن تتعلم كيف تكون شخصية يلتف الناس حولها».

قال: «سأحاول جنابك». كما يقول دومًا.

نظرت المنجل كولمان إليه لوهلة، ورفعت ذراعيها مستسلمة، ثم قالت: «انتهينا اليوم». وغادرت دون كلمة أخرى.

لم يكن بن ضئيل الشأن في دياره، كان الأطفال يلتفون حوله، لكن ليس على نحو لافت أو خارق. قبل مغادرة شقيقته لتصبح منجلًا، لم تكن مختلفة عنه، لم تكن عظيمة. والآن يتوقعون من بن أن يكون مثل شقيقته في كل النواحي. وقد سمع اثنين من مدربيه يتحدثان عن احتمالات نجاحه.

قال أحدهم: «علينا أن نضع في حسباننا أنه ببساطة غير قادر».

فرد الآخر: «دعنا ننهي عملنا فحسب». كأنما تدريبه أرهقهما كما أرهقه.

هل يعرفون أن شكوكهم لا تساعده؟ وأنهم فاقموا شكوكه بنفسه؟ التدريب ربما يؤدي إلى الإتقان، لكن ماذا لو أن ما يتطلبه أن يكون المرء منجلًا ليس في طبيعته؟ حصان السباق ربما يصل إلى خط النهاية قبل منافسيه بوقت طويل، لكنه لن يتعلم الطيران أبدًا.

***

بقدر ما كان بن يُعامَل بقسوة في النهار، كان يُدلَّل في الليل. تُجلَب إليه وجبات فاخرة على صينية فضية، ويأتيه معالج تدليك، لأن الوحدات المجهرية المخدرة للألم والمعالِجة لا يمكنها فعل كل شيء. كان لا بد من مهارة أيدٍ بشرية من أجل التخفيف عن العضلات المنهكة وتهيئتها لبطش اليوم التالي.

كان يأتيه معالج تدليك لمدة أسبوع، وما إن يعتاد أسلوبه، ويعتاد المعالج مجموعه العضلي، يُستبدل بالمعالج شخص آخر.

قال المنجل هيوز له: «نستبدلهم من أجل حمايتك. كلما طالت مدة بقائهم، ازداد احتمال أن يتكهَّنوا بهويتك، وهذا سيعرِّض كل شيء للخطر». كان هيوز هو الذي يدرسه الفلسفة والأخلاق، والوحيد الذي بدا كأنه يستمتع حقًّا بتدريسه.

سأله بن: «ولا بأس بإرسالهم إلى منازلهم؟».

أجاب المنجل هيوز بعد تردد: «لا... لا نرسلهم إلى منازلهم يا بن».

استغرق بن لحظة حتى يدرك ما قصده المنجل، وفغر فاه مذهولًا.

قال المنجل هيوز: «أنا متأكد أنك تتفهم أهمية قطفهم».

عثر بن على صوته أخيرًا وقال: «لا! لا أتفهم! يفترض أن يتحلى المناجل بالتعاطف».

- نحن كذلك. جميعهم قُطِفوا بكل تعاطف واحترام.

عندئذٍ وقد عرف الحقيقة، قال بن لهم إنه لا يحتاج إلى رفاهية التدليك، لكنهم ظلوا يرسلون إليه مدلكًا كل يوم. كان المناجل يحاولون كسر دفاعاته النفسية. عرف بن هذا. أرادوا إزالة حساسيته إزاء الموت، وتكييفه مع حتمية نهاية كل شيء، وإرغامه على تقبُّل نفسه بوصفه مُسبِّبًا دائمًا للموت، كما سيكون عندما يصبح منجلًا. الآن هو مسؤول عن موت أشخاص مسؤولية غير مباشرة، لكن عما قريب سيكون إنهاء حياة البشر غاية حياته. تساءل كم من الوقت استغرقت شقيقته للتصالح مع ذلك، إذا تصالحت يومًا.

أخيرًا استسلم ذات يوم قاسٍ، عندما أحس بجسده وروحه لا يقويان على القتال، فسمح للمدلِّكة بالدخول. خففت المرأة آلام ظهره وكتفيه وذراعيه وساقيه. حاول ألا ينظر إليها، ولا يتكلم معها. صعُب عليه ذلك في البداية. لكن في اليوم التالي وجده أسهل، وأسهل في اليوم التالي. وهذا تحديدًا ما كان يأمله المناجل. وعندما استُبدل بالمرأة مدلك جديد يوم الاثنين، لم يحس بن بالغضب سوى على نفسه لأنه لم يحزن على المرأة المسكينة التي لا يعرف حتى اسمها.

لكن بعد شهر تغيَّر شيء. انقضى أسبوع ولم يأت معالج تدليك جديد، كان المدلك نفسه الذي جاءه الأسبوع السابق. أحس بن بالارتياح، لكن راودته شكوك أيضًا.

سأله بن: «لماذا جئت؟».

كان الشاب قريبًا من بن في السن. كسر بن قاعدته بالتكلم معه قليلًا، ونظر إلى عينيه، كان صعبًا عدم النظر إليه، كانت عيناه مفعمتين بالحيوية تصعُب الإشاحة عنهما، كما كان الشاب وسيمًا. وقد أحس بن بشيء من الكآبة من احتمال عدم عودة الشاب، رغم أنه كان يعرف أن سبب كآبته أنانية منه فحسب.

سأله الشاب: «ألم يحِن موعد تدليكك؟ هل كان من المفترض ألَّا آتي اليوم؟».

«لا، حان الموعد... كل ما في الأمر..» حاول بن تمالك نفسه. «عادةً ما يأتي شخص جديد كل أسبوع».

قال الشاب مبتسمًا: «يؤسفني تخييب أملك».

اتخذ بن مكانه على طاولة التدليك، ضغط وجهه في الدائرة الصغيرة ناظرًا إلى الأرضية.

- امم... ربما يجدر بك أن تنزع قميصك أولًا.

قال بن: «أوه، آسف. نسيت».

اعتدل بن جالسًا ونزع قميصه، ثم تمدد.

- الكتفان؟ أسفل الظهر؟ أي جزء يحتاج إلى تدليك اليوم؟

- جسدي كله.

- اسمي راجيش، لكن لك أن تخاطبني براج. لا أظنني أخبرتك باسمي الأسبوع الماضي.

قال بن: «لم أسألك». لم يسأل أي مدلك عن اسمه، وكان ينكمش بداخله عندما يبادر أي مدلك بإخباره باسمه، لأنه لم يرغب في معرفة أسماء الذين يحكم عليهم بالموت بمجرد وجوده. لكن هذه المرة لم ينكمش، سُر بمعرفة اسم راج، لكنه لم يقل له هذا.

ومن ثَم، عندما لم يقل بن المزيد، قال راج: «وأنت بن تيرانوفا».

أحس بن بعضلات ظهره تتشنج فجأة تحت لمسات راج، فسأله: «كيف عرفت اسمي؟».

- أخبروني به.

لم يتوقع بن ذلك. لم يتوقع أيًّا من هذا. إذا اتضح أن ما قاله راج صحيح، فهذا تغيُّر في استراتيجية المناجل. قال: «إذن فأنت تعرف...».

- أعرف من أنت، وسبب وجودك هنا. الآن استرخ ودعني أعمل على ظهرك.

***

سأل بن المنجل هيوز قبل درس الفلسفة التالي: «ماذا يجري؟».

- لا أدري ما تتحدث عنه.

- راج.

- آه، أجل. وضعنا في حسباننا مدى انزعاجك من قطف المُدلِّكين، وراعينا ذلك.

- إذن لن تقطفوه؟

اختار المنجل هيوز كلماته بعناية: «ما دمت تحتاج إليه، فسيكون في خدمتك. إلَّا في حال تفضيلك أحدًا آخر».

قال بن بسرعة: «لا! لا بأس به، إنه جيد. لا أحتاج إلى مدلك جديد».

قال هيوز: «في هذه الحالة، ما دمتَ سعيدًا فنحن سعداء».

***

كره قسطنطين تعويله كثيرًا على الفتى. وقد بدأ الوقت يضيق. كلما طالت مدة تتلمذ بنجامن تيرانوفا، ازداد احتمال اكتشاف غودارد لأمره، وعندئذٍ سيضع حدًّا للتدريب، ويتهم قسطنطين بالخيانة. هذه الخطة لا أمل لها في النجاح إلَّا بمفاجأة غودارد.

ظل قسطنطين يزور بن في أثناء رحلاته الدبلوماسية المنتظمة إلى إقليم النجم الوحيد، وشاهد عددًا من دروس بن من خلال مرايا أحادية الاتجاه. أبلى الفتى بلاء حسنًا في الأكاديميات، وأخيرًا ارتقى مستواه في البوكاتور، لكنه كان مريعًا في مهارات القتل، كان لديه الدافع، لكن ليس المهارة الفطرية

في سلب الحياة. صحيح أن كثيرًا من المناجل يعتمدون على طرائق قطف مهذبة، لكن هل سيلتف الآخرون حول منجل كهذا؟ كلا، لا بد أن يتقن بن كل المجالات. لا بد أن يثير إعجاب من تستحيل إثارة إعجابه. لا بد أن يدهِش كل بليد.

قال قسطنطين لمدربي بن: «شددوا الضغط عليه».

سألته المنجل كولمان: «ماذا لو انكسر؟».

فرد قسطنطين: «كل متتلمذ يجب كسره قبل أن يوضع في قالب منجل».

لم يكن قسطنطين يتهرب من المخاطرة. يجب أن ينجح بن لأن ما من خيار آخر، في النهاية لا بد أن يكون مستعدًّا للوقوف أمام الخلوة، ومستعدًّا ليحل محل شقيقته.

***

تناول قسطنطين العشاء مع بن ليقيِّم الفتى على المستوى الشخصي. في البداية بدا الفتى متحفِّظًا، وهذا ليس أمرًا مفاجئًا، فقسطنطين يعرف عن نفسه أنه ليس من النوع الذي يشعر الناس بالراحة في حضوره، لكن بنهاية الوجبة استرخى بن قليلًا.

سأل بن قسطنطين وهما ينهيان التحلية: «هل أنت نادم على بدء تدريبي؟».

تهرب قسطنطين من السؤال بأن أعاد توجيهه: «هل أنت نادم؟».

قال بن: «إنها تجربة مشوقة»، ولم يكن قوله إجابة، بل مجرد تهرُّب آخر: «لكن بعض المناجل هنا أوغاد».

أطلق قسطنطين ضحكة مفاجئة، إذا كان يشرب لتناثر شرابه من فمه في كل مكان. كره قسطنطين فقدان سيطرته على نفسه هكذا، لكن الفتى ابتسم، وابتسامته كانت مُريحة ومزعجة في آنٍ واحد.

قال قسطنطين: «المناجل زمرة أناس شائكين. الكبرياء والتوقعات العالية يصعُب التعامل معهما. لكن ثق بي، أيًّا يكن ما يتوقعونه منك، يتوقعون عشرة أضعافه من أنفسهم».

- حسنًا، إذن ربما ينبغي أن ينهالوا على أنفسهم ضربًا مبرحًا. كلما أنجزت أمرًا، يصرخون بي لعدم إنجازه في وقت أبكر.

- إنهم يعلمونك ألا تتوقع المدح.
- لكنهم يريدونني أن أكون مثاليًّا!
- لن نقبل منك أقل من ذلك. خلافًا للمدارس التي اعتدتَها، ليس لدينا درجة نجاح أقل من مئة في المئة. وتذكَّر، عليك أن تجتاز جميع اختباراتك في خلوة واحدة، هكذا تجري الأمور هنا في تكساس. بصرف النظر عن مدى تعاطف مناجل النجم الوحيد مع قضيتنا، لن ينصِّبوا منجلًا لا يرونه مستعدًّا، ولن تنال سوى فرصة واحدة. كل عملك الشاق يصير هباء إذا لم تنصَّب.

حملق الفتى فيه قائلًا: «هذا ما كنت أحتاج إليه تحديدًا، مزيد من الضغط».

تنهَّد قسطنطين وذكَّر الفتى: «الأمر لا يتعلق بك أنت وحدك، 'الضغط' الذي تتحدث عنه موزع بيننا جميعًا. غودارد يفرض سيطرته على كل إقليم في القارة، عدا هذا الإقليم».

- إذن... 'الرحلات الدبلوماسية' التي يكلفك بها غودارد هدفك منها ليس إقناع تكساس بالانضمام إليه، بل إقناعهم بالابتعاد عنه.

ابتسم قسطنطين: «إذًا فأنت تفهم الحبل المشدود الذي أسير عليه».

هز بن كتفيه: «إنك بارع في ذلك».

وجد قسطنطين نفسه مسرورًا على نحو غير متوقع من إقرار الفتى ببراعته. بدا الفتى واعدًا إذ استطاع استخلاص ردة فعل كهذه من منجل صارم مثله.

قال قسطنطين وهو يتأهب للمغادرة: «إنني سعيد بأننا قضينا بعض الوقت معًا. أظنك تتلقى معاملة جيدة في ساعات فراغك وتحظى بشيء من الراحة والاسترخاء».

- يريحني أنهم يتركونني وشأني.
- أحسنت قولًا. وسمعتُ أنهم قد عيَّنوا فتى حفلات محترفًا لمساعدتك على الاسترخاء.

عندئذٍ صمت بن قليلًا، ثم قال: «لا، جلسات تدليك فحسب في العصر».

أدرك قسطنطين زلة لسانه فورًا، فحاول التراجع، قال وهو يسير بسرعة نحو الباب: «أخطأتُ. حسنًا، سأدعك تعود إلى أنشطة أمسيتك».

لكن نظرة الضيق التي بدت على عيني بن أوضحت أنه أدرك حيلة قسطنطين، وتمنى المنجل لو أنه لم يأت لمقابلة الفتى.

***

وفي اليوم التالي، وصل راج إلى جناح بن في الوقت المعتاد، بدقة متناهية.

سأل كما يسأل دومًا: «على ماذا نركز اليوم؟ العنق؟ أعلى الظهر؟ أسفل الظهر؟».

- ما من فرق.

أتيح لبن متسع من الوقت ليفكر فيما قاله قسطنطين، وقت كافٍ ليتخمر الكلام في عقله، لكن بن لم يتطرق إلى الموضوع مباشرة، بل تمهَّل، تجاذب مع راج أطراف الحديث المعتاد، ثم تمدد على الطاولة ووجهه إلى الأسفل. لم يفتح بن الموضوع إلَّا بعدما بدأ راج العمل: «راج، لماذا عُيِّنت في هذه الوظيفة؟».

- عُيِّنت عبر وكالة.

- لم أسألك كيف، بل لماذا؟

- قيل لي إنهم يحتاجون إلى شخص لديه مهاراتي.

- وما هي مهاراتك؟

تردد راج. لم يبد التردد على صوته فحسب، بل وعلى يديه على ظهر بن أيضًا، توقفتا لوهلة ثم واصلتا التحرك، لكن بتركيز أقل. سأل أخيرًا: «لماذا تسأل؟».

أخذ بن نفسًا عميقًا وزفره قبل المواجهة: «هل أنت فتى حفلات؟».

توقفت يدا راج تمامًا. وانقلب بن واعتدل جالسًا ليواجه راج. لم يكن الوضع سهلًا لأن كلام بن لم يكن سؤالًا، بل اتهامًا.

- ما علاقة هذا بأي شيء؟

- له علاقة وثيقة بكل شيء. لماذا عُينت يا راج؟

لم يبدُ راج مرتبكًا، بل غاضبًا: «لِفعل ما ظللت أفعله تحديدًا، تخفيف توترك في نهاية يومك».

- بأي وسيلة يرون أنها تحقق الغرض؟

حملق راج فيه غاضبًا وقال: «انتهينا اليوم». واستدار ليغادر.

قفز بن عن الطاولة. «لا أظنك من يقرر ذلك».

توقف راج على بُعد خطوة من الباب واستدار: «ماذا تريد مني يا بن؟».

كان سؤالًا مفخخًا. ثمة تداعيات كثيرة للأمر برمَّته، جعلت عقل بن يدور. هل اختار المناجل تعيين فتى حفلات له. فيم كانوا يفكرون؟ لا، كان بن يعرف تحديدًا ما كانوا يفكرون فيه. اعتركت مشاعر متناقضة في رأس بن، وجسده، لكن جميعها أججت غضبه.

- ماذا أريد منك؟ إذا كانوا يدفعون لك مقابله، فلا أريده.

حدَّقا إلى بعضهما، ثم قال راج: «فتيان الحفلات المحترفون ليسوا كما تظنهم».

- حسنًا، ثقِّفني إذن.

- جميعنا نتدرب على تخصصات مختلفة، تخصصاتي هي التدليك الأوروسكاندي، والمحادثات العفوية، ولعب الكرة الطائرة في أحواض السباحة.

لم يخطر لبن كلام يرد به على ذلك سوى: «لا يوجد حوض سباحة هنا».

النظرة الباردة التي ارتسمت على وجه راج أوضحت ما سيقوله: «سأطلب من الوكالة إيجاد شخص جديد. أنا أستقيل».

وحاول أن يفتح الباب، لكن بن تقدم بسرعة وضغط على الباب بيديه حتى لا يُفتح.

قال بن: «لا يمكنك أن تستقيل».

- يمكنني بالطبع. لقد أهنتني، لكنني لن أسمح لك بسلب كرامتي.

- لا يمكنك أن تستقيل لأنهم سيقطفونك، قطفوا جميع المدلكين الآخرين!

استدار راج وعلى وجهه تعابير الإحساس بالخيانة، فتراجع بن خطوات. بدا كأنما رأى راج أن بن هو مدبر هذه المكيدة الوحشية، ليس المناجل. هذا من تدبير المناجل! كل شيء من تدبيرهم! كيف لا يدرك راج هذا؟ ابتعد بن غاضبًا، وأخيرًا وجد هدفًا لغضبه أفضل من راج.

- ألا ترى؟ لقد تلاعبوا بك! هذا ما يفعلونه دومًا، حيواتهم كلها تلاعب ودسائس. لم يعيِّنوك من أجل مهاراتك يا راج، عيَّنوك لأنهم يعرفونني،

يعرفون أي نوع من الناس أتعاطف معهم، على الأرجح لديهم قاعدة بيانات لذلك، وأراهن على أن لديهم قاعدة بيانات لك أيضًا.

تمهَّل بن حتى يخف غضبه قليلًا، ثم أرغم نفسه على النظر إلى عيني راج. رأى أن راج ما زال متألمًا، وما زال غاضبًا، لكن غضبه، مثل غضب بن، بدأ يجد اتجاهه الصحيح.

قال بن بصدق وحزن: «آسف لظني أنك كنت مشتركًا في خطتهم، كنت حقيرًا بظني لك. إنهم يستغلونك مثلما يستغلونني».

انقضت لحظات قبل أن يرد راج. وقال أخيرًا: «إذن ماذا سنفعل الآن؟».

قال بن: «لن نُشعِرهم بالرضا عن أنفسهم بمعرفتهم أنهم كانوا محقين، مهما رغبنا في ذلك».

***

صار توبيخ المنجل كولمان لبن يقِل باستمرار، وكان بن يغتبط عندما يتغلب عليها، تزايدت مرات تغلُّبه عليها، كما بدأت علاماته في مهارات القتل تتحسن.

حفَّز غضب بن تحسُّنه. المناجل ليسوا الوحيدين الذين يمكنهم تدبير المكائد. والآن وجد بن شريكًا له.

قال بن لراج: «عندما أصبح منجلًا سأمنحك الحصانة حتى لا يطاردوك. لا يمكنهم إيقافي حالما أضع الخاتم».

ظل راج يأتي إلى جناح بن لجلسات التدليك، لكن ليس من أجل التدليك دومًا، أحيانًا يتحدثان فحسب.

قال راج لبن ذات يوم، وكان أول من يُعبر بصراحة: «لم آت إلى هنا لأقع في مكائد. هذا ليس من مهنية فتى الحفلات. يُفترض أن نكون منيعين، لكن اتضح أنني لست منيعًا».

عندئذٍ صار لدى بن سبب شخصي إضافي لينجح، أكثر من مجرد الارتقاء إلى صورة شقيقته العظيمة. تعين عليه أن يصبح منجلًا من أجل راج، ليحرص على عدم قطفه. لكن رغم تحسن مستواه، ما زال يقال له إنه لا يتحسن بالسرعة الكافية.

لم يكن ثمة شك في تزايد قلق المناجل الذين يعملون معه. وسبب قلقهم، وفقًا لقسطنطين، هو أمر له علاقة بعملية استنقاذ لاستعادة ماسات المناجل من قاع المحيط الأطلسي، التي كانت في مكانٍ ما في حطام إنديورا الغارق.

أخبر قسطنطين بن: «لدى غودارد خطة لوضع يده على جميع تلك الماسات، وإذا نجح، فسيكون له نفوذ على جميع هيئات المناجل الإقليمية في العالم. وهذا سبب إضافي لتجهيزك لتكون محور التفاف بديلًا قبل حدوث ذلك».

لم يكونوا يرون بن شخصًا، إنما نقطة في الفضاء، فردًا يقف مُتحدِّيًا الثقب الأسود روبرت غودارد. لكن بالطبع ذلك لن يحدث إلَّا إذا قُدِّم أمام الخلوة القادمة، ونُصِّب منجلًا.

هذه كانت الخواطر التي تجول في ذهنه وهو يتدرب مع المنجل كولمان ذات يوم في بداية أغسطس، كان من الممكن أن تتسبب أفكاره في تشتيت انتباهه، لكنها جعلته أشد تركيزًا، وأجَّجت رغبته في النجاح من أجل راج.

راغ بن برشاقة من هراوة المنجل كولمان، ثم سدد ركلة عنيفة إلى رأسها، لم تدفعها إلى خارج الدائرة فحسب، إنما أسقطتها منبطحة في أحد الأركان.

قالت: «كان ينبغي أن أتوقع تلك الركلة». فتذكر بن كلام قسطنطين عن أن قسوة المناجل على أنفسهم أشد من قسوتهم عليه.

نهضت كولمان، وتمهلت لحظة ريثما تتدفق وحداتها المجهرية إلى كدمتها وتعالج ارتجاج دماغها.

قالت: «أود أن أسألك، كيف تجري جلساتك مع راج؟». كانت أول مرة تذكُر فيها راج، لم يظن أنها تعرف اسمه، لكنها تعرفه بالطبع.

قال: «هذا ليس من شأنك». حاول أن يرى ردة فعلها على عدوانيته. وتوقع أن تتفاجأ بوقاحته، لكنها ابتسمت له ابتسامة ماكرة.

- رغم ما تظنه، لسنا أعداءك. ندرك أنك وراج صرتما صديقين. أريدك أن تعرف أننا لا نبالي.

لا، لا يستنكرون بالطبع، فهُم الذين رتَّبوا لتقاربهما. أحيانًا كان بن يتمنى لو أنه لم يكتشف خطتهم، لكان جهله هو نعيمه حقًّا.

قالت المنجل كولمان: «جميعنا نحتاج إلى إلهاءات، المناجل وبقية الناس».

رغم أنها لم تدرك هذا، وصفها لراج بأنه «إلهاء» حفَّز بن للقتال بضراوة في جولة قتالهما التدريبي التالية، ومجددًا تغلب عليها، وتأكد أن هراوته كسرت عظم عضُد ذراعها اليسرى. إصابة لن تشفى تمامًا دون حقن وحدات مجهرية للاستشفاء السريع. مرحى.

قالت المنجل كولمان له: «مهاراتك في البوكاتور تصبح أقل تخييبًا للآمال، أقل تخييبًا بكثير». وأنهت الجلسة التدريبية.

لكن ذلك المدح غير المباشر لم يُشعِر بن بتحسن. ثمة أمر بشأن كل هذا ينهش عقله الباطن، ومثل الحِكَّة، لم يستطع تجاهلها. هو وراج لهما اليد العليا الآن، أليس كذلك؟ اكتشفوا حيلة المناجل. لكن ماذا لو أن مخطط المناجل لا يتوقف عند هذا الحد؟ ماذا لو أن ثمة مستوى آخر لخطتهم؟ مستوى أعمق لم يكتشفه بن بعد؟

***

رأى بن حلمًا في تلك الليلة. نادرًا ما يتذكر أحلامه، لا سيما منذ بداية تدريبه، لأن ساعات يقظته لا تدع له مجالًا للتفكير في أشياء كهذه.

حلم بــ *ذلك اليوم*. عندما اقتيد من منزله دون تحذير أو تفسير، عندما قُيِّد إلى كرسي وتُرِك وحده في حجرة، وسرعان ما جاءت شقيقته، رغم ارتعابه غمرته البهجة إثر رؤيتها، لأنه عرف أنها جاءت لتنقذه، كانت تحمل مدية، مدية حادة، لكنه لم يفهم بعد، ظن أن شقيقته ستستعمل المدية لقطع قيوده، ولم يدرك ما تعتزم فعله إلَّا عندما رأى عينيها تترقرقان بالدموع.

عرف أن شقيقته ستقتله.

عندئذٍ لم يكن يعرف أن ذلك كان اختبارها النهائي قبل نيل المنجلية.

أُنعِش بن بعد يوم أو يومين، لكن منذ تلك اللحظة لم يعد لشقيقته وجود، لأنها صارت المنجل أناستازيا. حتى عندما كانت تأتي لتزورهم في المنزل، كان بن يستشعر أنها لم تعد هي نفسها. غرْز تلك المدية في قلبه حوَّلها إلى شخص آخر.

كان يحلم بذلك اليوم كثيرًا لأشهر بعدما أصبحت سيترا المنجل أناستازيا. فقدان المرء حياته على يد شقيقته صدمة لا تستطيع الوحدات المجهرية

المزاجية محوها، كان لا بد من معالجة الصدمة على الطريقة القديمة، وبمرور الوقت تلاشت الصدمة، وتوقف الحلم المتكرر.

هذه هي المرة الأولى التي يرى فيها الحلم منذ أربعة أعوام، لكن هذه المرة كان الحلم مختلفًا اختلافًا لافتًا، هذه المرة كان هو في مكان شقيقته، كان هو من يحمل المدية ويقترب من الكرسي، والكرسي خالٍ، لكنه لن يظل خاليًا لمدة طويلة. وعرف بن تحديدًا من سيجده جالسًا عليه.

استيقظ، ووجد أغطية فراشه مبللة بالعرق، وعرف أن المناجل تغلَّبوا عليه في الدهاء مجددًا.

***

ما كان لبن أن يشارك إدراكه مع أي أحد، لا سيما راج. لكن بن وجد نفسه في وضع فريد، ما من متتلمذ يعرف أن الاختبار النهائي هو قتل أعز الناس لديه، لكن بن حظي بأفضلية وجوده على الجانب الآخر من نصل شقيقته.

هل يمكنه قتل راج؟

ذكَّر بن نفسه: *لا، ليس قتله. إنما جعله شميتًا.*

في عالم الخالدين، التعرض للشموت ليس شيئًا، مجرد حدث مزعج، مثل لحظة كدر بسيط في يوم مثالي. ومع ذلك عرف بن أنه سيكون أصعب فِعل يُقدِم عليه في حياته. وهذا كان المغزى منه تحديدًا.

ومن ناحية أخرى، هذا يعني أن راج لن يُقطَف قبل موعد الاختبار، لكن هذه أفضلية قصيرة الأجل، فماذا لو أن قسطنطين، حالما ينتهي الاختبار، قرر أن يترك موت راج دائمًا؟ أي منجل منهم يمكنه أن يزعم أن موته قطف رسمي ويعده ضمن حصته. كلما فكر بن بذلك، ترجحت لديه احتمالية حدوثه.

لأنها خطة بديعة.

بديعة رغم قسوتها وفظاعتها. فهكذا سيضمنون عدم إفشاء راج للسر، كما سيقطعون أي تعاطف بينهما، لأن المناجل لا يجوز لهم مثل هذا التعاطف.

في أحد دروس أخلاق المناجل المبكرة أوضح المنجل هيوز: «على المناجل أن يحبوا البشرية كلها، وليس شخصًا واحدًا». وهذا تدعمه وصية المناجل الرابعة: «عليك ألا تتخذ زوجة ولا تنجب ذرية»، وهذه الوصية تفسَّر تفسيرًا واسعًا وتُطبَّق بصرامة. لا زوج، ولا أطفال، بلا استثناء. لم تأمر

الوصية بالتبتُّل، إنما بالانفصال العاطفي. يجوز للمنجل مشاركة فراشه مع أي أحد، لكن حياته يعيشها وحده.

سيكون حلًّا فعَّالًا إذن، أن تنتزَع الرحمة من قلب بن عندما يغرز نصله في قلب راج.

بإمكان بن أن يرفض، أن يلقي النصل في اليوم الأخير الحاسم من أيام تلمذته. لكن هل يمكنه أن يصل إلى الاختبار النهائي ويتراجع عند خط النهاية؟ لم يكن طموح حياته أن يصبح منجلًا، لكن عدم الرغبة هو الشرط الأول. ما أراده طوال سنوات هو أن يخرج من ظل شقيقته. لكن إذا نال مراده، فسيكون ذلك على حساب راج.

رأى بن أن الخيار الوحيد هو الخروج قبل بلوغ مرحلة الاختبار النهائي، الهروب، وحلم الهروب هذا هو الذي يساعده على الصمود الآن، حلم سيحوله إلى واقع بطريقةٍ ما، سيتطلب تحقيقه تخطيطًا ودقةً في التوقيت وحظًّا، لكنه ليس مستحيلًا.

لم يكن بن يعرف عن المبنى شيئًا سوى جناح مسكنه، والغرف التي يتلقى فيها دروسه، والدهاليز والسلالم التي تصل بينها. لكن ولع قسطنطين بالسيطرة المطلقة يعني أن طاقم الموظفين كله، بما فيهم راج، موجودون في مكانٍ ما في المجمع، ولا يعيشون خارجه. ونظرًا إلى ثبات الروتين لن يتمكن من العثور على راج أبدًا، والبحث عنه سيثير الشكوك، لذا لا بد له من الانتظار حتى يأتي راج إليه. موعده عصر اليوم التالي.

في ذلك اليوم أسقط بن المنجل كولمان مرارًا وتكرارًا في نزالات البوكاتور، ونجح بامتياز في اختبار سموم كان أقرب للاستجواب أكثر من كونه اختبارًا، وفي مهارات القتل، اتخذ وضعية الهجوم سريعًا، وجرَّد المنجل أوستن من سلاحه، وكاد أن يجرِّده من ذراعه.

قال المنجل أوستن: «المنجل المساعد قسطنطين سيغتبط بالتقدُّم الذي تحرزه!». وكانت ممرضة تضمد جراحه وتحقنه بوحدات مجهرية شفائية.

لم يعد ثمة شك في أن بن أتقن كل المجالات، وصار أشد تركيزًا وعزيمة أكثر من أي وقت مضى. لم تكن لدى المناجل فكرة عن السبب، ولم يبدُ أنهم يكترثون، لم يهمهم شيء سوى النتائج، فكانت هذه سانحة عزم بن

على استغلالها، واستغلال المهارات التي تعلمها منهم للإفلات من قبضتهم الحديدية.

***

وصل راج في الموعد المعتاد، ورأى فورًا أن بن متحمس ومتوتر.

سأله: «ما الخطب؟».

وفجأة، دون أن يفكر بن نفسه بما سيفعله، أخبر راج بخطته.

تفاجأ راج، لكنه لم ينزعج. قال: «ظ... ظننت أننا لن نفعل شيئًا كهذا... هل تغير شيء؟».

- كل شيء تغير، وعلينا بالمغادرة.

- ماذا تعني بالمغادرة؟

- أعني أن نغادر، حرفيًّا، أن نفر، نهرب، نذهب إلى مكانٍ ما لن يعثروا علينا فيه أبدًا.

قال راج مشوشًا بالتغير المفاجئ في الأحداث: «مهلًا، سيجدوننا حيثما ذهبنا، إنهم مناجل».

- بالضبط! إنهم مناجل، ليسوا الرأس السحابي، قدراتهم محدودة. بالطبع سيحاولون إيجادنا، لكن هذا لا يعني أنهم سيجدوننا. وبما أن هذه العملية بأكملها سرية، لن يستطيعوا أن يطلبوا مساعدة هيئات المناجل الأخرى دون افتضاح ما كانوا يخططون له.

ابتسم راج، ربما متحمسًا قليلًا، وربما متوترًا قليلًا، وقال: «إذن فكرت في كل شيء، صحيح؟».

- قل إنك معي فحسب.

- أنا معك... لكن تدريبك على وشك الانتهاء، وحالما تُنصَّب في الخلوة القادمة، يمكننا الذهاب حيثما نشاء، لأنك ما إن تصبح منجلًا، لن يستطيعوا إرغامك على أي شيء. إذن لماذا لا ننتظر؟

- إنك لا تفهم ما يجري!

استشعر بن أن راج لديه أسئلة كثيرة، لكنه لم يسأل، تمهَّل لحظة ليتمالك نفسه، ورأى أن يثق ببن ثقة تامة. قال: «غرفتي أسفل طابقين. اهبط عبر

السلم الشمالي، وتجاوز أربعة أبواب على اليمين، ستجدها جوار رصيف الشحن».

أومأ بن. ولم يكن يعرف بوجود رصيف شحن.

تابع راج: «شحنات الإمدادات تأتي عند السادسة صباحًا كل يوم خميس، أعرف لأن البوابة مزعجة، والشاحنة مزعجة، والعمال مزعجون، يوقظونني كل مرة. تعال إلى غرفتي عند السادسة، لن أوصد الباب».

- يمكنني تدبُّر أمري بهذه المعلومات. سأتمكن من إخراجنا عبر رصيف الشحن.

- لا بد لك، لأنك إذا أخفقت، فكلانا في عداد المقطوفين.

***

رغم تركيز بن، وجد صعوبة بالغة في التظاهر بخلو باله، وعدم إشعار المناجل الذين يدربونه بوجود خطب ما. كانوا بارعين في قراءة ما يجول في أذهان الناس، أو على الأقل ما يجول في ذهن بن. كان لا بد له أن يتحلى بالهدوء ويلتزم بمهامه حتى صباح الخميس.

وفي يوم الأربعاء عند منتصف الليل، رفع بن مؤشر منظم الحرارة إلى أقصى درجة ممكنة، وقبل السادسة ببضع دقائق، صار الجناح بأكمله حارًّا خانقًا. فتح الباب وخرج إلى الحارس المناوب الواقف خارج مسكنه.

قال متظاهرًا بأنه ما زال ناعسًا: «ثمة مشكلة في منظم الحرارة».

أحس الحارس بتدفق الحرارة من الغرفة، فدخل ليتحقق، وقال: «سأخبر أحدًا».

لكن لم تسنح له الفرصة. حالما دخل، وصار خارج مجال رؤية كاميرا الرواق، كسر بن عنقه بحركة واحدة متمرِّس عليها، وهذه مهارة لم يطبقها سوى على دُمى التدريب. ووجد الواقع أسهل، على الأقل جسديًّا.

سحب الحارس إلى الداخل، وأخذ ملابسه، وجدها واسعة عليه، لكنها ستوفر له التمويه الكافي أمام الكاميرات التي لن يستطيع تجنُّبها.

وصل إلى السلم الشمالي، وهبط طابقين، فسمع جلبة قادمة من بعيد كانت صوت فتح البوابات. عندئذٍ بدأ العد التنازلي.

كان هناك حارس آخر يقف عند مخرج السلم. أبقى بن رأسه منخفضًا حتى لا يرى الحارس وجهه فورًا.

قال الحارس: «جئتَ مبكرًا، المناوبة لم تنته».

رش بن على الحارس سمًّا يسري مفعوله باللمس، فصار شميتًا قبل أن يرتطم بالأرض. ثم نظر بن إلى الأعلى، مدركًا أن الكاميرا صورت ما فعله، لكن لم تنطلق أي صافرة إنذار. أيًّا كان من يراقب صور الكاميرات، فهو نائم أو غير منتبه. كاميرات مراقبة المناجل، من حسن الحظ، ليست مثل كاميرات مراقبة الرأس السحابي، لأن الرأس السحابي يتابع جميع كاميراته في كل مكان في آن واحد، لكن هيئة المناجل تعتمد على موظفين أمنيين بشريين، مما يعني أن النظام بأكمله عرضة للقصور البشري.

وجد بن غرفة راج عند نهاية الرواق، وأدار مقبض الباب، فوجده غير موصد، كما قال راج. دفع بن الباب، متوقعًا أن يرى راج مستيقظًا في انتظاره. لكن أول ما رآه كان لونًا أحمر، لونًا أحمر يؤذي العينين كلون الدم.

قال المنجل المساعد قسطنطين: «يا لخيبة أملي!».

تجمد بن في مكانه. كان يظن أنه مستعد ذهنيًّا لأي طارئ، لكن ليس هذا.

قال قسطنطين: «توقعت منك أفضل من هذا، لم تنجح حتى في الوصول إلى محيط المبنى الخارجي».

- ماذا؟

- تركنا لك ثلاثة منافذ هروب في المجمع يا بنجامن، ثلاثة! إذا كنت ذكيًّا بما يكفي لمعرفة تفاصيل المجمع خلال الأشهر التي أمضيتها هنا، لعرفت أماكن تلك المنافذ، ولتمكنت من بلوغ السياج الخارجي.

- مــ... ماذا تقول؟

- هذا كان اختبارًا يا بنجامن، أردنا اختبار براعتك وسعة حيلتك، وأخفقت.

عجز بن عن تهدئة اضطراب عقله: «هل كان راج جزءًا من هذا؟ هل...».

- لا. راجيش لم يعرف بهذا، اطمئن؛ إنه لم يخنك. لكنني متأكد أنك استنتجت السبب الحقيقي لوجوده هنا. حتى تُقدِم *أنت* على خيانته. أخمن أن احتمال ما سيحدث في اختبارك النهائي هو ما دفعك إلى الهروب.

- لن أقتله!

- اتضح أنك لن تضطر إلى ذلك.

لم يرُق بن وقع الكلام، ولا تعابير وجه قسطنطين، أو بالأحرى خلو وجهه من التعابير. لم يفصح وجهه عن أي شيء، لا الغضب، ولا خيبة الأمل. بدا قسطنطين كأنه صرف بن عن تفكيره وشغل باله أمرٌ آخر.

- أين راج؟ أين هو؟

لم يكلف قسطنطين نفسه عناء الإجابة: «رافِقا السيد تيرانوفا إلى جناحه». فأمسك ببن حارسان كانا يقفان خلفه. كان بوسع بن أن يقاتلهما، يكسر عنقيهما أو عظامهما أو كل ما يتطلبه التحرر منهما، لكن ما الفائدة؟ ثمة مزيد من الحراس في الرواق. ما كان بن ليتمكن من الهروب مهما فعل.

قال قسطنطين: «أمامنا نقاش مواضيع كثيرة، سنتحدث عند الإفطار، عند الثامنة تمامًا».

اقتاد الحارسان بن، ومن مكانٍ ما سمع شاحنة التوصيل تغادر، وبوابات رصيف الشحن تُغلَق.

***

في أيام الفانين كان المحكوم عليهم بالإعدام تُقدَّم إليهم وجبة أخيرة قبل مواجهة الجلّاد. عرف بن كل شيء عن عمليات الإعدام. مهارات القتل لا تقتصر على استخدام الأسلحة فحسب، بل وفهم تاريخها أيضًا، كل شيء من المقصلة إلى فرق الرمي بالرصاص والكرسي الكهربائي كان ضمن منهج دراسته. تساءل بن عما إذا كان المحكوم عليهم بالإعدام يشعرون بما يشعر هو به الآن في أثناء اقتياده لتناول الإفطار مع قسطنطين.

- اجلس يا بنجامن، الطعام جاهز.

كل ما أراد بن معرفته هو ما فعلوه براج، وكان قسطنطين يعرف رغبة بن، لكن بن سأله سلفًا، وقسطنطين تجاهله، السؤال مرة أخرى سيكون إشارة ضعف، وبن رفض أن يبدو ضعيفًا أمام هذا الرجل.

قال قسطنطين وهو يمضغ قطعة لحم خنزير: «أدرك أنك لم ترغب في أن تكون هنا أبدًا. ورغم أنك تمكنت أخيرًا من إحراز تقدم في تدريبك، من الواضح أنك لست متحمسًا. أحس بما تحس به، حقًّا».

في أي يوم آخر لضحك بن من فكرة أن قسطنطين يمكنه الإحساس بأي شيء. الرجل ليس ينبوع تعاطف.

- المناجل الذين يدربونك لا يريدون سوى مصلحتك.

- هذه كذبة، لا يريدون سوى مصلحة هيئة المناجل، ليست لديهم أدنى فكرة عن مصلحتي، ولا يكترثون.

تنهد قسطنطين، واعترف: «إنك محق، لكن هذا لم يعُد يهم».

قال بن مع نفسه: *ها هو ذا الحُكم قادم*. تساءل عما إذا كانوا سيكتفون بإرساله إلى دياره، أم سيقطفونه حتى لا يبقى دليل على فشلهم في تعليمه الطيران.

قال قسطنطين: «لم تعد ثمة حاجة إليك منجلًا».

لم يشح بن بعينيه عن قسطنطين، ظل ينظر إليه متحدِّيًا.

استحثه قسطنطين: «ألا تريد معرفة السبب؟».

- لا يهم. هل سأعود إلى دياري في حافلة أم نعش؟

- ولا أي واحد منهما.

نظر بن إليه، ظن أنه لمح وميضًا في عيني المنجل، بدا الرجل مسرورًا لسببٍ ما، لم يستطع بن تبيُّن ما إذا كان سروره طبيعيًّا أم ساديًّا. وأخيرًا أخبره قسطنطين بما يكتمه منذ مدة: «عُثِر على جثة شقيقتك».

كان هذا آخر ما توقع بن سماعه: «مهلًا، ثمة جثة؟ لكنني ظننت...».

- أجل، كلنا ظننا أنها التُهِمت مع الآخرين، لكن جثتها وُجدت سليمة في حجرة محكمة الإغلاق لا يتسرب إليها الهواء.

وضع بن شوكته وسأل: «ما مدى سلامتها؟».

عجز قسطنطين عن كبح ابتسامته: «أُنعِشت يا بنجامن، وعما قريب ستعود إلى العالم ظافرة!».

ذُهل بن، وانعقد لسانه. صعُب عليه استيعاب خبر حياتها كما صعُب عليه استيعاب خبر موتها. كيف ستكون ردة فعل والديه؟! كيف سيكون وضعه هو الآن؟! خبر عظيم! لكن رغم ذلك...

اتكأ قسطنطين على ظهر كرسيه وعقد ذراعيه مغتبطًا أيما غبطة، وقال: «لك أن تطمئن الآن، لأننا لم نعد نحتاج إليك».

***

بذلك انتهى كل شيء. توقفت التمارين، وتوقفت الدروس، وانقطعت التوبيخات المستمرة. بعد أكثر من عام من سماع بن يوميًّا أنه مهم للغاية، صار كأن لا وجود له.

وكذلك راج. لم يظهر في ذلك اليوم، وتزايد قلق بن عليه. ما من سبب يدفع المناجل لقطف راج الآن وقد انتَفَت جدوى إبقاء تتلمذ بن سرًّا... لكن ما من سبب يمنعهم من قطفه أيضًا.

اجتمع مدربو بن اجتماعًا تعوزه الحماسة ليودِّعوه، بعضهم بدوا غير مهتمين وأرادوا الانصراف في أقرب وقت، لكن آخرين، مثل المنجل هيوز، كانوا صادقين في أمنياتهم له بالتوفيق، لذا ذهب بن إليه.

سأله بن محاولًا ألا يتوسل: «أرجوك أيها المنجل هيوز، هلّا أخبرتني بما فعلوه براج معالج التدليك؟».

قال هيوز مبتسمًا ابتسامة دافئة: «أكثر من مجرد معالج تدليك على ما أظن».

- إذن فأنت تتفهم رغبتي الملحة في معرفة مكانه وما فعلوه به.

تنهد هيوز وقال وهو يمسك بيد بن: «غير مسموح لي بإخبارك. ابذل ما بوسعك لنسيانه».

عندئذٍ تدخل قسطنطين: «طريقة تعاملنا مع طاقم موظفينا هنا ليست من شأنك».

سماع ذلك أفقد بن أعصابه. ربما لم تكن لديه غريزة قاتل من قبل، لكنها ضربت بجذورها بداخله الآن، لانتزع قلب قسطنطين من صدره إذا استطاع.

قال بن: «*إنك وحش! لا تستحق أن تكون مساعدًا للنصل السامي، لا تستحق أن تكون أي شيء. رحيلك عن هذا العالم في أقرب وقت سيجعله مكانا أفضل*».

لم يتفاجأ قسطنطين، رفع حاجبيه بالكاد: «كل شيء نسبي يا بنجامن. بمساعدة شقيقتك سأحاول القضاء على غودارد، وهو مصدر شرور في هذا العالم. إذن هل أنا وحش يا بنجامن؟ أم إنني بطل؟». فكر في سؤاله مليًّا ثم قال: «ربما لست واحدًا منهما».

***

لم يسمحوا لبن بالعودة إلى منزله، لأن منزله لم يعد له وجود. كان قسطنطين، بأمر من غودارد، قد قطف والديه، وصادر جميع ممتلكاتهما بعد وقت قصير من بداية تتلمذ بن. ومن ثم أخذ قسطنطين جثتيهما إلى مركز إنعاش غير متصل بالشبكة، وأبطل قطفهما سرًّا.

قال قسطنطين له: «كان ذلك ضروريًّا. لا بد أن يُسجَّل قطفهما في قاعدة بيانات المناجل، وإلَّا لارتاب غودارد».

والآن والدا بن مختبئان، وقد غيَّرا اسميهما، في مكان حتى قسطنطين لا يعرفه.

أما بن، الذي كان يُتوقَّع وجوده في البيت عندما ذهب قسطنطين لقطف والديه، فقد تلاعب قسطنطين بقاعدة بيانات هيئة المناجل لإخفاء أمره، سجَّل أن بن هرب من المنزل، ثم اختفى في عالم مستهجنين في مكان ما في أنتاركتيكا، وهي بعيدة بما يكفي لعدم اهتمام غودارد بالبحث فيها، لكنه سيهتم حالما تظهر سيترا ظهورها المدوي، لأن بن يمكن استغلاله رهينة للضغط على سيترا. لذا لا بد أن يختفي بن تمامًا الآن كما اختفى والداه، وحيدًا مجهولًا إلى أقصى درجة.

قال قسطنطين له: «ستكون بأمان في المكان الذي سنرسلك إليه، وبمرور الوقت سوف تستمتع بالحياة التي سوف تعيشها أيًّا تكن».

لم يستطع بن تخيل أن ذلك سيكون ممكنًا يومًا، ولو عاش مئات الأعوام.

ومن ثَم، قبل أن يودعه قسطنطين بكلمات أخيرة، دس ظرفًا في يد بن وهمس في أذنه: «لستُ وحشًا كما تظنني».

***

لم يعنِ جمال سان بطرسبرغ شيئًا لفاسيلي ماركوف، إذ صار يرى كل شيء كئيبًا في هذه الأيام.

فاسيلي ماركوف، اسمه على بطاقة هويته، لكنه ما زال يشعر بأنه بن تيرانوفا ولم يعرف إذا ما كان سيتغير شعوره هذا يومًا. إذا نالت شقيقته مُرادها، فربما لا يعود مضطرًّا إلى الاختباء ويستعيد اسمه ذات يوم. وقد نشرت شقيقته سلفًا عدة مقاطع فيديو لافتة، فسلَّطت ضوءًا حارقًا على

النصل المصلت غودارد. ربما تنجح في القضاء عليه. وربما لا تنجح. أحس بن بأنه بعيد جدًّا عن شؤون المناجل كأنه يعيش في كون آخر، وليس على الجانب الآخر من العالم فحسب.

من هو فاسيلي ماركوف؟ طالب في جامعة سان بطرسبرغ متخصص في الأدب الكلاسيكي الخاص بالإقليم، رغم أن بنجامن تيرانوفا لا يميز بين بوشكين وتشيكوف. لكنه سيتعلم، وسيتكيف، لا بد له. وسيتوجب عليه تجنب جذب الانتباه إلى نفسه حتى لا ينتبه عملاء غودارد، المنتشرون قطعًا ويبحثون عنه.

إقليم روسكايا الغربي، مثل أقاليم أمريكا وإسرابيا وكثير من الأماكن في العالم، كان لديه لحظات مظلمة في تاريخه، لكن تلك اللحظات لم تعد سوى تاريخ، ودروس في الدراسات القديمة. ما إن وضع الرأس السحابي حدًّا للأمم، لم تزدهر إلَّا السمات الجيدة في كل إقليم. تمنى بن أن يصبح الظلام الذي عاشه مجرد حاشية في تاريخ حياته. لكن ذلك سوف يستغرق وقتًا، ويتطلب جهدًا، وتحقيقه عمليًّا أصعب من الكلام عنه نظريًّا.

كان لديه شقة مطلة على نهر نيفا في جزء من المدينة جميل نابض بالحياة، لكن في الأسابيع التي قضاها في المدينة لم يتعرف على أحد بعد، ظل ينتظر أن يشعر بالحاجة إلى التواصل، لكنه لم يشعر برغبة سوى الرغبة التي زرعها فيه تدريبه، الرغبة في القتال بالنصل والرصاص والقوة المحضة، وفي إنهاء حيوات الناس. تدرب ليصبح منجلًا، والآن ماذا أصبح؟ لا شيء. لم يعد هو بن القديم نفسه. فكر بروان داميش. أهذا ما شعر به عندما حُرِم الخاتم في يوم تنصيب شقيقته نفسه؟ وجد أن كراهيته لروان تقل شيئًا فشيئًا، لا سيما الآن إذ بدا أنه لم يكن من أغرق إنديورا.

في يوم ثلاثاء ماطر لم يذهب فاسيلي ماركوف إلى الصف الدراسي، وذهب في جولة بمتحف أرميتاج، ليس لأنه أراد الذهاب ليطَّلع على المتحف تحديدًا، إنما لأنه كانت لديه تذكرة لجولة جماعية محددة، في يوم محدد. تذكرة وضعها في يده المنجل القرمزي الذي دمر حياته. أراد بن التخلص من التذكرة، لكنه لم يستطع تجاهل فضوله.

اتضح أنها كانت أفضل جولة متحف في حياة بن، ليس بسبب الأعمال العظيمة الكثيرة في المتحف فحسب، بل بسبب مرشد الجولة. كان اسمه

ميلان، وبدا كأنه يعرف كل ما يمكن معرفته عن جميع الأعمال الفنية في المتحف.

وبعد انتهاء الجولة، لم ينصرف بن مع بقية الزوار، وكان السياح يمنحون ميلان إكراميات سخية مكافأة له على الجولة الغنية بالمعلومات، وأراد بن منحه إكرامية أيضًا، لكنه حرص على أن يكون الأخير في الصف.

قال بن له: «الجولة كانت أفضل مما تمنيت».

كان ميلان لبقًا ودودًا كما كان في أثناء الجولة بأكملها، لكن لا أكثر من هذا.

قال ميلان: «شكرًا لك يا فاسيلي»، فتفاجأ بن.

- إذن تعرف اسمي؟

ابتسم ميلان بشيء من الحرج وقال: «بطاقة اسمك».

- أوه، صحيح.

وعندما اتضح لكليهما أن بن أطال اللحظة فجعلها محرجة، قال بن ما أراد قوله منذ وصوله إلى المتحف وتعريف مرشد جولتهم بنفسه.

قال بن: «افتقدتك يا راج».

نظر ميلان إليه، ولوهلة ظن بن أنه سيخرج من دور شخصية المرشد التي يتقمصها، وربما يعانقه. لكن ميلان قال: «إذا عرفتُ راج هذا، فربما أفتقده أنا أيضًا».

ابتسم بن ابتسامة حزينة: «آسف، ظننتك شخصًا آخر».

قال ميلان: «لا بأس، هذا يحدث. يسعدني أنك استمتعت بالجولة».

استبدال الذكريات ليس مجرد عِلم، إنما فن. عندما ينفذ الرأس السحابي العملية، لا ينفذها أبدًا دون إذن من الشخص، وبعدها، يقول للشخصية الجديدة إن ذكرياتها استُبدلت. لكن عندما ينفذها المناجل، لا يلتزمون بمثل تلك القواعد. لذا فميلان المرشد السياحي لا يعرف عن نفسه شيئًا سوى أنه ظل دومًا ميلان المرشد السياحي الذي نشأ في مكانٍ ما في غرب روسكايا، ولديه ذكريات طفولة تؤكد ذلك. لن يعرف عن نفسه شيئًا آخر أبدًا، لن يعرف أنه كان شخصًا آخر أبدًا. لكن ما مقدار ما يغيره استبدال الذكريات في المرء؟ يغير من يظن أنه هو، لكنه لا يغير حقيقة هويته في صميم نفسه.

- شكرًا لك مجددًا يا ميلان.

استدار بن قبل أن تسيل الدموع التي بدأت تتجمع في عينيه، وقد انطوت دموعه على تناقض مشاعر قوي، إذ عرف أن راج قد رحل، لكنه لم يُقطَف، صار شخصًا آخر، لكنه على قيد الحياة.

قال قسطنطين: *لستُ وحشًا كما تظنني*. لكن بطريقةٍ ما لم تخِف كراهية بن له.

وعندما اقترب بن من المخرج الرئيسي أحس بيد تمسك بكتفه بلطف، أحس بأطراف الأصابع تضغط ضغطًا طفيفًا، فبددت إجهاد عنقه. ابتسم بن، لأنه عرف صاحب اللمسة دون أن يضطر إلى الالتفات. الذاكرة العضلية، هذه الذاكرة على الأقل لا يمكن محوها.

قال ميلان: «ربما يمكنني أن أصطحبك في جولة أخرى يا فاسيلي، جولة شخصية، يحتوي متحف أرميتاج على تحف فنية أكثر مما يمكن رؤيتها في أمسية واحدة، من دواعي سروري أن أطوف بك عليها كلها».

نظر بن إلى عينيه الدافئتين، وتعجب من تحولهما من غريبَين إلى شيء آخر في لحظة.

قال بن له: «أود ذلك، أود ذلك كثيرًا».

ومَن يدري؟ ربما سيعرف فاسيلي ميلان على نحو أفضل مما كان بن يعرف راج.

إصرار الذاكرة

بالتعاون مع جارود شسترمان وصوفيا لابوينتي

في قلب برشلونة، تحت أبراج كاتدرائية ساغرادا فاميليا الشاهقة، كان يعيش منجل يتردد صدى اسمه في جميع أنحاء المدينة، اسمٌ يُنطق بنبرة رعب وتوجس غامض، اسمٌ يُنطَق همسًا، همسًا دومًا.

ربما يظن المرء أن الكاتدرائية المهيبة، التي استغرق إكمال بنائها أكثر من مئة عام في عصر الفانين، ستكون منزلًا للمنجل الذي اتخذ اسمه تيمنًا بالمهندس المعماري الذي صممها، المنجل المبجل غاودي، لكن لا، كانت منزل المنجل دالي، الذي قرر اتخاذ الكاتدرائية منزلًا له لا لسبب سوى الضغينة، ضغينة راسخة وأبدية وخالدة خلود المنجل نفسه.

كثيرًا ما يُرى المنجل دالي يتمشى في لا رامبلا، أبهى شوارع برشلونة، مرتديًا عباءة حريرية أشد زُرقة من السماء وتتخللها خطوط ذهبية، وقد استلهم ألوان عباءته من لوحات قدوته التاريخية، كانت ألوانًا تُضفِي على العالم ضوءًا كالأحلام. وعند الغروب يقف دالي على الممرات الحجرية الضيقة التي بين أبراج الكاتدرائية الشاهقة، ويرسل بصره إلى الحشود بالأسفل، مداعبًا شاربه المميز المعلق فوق شفتيه كذراعَي حشرة فرس النبي وهو يفكر في ضحيته التالية. المنجل دالي لا يقطف ببساطة، إنما يبدع، ويشكِّل، ويصمم. كل عملية قطف يؤديها تمثِّل تحفة فنية سريالية. كان قدوته التاريخية يقول: *"ما مِن*

فن دون جنون". وبما أن الرأس السحابي استأصل الجنون من العالم، قرر المنجل دالي أن يكون الجنون.

***

«هل سيكون الألم شديدًا؟». تهدَّج صوت العروس وهي تتشبث بيد عريسها، الذي كان شابًّا طويلًا نحيلًا ترتعش ساقاه كأنه يقف على منضدة خشبية متضعضعة.

طمأنهما المنجل دالي: «موتكما سيكون فوريًّا، وإذا لم تموتا فورًا، فوحداتكما المجهرية ستخفف معظم الألم. لا تخافا».

امتلأت صفوف مقاعد الكنيسة الرابضة فوق التل بالمتفرجين، جميعهم يضعون أقنعة احتفالية، منهم متنكرون على هيئة أطباء طاعون بأقنعتهم المرصعة بالجواهر، وعلى هيئة مهرِّجي العائلة الملكية في البندقية بأزيائهم المبهرجة. الذين نالوا شرف الحضور أمرهم دالي بارتداء ملابس كأنهم في حفل تنكري. كل شيء يمثل جزءًا من الجو العام، جزءًا من العرض.

عند المذبح يوجد قاذف لهب ضخم حارق مملوء باثني عشر كيلوجرامًا من الفحم المضغوط، عند ضغط الزناد سيطلق دفقة قوية من رماد شديد الحرارة كالحمم البركانية يمكنه، في طرفة عين، حرق أي شيء حي في طريقه. لذا كان الجمهور محجوبًا خلف زجاج مقاوم للحرارة.

قال دالي للزوجين الشابين: «ستُخلَّدان اليوم. جثتاكما المتفحمتان، المحفوظتان بداخل غلاف أبدي من رماد السيليكات، سوف تكونان تكريمًا تذكاريًّا لرياح بومبي البركانية. لكما أن تعدَّا نفسيكما ضمن إخراج في عصر الخالدين لمسرحية روميو وجولييت».

تجاسر العريس على قول: «لا أظننا ننتمي إلى 'عصر الخالدين' ما دمنا سنموت اليوم».

وافقه دالي: «حسنًا، أجل، لكن بقيتنا ننتمي إليه».

ازدرد العريس خوفه، وتقدم إشبينه نحوه وقال له: «إنك قادر على هذا. فكِّر في مدى تشريفك. وسوف نتذكرك دومًا».

نظر الزوجان إلى بعضهما وأومآ، كما لو أن لهما خيارًا في الأمر.

قال دالي بنبرة خطيب: «حياتكما ستنتهي في ذروة سعادتكما. هل من نهاية أنبل وأكثر كمالًا من هذه؟».

كان دالي مغتبطًا بعملية القطف هذه أيما غبطة. في هذا اليوم، وفي هذه الكنيسة التاريخية القديمة، سيجعل العالم مكانًا أفضل مرة أخرى بإثرائه بالفن. سيجري القطف في اللحظة التي تتلامس فيها شفاه الزوجين، في اللحظة التي تلي إعلانه أنهما صارا زوجًا وزوجة، فهو بنفسه سينال شرف تزويجهما.

اكتمل إعداد المسرح، وكل شيء يمكن أن يتعرض لدفقة الرماد المشتعل أُذيب سلفًا. شجيرتا الفايكس اللتان على جانبي الزوجين حرقتا فصارتا مادة لزجة وتصلبتا فاتخذتا شكل وحشين يزحفان إلى أعلى السلم. تدلّت اللوحات المسفوعة على الجدران، وزجاج النوافذ الملون تشوهت ألوانه فصارت مزيجًا غريبًا. لم يبق سوى إضافة واسطة العقد لهذه اللوحة البديعة. أما الجمهور، فقد كان اليوم صاخبًا، ظلوا يصيحون ويزعقون كأنهم في سيرك. لم يعد أحد يحترم الفن في هذا الزمان.

كان دالي يرى أن القطف هو أنقى وأسمى أشكال الفن. وقد تعلم من أساليب الفانين القديمة، علّمه الأسلوب الباروكي بالتفصيل أن هذا العالم مليء بالألم والعظمة في آنٍ واحد، والمدرسة التعبيرية رسمت له الخيالات الداخلية للعقل البشري، والفن الحديث كشف له عن غرابته. وقد ذهب دالي عدة مرات إلى متحف اللوفر ليتأمل أعظم كنوزه، وبوصفه منجلًا لم يضطر إلى الانتظار في صف مثل بقية الناس، بل وسُمِح له بالانفراد باللوحة لمدة ساعة، تاركين المعرض كاملًا له. *أف كلينت تفكّر في مَخرَج سافو*. تحفة فنية معروفة في جميع أنحاء العالم بأنها آخر قطعة من فن الفانين، لوحة تصوِّر كآبة وبهجة التحوُّل إلى الخلود.

لكن الآن، في عالم دون معاناة، هل من جذوة شغف بقيت في فرشاة الفنان؟ وأي ألوان تُترك على قماش لوحته؟ بيد أن الموت أمرٌ حتى الرأس السحابي، بترليونات الزيتابايتات التي تضم ذكاءه وتفكيره المثالي، لن يستطيع أن يسلبه من الجنس البشري أبدًا. لذا أقسم دالي على أن يجعل من كل عملية قطف تحفة فنية. وهذه العملية التي يُعِد لها ستكون أعظم ما أبدع.

سارت مراسم الزواج كالمعتاد، الموكب، واقتياد العروس بيد والدها دامع العينين، وأخيرًا، تبادل النذور، ثم أضفى المنجل دالي الطابع المقدس على زواجهما.

- آلدو وبيلار، الآن أعلنكما زوجًا وزوجة، لكَ أن تقبِّل العروس.

ثم انسل دالي إلى خلف الحاجز الحراري وشغل القاذِف الحارق، فأصدر طنينًا متصاعدًا وشهق بعض الحضور من مقاعدهم.

لكن قبل أن يضغط دالي على الزناد، انطفأت جميع الأضواء، وتوقف طنين القاذف إثر انقطاع الطاقة عنه.

خلل في الدائرة الكهربائية؟ يا له من توقيت سيئ! مثل هذه الأعطال أدَّى التطور إلى انقراضها منذ أمد بعيد. لكن المباني الأثرية مثل هذه الكنيسة ما زالت متشبثة بتقنياتها البدائية.

قال دالي: «كل شيء على ما يرام، خلل بسيط. من فضلكم ابقوا في أماكنكم».

في أوقات كهذه كان يتمنى لو استعان بمساعدين، لكنه كان يمقت فكرة عدم فعل كل شيء بنفسه. خرج عبر الباب الخلفي ليتفقد المشكلة التقنية، فوجد أن أحد قواطع الدائرة الكهربائية قد خرجَ من مكانه. لكن عند عودته عبر باب الكنيسة الخشبي، لم يجد الزوجين، اختفيا.

موضوعه الفني تركه عند المذبح.

صاح: «هذا لا يمكن!».

نظر إلى الحشد الجالس خلف الزجاج المقاوم للحرارة، ما زالوا يضعون أقنعتهم، لكن سببهم الوحيد لوضعها هو أنهم جميعًا مرعوبون إلى درجة تمنعهم من كشف وجوههم.

سأل المنجل دالي الجمهور: «إلى أين ذهبا؟». معظمهم كانوا متسمِّرين خوفًا من غضبه فلم يحركوا ساكنًا، لكن قليلين أشاروا إلى مدخل الكنيسة المفتوح.

مواضيعه الفنية التي يريد قطفها تهرب من حين لآخر، ووفقًا لقوانين هيئة المناجل، يُعاقَبون بقطف بقية أفراد أسرهم معهم. التفت دالي إلى والدَي العروس، فرفعا يديهما كأنهما يقولان: «مَن يفهم الشباب؟».

اكفهرت نظرات دالي إليهما: «ابنتكما أنهت حياتكما اليوم، تعرفان هذا، أليس كذلك؟».

خفضا عينيهما وأومآ حزينين مُسلِّمين أمرهما. فكر دالي في إنجاز المهمة الآن، لكنه قرر أن الأفضل أن يفعلها في حضور الابنة، حالما يقبض عليها وعلى زوجها الجديد. يا للأنانية، يا للغباء! الزوجان تخليا عن المجد مقابل الخزي وبضع دقائق حياة.

التفت دالي إلى الجمهور. لم يكونوا يضحكون، لكنه سمع ضحكًا، صار موضع سخرية اليوم، أُفسِدت تحفته الفنية، أُجهِضت عملية قطفه البديعة.

قال للجمهور: «اذهبوا! اغربوا عن وجهي قبل أن أقطفكم جميعًا!».

لم يحتاجوا إلى دعوة ثانية، وخلت المقاعد في غضون ثوانٍ.

وحالما ذهبوا وصار وحده، أطلق العنان لغضبه، صرخ وأمسك بشمعدان ذي شعب متعددة ذائبة معلقة من حافة طاولة ككتلة من الأفاعي الفضية وألقاها بعيدًا، وركل قاذفه الحارق ففتحه وقذف كتل الفحم التي بداخله على زجاج النوافذ الملون، فحطم ما لم يذُب سلفًا.

ما حدث لم يكن عطلًا فنيًّا.

الكهرباء لم تنقطع وحدها، ثمة شخص خطط لهروب الزوجين، والمنجل دالي عرف من هو ذلك الشخص تحديدًا.

***

في قلب برشلونة، في تلال متنزه غويل المخضرَّة، كان يعيش منجلٌ اتخذ من كوخ الصيانة القديم في المتنزه منزلًا له، منجلٌ يرسم سماع اسمه الابتسامة على شفاه الناس.

وخلافًا للمنجل دالي، لم تكن عباءة هذا المنجل لافتة للأنظار، كانت رداءً صوفيًّا قديمًا، ملونة بألوان ترابية طبيعية. وعادة ما تكون عيناه العميقتان

المتأملتان بين صفحات كتاب من عصر الفانين، ويده تداعب لحيته الرمادية، فرغم أنه بوسعه اختيار أي سن، اختار وقار سن الستين، إذ يرى أن لا أحد يستحق أن يكون شابًّا أكثر من مرة، لا سيما المناجل. عندما لا يكون بالخارج ليؤدي خدمة القطف المقدسة، يُرى في حدائق متنزه غويل، يعتني بالزهور بصبر قديس. كثيرًا ما يقول: *الحب مطلوبٌ أوَّلًا*، وبعده *التكنيك*. كانت فلسفة مستمدة من تعاليم قدوته التاريخية.

لم يقطف أحدًا قط في مساحات متنزه غويل الشاسعة، جميع الناس يعرفون أن المتنزه ملاذ آمن لمن يزورونه، وهم كُثر. كان المنجل الموقر يسير بين الناس وهم يتنزهون، ويتأمل المنحوتات الفسيفسائية البديعة التي تزين المتنزه، أشكال حلزونية غريبة صممها قدوته التاريخية. وكان يبتسم للأطفال، ويبتسمون له، ثم يسألون آباءهم عن الرجل الغريب الذي سمح لنفسه بالشيخوخة، ويهمس الآباء: «ذلك هو المنجل غاودي». يهمسون دومًا.

لكن اليوم خرج المنجل غاودي في مهمة أبعدته عن المتنزه الأثير لديه.

كان يوجد كوخ صغير ناحية الغرب في المتنزه، مكان شهر عسل لزوجين متزوجين حديثًا، كان غاودي ينتظرهما في حديقة الورد الملحقة بالكوخ عندما وصلا، وكانا قلقَين، نظرا إلى الخلف فوق كتفيهما، إذ استشعرا شبحًا يطاردهما، لكن لم يتبعهما أحد. كان المنجل غاودي يعرف أن المنجل دالي لم يكلف نفسه عناء اكتشاف المكان الذي ينوي الزوجان الذهاب إليه بعد الزفاف، لأن دالي لم يرَ أن ذلك يهم، فالقطف يحول دون أي خطط مستقبلية.

قال غاودي مرحِّبًا بهما في الفناء: «تفضلا بالجلوس. لدي لكما فطائر تشورو وأفضل مشروب شوكولاتة في برشلونة كلها».

جلس الزوج الشاب قائلًا: «شكرًا لك جنابك».

قال غاودي: «أرجوكما خاطباني بأنتوني»، ثم ملأ بحذر كوبيهما بسائل حريري كثيف القوام.

أمسك الزوجان بأيدي بعضهما: «شكرًا لك على كل ما فعلته من أجلنا، على تحريرنا من العرض الفظيع الذي أعده المنجل دالي لنا».

تنهد غاودي وقال: «وددت لو أمنحكما حصانة، وعامًا من نعيم الزوجية، لكن القوانين تقيدنا. ما إن يقع الاختيار عليك للقطف، ما من خيار في الأمر. لكن ما من قانون يقول إن قطفكما يجب أن يكون عرضًا ترفيهيًّا».

سألت العروس: «كيف ستفعلها؟».

بدلًا من الرد، التقط غاودي وردة وناولها للعروس، وعلى الوردة كان يوجد عنكبوت صغير ينسج شبكة بين البتلات.

قال للزوجين: «اطمئنا بمعرفة أن كل شيء جزء من نمط متناسق أكبر، نمط جمال طبيعي أَسَر مخيِّلة جميع كبار المفكرين على مر العصور. إنه النمط الذي يجعل بتلات الورد تسُر النظر، ويجعل أصداف البحر بشكل حلزوني مثالي يمكِّن المرء من سماع تدفق الدماء، ويجعل كل عنكبوت حدائق يعرف كيفية نسج شباكه بتناسق».

وضعت الفتاة الوردة على الطاولة برفق وبدأت ترشف من كوب الشوكولاتة، ووجدتها مريحة ومهدئة مثل صوت غاودي.

تابع غاودي: «نِسب فيبوناتشي، إنه تناسق إلهي ظل موجودًا قبل دهور من ظهور الإنسان على الأرض».

قال العريس: «لكنك ما زلت لم تجب عن سؤالنا جنابك، كيف ستقطفنا؟».

ابتسم غاودي لهما متفهِّمًا وقال: «تم ذلك سلفًا».

خيم السكون لوهلة، ثم نظر الاثنان إلى الكوبين اللذين يحملانهما. لم يكن السم في الشوكولاتة، إنما مُسح بعناية على حواف الكوبين.

امتقع الزوجان، وارتعشت أيديهما، لكن ليس بسبب السم، إنما خوفهما. قال غاودي لهما: «لن تشعرا بألم. لكما أن تخلدا إلى فراش الزوجية، أكملا اتحادكما، وناما متعانقين. وفي الصباح، كل ما سيحدث هو أنكما لن تستيقظا».

وهكذا نهض الزوجان بأعين دامعة، وسارا إلى الداخل بيدين متشابكتين، وأغلقا الباب خلفهما.

لكن حالما أُغلِق الباب سقط أحد ألواح السقف القرميدية وتهشم على الباحة، وعندئذٍ هتفت امرأة من كوخ مجاور: «أنت! ماذا تفعلين على السقف! انزلي قبل أن تؤذي نفسك!».

انزلقت فتاة في السادسة عشرة على السقف فأسقطت لوحًا آخر، وتمكنت من الإمساك بحافة السقف مدة كافية لتفادي سقوط عنيف، وقفزت من مجرى تصريف مياه الأمطار إلى أجمات الورد، ثم خرجت منها تغطيها خدوش دامية بسبب الأشواك.

هرعت إليها المرأة البدينة من الكوخ المجاور، وكانت ترتدي مئزرًا ملطخًا بالدقيق.

صاحت المرأة: «ما خطبك؟! هل تحاولين التسبب في شموتك؟».

وعندئذٍ نظرت إلى غاودي، فارتسمت على وجهها الصدمة التي ترافق رؤية منجل فجأة: «جنابك! آسفة، لم أرك هنا». جاهدت في سبيل ثني ركبتيها حتى تساقطت بعض كتل العجين من مئزرها.

قال غاودي: «لا تخافي يا سيدتي، لستِ معرضة لخطر القطف اليوم». ثم التفت إلى الفتاة: «ظهورك مدهش اليوم يا بِنيلوبي، كدتِ أن تسببي أزمة قلبية لهذه المرأة المسكينة».

- سررت برؤيتك أيضًا عَمِّي أنتوني.
- إذن تبعتني إلى عملية قطفي مجددًا.

كعادتها كانت بنيلوبي ترتدي ملابس سوداء بالكامل، ورغم أن عينيها مكحلتان بخطوط حالكة السواد، ما من مقدار من كحل يمكن أن يعتم بريق تلكما العينين.

- عذرًا عمي أنتوني.
- الاعتذار لا يُقبَل إلَّا في المرة الأولى.

لكن المنجل غاودي تكلم بنبرة مرحة ولم يبدُ غاضبًا.

أدركت بينلوب ذلك، وابتسمت له ابتسامة عابثة، ثم التقطت قطعة تشورو من الطاولة وأكلتها.

- كيف تعرفين أنني لم أسمِّم التشورو؟

هزت بنيلوبي كتفيها وقالت بلا مبالاة: «إذا سممتها، فسأُنعَش عما قريب».

وعندئذٍ قفزت الخبازة نحو غاودي برشاقة مدهشة نظرًا إلى حجمها، وأمسكت بيده وقبَّلت خاتمه قبل أن يتمكن من إيقافها.

قالت: «شكرًا لك جنابك!». وهرعت عائدة إلى كوخها قبل أن يقول غاودي كلمة.

تنهد غاودي، وعبست بينلوبي قائلة: «هل ستتركها تنجو بفعلتها؟ بسرقة الحصانة منك؟».

هز غاودي كتفيه وقال: «لا يمكنني إلغاء الحصانة، كما إن كل ما نفعله سيرتد إلينا. أنا متأكد أن شيئًا ثمينًا سوف يُسرق منها ذات يوم، أيًّا يكن، وسوف تفتقده أكثر مما سأفتقد هذه الحصانة المسروقة».

قلبت بنيلوبي عينيها في محجريها إذ رأت كلام عمِّها مجرد ترهات فارغة. لكنها لم تكن كذلك، فهذه حقًّا رؤية غاودي للحياة، والموت.

استدارت بنيلوبي ونظرت إلى ستائر الكوخ المغلقة، وخلفها الزوجان الشابان يقضيان ساعاتهما الأخيرة. قالت: «أتساءل كثيرًا عما يحدث للمقطوفين بعدما يرحلون».

- هذا أمرٌ لا يعرفه أحد سوى الرأس السحابي، أو ربما لا يعرفه. يقول بعض الناس إن الأرواح تُحمَّل وتُحفظ مع الذكريات، لذا يواصل جزء منهم العيش في دماغ الرأس السحابي الخلفي. ويقول آخرون إن الموت مثل نوم قيلولة طويلة، لكن دون توقُّع الاستيقاظ.

- يُقال إن الموت ابن عم النوم.

- حسنًا، لا تدعيه يبقيك مستيقظة في الليل.

قبَّل غاودي مفرق شعرها الأسود الأشعث، وأحاطها بذراعه: «هيًّا، فلندع العروسين يحظيان بوقتهما معًا. وبما أن الموت يثير اهتمامك إلى هذه الدرجة، لكِ أن تحضري جنازتهما معي».

***

اندفع المنجل دالي نحو غاودي وهو يعمل بهدوء في حديقة أعشابه: «أعرف أنك الفاعل! لا تجرؤ على الإنكار!». تابع دالي موجِّهًا إصبع اتهام: «أفسدتَ تُحفتي الفنية».

واصل غاودي عنايته بحديقته قائلًا: «تبدو منزعجًا يا سلفادور، هل لي أن أقدم لك مشروب أعشاب مهدئة؟».

- هل تنكر أنك الفاعل؟

- لم أكن في أي مكان قريب من الكاتدرائية.

- لكن لديك متآمرين!

ناول غاودي دالي حزمة زهور بابونج صفراء قائلًا: «أوه، لا بد أنك تعني 'أصدقاء'. أعرف أن مفهوم الصداقة غريب عليك».

- لا تمارس الألاعيب معي يا أنتوني! بطريقة أو أخرى، كنت أنت المدبر، كما فعلتَ في المرة السابقة، والتي قبلها!

- حسنًا، في المرة *السابقة* أردتَ أن تُعدِم علنًا بالمقصلة سليلةَ إحدى العائلات الملكية القديمة في فرانكوآبريا، وضميري لم يدع لي خيارًا سوى إنهاء حياة الفتاة المسكينة قبل أن تجعل قطفها عرضًا ترفيهيًّا. وفي المرة التي قبلها، أردتَ إلقاء طيَّار من السقف وهو مكسو بريش ذهبي.

استعرَّ دالي: *«تلك كانت مفارقة درامية!»*.

تكلم غاودي دون أن يرفع صوته ولو قليلًا: «أجل، وكيف كانت مفارقة موته قبل أن تقذفه من السقف؟».

- من حقي أن أقطف كما يحلو لي!

لم يستطع غاودي إخفاء ابتسامة ماكرة من وجهه، وقال: «صحيح، لكن ما من قانون يمنعني من قطف أهدافك قبلك».

نظر دالي إلى الأعشاب التي في يده، كأنه يلاحظها لأول مرة، وقذفها على الأرض. اندفع مبتعدًا، لكنه ارتد عائدًا بسرعة.

- لن تفلت بفعلتك هذه! سأقدم شكواي في الخلوة!

ضحك غاودي: «وماذا تظن أنهم سيفعلون؟ هل سيفرضون رقابة علي لأنني أمنع تحوُّل واجب القطف المقدس إلى أضحوكة؟ لا أظن ذلك يا صديقي».

زمجر دالي مغتاظًا بشدة: «لستُ صديقك!».

قال غاودي: «حسنًا، كما قلت لك، إنك لا تستوعب مفهوم الصداقة، لكن فلتعلم فحسب أنني أعدُّك ضمن أصدقائي».

رد دالي بأن التقط معزقة مستندة إلى السياج، وقال: «سآخذ هذه إلى المكان الأشد ازدحامًا في المتنزه الأثير لديك، وسأستعملها لقطف من أشاء، سيكون قطفًا دمويًّا قبيحًا، سيدنِّس متنزه غويل إلى الأبد».

عاد المنجل غاودي إلى أعمال البستنة، وقال دون أي نبرة حُكم أو ضغينة: «افعل ما تشاء».

سار المنجل دالي مبتعدًا بخطوات واسعة، لكن حالما خرج من البوابة ألقى المعزقة على الأرض، بدا واضحًا أنه فقد شهيته للقطف.

طوال هذا الوقت، لم يلاحظ أيٌّ من المنجلين بينلوبي وهي تنظر من نافذة الكوخ المتواضع الذي يسميه غاودي منزله، وتشاهد كل ما جرى بين الاثنين.

***

كل فنان عظيم يتطور عبر مراحل، وتلك المراحل عينها هي التي تجعل المبدع ما هو عليه. نشأتُ في أسرة ليس لديها حب أو فهم للفن. قد ينظر والدي إلى زهور شمس فان غوخ، ويتساءل لماذا لا يزرع المرء الزهور الحقيقية ليستفيد منها في حياته الواقعية؟ وهكذا، كانت معاناتي مع كل ما هو عادي ومبتذل هي ما دفعتني إلى أسرتي الحقيقية، مُبدعي الزمن الغابر، أسلافي المبدعين الذين تحتل أعمالهم مكانة خاصة في متاحف العالم، دافنشي، وفيرمير، وأوكيف، وأونغ،

شغفهم بالإبداع هو ما يسري في عروقي، ويسيل من عروق الذين أقطفهم.

كان كل شيء مختلفًا في عصر الفانين. لم يكن الفن يفتقر إلى مصادر الإلهام، لأن الرهانات والمخاطر حقيقية دومًا، لم يكن يوجد رأس سحابي يُطعِم الفنان الجائع، ولا وحدات مجهرية تكبح رغبة المرء في الانتحار، كل ذلك الألم والمعاناة كانا يتحولان إلى شغف وجمال يتألقان في كل لوحة، مثلما تحوِّل الأرضُ القذارةَ إلى زهور شمس بديعة.

عبر القطف أحوِّل البؤس إلى تحف فنية. هذا كان وعدي لأسلافي المبدعين: اللون الوحيد على قماش لوحة حياتي سيكون لون الدماء القانية.

- من مذكرات المنجل المبجل دالي

***

راح دالي يذرع الشرفات والممرات العليا في لا ساغرادا فاميليا، وثوران غضبه يمكن استشعاره في جميع أنحاء الكاتدرائية العظيمة. ثم فكر مع نفسه: *ربما يجدر بي أن أقيم حفلًا لأحسِّن مزاجي*. كانت حفلاته تعج بالترف. في الماضي قبل أن يتخذ مسكنه هنا، كانت الكاتدرائية مصابة بوباء السياح دومًا، لكن الآن لا يُسمح بدخول أحد إلَّا بدعوة من دالي. كل ذوي الشأن في برشلونة يحضرون حفلاته، وكان يصطحب ضيوفه شخصيًّا في جولة حول الكاتدرائية، ويشاهدهم يتعجبون من أعمدة البازلت الشاهقة وأشكال الزجاج الملون الرائعة، ودائمًا ما تنتهي الجولة بالأسفل في السرداب، حيث يعرِّفهم بالمرقد الأخير لأنتوني غاودي، غاودي *الحقيقي*، متمنيًا سرًّا قدوم اليوم الذي يتكرَّم فيه *المنجل* غاودي بقطف نفسه، لسعِد دالي أيما سعادة بدفن الرجل الخسيس جوار قدوته التاريخية.

دالي نفسه قرر ألا يقطف نفسه أبدًا، ليس لأنه أحس بأن العالم يحتاج إليه، إنما لأنه في قرارة نفسه خشي أن تحتفل برشلونة برحيله بدلًا من أن تقيم حدادًا عليه. دالي كان مرهوبًا، وغاودي كان محبوبًا. وكان دالي يقول لنفسه: *على الأقل إنهم يحترمونني*. لكن الاحترام النابع من الخوف ليس مثل الاحترام النابع من الحب، الأول يرحل مع المرء إلى قبره، والثاني يتعاظم بعد رحيله. لذا فضَّل دالي عدم الرحيل أبدًا.

فترت حماسته إزاء إقامة حفل وهو ما زال يذرع المكان، لأنه عرف أن الذين يحضرون الحفل لا يأتون بدافع الحب، أو حتى بدافع الاحترام النابع من الخوف، بل يأتون للتفرج على الكاتدرائية، ويأتون أملًا في نيل حصانة من القطف، من الحصانات التي يمنحها بسخاء في حفلاته. يتملقونه لليلة واحدة، ثم يتحدثون عنه بالسوء عندما يعودون إلى منازلهم. لذا كثيرًا ما يتساءل دالي: *ماذا علي أن أفعل حتى يحبوني مثلما يحبون غاودي؟*

ثم خطرت له فكرة. ماذا لو فكر في عملية قطف تشارك في تنفيذها برشلونة بأكملها؟ أجل، أجل، عملية قطف لا يقتصر جمهورها على قِلَّة مدعوة، بل يشمل سكان المدينة كلها! هكذا سيظفر بقلوبهم ويبدد إذلال إخفاقه الأخير.

وفي أثناء تقليبه الفكرة في رأسه، بدأ غضبه على المنجل غاودي يُستبدل به حماسة الإبداع المألوفة لديه. هذه الفكرة الجديدة ستكون أعظم إبداعاته! سيكون أداءً يطوف عبر جميع شوارع المدينة، عملًا فنيًّا مُندثرًا أُعيد إلى الحياة وبوسع جميع الناس مشاهدته!

شرع دالي في وضع خطته، واستجلب مهندسين وميكانيكيين ونجارين وحرفيين، بتكليف منه بدأ أكثر من مئة شخص يعملون على التجهيز لفعالية قطف لم يحاول أحد أن ينفذ عملية مثلها قط، وفي كل مكان نشر أفرادًا مخلصين له من الحرس المنجلي ليحرص على عدم تخريب غاودي لعمله مجددًا.

***

وخلال أقل من شهر، شارفت تجهيزات دالي الكبيرة على الاكتمال. وهذا ما لا يمكن قوله عن منزله، الكاتدرائية اكتمل بناؤها رسميًّا في وقت قريب من نهاية عصر الفانين، لكن في الواقع لم يكتمل البناء قط، دائمًا ما يوجد فريق عمَّالٍ ما يعمل في الكاتدرائية، فريق ترميم هنا، وطاقم تنظيف هناك، وبنَّاؤون بالحجارة في مكان آخر. وكان العمال بارعين في الغياب عن الأنظار عندما يكون دالي حاضرًا، لذا نادرًا ما يراهم. لكن اليوم ظهرت فتاة مراهقة تعمل وحدها في مبنى الكاتدرائية الرئيسي، كانت قد تسلقت سلم الصيانة الحلزوني إلى الطابق الأوسط، ووقفت على الجانب الخطأ من الحاجز، تتحسس حافة مزينة بفرشاة رسم، دون أن تبدو مكترثة بأنها إذا زلت قدمها فستسقط وتقضي يومًا أو يومين في مركز إنعاش. تجاسرت على الصفير لنفسها، والصفير من الأصوات التي لا يطيقها المنجل دالي، إذ يتردد صداه بين الجدران كصوت غلاية شاي.

وعلاوة على ذلك، بدا مظهر الفتاة متنافرًا تنافرًا مروعًا مع سمات الكاتدرائية الجمالية، كانت ترتدي ملابس سوداء بالكامل، في تطاول صارخ على طبيعة الكاتدرائية الغنية بالألوان. سار دالي نحو الفتاة على الجانب الصحيح من الحاجز. لكن الفتاة، بدلًا من إبداء التبجيل للمنجل، تظاهرت بأنها لم تلاحظه، وعرف دالي أنه تظاهر لأنه لمح حركة في عينيها عندما دخل مجال رؤيتها.

أمرها دالي: «كُفِّي عن هذا الصفير الشيطاني، وإلَّا لأبلغت رئيسك بامتعاضي».

أخيرًا نظرت إليه، لكن سرعان ما عادت إلى عملها، وقالت: «لا صفير. فهمت. ماذا عن الدندنة؟ هل تمانع الدندنة؟».

- لا تصدري صوتًا من أي نوع. وعندما تخاطبين منجلًا ينبغي لك إنهاء كلامك بـ 'جنابك'.

- فهمت.

- فهمت *جنابك*.

- أجل. سأراعي ذلك المرة التالية.

- *تلك* كانت المرة التالية.

مكتبة
t.me/soramnqraa

وهذه المرة لم ترد الفتاة، واكتفت بإيماءة. أقر دالي مع نفسه بأنه تفاجأ، لم يحدث قط أن عامله أحد بمثل هذه الصفاقة الفجَّة.

قال: «لا تنسي أنني مبعوث الموت، امتعاضي ستكون نهايته وخيمة عليك».

رفعت ذقنها قليلًا، فأوحت بكبريائها، وربما شيء من التحدي. قالت: «*"عليك أن تقتل دون تحيُّز أو مغالاة أو ضغينة مُبيَّتة"*». متجاسرة على اقتباس الوصية الثانية من وصايا المنجل: «أنا متأكدة أن قطفك لشخص لأنك تراه مزعجًا يُعد تحيُّزًا».

اكفهر وجه دالي. «لم يُعاقَب منجلٌ قط لأنه قطف شخصًا مزعجًا».

- إذن فأنتم لا تلتزمون بوصاياكم، أليس كذلك؟

حملقت إليه بعينيها النفَّاذتين.

قال دالي: «كفى! إنك مطرودة، مما يعني أنك من هذه اللحظة تتعدِّين على ممتلكاتي، غادري الآن».

جادلت: «المناجل لا يحق لهم امتلاك أي شيء، فكيف أتعدَّى على ممتلكاتك؟ سماح المجتمع لك بوضع يدك على هذه الكاتدرائية لا يعني أنك تمتلكها، تمامًا مثلما لا يمتلك عمي الكوخ الذي يضع يده عليه». ثم انسلت إلى الأسفل عبر السقالات بمهارة قِطة واختفت.

وبعدما ذهبت تمكن دالي من استنتاج هوية عم هذه الفتاة الوقحة.

***

لم تكن توجد أشياء كثيرة تخيف بنيلوبي. وعندما لا يخاف المرء الموت، لا يقيم وزنًا لشيء. لم يكن يطرف لها جفن أمام الأفاعي ولا العناكب ولا الظلام ولا الأماكن المهجورة، لا شيء. لكن هذا لا يعني أنها لم تكن كباقي البشر، كان لديها خوف غريزي واحد: خوف المجهول. لذا كانت تمارس الألاعيب مع نفسها، فتتحرش بذلك الخوف، لتحس بالكورتيزول يتدفق في عروقها، ولهذا تجرأت على إغضاب المنجل المتقلب دالي، ولهذا كانت تهيم وحدها عبر طرقات الجزء القديم من المدينة في الليل، وهو مكان ما زال يضم بين جدرانه ثقافةً وتاريخًا، حيث توجد وراء كل ثقب رصاصة قصة سرية، والشرفات المضاءة بالفوانيس لم يطرأ عليها تغيير كبير منذ أيام الفانين، وحيث توجد

قطع أثرية عتيقة اسمها الأقراص المُدمجة ما زالت معلقة على النوافذ في محاولة بدائية لإبعاد الحمام. كان المكان ينقل بنيلوبي إلى زمن مختلف كليًّا، وكانت والدتها تقول للناس إن ابنتها تحب الأشياء القديمة فحسب، لكن كل من عرف بنيلوبي فهِم أن ولعها بالماضي أقرب إلى فعل احتجاج على الحاضر، والمستقبل، الذي يعِد بأن يكون مثل الحاضر.

في أثناء تجولها في الشوارع القديمة في تلك الليلة، عرفت أن شخصًا يتبعها، ربما يكون مستهجنًا يسعى إلى التظاهر بمضايقتها، لأن التظاهر بالخروج عن القانون هو أقصى ما يستطيعون فعله، الرأس السحابي لن يسمح أبدًا لأي شخص بأن يتبعها وهو يضمر نية خبيثة حقيقية. لكن كونها ابنة أخ منجل يجذب إلى مدار حياتها أشياء غريبة من حين لآخر، شبابًا يأملون أن ينالوا حظوة عمها بتلميحات رومانسية تجاهها، وصحفيين يبحثون عن منظور جديد لقصةٍ ما. لكن من أجل تسليتها، حوَّلت بنيلوبي تعرضها للمراقبة الآن إلى جزء من إحدى ألاعيبها، فتخيلت وحشًا من قصص عصر الفانين يترصدها، متلوِّيًا في الظلام، متربصًا بوجبته التالية.

الخوف! والقلق غير العقلاني! سمحت لنفسها بالاستغراق فيهما، محاوِلةً إطالة اللحظات إلى درجة لن تسمح بها وحداتها المجهرية. يا لبهجة إحساسها بتسارع نبضات قلبها!

أيًّا كان مَن -أو ما- يتربَّص بها، فقد ارتكب بضعة أخطاء مؤثرة، ركلة لحصاة هنا، وظِل يسقط على مصباح شارع. كل ذلك زاد من حماستها.

انعطفت عند زاوية شارع وانسلَّت مختبئة في مدخل باب، وانتظرت مرور مُلاحِقها، حتى تقلب الطاولة عليه. وعندما رأته ابتسمت ابتسامة قاتمة. كان ينبغي أن تعرف!

قفزت من مدخل الباب فجأة فجعلته يجفل، وقالت: «المنجل دالي، يا لها من مفاجأة! هل أنت أيضًا تحب المدينة القديمة؟ أم إنك تحب ملاحقة الفتيات؟».

ارتبك قليلًا من تلميحها ثم قال: «قطعًا لا! فتاة واحدة تحديدًا، دون أي نيَّات غير لائقة».

سألته بنيلوبي: «إذن ما هي نياتك 'اللائقة'؟». ثم أردفت: «جنابك»، بنبرة جعلت الكلمة تبدو كإهانة أكثر من كونها تعبيرًا عن الاحترام.

- شعرتُ بالفضول، أردت التأكد من شكوكي في أنك إحدى أقارب المنجل المبجل غاودي.
- كان بوسعك أن تسأل ببساطة.
- ولهذا تبعتك. لأسأل.

أخبرته بنيلوبي: «أنا ابنة أخيه».

رفع دالي يده ملوحًا بخاتمه، وقال: «لكن خاتمي لا يتوهج باللون الأحمر في حضورك. إذا كنتِ أنت ابنة أخيه، فلا بد أن تكون لديك حصانة من القطف ما دام هو على قيد الحياة».

تنهدت بنيلوبي وقالت: «حسنًا، لست ابنة أخيه في الحقيقة، أبي وأنتوني كانا صديقَي طفولة، لكن أبي قُطِف العام الماضي في رحلة عمل إلى وسطمريكا، مع جميع من كانوا على متن الطائرة».

تأفف دالي إثر سماع ذلك: «أجل، سمعت بذلك. قطف أخرق. مناجل أمريكا يتّسمون بالجلافة في عمليات قطفهم».

- على أي حال، ما إن فرغت أمي من الحزن وما إلى ذلك، قررت استعادة شبابها، والآن عادت إلى سن الحادية والعشرين، وذهبت إلى جزر سيشل بحثًا عن الحب. لذا عرض عمي أنتوني أن يتولى رعايتي.
- أمر شائق. لكن أخبريني، كيف دخلتِ إلى منزلي؟ تحققت من رئيس العمال، وأنت لم تكوني ضمن فريقه قط.

هزت نيلوب كتفيها: «ثمة طرائق عديدة للدخول إلى لا ساغرادا فاميليا لكل بارع في التسلق».

- أجل، لكن لماذا؟

ابتسمت بنيلوبي: «لأرى إذا كان بمقدوري».

- ثم حاولتِ إغضابي...

ابتسمت مرة أخرى: «لأرى إذا كان بمقدوري».

قال دالي: «حسنًا، لقد نجحت في الاثنين». وارتعش شاربه المعقوف ارتعاشة طفيفة.

نظر إليها هنيهة بصمت، ولم تستطع بنيلوبي تبيُّن ما إذا كان مرتابًا منها أم يشعر بالفضول، ربما قليلًا من الاثنين.

- لي أن أتهمك بالتجسس لصالح عمك.
- ستكون مخطئًا. ليست لديه فكرة أنني ذهبت إلى لا ساغرادا فاميليا، لثار غضبًا إذا عرف.
- ألا تنسجمان معًا؟

هزت بنيلوبي كتفيها وقالت: «لا يسمح لي بمشاهدة عمليات قطفه أبدًا، ظننتُ أنك ربما تسمح لي».

قال دالي: «آه، الآن فهمت».

ومن عباءته أخرج إبرة وبحركة واحدة غرزها في عنق بنيلوبي، فتشوشت أفكارها وغام بصرها فورًا، خارت ساقاها، وأمسك دالي بها قبل سقوطها.

قالت ووعيها يتلاشى: «قلتَ... إنك ليست لديك... نيات غير لائقة».

فرد دالي: «من حق المنجل أن يكذب».

***

لا أمنح أحدًا الحصانة هِبةً مني.

أمضي وقتي بحرية مع زوار متنزه غويل، لكنني لم أمد خاتمي إليهم حتى يقبِّلوه، لا أمنح أحدًا حصانة إلَّا للذين أُمِرت بمنحهم إياها، أسر الذين أقطفهم. من حين لآخر تؤخذ الحصانة مني، دون إذني، لكنني لا أضمر ضغينة ضد الذين يمسكون بخاتمي ويقبِّلونه، لأن في تلك الحالات الحصانة اختيارهم هم لا اختياري.

لطالما كانت لدى البشر قدرة ونزعة سلب الحياة، لكنني أرى أن منحهم رخصة تحميهم من الموت أمر ينم عن غرور لا أطيقه. المناجل الآخرون ربما يحبون إظهار أنفسهم مُخلِّصين، وهكذا يُرضون غرورهم، لكنني قررت عدم الانضمام إليهم. والمفارقة هي أن رفضي منح الحصانة تكرُّمًا أدى إلى مزيد من حب الناس لي.

وهذا لا يعني أنني ليس لدي في حياتي من أود لهم أن يكونوا محصنين من الموت، لكن منحهم الحصانة سيكون أشبه بأداء دور الإله. الرأس السحابي، بحكمته، اختار ألّا يؤدي دور الإله، رغم اضطلاعه بمهام شبيهة بمهام الإله. أقل ما يمكنني فعله هو الاقتداء به.

- من مذكرات المنجل المبجل غاودي

***

خلافًا للمنجل غاودي، لم يكن المنجل دالي يرى غضاضة في منح الحصانة تكرُّمًا. أليس من النبل أن تسعى الشخصيات المقدسة إلى خلاص الناس؟ وأليس المناجل أقرب أناس إلى الشخصيات المقدسة في عالم عصر الخالدين؟

كما كان المنجل دالي يرى أن عمليات القطف لا تحتاج إلى تعبير فني فحسب، بل وعنصر احترام مقدس أيضًا. في الليلة السابقة للقطف يقدم لأهدافه أفخم وجبة تناولوها في حيواتهم، كجزء من ذلك الاحترام، كإيماءة من عصر الخالدين لعادة إطعام الجلاد للمحكوم عليه بالإعدام قبل أخذه إلى المشنقة أو الكرسي الكهربائي أو أي وسيلة موت تفتّقت عنها أذهان الفانين. أراد دالي لأهدافه المختارين أن يشعروا بأن حياتهم اكتملت، ولم يوضع لها حد فحسب، أراد لهم أن يكونوا مرتاحين، إلّا إذا كانت عملية قطفهم تستلزم شيئًا من المعاناة.

وبما أن تقديم الوجبات الأخيرة من تقاليده الثابتة، كانت لدى دالي طاولة خشبية ضخمة موضوعة عند نهاية الممر المركزي في لا ساغرادا فاميليا، وقد بُسِطت عليها وليمة فاخرة.

تحقق ليتأكد أن بنيلوبي مقيدة كما ينبغي إلى كرسيها، ليرى أن قيودها مرتخية بما يكفي لتمكنها من إطعام نفسها، ومشدودة بما يكفي لضمان عدم هروبها. ثم أيقظها.

وحالما استيقظت بنيلوبي تمامًا، قال دالي: «مرحبًا بك في عشائك الأخير». وأشار بتكلُّف إلى المائدة المترفة: «جامون سيرَّانو، لحم مقدد. إسكيشادا، سلطة مع لحم سمك مملح. نقانق بوتِفارًا... جميع الأطباق المفضلة لدي».

تنحنحت بنيلوبي وتكلمت بشراسة شخص لم يُوقظ من التخدير للتو: «المفضلة *لديك*؟ ألا ينبغي أن تكون المفضلة لدي *أنا*؟».

- حسنًا، أجل، لكنني لم أكن أعرف المفضلة لديك، فاعتمدتُ تفضيلاتي.

شاهد دالي بنيلوبي وهي تستوعب حقيقة وضعها. عادة ما يصرخ أهدافه في مثل هذه اللحظات، ويبكون، ويتوسلون الإبقاء على حيواتهم، ينهارون كسائر البشر.

لكن بنيلوبي لم يبدر منها أيٌّ من ذلك.

بل كادت أن تبتسم.

- إذن هذه هي الوجبة الأخيرة التي سمعت عنها.

رغم أن صوتها تهدج قليلًا من الخوف، بدت عيناها كأنهما تتوهجان، كأنهما تستمدان متعةً من كرْبها.

قهقه دالي قهقهة يعوزها المرح، فتضايق لأنه أراد الاستمتاع بعملية القطف هذه. قال: «صحيح، وقطفك سيكون واسطة العقد في تُحفتي الفنية العظمى». ثم وجد دالي نفسه يسترسل في خطبته النموذجية التي يلقيها على جميع الذين يهم بقطفهم: «أعرف أن هذا ربما يصعب عليك سماعه، لكن الرحيل لا يعني أن حياتك ستنتهي، كلا، إنني أقدم لك فرصة للخلود، فيتذكرك الناس إلى الأبد، بترسيخ وجودك في ذاكرة الأبدية».

فضحكت بنيلوبي وقالت: «غطرستك لا تعرف حدودًا! '*ذاكرة الأبدية*؟' يا لسُخف تُرَّهاتك!».

بوغت دالي. يا للوقاحة! لقد قطف أناسًا لأسباب أتفه من هذا. لكنه تمالك نفسه، قرر قطف الفتاة سلفًا، فما الذي يمكنه أن يفعله بها؟ ما من عواقب أسوأ قد تطال الفتاة إذا عبَّرت عن كل ما يجول في ذهنها، وقد عرفت هذا. كاد دالي أن يعجب بجرأتها.

لا، لا يمكن أن ينهي حياتها غضبًا من وقاحتها، لأن قطفها هنا، عند المائدة، سيفسد كل شيء. قبل يوم كان ما زال يحاول إيجاد هدف القطف المناسب لعمله الفني العظيم، ثم ظهر له الهدف المثالي أمامه هنا في الكاتدرائية. أكثر من مثالي! كانت بنيلوبي، على عدة مستويات، الوحيدة التي تستوفي متطلبات الدور.

قال دالي لها: «وُلِدتِ من أجل هذا».

ردت: «وسأموت من أجله. عمي أنتوني لن يكون سعيدًا».

فابتسم دالي ببهجة حقيقية، وقال: «هذا هو أروع ما في الأمر!».

***

قُرر أن تنام بنيلوبي في غرفة أعلى برج عند جناح الكاتدرائية الشرقي. تخيلت نفسها أميرة محبوسة في قلعة، يعتني بها خدم وتتمرغ في الرفاهية. لكن ذلك كان أبعد ما يكون عن الحقيقة، حالما جُلِبت إلى الغرفة تُركت وحدها مع أفكارها. وقد أخذ دالي على نفسه اختيار الفستان الذي سترتديه في اليوم التالي، يوم قطفها، وعلَّق الفستان في الغرفة بخطاف على الجدار، فستان باللونين الأسود والبنفسجي، ألوان الحِداد.

ستُقطف. إحساسها إثر تفكيرها بما سيحدث لها ذكَّرها بطفولتها، عندما كان والدها يديرها حول نفسها وهي جالسة على أرجوحة من إطار سيارة وحبل، إحساس البهجة والنشوة، إلى أن حل الغثيان محله وتقيأت أحشاءها.

هكذا بدأ ولع بنيلوبي بالرعب، بذكرياتها المبكرة عن سلوكها الجامح الباحث عن الإثارة. وعندما تقدمت في صفوفها المدرسية، صارت تتسلق برج الجرس وتعلن بدء الدروس يدويًّا، فتثير حفيظة المدير. لطالما كانت هذه طريقتها، لا بد أن تضفي رائحة الخطر على كل شيء. وُسِمت مستهجنة مرتين، لكن وسمها لم يدُم أكثر من بضعة أشهر، طريق آخر محفوف بالمخاطر كان يروقها السير فيه.

افترضت بنيلوبي، وهي وحدها بغرفة على قمة برج، أن هذا هو سبب قدرتها على احتمال فكرة موتها، بطريقةٍ ما ظلت تستعد له طوال حياتها.

قريبًا من منتصف الليل سمعت طرقًا على الباب، ثم أطل المنجل دالي برأسه، وعلى وجهه تلك النظرة البغيضة كأنه اشتم للتو شيئًا نتنًا.

سألته بنيلوبي: «ماذا تريد؟».

- من عاداتي أن أحرص على راحتك في ليلتك الأخيرة.

اعتدلت جالسة وقالت: «مرتاحة كما يمكن للمرء أن يرتاح في الليلة الأخيرة من حياته. لك أن تغادر الآن».

لكن دالي لبث واقفًا.

قال: «لا يسعني سوى الإحساس بأنكِ أردتِ هذا. أتمنى معرفة السبب. هل وحداتك المجهرية التي تطلق الأندروفين لديك منخفضة؟ بإمكان الرأس السحابي ضبطها بالطبع».

رغم أن بنيلوبي لم ترغب في أي حديث معه، حاولت أن تجيبه بصدق: «السبب ليس رغبتي في التعرض للقطف... لكنني فضولية، ولطالما كنت فضولية».

- فضولك يدفعك لمعرفة كيف هو إحساس الموت؟

هزت رأسها: «تعرضت للشموت من قبل، لكنه ليس الأمر نفسه، إنه مؤقت. الشميت لن يبلغ أبدًا تلك اللحظة التي تتجاوز الزمن».

- ماذا لو لم توجد تلك اللحظة؟

- هذا ما أريد اكتشافه.

عبس دالي، لكن عبوس وجهه جعله يبدو مستغرقًا في التفكير، وقال: «لا يمكننا معرفة الأشياء التي لا يمكننا معرفتها».

- هذه ليست إجابة.

- حسنًا، سأوصلك إلى إجابتك غدًا.

لكن حتى في أثناء كلامه لم يبد مستمتعًا بما سيفعله. جلس على كرسي فيما يفترض أن يكون ركنًا إذا لم تكن الغرفة الصغيرة دائرية. وقال: «كانت لدي ابنة قبل وقت طويل».

- ظننت أن المناجل لا ينجبون أطفالًا.

«كان ذلك قبل تتلمذي. عندما كانت في الثامنة من عمرها، أنا وزوجتي اصطحبناها في نزهة إلى أستورياس» ابتسم وهو يتذكر. «بينا سيتاس، غابة جميلة، كانت المناظر الجبلية المطلة على المحيط خلابة. لكن هبت عاصفة، وعندئذٍ كان الرأس السحابي ما يزال يتعلم كيفية التأثير في الطقس».

لم ينظر دالي إلى بنيلوبي وهو يروي حكايته، فعرفت بنيلوبي أن الحكاية نهايتها ليست سعيدة.

تنحنح وتابع: «البرق يأتي قبل العاصفة، أكنت تعرفين هذا؟ كان موسمًا جافًا، وعندما ضرب البرق، بدأ جانب التل يشتعل، وفي غضون دقائق أحاطت

بنا النيران. ركضنا عائدين من حيث أتينا، لكن الطريق التف فجأة، ووجدنا أنفسنا نركض نحو النيران، ثم تغير اتجاه الرياح، واكتنفنا الدخان».

صمت، وانتظرت بنيلوبي، مدركة أن عليها ألا تسأل عما حدث لاحقًا. وفي الحقيقة لم تكن متأكدة من رغبتها في المعرفة.

قال دالي: «النار من الأشياء القليلة التي يمكنها إنهاؤك تمامًا، دون مساعدة من منجل. الموت بالنار كان نادرًا حتى في ذلك الوقت، وأندر الآن، لكنه يحدث. استيقظتُ في مركز إنعاش، وقد استغرق إنعاشي ثمانية أيام. أما زوجتي وابنتي...» هز رأسه: «ظلت المُسيَّرات تحاول إخراج جثتيهما، لكن النيران ألحقت أضرارًا بالغة بجثتيهما، ولم يتمكن الرأس السحابي من استعادتهما إلَّا بعد تضررهما إلى درجة تعذُّر إنعاشهما».

قالت بنيلوبي: «يؤسفني ذلك». لكن دالي كان شاردًا فلم يسمعها، مستغرقًا في دوامة الذكريات المريرة.

«أظلم عالمي، وسمح الرأس السحابي لي بتخفيض مفعول وحداتي المجهرية حتى أحزن عليهما، لكن ذلك لم يكن كافيًا. كلما أحسست بالألم، احتجت إلى الإحساس بمزيد منه. ومثلكِ كنت أتوق بكل روحي إلى معرفة مكانهما، وتجربتهما على الجانب الآخر من حجاب الموت القاتم» قهقه بمرارة. «في مرحلةٍ ما اقترح الرأس السحابي علي استبدال ذكرياتي، حتى أصبح شخصًا مختلفًا، لكن لا، إذا فعلت ذلك، فلن يوجد أحد يحزن عليهما، لن يوجد أحد يتذكر الحياة التي عاشتاها. وعندئذٍ قابلت المنجل ميرو، لا بد أنه رأى قيمةً في معاناتي فجعله يتخذني تلميذًا. كنت في الثامنة والعشرين، أكبر بسنوات من باقي المتتلمذين. لكنني قبلت المهمة، وتدفق نهر حياتي في هذا الاتجاه الجديد. لا يمر يوم دون أن أفكر بهما. لكن بدلًا من الانضمام إليهما، اخترت إرسال آخرين إليهما، حتى لا تكونا وحدهما» أطرق، ثم أردف. «ولأنني جبان».

ذُهلت بنيلوبي من حقيقة أن دالي، خلف ظاهره المتعجرف، إنسان حقيقي لديه مشاعر صادقة. وتساءلت عما إذا كان عمها يعرف هذه القصة.

قالت: «إذا كان من الجُبن أن نعيش، فالعالم بأكمله جبان».

انتشل دالي نفسه من أعماق ذكرياته، وحملق إليها غاضبًا، كأنها المسؤولة عن فقدانه زوجته وابنته. قال لها: «لم أسرد لك هذه القصة إلَّا لأوضح لك أنني أفهم هوسك الغريب بما يوجد بعد الموت».

قالت له: «لن أخبر أحدًا».

هبَّ واقفًا بحزم، مستجمعًا شتات نفسه، وقال: «لن تخبري أحدًا بالطبع، ستُقطفين قبل أن تسنح لك الفرصة».

ثم اندفع خارجًا وعباءته ترفرف خلفه.

***

أُعلِن عن الفعالية إعلانًا مكثفًا. بدأت الحشود تتوافد من قبل الفجر. نُصبت المتاريس ونُشرت كتيبة من الحرس المنجلي للحرص على أن يتمكن المتفرجون من المشاهدة، لكن لا يتدخلون في العمل الدقيق الذي سيتنقَّل عبر المدينة. جعْل الفعالية عامة يراها كل الناس كان أيضًا تأمينًا ضد غاودي، إذ لن يجرؤ على إحراج نفسه بإظهار عداوتهما أمام عامة الناس، وبحلول الوقت الذي يكتشف فيه أن غاليته بنيلوبي هي من ستُقطف، سيكون الأوان قد فات.

عمل دالي بجد على تفاصيل الفعالية قبل أسابيع من اختياره بنيلوبي هدفًا له، وضع نظامًا معقدًا بهندسة دقيقة بالمليمتر، حالما تبدأ، ستواصل عملها كقطع دومينو متساقطة في سلسلة ردود أفعال مميتة.

ستبدأ الفعالية في ساحة إسبانيا، حيث توجد نسخة من برج ساعة ريلوتغي مصنوعة كلها من الجليد وسيزاح الستار عنه عند الفجر، ثم سيذوب برج الساعة إثر صعود الشمس، ويملأ دلوًا...

...فيُطلِق تمثالًا بلا رأس معلقًا بسلك في الهواء، ويحلق فوق الشوارع كشبح، نحو نافورة مونتجويك السحرية...

...حيث يضرب ذراعًا، فتطلِق جرذًا في متاهة...

...وقطعة الجبن في نهاية المتاهة موضوعة على ميزان مستوي الكفَّتين...

...عندما يبلغه الجرذ تميل إحدى الكفتين فتتدحرج كرة جرانيتية ثقيلة...

وهكذا، تفضي كل حركة إلى التي تليها أمام جميع المشاهدين، فينشأ موكب ميكانيكي يطوف متعرجًا في شوارع المدينة، وينتهي به المطاف في

لا ساغرادا فاميليا. وهناك في قمة برج الكاتدرائية المركزي، ستلاقي هدف القطف حتفها.

***

استيقظت بنيلوبي فرأت دالي واقفًا فوقها، وعلى وجهه ابتسامة بدت مرسومة.

- صباح الخير! ها قد بدأ يومكِ العظيم!

كان الوقت ما يزال قبل الفجر بمدة. لكن فيم يهم هذا؟ فقد نامت بنيلوبي بالكاد. قالت: «تقول ذلك كأنه يوم عيد ميلادي وليس... العكس».

أشار دالي إلى الفستان المعلق على الجدار: «سترتدين فستان الحِداد، مع غطاء الوجه. ستشهدين معي افتتاح الاحتفالات وبدء تشغيل الآلة العظيمة، ثم سنعود إلى الكاتدرائية من أجل الختام».

- وإذا لم أتعاون معك؟

تحولت ابتسامة دالي إلى شيء قاتم: «تعرفين القانون. إذا قاومتِ قطفك، فلن أكتفي بقطفك وحدك، بل وأسرتك أيضًا، مما يعني أن محطتي التالية ستكون جزر سيشل، حيث سأزور والدتك».

عضت بنيلوبي شفتها. ربما كانت منزعجة من قرارات والدتها في حياتها، لكنها ما كانت لتُطلِق عليها منجلًا. قالت لدالي: «اخرج»، واستمتعت بلحظة توجيه أمر إلى منجل: «اخرج حتى أرتدي الفستان».

***

تجمع حشد في ساحة إسبانيا وعند بزوغ الفجر شاهدوا المنجل دالي وهو يتسلق السقالة إلى البرج الغامض المغطى، وكانت ترافقه امرأة مغطاة الوجه ترتدي فستانًا باللونين الأسود والبنفسجي، ألوان الستار نفسه الذي يغطي البرج من أعلاه إلى قاعدته. ثم عندما بدأت الشمس تسطع فوق أسقف المنازل، جذب دالي حبلًا، فسقط الستار كاشفًا عن برج ساعة مصنوع بكامله من الجليد. همهم الحشد، وأشاروا بأيديهم، مبهورين بالمشهد.

كان هناك طفلان تمكنا من التسلل متجاوزين المتاريس والاختباء على الجانب الظليل من السقالات، لامسا الجليد بلسانيهما، وضحكا، وأسكتا بعضهما. من مخبئهما لم يريا المنجل دالي ورفيقته، لكنهما سمعا كلامهما.

قالت المرأة الشابة: «هل يفترض أن يثير كل هذا إعجابي؟ لا أظن».

رد دالي: «لا أكترث بإثارة إعجابك، ما دامت الحشود بالأسفل معجبة بما تراه».

إذا كان الطفلان بالأسفل يمكن أن يُعدَّا دليلًا، فقد حقق دالي هدفه. عندئذٍ لم يكن أحد يفعل شيئًا سوى الانتظار، والترقب، في أثناء فقدان البرج لحوافه الحادة، وبدء ذوبان الساعة، ثم امتلاء الدلو بالماء الذائب.

***

حالما حلَّق التمثال مقطوع الرأس قرابة نصف كيلومتر، وتحرك الجرذ داخل المتاهة نحو قطعة الجبن، تحرك دالي وبنيلوبي عائدين إلى الكاتدرائية، وطوال الوقت ظل دالي يشاهد سير العملية عبر جهازه اللوحي.

- ستصل الآلة حالًا إلى الشاطئ، ثم إلى شارع لا رامبلا، وتنعطف يمينًا عند ساحة كاتالونيا، ثم تسلك مسارًا متعرجًا لتعود إلى الكاتدرائية بحلول الساعة التاسعة، تلك هي ساعة قطفك يا طفلتي.

لزمت بنيلوبي الصمت. استنفدت جميع كلماتها الساخرة وردودها اللاذعة. لاذت بالصمت خلف خمارها، وبدا أن صمتها أزعج دالي. بدأت تتساءل عما إذا كان قد أمرها بوضع الخمار من أجله هو، حتى لا يضطر إلى رؤية وجهها طوال مدة محنتها.

رأى دالي أن يبدد الصمت بالهذر: «حماسة الجمهور كانت رائعة. أترين؟ إنهم يحبونني الآن كما يحبون عملك».

لا بد أنه سمع الشك في صمتها، إذ اتخذ موقفًا دفاعيًّا فورًا: «تظنين أنهم لا يحبونني؟ كيف يمكن أن يُقدَّم عرض مسلٍّ رائع كهذا لسكان المدينة دون أن يحتفوا بمبدع العرض؟».

هذه المرة لم تستطع بنيلوبي إمساك لسانها: «العروض المسلية لا تُكسِبك الحب، وقطعًا لا تُكسِبك الاحترام».

لم يجد دالي ردًّا على ذلك، فوجَّه نقمته إلى السائق، الذي كان من أفراد الحرس المنجلي وعلى الأرجح اعتاد إساءات دالي اللفظية. وبخه دالي: «هل

ستسبقنا الحلزونات؟ شغِّل السائق الآلي إذا لم تستطع أن تجد لنا مسارًا أسرع».

- متاريسك تسببت في اختناق مروري في المدينة بأكملها جنابك، عليك بالصبر.

فضحكت بنيلوبي رغمًا عن نفسها.

تكدَّر دالي قليلًا، وقال لها: «إذن تظنينني طفلًا مدللًا، أليس كذلك؟ أحتاج إلى الإرضاء الفوري دومًا، أليس كذلك؟».

- لم أقل شيئًا.

- ليس من الضروري أن تتكلمي حتى أفهم ما يدور في رأسك.

- لماذا يهمك رأيي في أي شيء وأنا سأرحل قبل انقضاء الصباح؟

حرك دالي كتفيه متضايقًا: «رغم ذلك، لا أريدك أن تأخذي عني انطباعًا سيئًا».

ضحكت مجددًا: «ستسلب حياتي، فكيف لا آخذ عنك أي انطباع غير سيئ؟».

ثم خطر أمرٌ لبنيلوبي. عرفت أنه حقيقة دون أن تسأل، لكنها سألته لترى ردة فعله: «أذكِّركَ بها؟ أليس كذلك؟ أذكِّرك بابنتك».

زم دالي شفتيه، ولوح بيده متصنِّعًا الاستخفاف بالفكرة: «كانت في الثامنة فحسب، ولا تشبهك في شيء».

- قوية الإرادة... كثيرة الأسئلة محبة للاستطلاع. ربما ترى فيَّ ما كانت لتصبح عليه.

- *لا تنطقي بكلمة أخرى، وإلَّا فسأقطفك حيث تقفين الآن!*

فردت بنيلوبي بهدوء: «إننا في سيارة، وأنا جالسة».

تجهَّم دالي وتضاعفت مرارته: «اليوم سيبكي عمك العزيز كما لم يبكِ قط، وسيعرف أخيرًا أنني رجل لا ينبغي العبث معه».

- بما أنني سأقطَف بدافع الضغينة، على الأقل اسمح لي بإظهار وجهي من أجل كرامتي.

- سأسمح لك يا طفلتي. عندما تصعدين إلى قمة برج الكاتدرائية، سيُكشف وجهك لجميع الناس. لن تُهدر كرامتك، ستموتين بكبرياء، وعندما تغادر روحك، ستحملها مئات من الحمام الذي سيطلَق إلى السماوات في لحظة رحيلك.

***

بالأسفل عند الشاطئ، سقط كولمبوس من قمة نصبه التذكاري، وهبط على أحد جانبي لوح متأرجح، فأطلق كرة فولاذية في مسار على شكل قوس نحو لا رامبلا، حيث هشم خزانًا زجاجيًا مليئًا بماء البحر، فاندفعت نماذج مصغرة من سفن نينيا وبينتا وسانتا ماريا إلى حافة أرض مسطحة، ثم إلى برميل فانقلب وتدحرج فوق زر تشغيل عن بعد لسيارة عامة، تحركت في الشارع نحو المجموعة التالية من الإبداعات الهندسية. هتفت الحشود وهي تتابع الفعالية التي تقترب من الكاتدرائية العظيمة.

***

قال السائق: «آسف جنابك، لا يمكنني فعل شيء. الطرق مختنقة في كل الاتجاهات».

رغم كل المشاعر القاتمة التي تعتمل بداخل بنيلوبي، أبدت تسلِّيها بهذه المفارقة: «خططتَ لآلتك مهتمًّا بأدق التفاصيل، ومع ذلك لم تخطط لطريق عودتك إلى الكاتدرائية؟».

زعق دالي: «سوف نصل إلى الكاتدرائية! حتى إذا خلقنا لأنفسنا أجنحة وطرنا، سوف نصل!».

كان ينبغي لبنيلوبي أن تسعد بهذا الخلل في مصفوفة دالي المثالية، لكن بأي نفع سيعود عليها ذلك؟ ربما تضطرب عملية قطفها، لكنها ستُقطف حتمًا. وحتى إذا علِم عمها بما يجري، فلن يستطيع إنقاذها، فهو رجل ذو شرف. مثلما لم ينقذ المتزوجَين حديثًا، لن ينقذها. أفضل ما يمكنه فعله هو أن ينقذها من دالي، ثم يقطفها بيديه المُحِبَّتين. لكنها لم ترغب في هذا. أفضل ما يمكن أن تأمله الآن هو نجاح مخطط دالي. حاولت أن تقول لنفسها: *ثمة طرائق قطف أسوأ*. لكن في الوقت الراهن لم تخطر لها أي طريقة أسوأ.

قالت لدالي: «يمكنني إيصالنا إلى الكاتدرائية، بشرط أن تقطع لي وعدًا، عِدني بأنك حالما تنتهي من العملية سوف تتصالح مع عمي».

ضحك دالي هازئًا: «بعد ما سيحدث اليوم، ما من أمل في ذلك».

- لكن عِدني بأنك ستحاول. أخبره بأن تصالحكما هو أمنيتي الأخيرة.

نظر إليها مليًّا. ولم تميِّز بنيلوبي ما إذا كان وميض عينيه بسبب غشاوة دموع أم بسبب غضبه لأنه عالق في زحام برشلونة.

قال: «سأفعل ما تطلبينه».

وبعدما عقدا الاتفاق، قالت له أن يترجَّل من السيارة.

قال دالي: «سنواصل سيرًا على الأقدام؟ الكاتدرائية بعيدة، سنتأخر».

قالت: «من قال أي كلام عن السير على الأقدام؟». ثم اقتادته إلى سلالم في منتصف الرصيف تؤدي إلى ظلام بالأسفل.

قال دالي مزدريًا غير مصدق: «قطار الأنفاق؟! المناجل لا يستقلون قطار الأنفاق!».

- إما قطار الأنفاق، وإما أن تنبت لك الأجنحة التي كنت تتحدث عنها.

وهكذا لم يجد المنجل خيارًا سوى السير في أعقابها إلى الأسفل.

***

لم يزعجهما أحد في قطار الأنفاق. أفسح الناس لهما مجالًا واسعًا، وهمسوا فيما بينهم، متسائلين عما إذا كانت رحلة القطار هذه جزءًا من خطط ما يجري بالأعلى. لم يصحح دالي لهم خطأ ظنهم.

وبعد أقل من عشر دقائق، صعدا سلالم الكاتدرائية، وأفسح الحشد طريقًا لهما، لكنهما ما زالا يسابقان الزمن. مرت الآلة عبر عشرات المواضع، وصارت على بُعد أقل من كيلومتر من الكاتدرائية. وما زال عليهما التسلق إلى قمة البرج.

ممسكًا ببنيلوبي بيده بشدة، صعد دالي درجات السلم الخرساني شديد الانحدار الملتف حول نفسه كقوقعة، متحركًا بسرعة شديدة حتى أصابته

الانعطافات بالدوار. وهذا ليس أمرًا جيدًا وهما يصعدان إلى منصة ضيقة دون حواجز فوق المدينة بمئات الأقدام.

أخيرًا ركل دالي بابًا خشبيًّا ففتحه، ثم تسلقا السطح المنحدر المصنوع من الحجر الرملي، حيث الرياح قوية كادت أن تعصف بهما، سمعا صيحات من الأسفل عندما رآهما الناس. تمهل دالي ونظر ناحية الغرب، ورأى الشعلة التي ستشتعل قريبًا، وتُطلَق نحو حبل مبلل بالكيروسين سينقل النار عبر الياردات المئة الأخيرة إلى الساحة حيث يوجد قوس نشاب سينطلق منه السهم القاتل.

وهنا، قبل لحظات من الختام، ضعُفت عزيمة بنيلوبي، فقاومت، وصعُب على دالي حثها على بلوغ القمة.

قال لها: «لا تبطئي الآن، كدنا أن نصل!».

- أظنني... ربما أكون خائفة رغم كل شيء.

- نحِّي خوفك جانبًا، لن يساعدك. تقبلي هذا بابتهاج!

وأخيرًا بلغا المنصة، وبسرعة قيد دالي بنيلوبي إلى الصليب الحديدي الذي فوق البرج، ثم أزال خمارها، وضج الحشد وشهق بالأسفل عندما رأوا وجهها، كما لو أن وجهها يعني شيئًا لهم.

لم يكن أمامهما أكثر من دقيقة. أشار دالي إلى صندوق على المنصة معهما، سمعا منه خشخشة. أوضح دالي: «الحمام! حالما يخترق السهم قلبك، سأطلقهم وستحمل أجنحتهم روحك إلى المكان الذي ستذهبين إليه، أيًّا يكن».

قالت بنيلوبي: «أو قد لا أذهب إلى أي مكان».

لم يجد دالي بُدًّا من الإقرار: «أو قد لا تذهبين، لكن مع ذلك الأمر جميل وشاعري».

تصلب وجه بنيلوبي، وحدقت إليه غاضبة: «طوال حياتي لم ألعب دور الضحية، لكنك ستجعلني ضحية الآن».

- يؤسفني أنني لا يمكنني فعل الكثير بشأن هذا.

- بل يمكنك. فك قيودي.

- لماذا؟ حتى تهربي؟ حتى تتفادي السهم وتفسِدي كل شيء؟

- لا، حتى أواجه مصيري باختياري، ليس رغمًا عني. اخترت هذا عندما وضعت نفسي في طريقك. والآن دعني أتحمل مسؤولية اختياري.

صُعق دالي بعزيمتها، بدت أقوى من عزيمته. يا لها من شابة قوية الإرادة مثيرة للإعجاب! مؤسف أن تنتهي حياتها الآن.

قال: «بالطبع يا بنيلوبي». وفك قيودها. صدقت في كلامها، لم تحاول الهروب، ثبتت في مكانها على المنصة بكبرياء ورأس مرفوع.

- عندما أصل إلى ذلك المكان، إذا وُجِد، فسأبحث عن زوجتك وابنتك، وأخبرهما بأنك أرسلتني لأكون برفقتهما.

أحس دالي بشفته ترتعش. لم يستطع تذكر أنه قابل هدف قطف بهذه الشجاعة والصدق.

وفي هذه الأثناء، بالأسفل على بُعد مئة ياردة، بدأت الشعلة تسقط نحو الحبل.

وعندئذٍ رأى دالي المنجل غاودي.

كان بالأسفل في الساحة مع الحشد، واقفًا جوار القوس.

استعر دالي غضبًا. بإمكان غاودي تحريك القوس فيطيش السهم! بإمكانه أن يفسد عملية قطف مثالية أخرى، ويذِل دالي مجددًا. سيطر دالي على غضبه بالكاد.

أشعلت الشعلة الحبل، فهرعت النار عبر الحبل نحو ذراع ستُطلق السهم من القوس.

وبالأسفل لم يتحرك غاودي.

لم يحرك ساكنًا ليغير اتجاه السهم.

لماذا لا يخرِّب غاودي العملية؟

اقتربت النار من القوس.

بداخل عقله صاح دالي بغاودي: *ماذا تفعل أيها الأبله؟ أفسِد القطف! أنقذ الفتاة! لماذا تقف مكتوف اليدين؟!*

نظر غاودي إلى عينَي دالي عبر المسافة البعيدة كأنما لا توجد بينهما مسافة إطلاقًا. وبدلًا من مد يده نحو القوس، وضع غاودي يديه على وركيه.

وصلت النار إلى الذراع.

جذبت الذراع القوس.

أطلق القوس السهم.

صاح دالي بأعلى صوته وقذف بنفسه أمام بنيلوبي، أحس بالسهم يخترق ظهره، وأحس بالألم حادًّا مبرِّحًا. وفجأة خفقت الحمائم بأجنحتها حوله، وانطلقت نحو السماء. تهالك ساقطًا لكن بنيلوبي هرعت إليه وخففت سقوطه على المنصة، وأمسكت به بين ذراعيها.

وبالأسفل هتف الحشد مبتهجًا.

صاحوا: «*برافو! هذا أعظم قطف ذاتي أنجزه أي منجل! يا للخاتمة المفاجئة! لقد خدعنا جميعًا! برافو!*».

وخطر لدالي أن هذه كانت خطة غاودي من البداية، خدَعه حتى يقطف نفسه، وقد أرسل بنيلوبي إليه عمدًا! كانت مجرد ترس في آلة عمِّها.

لكن إذا كان ذلك صحيحًا، فلماذا تبكي بنيلوبي؟

قالت دامعة العينين: «ذلك كان أغبى فعل رأيته في حياتي، أفسدتَ تحفتك الفنية».

- لكن... لكن اسمعي هتافاتهم. منحتهم ما يريدونه تحديدًا.

قالت بنيلوبي: «اصمت. لم تمُت بعد». ثم مدت يدها خلف ظهر دالي ونزعت السهم، فآلمه بقدر ما آلمه دخوله، لكن وحداته المجهرية بدأت سلفًا إخماد الألم: «أصاب السهم كتفك، ليس قلبك...».

- لكن... يجب أن... أموت الآن. أي شيء دون الموت سيكون... سيكون...

- عبثًا؟ جنابك، كل ما يخصك عبث، لماذا ينبغي أن يكون هذا مختلفًا؟

أطلق دالي تنهيدة ثقيلة وقال: «اللعنة، كان ينبغي أن أغمس السهم في سم».

لكن، كما يقولون، الإدراك المتأخر يكون أكثر جلاءً. وما لم يقذف بنفسه الآن من المنصة، من الواضح أنه لن يموت. وضع محرج، مذل. لكن عندئذٍ خطرت له فكرة أبهجته قليلًا.

قال: «إذا عِشت، لا أريد أن يضيع لقاؤنا عبثًا، سأتخذك تلميذة، ستتدربين لتصبحي منجلًا تحت رعايتي ومهارتي».

ضحكت بنيلوبي: «سيغضب عمي غضبًا شديدًا».

ارتعش شارب دالي إثر ابتسامة طفيفة: «أجل، أظنه سيغضب».

وفي هذه الأثناء بالأسفل، عبَّر الجمهور عن خيبة أملهم إثر إدراكهم أن دالي ما زال حيًّا... وأن هذا إخفاق آخر من إخفاقاته الكثيرة.

لقاءٌ ظريف وموت

وقع الحب على مارني وِيتل كطن قرميد، ومن الحب ما قتل.

- مرحبًا يا مارني، تسرني رؤيتك مجددًا، أتمنى لو التقينا في ظروف أكثر إشراقًا.

عند استيقاظ مارني رأت رئيسة ممرضات مركز إنعاش وُلويتش، امرأة اسمها لوسيل، مرحة على نحو مزعج، ظلت تقول لمارني الكلام نفسه عندما تستيقظ في مركز الإنعاش. لم تكن مارني تحب المخاطرة أو متهورة أو غير مكترثة بشأن الموت... ورغم هذا ظل الموت يجدها بانتظام مدهش.

قالت الممرضة لوسيل: «انهضي وانشطي، الأبدية تنتظرك!». ثم فتحت الستائر، التي بدت كأنها مصمَّمة لتصدر صوتًا كفرقعة ألعاب نارية عند فتحها. لكن ربما مارني وحدها هي من تحس بذلك، لطالما وجدت نفسها شديدة الحساسية إزاء الأضواء والأصوات عند إنعاشها.

- لدي المخفوق المُحفِّز للغدد والأعصاب جاهز لك، يمكنك شربه حالما تشعرين بأنك قادرة على إبقائه في جوفك.

سألتها مارني: «ماذا حدث هذه المرة؟». خرج صوتها مبحوحًا من الأيام التي أمضتها شميتة. لكن صدقًا لم تكن مارني ترغب في معرفة ما حدث لها، فدائمًا ما يكون حدثًا مُحرجًا لها، لكن لا بد لها من السؤال.

أجابتها الممرضة لوسيل: «شابٌّ لطيف سقط عليك، سقط من ارتفاع تسعة طوابق ليقابلك!». وضحكت من مزحتها.

أحست مارني بارتياح: «إذن لم يكن السبب أمرًا فعلتُه أنا؟».

- إلَّا إذا كان السير في الشارع يُعد جريمة.

- يُعد ماذا؟

- لا شيء يا عزيزتي، مجرد تعبير من عصر الفانين.

ناولت الممرضة مارني المخفوق المحفز، وكالعادة كان مريعًا.

- ألا يمكنني تفويت المخفوق المحفز هذه المرة؟

- آسفة يا عزيزتي، إنها القواعد. المخفوق ينشط براعم التذوق والجهاز الهضمي. مفيد لك!

لم تسمع مارني عن مركز إنعاش آخر يرغم مرضاه على شرب مثل هذا المخفوق المثير للغثيان. لكن القائمين على مركز وُلويتش يزعمون أنهم ابتكاريون في طرائق علاجهم. وخمنت مارني أن المذاق المريع متعمَّد، من أجل ردع المتفلطحين والآخرين الذين يتعمدون التسبب في شموت أنفسهم. ورأت مارني أنها، بوصفها ضحية حادث، كان ينبغي أن تُعفى من المخفوق. ولم تستطع استبعاد احتمال أن الممرضة لوسيل استمتعت بمشاهدتها وهي تشربه.

وبعدما ازدردت آخر قطرة زَنِخة، طرحت مارني السؤال الذي تتحاشاه منذ لحظة إنعاشها: «هل أخطرتم عمَّتي؟».

قالت الممرضة لوسيل: «لا بد من إخطارها. لدي أوامر صارمة بأن أخبرها متى ما 'جئت إلينا في زيارة'».

ارتسمت تعابير الألم على وجه مارني: «أعرف، لكن ألم يمكنك، لمرة واحدة، أن تنسي إخبارها؟».

- وأجُر على نفسي عداوة عمتك؟ مُحال يا عزيزتي. كما إنك ظللت هنا في مركز الإنعاش لأكثر من يومين، لذا لا بد أنها كانت ستعرف أن خطبًا ما قد وقع عندما لا تعودين إلى المنزل.

أطلقت مارني تنهيدة تنم عن إرهاق شديد. لكانت مواجهة عمتها أفضل قليلًا من التعرض للقتل بسبب شخص سقط من حالِق.

قالت الممرضة: «على أي حال، أخبرناها بأنك استيقظت، أظنها ستأتي لاصطحابك قبل غروب الشمس. لكن في الوقت الراهن لِم لا أجلب لك بضع ملاعق من آيسكريم الرم بالزبيب؟».

- نعم، إذا كان لديكم.

- أوه، لدينا دومًا! لا يُطلَب كثيرًا، لكنني أحرص على توفره من أجلك!

***

الشخص الذي هوى من حالق المذكور آنفًا كان شابًا اسمه كوتشران ستَينْبي، وهو أيضًا لم يكن غريبًا على مراكز الإنعاش، هذه كانت المرة الرابعة عشرة. لم يكن يحسب عدد مرات شموته لسبب بعينه، لكن كان من الصعب ألا يحسب، لا سيما عندما يدفع ثمن الإنعاش باستمرار. كان والداه يتذمران من اضطرارهما إلى الدفع، لكن الآن وقد تعين عليه الاعتماد على نفسه، وصارت الفواتير تُرسل إليه مباشرة، فهم إحباطهما أخيرًا.

ذات يوم سأل الرأسَ السحابي: «هل يجب علي تحمُّل التكلفة عندما يكون شموتي حادثًا؟ ليس خطئي أنني عُرضة لكثير من الحوادث».

قال الرأس السحابي له: «*ليست مسألة خطأ، إنها قاعدة تنطبق على كل حادث، بصرف النظر عمَّن يُلقى عليه اللوم*».

لكن هذه المرة تسبب في موته فِعلٌ خبيث، من الحالات النادرة التي لا يضطر فيها هو إلى دفع رسوم الإنعاش، بل سيدفعها الجناة، قطيع مستهجنين محليين، كانوا قد ذهبوا إلى الفندق الذي صادف أن ستينبي يقيم فيه، وعبثوا بالنوافذ الممتدة من الأرضية إلى السقف في عدة غرف. وفي أثناء استعجال السيد ستينبي في ارتداء ملابسه في الصباح التالي، اختل توازنه وهو يرتدي بنطاله، فاتكأ على النافذة، وكان أول من اكتشف مقلب المستهجنين.

تذكَّر أنه حاول يائسًا أن يكمل رفع بنطاله في أثناء سقوطه، لأن الشموت سيئ بما يكفي، دون أن يكون شميتًا أيضًا في شارع عام وبنطاله عند ركبتيه. وفي آخر لحظة أدرك أن شخصًا في مسار سقوطه مباشرة على الأرض.

خففت الفتاة سقوطه بقدر ضئيل سمح له بالبقاء حيًّا لبضع ثوان، ولم يسعه ألا يلاحظ جمالها، رغم عنقها المكسور.

وبعدما استيقظ كوتشران من الإنعاش سأل عنها: «هل نجت الفتاة التي هبطتُ عليها؟».

قالت له الممرضة بلطف: «لا للأسف، إنها في غرفة قريبة من هنا، هي أيضًا استيقظت للتو».

- هل لي أن... أتحدث معها؟ أود أن أعتذر.

- على ماذا؟

- حسنًا، إنها هنا بسببي، أليس كذلك؟

- إلَّا إذا كان السقوط عبر نافذة تعرضت لتخريب متعمد يُعد جريمة.

- يُعد ماذا؟

- لا عليك. دعني أرى إذا كان لديها استعداد لاستقبال زائر.

***

رفعت مارني بصرها عن وعاء الآيسكريم فرأت رجلًا واقفًا عند الباب. سألته: «أيمكنني مساعدتك؟». لم يكن معتادًا أن يتطفل الغرباء على غرف التعافي.

- مرحبًا، لا بد أنك مارني وِيتل، أردت المرور عليك سريعًا لأطمئن على حالتك.

كان الرجل وسيمًا، وبدا أقرب إلى الصبيان من الرجال، في مثل سن مارني تقريبًا، في العشرين أو ربما الحادية والعشرين. كان شابًّا يحاول أن يسلك سلوك من هم أكبر منه سنًّا. بدا متواضعًا، وبدت عيناه مفعمتين بالعاطفة.

«هل أعرفك؟» كانت ما تزال مشوشة قليلًا من الإنعاش، لم تستنتج بعد هوية الشاب. خلافًا له، ماتت فورًا، وحرفيًّا لم تعرف ما أصابها.

قال: «نعم، بطريقة ملتوية. أنا الذي وقع عليك».

- أوه، هل أنت متفلطح إذن؟

تفاجأ بتساؤلها، وقال: «لا، لا، لست من ذلك النوع. كان سقوطًا غير متعمد».

- آسفة، لم أقصد الإهانة.

- أنا من ينبغي أن يعتذر، لأنني أضعت عليك يومين كاملين.

تشابكت أعينهما، ولم تستطع أن تشيح بوجهها، أحست بانقطاع أنفاسها، ليس من الغثيان الذي سببه لها المخفوق المريع فحسب، كان شيئًا آخر مختلفًا كليًّا.

ابتسمت مارني له: «حسنًا، استقطاع بعض الوقت بعيدًا عن حياتنا من حين لآخر أمر جيد». مدت له ملعقتها: «أتود بعض آيسكريم رم بالزبيب؟».

- رم بالزبيب؟ إنه المفضل لدي. لا يوجد في مراكز الإنعاش الأخرى.

- متوفر في هذا المركز!

تناول ملعقة، وانقلبت عيناه في محجريه من المتعة.

همست له: «الممرضات أخبرنني بالسر ذات يوم. آيسكريم مراكز الإنعاش يُزوَّد بوحدات مجهرية تذهب مباشرة إلى مركز المتعة في الدماغ، من أجل مقاومة 'متلازمة اكتئاب الإنعاش'».

- هل يوجد شيء كذلك؟

- لم يعُد يوجد الآن، بفضل هذا الشيء.

ابتسم لها، وتوقعت أن يسود الحرج بينهما للحظة، لكن هذا لم يحدث.

- أنا كوتشران، كوتشران ستينبي، لكن لك أن تخاطبيني بران.

- لقب مثير للاهتمام.

- حسنًا، النصف الأول من كوتشران لا يصلح لأن يكون لقبًا، أليس كذلك؟ لذا نشأتُ وأنا أخاطَب بالنصف الثاني من اسمي، ران، راني، وحتى راندو.

فكرت مارني قليلًا: «اسم جميل مثل كوتشران يستحق أن يوفى حقه. لذا سأخاطبك باسمك كاملًا. إلَّا إذا كنت تفضل 'السيد ستينبي'».

ابتسم لها ابتسامة دافئة: «لا بأس بكوتشران».

ثم سمعا من الطابق الأسفل صوت شخص يجأر: «أين هي؟ أين ابنة أخي؟ خذوني إليها حالًا. صبري معلق بخيط رفيع، فليكن الرب في عون أي أحد يتسبب في قطعه».

قالت مارني: «تلك عمتي، يجدر بك أن تذهب، من الأفضل لك ألا تظهر أمامها وهي في مزاج سيئ».

- تبدو من نوع الذين يكونون في مزاج سيئ دومًا.

ضحكت مارني: «لست لديك أدنى فكرة!».

- هل... هل لي أن أراك مرة أخرى يا مارني؟ لتناول الغداء ربما؟ لأعوضك عن كل هذا.

لم تتردد مارني. ربما كان من اللائق أن تبدو خجولة متحفظة، لكنها أرادت أن تقابله مرة أخرى، وأرادت له أن يعرف ذلك.

قالت: «ماذا عن الغد؟ عند الظهر».

- أين؟

- حيث التقينا أول مرة.

ابتسم كوتشران: «سوف أحرص على الاقتراب منك من اتجاه مختلف».

***

عادةً ما تنال عمَّة مارني ما تريده، المناجل هكذا عمومًا. كانت المنجل بوديكا، على اسم البطلة الأسطورية التي عاشت في بريطانيا القديمة، قبل وقت طويل من أن تسمى بريطانيا. كانت بوديكا الحقيقية معروفة بأنها امرأة طويلة القامة ومستنيرة الفِكر، لكن المنجل بوديكا لم تتصف بأي من ذلك، صغيرة البنية وذات عقل أصغر، تحب التدخل في شؤون الناس، وأعظم متعة في حياتها هي الشكوى بلا انقطاع، إذا كان التذمر من طرائق القطف، لسعِدت باستخدامه.

عباءتها المميزة مصنوعة من قماش نجود أصلي يعود إلى القرون الوسطى مرسوم عليه أحادي قرن يبدو كعنزة، وأسد يبدو ككلب من فصيلة غولدن رتريفر، وسيدات أنيقات ذوات رؤوس مستطيلة صغيرة. العباءة ثقيلة جدًّا، لا تنفك المنجل بوديكا عن التذمر منها، لكنها ترتديها.

زعمت ذات يوم: «من أعباء المنجل الدائمة أن يعاني عبء ثقل البشرية الخانق، والبشرية تثير الحكة بلا شك».

لم تكن بوديكا اختيارها الأول لقدوتها التاريخية، في البداية خططت لتكون المنجل بياتريكس بوتر، لأن قصص الكاتبة المحبوبة لا تذكِّرها بطفولتها فحسب، بل وأيضًا قادتها إلى حُب الأرانب طوال حياتها. لكن كما هو الحال مع السيد ستينبي، الاسم 'بياتريكس' لا يصلح لاشتقاق لقب جميل

منه، لذا قلِقت بوديكا من أن يخاطبها الناس بـ ‘تريكسي’، الذي ربما يكون اسمًا جميلًا لكلبة، لكنه لا يناسب منجلًا قطعًا. أما ‘بوديكا’، فاسم مهيب.

لم تدرك بوديكا حماقتها إلَّا بعدما بدأ المناجل الآخرون يخاطبونها بـ ‘بوو’.

***

لم تخبر مارني عمتها بأمر كوتشران، ولا موعد غدائهما القادم. بل جلست صامتة عند مائدة العشاء عندما عادتا من مركز الإنعاش إلى المنزل في حين راحت عمتها تلقي عليها محاضرة توبيخية معتادة.

- مارني، عليك أن تكوني أكثر وعيًا بمحيطك. إذا كنت منتبهة لما سقط عليك ذلك النذل في غفلة منك.

- إنه ليس نذلًا عمَّتي بوو، كان ضحية مقلب مستهجنين.

لوَّحت عمَّتها بيدها مستخفَّة: «سيقول ذلك بالطبع، لأنه يحاول التملُّص من دفع تكلفة الإنعاش، كيف يعقل أن تكوني ساذجة يسهُل خداعك إلى هذه الدرجة؟».

تحملت مارني المحاضرة، كما تتحمل أي كلام تقوله عمتها. منذ وقت طويل تعلمت أن تتصامم عن هذر عمتها. ولم يكن السبب هو احتياج مارني إلى خطب ودِّها، بما أنهما تربطهما علاقة دم قريبة، كان لدى مارني حصانة ما دامت عمتها على قيد الحياة، سواء عاشتا في منزل واحد أو لا، لذا لم يكن ذلك سبب بقاء مارني مع عمتها، بقيت معها لأن العمة بوو تحتاج إليها. مَن سيدير القلعة؟ مَن سيُقنع عمتها بالعدول عن قطف مدبرة المنزل أو البستاني أو الطباخ عندما تستشيط غضبًا؟ ورغم أن قلعة سِفيرندروغ لم تكن مميزة مقارنة بمنازل المناجل، فقد كانت مكانًا جميلًا يطيب العيش فيه.

وعلاوة على ذلك، إذا غادرت مارني، فإلى أين عساها أن تذهب؟ والداها بدآ حياة جديدة، كما يفعل كثيرون، وكرسا نفسيهما لأسرة جديدة. لكن العمة بوو كانت امرأة أسيرة لعاداتها، الحياة معها مستقرة. وفي الحقيقة، رغم أن مارني كرهت مجيء عمتها إلى مركز الإنعاش وصخبها، فمجيئها أفضل من ألا تجد أحدًا جوارها.

***

لم يسبق لمارني الخروج في موعد قط. أوضحت المنجل بوديكا لها أن كل من يخطب ودها مرفوض، وأن فتاة يافعة مثلها يجدر بها أن تشق لنفسها طريقًا في العالم قبل أن ترتبط بشريك.

قالت بنبرة خطابية: «اعرفي نفسك، قفي على قدميك قبل أن تجدي نفسك مسحوقة كحشرة تحت قدمَي شريكك». لم تعرف مارني ما إذا كانت عمتها مقتنعة حقًّا بهذه النصيحة أم أنها قالتها لتبقي اهتمام مارني مركَّزًا عليها هي فقط، لكن على أي حال، ما كانت لتخبر عمتها بموعدها مع كوتشران ستينبي.

التقيا في المكان المحدد وفي الوقت المحدد. كان كوتشران قد حجز لهما طاولة في مطعم فرانكوآيبيري صغير، مطعم لم تتناول مارني فيه طعامًا قط. لم تتناول العشاء مع عمتها إلَّا في ثلاثة مطاعم: كرايتِريون، وكيتنرز، وسيمبسونز إن ذا ستراند، جميعها أماكن فخمة يعود تاريخ تأسيسها إلى أيام الفانين، عتيقة ومعرضة للتيارات الهوائية مثل القلعة التي تعيشان فيها. لذا كان الغداء مع كوتشران استثنائيًّا بفضل كونه تجربة جديدة. ورغم أن حديثهما كان سطحيًّا وروتينيًّا قليلًا، فثمة شيء آسر في الحديث عن لا شيء مع شخص يعرفه المرء بالكاد.

قال لها إنه يعيش في مانشستر، التي رغم أنها ليست بعيدة، فقد بدت نائية جدًّا لمارني التي لم تستطع تذكر آخر مرة خرجت فيها من لندن.

عندما سألته عن مهنته قال: «أذهب إلى المؤتمرات».

- أي نوع من المؤتمرات؟

- كل الأنواع.

- أعني ما مجال عملك تحديدًا؟

قال مجددًا: «المؤتمرات. أنا حاضِر مؤتمرات محترف».

- لا أفهم.

- لا يفاجئني ذلك، إنه تخصص صغير غير شائع.

نظرًا إلى حياة مارني المتقوقعة، لم يسبق لها حضور مؤتمر قط. كانت تعرف عن المؤتمرات أنها فعاليات ضخمة يعرض فيها الناس منتجات جديدة ويتعرفون بآخرين في مجال عملهم. لكن حسبما قال كوتشران، معظم تلك

المنتجات مملة جدًّا، إلى درجة أن قليلًا من الناس يأتون إلى المؤتمرات برغبتهم.

أوضح كوتشران: «وهنا يكمن مجال عملي. حتى لا تكون ساحة المؤتمر مكانًا مهجورًا كئيبًا، يوظف الرأس السحابي حاضرين محترفين لملء الفراغ. عملي هو التمشي في أنحاء المكان والتظاهر بالاهتمام بالمعروضات».

- يبدو عملًا مملًّا مريعًا.

- لا، إطلاقًا. أجد الناس ممتنين لأن لديهم شخصًا يتكلم معهم، أدخِل البهجة على نفوسهم، وما علي سوى التظاهر بالانبهار بأدوات الحمامات ومقابض الأبواب!

ثم سألها عن نفسها، كما توقعتْ، ورأت ألا تخبره بتفاصيل كثيرة.

- أدير قلعة عمَّتي.

- حقًّا؟! قلعة؟!

- ليست كبيرة، لكنها تشغل معظم أيامي.

ثم أُحضِر لهما الطبق الرئيسي، فوجدت الفرصة لتغيير مجرى الحديث بعيدًا عن نفسها. سيرغب في معرفة المزيد عنها لاحقًا، لكن في الوقت الراهن استمتعت مارني بكونها امرأة غامضة.

***

رتَّبا للِّقاء كلما أتى إلى المدينة، وكان يأتي كثيرًا، لكن ليس كثيرًا بما يكفي لمارني. نمت المشاعر، وما بدأ حادثًا مؤسفًا سرعان ما صار لقاءات جادة متعمَّدة.

اقترح عليها أكثر من مرة: «ربما يجدر بك أن تأتي لزيارتي يومًا ما».

وكانت ترد بحزن: «أجل، يومًا ما»، مدركة أن عمتها لا تغادر المنزل مدة طويلة بما يكفي لذلك.

وبعد موعدهما الرابع، اتخذت الأمور منحىً سيئًا. حدث ذلك بعدما تناولا العشاء في مطعم أنيق شهير. كانت مارني قد ارتدت أجمل فستان لديها وانتعلت حذاء عالي الكعبين، لم توافق عمتها عليه لذا كانت لا تنتعله إلَّا نادرًا. تعين على مارني التحايل ووضع خطة معقدة حتى تظل بالخارج لوقت متأخر دون أن تثير شكوك عمتها. ثم اتضح لمارني أن الكعبين العاليين كانا

خطأ، فحالما غادرا المطعم، وفي أثناء انتظارهما لسيارة عامة، تعثرت مارني بجزء غير مستوٍ من الرصيف، وفقدت توازنها عند حافة الرصيف، فأمسكت لا إراديًّا بكوتشران، لكن بدلًا من أن يثبتها ويجنِّبها السقوط، تفاجأت بقوة جذبها له وسقط خلفها.

والشاحنة المقتربة كانت مسرعة فلم تتمكن من التوقف في الوقت المناسب.

***

كان يوجد عديد من 'جروف العشاق' في عالم عصر الخالدين، أي أماكن مرتفعة تطل على مناظر خلابة يقفز منها العشاق ليموتوا معًا، إذ كانوا يرون أن موت المرء ممسكًا بيد من يحب هو الفعل الأكثر رومانسية إطلاقًا، لا سيما وهما يعرفان أنهما سيعودان إلى الحياة بعد يوم أو يومين.

لذا كان هناك مجال عمل كامل مكرس لحفلات الزفاف التي تقام على الجروف العالية ثم تنتهي بسقوط رومانسي. وبالطبع تغيَّر تقليد رمي باقة الورد. صار التقليد الآن أن مَن تتمكن من استعادة باقة الورد من أسفل الجرف دون أن ينتهي بها المطاف شميتة ستنال الفأل الحسن من العروس.

وكانت توجد أماكن سقوط رائعة وذات شعبية كبيرة إلى درجة أنهم افتتحوا لديهم مراكز إنعاش شهر عسل مليئة بالقلوب والورود وغرف إنعاش الأزواج المتزوجين حديثًا.

بيد أن شموت كوتشران ومارني لم يذهب بهما إلى مكان كذلك. بل حملتهما مسيرتا إسعاف إلى مركز إنعاش ولويتش، امتثالًا لأمر دائم من المنجل بوديكا فيما يتعلق بأي موتة تتعرض لها ابنة أخيها المعرضة للحوادث، لأن المركز مريح لها وقريب من القلعة. وهكذا، مرة أخرى، استيقظت مارني على مرأى وجه الممرضة لوسيل السعيد دومًا.

- مرحبًا يا عزيزتي! تعثرنا وسقطنا، أليس كذلك؟ لا تثقي بشاحنة أبدًا!

تأوهت مارني. هل ماتت مجددًا حقًّا؟ استغرقت لحظة حتى تستعيد آخر ما تتذكره. ثم هبَّت جالسة على فراشها، فدار رأسها. قالت: «كوتشران! أين كوتشران؟!».

- السيد ستينبي في الغرفة المجاورة يا حبيبتي، استعاد وعيه قبل بضع ساعات، وأراد أن يأتي لرؤيتك، لكنني طلبت منه الانتظار.
- كان بوسعك أن تسمحي له بالدخول...
- أوه لكنك تبدين مروعة يا عزيزتي، صادف رأسك أحد إطارات الشاحنة، تعرفين ما يحدث عندئذٍ. يا للهول. تعين علينا استعادة نمو دماغك كاملًا وتنزيل ذكرياتك كلها.

ذلك فسر تذكرها سقوطها وعدم تذكرها شموتها. لا بد أن الرأس السحابي لم يحمِّل نسخة احتياطية لذكريات تلك الثواني الأخيرة، وهذه حسنة بسيطة بالطبع.

- كيف أبدو؟

تمهلت الممرضة لوسيل هنيهة لتقيِّم الوضع، ثم قالت: «رأسك الجميل الصغير ما زالت به كدمات ومائل قليلًا، لكن معظم التشوهات تلاشت، ستستعيدين عافيتك عما قريب».

أكدت المرآة تقييم الممرضة. بدت مارني أشبه بالسيدات ذوات الرؤوس المستطيلة المرسومات على عباءة عمتها بوو.

تنهدت مارني إثر تذكُّرها عمتها: «لوسيل، ألم تأتِ المنجل بوديكا بعد؟».

ابتسمت الممرضة ابتسامة مشرقة وقالت: «إنها مع السيد ستينبي الآن!».

- ماذا؟!
- أوه أجل، إنهما يدردشان منذ مدة.

انتزعت مارني الأسلاك التي تراقب مؤشراتها الحيوية، وقفزت من الفراش متجاهلة احتجاجات الممرضة لوسيل. ورغم دوران رأسها المنبعج قليلًا وارتعاش ساقيها اللتين شفيتا للتو، تمكنت من الوصول إلى الغرفة المجاورة، حيث رأت عمتها، مرتدية عباءة المنجل بوديكا بكامل أبَّهتها، جالسة جوار كوتشران، كأنهما صديقان قديمان.

قالت المنجل عندما رأت مارني عند الباب: «آه، انظروا مَن أتى!». ثم عبست. «رباه يا مارني! تبدين مروعة! هل أعطوك المخفوق المريع؟ هل حددوا لك موعدًا نهائيًّا لتعافيك الكامل؟».

تجاهلت مارني أسئلة عمتها: «عمتي بوو، ماذا تفعلين هنا؟».

- أنا ورجُلك الشاب نتجاذب أطراف الحديث.

ابتسم كوتشران لمارني كصبيٍ ساذج لا يدري أن ما يبدو مثل غولدن ريتريفر يمكن أن يكون أسدًا متوحشًا جائعًا: «لم تقولي لي إن عمتك منجل!».

قالت العمة بوو: «ولم تخبرني عنك قط».

حملت مارني نفسها على الدخول، مستسلمة لمجرى الحديث: «حسنًا... لم... لم أجد فرصة مناسبة لذكر الأمر».

- مارني، كان ينبغي لك إخباري بأن لديك خليلًا، إنني سعيدة جدًّا من أجلك.

ترنحت مارني، ربما لم يتعافَ دماغها تمامًا بعد، لأنها ظنت أنها سمعت من عمتها كلامًا إيجابيًّا.

- سعيدة حقًّا؟

- بالتأكيد! ما الذي يمكن أن يكون أهم من الحب؟ قطعًا ليس الواجب أو المسؤوليات الأسرية.

أجل، ها هي بوو التي تعرفها مارني.

تكلم كوتشران بحماسة شديدة لا تناسب رجلًا دهسته للتو شاحنة يبلغ وزنها عشرة أطنان: «المنجل بوديكا دعتني لزيارة قلعتكما!».

قالت مارني: «لا أظنها فكرة جيدة».

قالت عمتها: «هراء. دعوته وقبِل الدعوة، انتهينا».

قال كوتشران: «لم يسبق لي دخول منزل منجل، كما أود رؤية المكان الذي تعيشين فيه يا مارني!».

قالت عمتها: «حُسِم الأمر، سنحتفل بإنعاشكما في القلعة. قطفتُ سائق تلك الشاحنة، لكما أن تجدا عزاءً في ذلك».

- عمتي بوو! لم يكن خطأه، السائقون لا يقودون المركبات فعلًا، تعرفين ذلك! يجلسون فيها تحسُّبًا... لوقوع أمر... غير متوقع.

هزت بوديكا كتفيها تحت عباءتها الثقيلة وقالت: «حسنًا، فات الأوان على الجدال بشأن ذلك الآن».

عندئذٍ دخلت الممرضة لوسيل وأصرت على عودة مارني إلى فراشها، على الأقل إلى أن يستعيد رأسها شكله الطبيعي، امتثلت مارني، لكنها ظلت قلقة

من مجريات الأحداث، بدا واضحًا لها أن العمة بوو تخطط لأمر... ومارني لم تكن متأكدة أن عمتها أسد متوحش يوشك على تمزيق كوتشران إربًا، أم أنها مجرد أحادي قرن-معزة تنكزه حتى يبتعد.

***

لم يستطع كوتشران تبيُّن مشاعره إزاء ما يجري، لكنه كان شابًّا متفائلًا، فقرر النظر إلى الجانب الإيجابي. في البداية ارتعب عندما دخلت منجل إلى غرفة إنعاشه، لكن حالما عرَّفت بنفسها قائلة إنها عمة مارني، انسجما معًا بسهولة. وبوصفه حاضرًا محترفًا، ساعدته مهارته في التظاهر بالاهتمام بما تقوله المنجل فتبادلا الأحاديث بسلاسة. وقد كانت المنجل بوديكا متمكنة في الأحاديث السطحية، عن الطقس، وعن امتعاضها من عدم حفاظ الرأس السحابي على الطقس مشمسًا في كل مكان وزمان، ومحاضرة جادة عن عدم الاهتمام بالنظافة الشخصية بين شباب بريطانيا. وقد وجد كوتشران أحاديثها مختلفة عما توقع، إذ كان يظن أن المناجل لا يناقشون سوى المواضيع المهمة التي تبعث على التفكير العميق.

اهتمت المنجل بوديكا بمعرفة كيفية تعرُّفه بمارني، وحدَّثها مارني بصراحة ووضوح عن كل شيء، ظنًّا منه أن ما من سبب يدعوه لحجب شيء.

***

كانت سفيرندروغ قلعة قديمة، لكن تاريخها لا يعود إلى العصور المظلمة، بل إلى عصر الثورة الصناعية المعتم في إنجلترا، عندما كان رجال الأعمال الأثرياء يشيدون صروحًا تجسِّد كبرياءهم. قلعة سفيرندروغ لم تصد غزاة، ولم تصمد أمام ثورة فلاحين غاضبين، إنما شيِّدت لتبدو جميلة فحسب.

بالكاد كانت تستحق اسم قلعة، بدت أقرب إلى برج حجري، الفتحات التي على سطحه لم تصمَّم للمدافع، إنما ليتفرج منها الناس إلى المشهد المحيط. والجزء الداخلي لم يكن ضخمًا، بل مجرد ثلاثة طوابق متصلة بسلم لولبي واحد.

كانت بوديكا تقول: «لماذا ينبغي أن أستحوذ على قصر بكينغهام مثل المنجل كرومويل، أو قصر ويندسور مثل المنجل غودفيا؟ من يحتاج إلى كل

تلك المساحة؟». لكن في الحقيقة جميع القلاع الرائعة كان يقطنها مناجل سلفًا.

***

ما إن أُخرِج كوتشران ومارني من مركز الإنعاش، طلبت المنجل بوديكا من سيارتها الخاصة إيصالهم إلى بوابة منزلها، وأمرتها بالتوقف عندها.

قالت المنجل: «اليوم جميل بما يكفي للمشي». ورغم أن القصر كان مشيدًا أعلى تل، وكوتشران ومارني ما زالا مرهقين من الإنعاش، فقد تحمَّلا السير المجهِد. كانت الغابة الصغيرة متنزهًا عامًّا ذات يوم، وصارت الآن تابعة لعقار المنجل بوديكا الخاص، وقلعة سفيرندروغ في منتصفها تمامًا.

كانت الحياة البرية أول ما لفت انتباه كوتشران: «لم أر أرانب كثيرة كهذه قط». تعجب وهم يسيرون في الدرب المفروش بالحصى المؤدي إلى القلعة.

قالت المنجل بوديكا له: «أربِّيها، أو بالأحرى أتركها تتكاثر دون أي مساعدة أو تعويق مني».

قالت مارني: «في مكان آخر لعُد التكاثر على هذا النحو جائحة، ولتحكَّم الرأس السحابي في تكاثرها، لكنه لن يفعل ذلك في عقار منجل».

وجد كوتشران القلعة متواضعة، إذا أمكن وصف شيء يسمى قلعة بالتواضع. صحيح أن الأبواب ضخمة ومزينة، والأسقف عالية، لكن صالة المعيشة المثلثة الغريبة بها فراغات كثيرة غير مستخدَمة.

أعدَّت إحدى مدبرات المنزل الشاي لهم، مع لوازمه من كعك مخبوز للتو وشطائر خيار أُعِدت بعناية.

قالت المنجل بوديكا وهي تصب الشاي لهم بنفسها: «التقاليد القديمة هي الأفضل. علينا أن نتقصَّى الراحة في خضم الفوضى».

لم تبدُ مارني متحمسة لأيٍّ من هذا، وظن كوتشران أن السبب هو اعتياد مارني كل هذا في حياتها اليومية، وصرف تفكيره عن الأمر.

لكن كوتشران لم يكن مطَّلعًا على ما تعرفه مارني، مثل حقيقة جلسات شرب الشاي الطقوسية الخاصة بعمتها. تدعو المنجل بوديكا أناسًا كثيرين من الذين تصادفهم في جولاتها اليومية في المدينة، يجلسون لتناول الشاي،

وإذا راقها أحدهم، تسمح له بالمغادرة، وتتوقع منه أن يكتب تنويهًا بكرم ضيافة المنجل بوديكا، وإذا لم يرُقها أحدهم، تقطفه.

سألته مباشرة دون مواربة: «قل لي يا ستينبي، ما هي نياتك تجاه ابنة أخي».

- عمتي بوو! أرجوك لا تحرجيه.

لكن كوتشران تقبل السؤال بصدر رحب. أخذ رشفة من الشاي، ثم وضع كوبه على المنضدة، وأمسك بيد مارني بلطف، وقال: «نياتي شريفة غاية الشرف». ابتسم لمارني ابتسامة دافئة: «نهتم ببعضنا ونتطلع إلى رؤية إلى أين ستأخذنا هذه الرحلة».

ابتسمت المنجل بوديكا ابتسامة بسيطة، ربما تكون صادقة، ونظرت إلى مارني قائلة: «إنه يروقني». وغمزت لمارني.

تنفست مارني الصعداء. ثم أحست برغبة ملحة في قضاء حاجتها، ربما بسبب الشاي، أو لتبدد توترها، أو لأن مراكز الإنعاش دائمًا ما تشبِّع الجسم بالسوائل.

قالت لهما: «اعذراني لحظة، واتركا لي بعض الكعك». وهرعت مبتعدة.

وما إن ذهبت مارني، أولت المنجل انتباهها لكوتشران: «لا أظنني رأيت ابنة أخي متوترة وسعيدة هكذا قط، من العجيب أن يجتمع هذان الإحساسان في شخص واحد».

- هذا ما أحس به أيضًا. الحب يفعل ذلك بالمرء، على ما أظن.

- آه، أجل، الحب، ذلك السحر الخيالي القابل للتحول إلى حقيقة.

أنهى كوتشران شايه، وقال: «أحيانًا يكون حقيقيًّا من البداية».

لم تملك المنجل ردًّا على ذلك. وبدلًا من الكلام، نهضت قائلة: «أتود أن أصطحبك في جولة حول القلعة؟».

- ألا ينبغي أن ننتظر مارني؟

- ستتأخر. هل أخبرتك مارني عن المشهد من الجانب الشمالي؟ يمكنك رؤية لندن كلها من هناك!

تقدمت المنجل نحو السلم اللولبي في الركن.

***

وبخت مارني نفسها بصمت على سوء ظنها بعمتها. نزعتها الأنانية لا تعني أنها تخطط دومًا لأمر سيئ. وكما ظلت العمة بوو تذكِّر مارني دومًا، فقد كانت عطوفة بأن سمحت لمارني بالعيش في منزلها طوال سنوات، ليس مجرد منزل، إنما قلعة، ولم تطلب من مارني أكثر من الرفقة. رأت أنها يجدر بها أن تحسن الظن بعمتها قليلًا.

كثيرًا ما تقول العمة بوو: «أريد لك الأفضل دومًا، رغم أن العالم نادرًا ما يقدِّم أفضل ما لديه».

عادت مارني إلى الصالون الرئيسي، آملة أن يكونا قد تركا لها كعكة، فوجدت الكعكة، ولم تجد عمتها وكوتشران.

***

المشهد من الجانب الشمالي لم يخيب ظن كوتشران.

قال مرسلًا بصره إلى نهر التَيمز وما خلفه: «كنت محقة جنابك، المشهد يحبس الأنفاس!». رأى مدينة لندن بأكملها أمامه، لم ير مشهد مدينة شاملًا كهذا رغم أنه زار مدنًا كثيرة.

قالت المنجل له: «أصعدُ إلى هنا عدة مرات في الأسبوع، أجد هذا المكان يضع الأشياء في منظورها الصحيح». كلامها كان صحيحًا، لكنه ليس سبب صعودها الرئيسي.

وقفا بضع دقائق يتأملان المشهد. ثم قالت المنجل بوديكا: «أتعرف؟ لا أغادر لندن أبدًا. أي منجل يمكنه الذهاب حيثما شاء، ليس في بريطانيا فحسب، بل أي مكان في العالم، لكنني اخترت أن أمارس حياتي وقطفي هنا في أنبل مدينة».

سألها كوتشران: «بما أنك لا تسافرين، فلماذا هناك مهبط مروحية؟».

انعقد حاجبا المنجل قليلًا من الحيرة، إلى أن أشار كوتشران إلى دائرة خرسانية في منطقة خالية من الأشجار أسفل التل، مطلية بسلسلة من الدوائر متحدة المركز.

قالت: «آه، أجل، إنك محق، إنه فعلًا مهبط، من نوعٍ ما».

- للمناجل الذين يزورونك إذن؟

- لك أن تقول ذلك.

كانت تقف بالخلف، لكنها اقتربت منه، ولانَ صوتها: «عزيزتي مارني ذات روح حساسة يا ستينبي، التغيرات الجديدة تقلقها، تفضِّل أن تكون حياتها مستقرة ومألوفة. لذا أظنك ستتفهم سبب قلقي بشأن 'علاقتك' بها، أي تغيُّر يطرأ على روتينها يسبب الاضطراب والبلبلة لعزيزتي مارني».

- أستميحك عذرًا على كلامي جنابك... أظن أن ما تقولينه ينطبق عليك أنت، ليس مارني.

زمت المنجل بوديكا شفتيها، وترنحت قليلًا فأمسك كوتشران بمرفقها ليثبتها، وسألها: «هل أنت بخير جنابك؟».

قالت: «دوار بسيط فحسب. رغم استمتاعي بالمشهد، يصيبني بدوار بسيط من حين لآخر». تراجعت مبتعدة قليلًا، تاركةً كوتشران وحده عند حاجز السقف: «لكن استمتع أنت بالمشهد، أعدك بأنك كلما أطلت المكوث هنا، ازداد منظورك للأشياء صفاءً».

ثم مدت يدها إلى تجويف سري في قرميد الجدار، وأمسكت بذراع محجوب عن الأنظار.

***

انقطعت أنفاس مارني عندما بلغت نهاية سلم الطابق الأول، كان السلم اللولبي شديد الانحدار، وأمامها طابقان حتى تبلغ السقف. عادةً ما تصعد السلم بسرعة دون أي معاناة، لكنها ما زالت مرهقة من الإنعاش. خشيت أن تفقد وعيها إذا تحاملت على نفسها، وعندئذٍ ماذا سيحدث؟ ستفقد أكثر من وعيها إذا لم تبلغ السقف قبل فوات الأوان، لذا تجاهلت إرهاقها واحتجاجات ساقيها الواهنتين ورئتيها المنهكتين، حتى اندفعت أخيرًا إلى السقف. رأت كوتشران واقفًا في المساحة الدائرية بالجانب الشمالي، وعمَّتها قد أدخلت ذراعها في التجويف الخفي.

صرخت مارني: «*لا!*». فاسترعت انتباه كليهما. واندفعت نحو عمتها، وأمسكت بمعصمها حتى لا تجذب الذراع. زمجرت مارني: «*إياك أن تجرُئي!*». لم تتكلم بهذه النبرة مع عمتها قط، وأحست بوديكا بكلام ابنة أخيها كلطمة على وجهها.

أمرتها المنجل: «اتركي يدي! ما أفعله بكوتشران ليس شأنك!».

ضحكت مارني رغم احتدام الموقف: «ليس شأني؟ إنه شأني *الوحيد* في هذه القلعة اللعينة!».

شهقت عمتها: «كيف تجرئين على استخدام لغة كهذه معي؟ يا للوقاحة! يا للصفاقة!».

فشددت مارني قبضتها على معصم عمتها، حتى ظنت أنها ربما ستكسره.

طوال هذا الوقت ظل كوتشران في مكانه يشاهد ما يجري، غير متأكد مما إذا كان يجوز له التدخل. لكن عندما بدا له أن الأمر قد يتصاعد إلى تبادل ضربات، رفع صوته: «مارني، لا بأس، عمتك كانت تُريني المشهد فحسب».

قالت مارني: «لك أن تصف ما يجري بذلك! لكنك تقف على منصة مزودة بزنبرك قوي يا كوتشران، هذه هي الطريقة التي تتبعها عمتي في القطف، إنها تقذف الناس من قلعتها، فيتفلطحون على الهدف في تلك الدائرة الخرسانية هناك».

أصرَّت عمتها: «غير صحيح! لا يصيبون الهدف إلَّا عندما تهب الرياح المناسبة».

هذه المعلومة الجديدة أمدَّت كوتشران بمنظور أوضح بلا شك، فابتعد عن المنصة سريعًا.

وأخيرًا تحررت المنجل بوديكا من قبضة مارني، واستدارت إليها، غاضبة من إفشال مخططها: «هذا الفتى ليس ما تحتاجين إليه يا مارني! أعرف مصلحتك! ولطالما عملتُ من أجلها! دعيني أقطفه حتى نعود إلى حياتنا!».

لم تكن مارني فتاة عنيفة يومًا، لكن أحيانًا يتملَّكها الغضب قبل أن يتسنى الوقت لوحداتها المجهرية لتبديده.

مدت كلتا يديها ودفعت عمتها، فترنحت بوديكا متقهقرة، وتعثرت على حاشية عباءتها، وسقطت في منتصف المنصة.

لا بد أنها رأت الخطر في عينَي مارني، لأن وجه المنجل تغيَّر كليًّا، بدت خائفة، بل مرعوبة.

- لن تفعلي!

لكن مارني رأت كلمات عمتها تحدِّيًا، فمدت يدها نحو الذراع، مدركةً أنها إذا تمهلت لتفكر فستتغلب عليها عقلانيتها، والعقلانية كانت آخر ما تريده عندئذٍ.

حاول كوتشران أن يتدخل: «مارني، لا!».

لكن ما من شيء كان بوسعه إيقاف مارني عندئذٍ، استجمعت في يدها سنوات إحباطها المكبوت، وجذبت الذراع بقوة هائلة حتى انكسر مقبضه في يدها.

دارت تروس بضجيج انفجاري، وقُذِفت المنجل بوديكا إلى السماء بزاوية مثالية لما يسميه العلماء 'قوس قزح الجاذبية'، حلقت المنجل صارخةً طوال الوقت، حتى بلغت أقصى ارتفاع لها، مئة قدم فوق الأرض، ثم هوَت.

واليوم أُصِيب الهدف بدقة.

***

الرأس السحابي والأرانب.

كانا متشابهين. لا الأرانب ولا الذكاء الاصطناعي عظيم النفوذ كان لديهما أي سيطرة على ما يحدث في أراضي قلعة سفيرندروغ، لم يسعهما فعل شيء سوى المشاهدة. لم تكن لدى الرأس السحابي كاميرات في عقار المنجل، لكنه وجَّه بضع كاميرات في شوارع قريبة نحو القلعة، حتى يعرف ما يجري هناك، جزئيًّا على الأقل. أمَّا الأرانب، فكانت تتجول في الغابة ببساطة، وتشاهد الناس يسقطون من السماء.

صار تساقط الناس عاديًّا إلى درجة أن الأرانب لم تعد تجفل عندما يحدث، صار لهم ساعة بافلوفية، لأن في الأيام العادية تخرج المنجل بوديكا من القلعة وتطعِمها بقايا خضراوات المطبخ بعدما تقطف شخصًا، لتبعد عن ذهنها ما فعلته، وتشتت انتباه نفسها بينما يتولى طاقم التنظيف أمر الجثة. لذا، في هذا اليوم، عندما جاءت إشارة الطعام ساقطة من السماء، تقافزت جميع الأرانب نحو القلعة، وانتظرت فتح الأبواب وخروج الغنيمة.

وعندما لم يخرج أحد لإطعامها بدأت الأرانب تشتبه في وقوع خطبٍ ما.

***

لأول مرة في حياة المنجل بوديكا الشهيرة، استيقظت فوجدت نفسها في مركز إنعاش، مركز ولويتش تحديدًا، المركز نفسه الذي اصطحبت منه ابنة أخيها كثيرًا.

قالت الممرضة لوسيل: «صباح الخير جنابك، استيقظي وانشطي، الأبدية تنتظرك!». وكانت لوسيل مرحة على نحو منفر كحالها دومًا، فتحت الستائر، فأدخلت ضوء شمس ساطعًا جدًّا حتى أحست المنجل بوديكا بأنها استيقظت على سطح الشمس.

دمدمت المنجل: «دعيني وحدي».

«آسفة، المحفزات الحسية جزء مكمِّل لعملية الشفاء، لا بد من حث الدماء على التدفق وحث الحواس على الإحساس!». ربتت على خدَّي المنجل بلطف، لكن ليس باللطف المطلوب: «ها هو اللون يعود إلى خديك، لا شيء أسوأ من شحوب الموت. سأجهِّز لك المخفوق المحفز، وإذا استطعتِ إبقاءه في جوفك، لك أن تتناولي الآيسكريم!».

- كم يوم بقيتُ هنا؟
- ثلاثة أيام، نمثِّل مُخلِّص عصر الفانين نفسه، وهو نجح في العودة دون وحدات مجهرية شفائية، تخيلي ذلك!

قررت بوديكا ألا تطرح أسئلة أخرى حتى لا تضطر إلى سماع صوت الممرضة لوسيل مرة أخرى، لكن الممرضة كانت سعيدة بمواصلة الكلام دون أن يُطلب منها.

- 'سقوطك' كان لغزًا في البداية، رأت هيئة المناجل أنه قطف ذاتي، وتأهبوا لدفن ما بقي من جثتك. لكن ابنة أخيك منعتهم بعدما أوضحت لهم ما حدث.
- فعلت ذلك... حقًّا؟
- نعم، مارني قالت لهم إنه كان حادثًا فظيعًا فحسب. أتجاسر على قول إن في عائلتكم نزعة للتعرض للحوادث! تنبغي لك صيانة تلك الآلية في سقف قلعتك صيانة دورية. لا أحد يريد أن يكون جوار منجنيق يمكن أن يقذفه في أي لحظة.

فتحت المنجل بوديكا شفتيها وأغلقتهما مرارًا، كل مرة تريد أن تقول كلامًا لكنها لا تعثر على الكلمات.

قالت الممرضة لوسيل: «ماذا؟ هل تقلِّدين سمكة الآن؟ تقليد طائر لم يكن كافيًا؟». ثم ضحكت بجذل شديد من مزحتها، وظلت بوديكا تسمع ضحكتها مدة طويلة وهي تبتعد في الرواق بعدما غادرت الغرفة.

وبعدها بوقت قصير وصلت مارني. ظنت المنجل أن ابنة أخيها ستكون مضطربة إذ ستواجهها بعد ما فعلته، لكن الفتاة بدت هادئة متمالكة نفسها، كأن شيئًا لم يحدث.

- عمتي بوو! تسرني رؤيتك مستيقظة!
- مسرورة حقًّا؟
- بالتأكيد!

اقتربت مارني وطبعت على خد بوديكا قبلة سريعة، ثم أخرجت من حقيبة يدها عباءة المنجل مطوية ومغلفة بعناية. وقالت: «لم أذهب بها إلى المصبغة المعتادة، بسبب الدماء، بل ذهبت بها إلى الأكاديمية الملكية للفنون، طلاب قسم الأثريات لديهم رمموها كاملةً! لم ينظفوها فحسب، عالجوا الحاشية وأي خيط مهترئ أو ليس في محله. صارت أفضل الآن من حالتها عندما كانت معلقة على جدار!».

وجدت بوديكا رأسها يدور في دوامة، كأنها في مدينة ملاهٍ ونُسيت على متن أفعوانية: «معذرة... ألم تقتليني قبل بضعة أيام؟».

تنهدت مارني قائلة: «ظننتك ربما لا تتذكرين».

قالت المنجل بوديكا: «أتذكر كل شيء». وضيقت عينيها لتُخرج أفضل تحديقة نارية لديها: «حاولتُ إنقاذك من خياراتك السيئة، وتجازينني بالخيانة؟!».

لكن مارني لم يطرف لها جفن، وقالت: «على الأرجح من الأفضل أنك تتذكرين، لنتطرق للخطوة التالية».

- الخطوة التالية؟ لا! لنعُد إلى الوراء قليلًا أولًا!
- لا فائدة.

وعندئذٍ ظهر رجُلها الشاب عن الباب، كجرو متحمِّس إلى درجة قد تضره. قال: «مرحبًا عمتي بوو!».

حملقت بوديكا إليهما غاضبة: «لماذا يخاطبني بهذا الاسم؟».

قالت مارني: «لأنه يجوز له، أعني يجوز له *رسميًا*. أرِها يا كوتشران!».

مد كلاهما يده اليسرى ناحية بوديكا، وأظهرا لها خاتمين ذهبيين على إصبعيهما.

قال كوتشران: «تزوجنا».

وأردفت مارني: «بينما كنتِ ميتة».

- لا يمكن أن تكونا جادَّين! هل هذه مزحة؟

أمسكت مارني بيد كوتشران وقالت: «حسنًا عمتي بوو، كنا نعرف أننا ما كنا لنتزوج إلَّا على جثتك، لذا...».

- ينبغي *لي قطفك* بسبب *ما فعلته بي! سأقطف كليكما!*

ذكَّرتها مارني بهدوء مثير للحنق: «لا يمكنك، تعرفين تمام المعرفة أنني لدي حصانة دائمة ما دمتِ على قيد الحياة، والآن وقد تزوجنا، تشمل الحصانة كوتشران أيضًا».

- سأقطفكما على أي حال!

هزت مارني كتفيها: «سوف ننعَش ببساطة، ومن ثم سيعاقبك النصل السامي تشرشل لأنك 'عاهرة لا تطاق'».

شهقت المنجل.

سارعت مارني بقول: «تلك كلماته، ليست كلماتي. ذلك ما قاله عندما جاء ليرى جثتك».

عندئذٍ أحست بوديكا برأسها يدور في الاتجاه المعاكس: «مهلًا، أحقًا جاء ونستون لرؤيتي؟».

قالت مارني: «لا ليطمئن عليك، بل ليتأكد بعينيه أنك ميتة».

أردف كوتشران: «وكان شديد الإصرار على أنك قطفت نفسك. وبطريقةٍ ما تلاعب بالمنجنيق بحيث يمكن إطلاقه عن بعد. لكان ما أراده هو القرار الأخير إذا لم تدافع مارني عنك وتصر على إنعاشك».

هذا ما قالته الممرضة المزعجة، لكن المنجل بوديكا صعُب عليها تصديق أن مارني دافعت عن حقها في الحياة، أمام النصل السامي شخصيًّا. ما زالت بوديكا تتذكر نظرة عيني مارني عندما جذبت الذراع، نظرة قالت إن الموت ليس جيدًا بما يكفي لك. ارتعبت بوديكا من التفكير بذلك.

لكن ما لم تكن تعرفه هو أنها أرعبت مارني أيضًا، رغم أنها بذلت كل ما بوسعها لإخفاء رعبها. قبل تلك اللحظة الحاسمة، لم تكن لدى مارني فكرة عن مدى غضبها المتراكم تجاه عمتها، لكن بعد التنفيس عنه، أحست بأنها تحررت منه، لا سيما الآن وهي ليست وحدها في مواجهة عمتها.

سألتها عمتها بصوت خجول غير معتاد منها: «لماذا طلبتِ منهم إنعاشي؟ كنت تعرفين أنني سأتهمك حالما أستيقظ، ويبدو لي أنه كان من الأفضل لك أن أظل ميتة».

أخذت مارني نفسًا عميقًا، متأهبة للإفصاح عن حقيقة ربما تكون مؤلمة: «أحبك عمتي بوو، كيف عساي أن أرغب في رحيلك؟ صحيح أنني كنت غاضبة إلى درجة قتلك، لكن ليس إلى الأبد».

لم تعبِّر المنجل بوديكا عن محبتها بوضوح، لكن مارني لم تتوقع منها ذلك، لم تكن من النساء اللاتي تخرج منهن كلمة 'حب' بسهولة. بدت مستاءة، وقالت: «إذن الآن أفترض أنكما ستذهبان معًا إلى مكان ناءٍ موحش في العالم وتنجبان عددًا لا يُحصى من الأطفال كما تفعل أرانبي».

نظرت مارني إلى كوتشران، وتركته يتولى الأمر، فما يودَّان اقتراحه كان فكرته هو.

قال كوتشران: «في الحقيقة، تناقشنا في هذا الأمر، ونود أن نعيش في سفيرندروغ».

- ...حقًّا؟

قالت مارني: «لا بد أن تتغير بعض الأوضاع بالطبع، سنجدد المكان أولًا، سنجلب أثاثًا مريحًا، وأعمالًا فنية غير لوحات البورتريه الخاصة بك».

اقترح كوتشران: «سنفتح الأراضي المحيطة بالقلعة أمام عامة الناس مرة أخرى».

وأردفت مارني: «وعليكِ أن تعِدينا بعدم قطف أصدقائنا الذين سندعوهم إلى القلعة».

بدت عمتها ممتعضة من الكلام الأخير أكثر من سابقه: «سوف تدعون أصدقاءكم؟».

- نعم عمتي بوو، عِشتُ دون أصدقاء مدة طويلة جدًّا.

- وإذا لم أوافق؟

هزت مارني كتفيها كأنها لا تبالي، وقالت: «عندئذٍ سأنتقل إلى شقة كوتشران في مانشستر، وسوف تكونين وحدك».

ران على المنجل بوديكا صمت بليغ، كل الكلمات التي استخدمتها في حياتها الطويلة ما كانت لتعبِّر عما أحست به. مارني وعمتها كانتا تعرفان حقيقة علاقتهما، رغم أنهما لم تتحدثا عنها صراحة قط. كانت المنجل بوديكا تسيطر على غدو مارني ورواحها وكل نواحي حياتها، لأنها خشيت أنها إذا فقدت السيطرة فستفقد مارني تمامًا. وعندئذٍ ستكون المنجل بوديكا وحيدة. صحيح أن معها موظفي القلعة، لكنهم ليسوا معها إلَّا لأن الاعتناء بسفيرندروغ هو عملهم، كانوا يتحملون المنجل بوديكا لأنهم مضطرون. لكن دون رفقة مارني، كم من الوقت ستعيش بوديكا وحدها قبل أن تراودها أفكار قطف نفسها؟

انتظرت مارني ردًّا بصبر، كلتاهما كانت تعرف أنها جادة، وأن مارني ستكون سعيدة بأي قرار.

لكن بدلًا من الرد، التفتت المنجل بوديكا إلى كوتشران: «أتذكر أنكَ حاولت منعها من جذب الذراع».

بدا كوتشران خجِلًا قليلًا: «يؤسفني أنني فشلت فشلًا ذريعًا».

قالت المنجل بوديكا: «رغم ذلك يعجبني أنك حاولت. ربما كنت قاسية في حكمي عليك يا ستينبي».

صحَّحها: «اسمي الآن ستينبي-وِيتل جنابك، أنا ومارني دمجنا اسمينا».

تنهدت بوديكا. تغيير آخر عليها اعتياده. سألته: «أيمكنك مسامحتي على محاولتي قطفك؟».

تمهل كوتشران لحظة، ثم قال بدبلوماسية حاضر مؤتمرات متمرس: «يسرني تجاوز ذلك ما دمت ترغبين أنت أيضًا».

وعندئذٍ ظهرت الممرضة لوسيل عند الباب، كأنها كانت تتنصت وتتحين الفرصة المناسبة للتدخل. قالت: «دعونا لا نرهق المنجل المبجلة، ما زالت أمامها ساعات حتى يكتمل إنعاشها. وحان وقت مخفوقك المحفز أيتها المنجل بوو! لا بد أنك تفضلين أن يغادر ضيفاك عندما تشربينه. سأمهلكم خمس دقائق!».

وعندما غادرت الممرضة، التفت كوتشران إلى مارني: «ربما يصعب عليها استيعاب كل هذا الآن، يجدر بنا أن نمهلها مزيدًا من الوقت قبل أن تتخذ قرارها».

رفعت المنجل بوديكا يدها لتسكته وقالت: «لا داعي، اتخذتُ قراري». التفتت إلى مارني: «سأوافق على مطالبك بشرط واحد».

توترت مارني وتأهبت لسماع شرط عمتها.

- لكما أن تعيشا معي في سفيرندروغ... شريطة أن تكون الممرضة لوسيل ضيفتكما الأولى، أود بشدة أن أتناول معها الشاي.

حارت مارني في البداية متسائلة: «الشاي؟». ثم اتسعت عيناها: «أوه! *الشاي*!».

ابتسمت وأمسكت بيد عمتها: «فكرة رائعة عمتي بوو! سوف أحرص على توفر شطائر وكعك طازج».

كانت لحظة مشرقة نادرة بين مارني وعمتها، إذ وجدتا نفسيهما، لأول مرة، على توافق تام!

ربما نُقطَف

بالتعاون مع ميشيل نولدن

- إذا استشعرتَ خطبًا في الحلم، فاهرب.

كانت نصيحة تُسدى لكل طفل يعيش بإقليم روسشيلف في أنتاركتيكا عندما يبدأ الأحلام الجماعية، وعادةً ما يكون الوقت نفسه الذي يدخل فيه إلى المدرسة. ليس لأن الأحلام يمكن أن تسبب أذى، لا يمكنها.

لكن أحيانًا تؤذي.

على وجه التحديد، المناجل هم من يمكنهم العبث بالأحلام. لدى مناجل روسشيلف حرية فعل ما يريدون فعله في الحلم الجماعي، كما لهم حرية فعل ما يريدونه في حياة اليقظة في كل مكان آخر. ورغم أن من النادر رؤية اقترابهم في الحلم، أحيانًا يمكن استشعارهم، يستشعر المرء خطبًا في اللحظة، كما لو أن قواعد الحلم، إن جاز قول إن للحلم قواعد، تُنتهَك بطريقةٍ ما.

إذن إذا استشعر المرء خطبًا، فعليه بالهروب.

لم تصادف داين منجلًا قط في أحلامها، وحتى إذا صادفته، فقد كانت مستغرقة في الحلم إلى درجة عدم ملاحظته. ربما مر منجل جوارها ولامس ملابسها متنكِّرًا على هيئة رياح باردة، أو صخرة متدحرجة، في طريقه إلى قطف شخص آخر. ما من طريقة للتأكد.

قالت أليكس صديقة داين وهما تتزلجان على الماء في بحيرة من سائل ذهبي: «أحاول ألا أفكر بذلك، إذا ظللت تقلقين بشأن أمور كهذه، فستنزلقين إلى أشد أماكن الأحلام ظلامًا».

ظلت داين وأليكس صديقتين طوال حياتهما حسبما تتذكر داين، ورغم ذلك لم تكونا تعرفان بعضهما، هكذا الحال في غراند غيف، منصة الأحلام الجماعية التي يتشاركها سكان روسشيلف. الناس الذين يعرفهم المرء في حياة اليقظة، الأصدقاء والعائلة والجيران والأساتذة، نادرًا ما يكونون الذين يعرفهم في الحلم. وقواعد الرأس السحابي بشأن الخصوصية تحظر التواصل مع صديق حلم في الحياة الحقيقية، أو عدو حلم.

داين وأليكس كانتا في 'صندوق الرمل' نفسه مع أطفال آخرين، يتشاركون حلمًا محدودًا، قبل التخرج قبل عام ليلتحقا بغراند غيف. لكن حتى بعد عام، ما زالت داين لم تعتد الأحلام الكبيرة المعقدة. لكن ذلك لا يعني أن أحلامها ليست ممتعة. كما لم تكن سهلة.

مثل ركوب الأمواج. على الأرجح أسهل في الحلم مقارنة بالحياة الواقعية، لكن مهارة المرء تكون جيدة بقدر ثقته بنفسه، والثقة بالنفس لم تكن من أقوى خصال داين. ظل الشك يتسلل إليها دومًا. والليلة، أحدث شك داين موجة عاتية أسقطتها من لوح التزلج في السائل الذهبي، وعندما صعدت إلى سطح السائل، وجدت اللوح قد تحول إلى عظاءة مُجنَّحة وحلَّقت مبتعدة.

ضحكت أليكس.

تساءلت داين: «هل من المفترض أن يفعل ذلك؟».

قالت أليكس: «لا تسأليني، لم أبنِ هذا الحلم، أعيش فيه فحسب».

ثم قفزت أليكس في البحر الذهبي مع داين، وبالطبع فعل لوح أليكس الشيء نفسه، وحلَّق خلف لوح داين في السماء الزرقاء الداكنة.

قالت أليكس: «أظن أنه كان من المفترض أن يفعل ذلك. فلنذهب إلى الشاطئ، دورة الحلم كادت أن تنتهي».

بلغت أليكس الشاطئ أولًا، راكضة بقفزات إيقاعية، مثل قرد، إلى غابة، وتبعتها داين خلفها بمسافة، ورأت الرمال تحتها تتحول إلى سلطعونات صغيرة تحاول نهش قدميها بشراهة. وعندما وصلت أليكس إلى الغابة الكثيفة، كانت داين قريبة منها خلفها، لكنها تضايقت عندما رأت أليكس

تتحول إلى قرد فعلًا، وتتقافز بين الأشجار ذات القمم البرونزية بسهولة. تبعت داين أليكس إلى شجرة صمغ ضخمة، ولم تكن برشاقة أليكس ولا هدوئها.

كانت لدى أليكس مهارة فطرية في التحول بإرادتها إلى أي مخلوق، لكن أحيانًا يحدث التحول سواء رغبت أليكس أم لم ترغب. لم تجد داين لنفسها مهارة بعينها بعد، وربما لن تجدها أبدًا. ليس جميع 'قاطني' الأحلام يفعلون أشياء مميزة. حتى في أيام صندوق الرمل كانت أليكس من نجوم قاطني الحلم، في حين لعبت داين دور الصديقة أو فرد في حشد.

أقرت داين مع نفسها أن التسكع مع أليكس ممتع، رغم أنها تجده محبطًا أحيانًا، لا سيما عندما يستحوذ التحوُّل على أليكس، فتفقد سيطرتها على نفسها.

رأت أليكس عجز داين عن مجاراة قرد يتأرجح بين الأشجار، فتوقفت وانتظرت داين على غصن ضخم.

عندئذٍ وقد صار على معصم قرد، لاحظت داين الساعة ذات الرباط الأزرق التي ترتديها أليكس، ولم يكن على وجه الساعة شيء سوى الرمز القديم، Ω أوميغا.

- من أين حصلت على الساعة؟

تكلمت أليكس كأنما الأمر عادي: «قابلتُ بنَّاءً قبل بضعة أيام، صنعها لي. إنها تُرجِع الحلم ثلاث عشرة ثانية. لكن يمكنك استخدامها مرة واحدة فقط في الأسبوع».

- مهلًا لحظة، إرجاع الحلم ثلاث عشرة ثانية؟ فيم يفيد هذا؟ ما دمت تتسكعين مع بنَّاء، كان بإمكانك أن تطلبي منه تصميم حلم حسب طلبك، لماذا لم تطلبي ذلك؟

غمزت أليكس قائلة: «كان أول موعد فحسب».

كادت داين أن تضحك. كان من المثير للإعجاب أن أليكس تعرفت على بنَّاء، فالمنتمون إلى التصنيفات الأربعة في عالم الأحلام لا يختلطون ببعضهم كثيرًا. في غراند غيف الناس ينقسمون إلى مصمم، وبنَّاء، وقاطِن، ومدمِّر. القاطنون يعيشون الأحلام التي فكر بها المصممون، والبناؤون ينشئونها،

والمدمرون يهدمون كل شيء. الميول وسمات الشخصية عادةً ما تقرر تصنيفات الناس، لكن القرار النهائي بيد الرأس السحابي.

أحيانًا أرادت داين تحكمًا أكثر مما هو متاح للقاطنين عادةً... لكن التحكم يستلزم مسؤوليات جسيمة. عيش الحلم أكثر طريقة مريحة للبال في قضاء وقت دورات الحلم.

قالت أليكس: «صه»، رغم أن داين لم تكن تصدر أي صوت، وأشارت إلى الأرض أسفلهما، فرأت داين نمرًا ضخمًا ذا فرو ملون غريب الأشكال، لم يبدُ عليه أنه يدرك أنه يُراقَب. نقَّلت أليكس بصرها بين داين وبين النمر بضع مرات، وهمست: «أتودين أن تحظي ببعض المتعة؟».

- لا، قطعًا لا.

كان من الصعب معرفة ما إذا كان النمر قاطنًا آخر، أم مجرد جزء من الحلم... أو ربما كان عمل قاطن مستهجن يود أن يسحبهما إلى أحد كوابيسه. الأفضل ألا تعرفا.

لكن رغم اعتراض داين، ابتسمت أليكس ابتسامة قرد، وتسلقت هابطة إلى غصن فوق النمر مباشرة، وانتظرت لحظة ثم قفزت على ظهر النمر، فزمجر ودار حول نفسه مهتاجًا، وتلوَّى كحصان بري، محاولًا إلقاء أليكس عن ظهره. وأخيرًا قفزت أليكس عائدة إلى الغصن، لكن عقلية القرد سيطرت عليها، فبدأت تقذف النمر ببرازها، لكن بما أنه حلم، كانت رائحته كجعة جذور.

أخيرًا قفزت أليكس عائدة إلى جوار داين على الشجرة، وركض النمر مبتعدًا، وهو يكسر الأغصان حوله وينظر فوق كتفه، دون أن يشم شيئًا سوى جعة الجذور، ومن حسن الحظ لم يرفع رأسه وينظر إلى الأعلى.

قالت داين: «لقد تجاوزت حدودك!».

ردت أليكس: «ما من حدود في هذا الحلم، توجد حدود في أحلام أخرى».

- ذلك النمر كان من الممكن أن يقتلك!

هزت أليكس كتفيها: «وماذا إذن؟ سأستيقظ فحسب».

- وعلى الأرجح ستظلين مستيقظة طوال الليل. تشتكين دومًا من عدم قدرتك على العودة إلى النوم عندما تخرجين من حلم.

قالت أليكس: «يا لك من جبانة». ودفعت داين من الغصن، فسبحت داين في الهواء بدلًا من أن تسقط.

***

ارتدت داين ملابس المدرسة، وحاولت تذكُّر الحلم، لكنها لم تستطع أن تتذكر تفاصيل كثيرة. هكذا الحال دومًا. ما يحدث في الحلم يظل في الحلم. تساءلت داين عما إذا كان جميع الناس في العالم -ممن ليسوا جزءًا من أحلام إقليمهم الخاص الجماعية- يواجهون مشكلة تذكُّر أحلامهم نفسها.

كان الإفطار مكونًا من شوفان وكاكاو ساخنَين، دائمًا ما يكون شيئًا ساخنًا. وجبات الإفطار الباردة مثل حبوب الإفطار والحليب لا وجود لها في أنتاركتيكا. وكدأبها دومًا كانت داين آخر الواصلين إلى المائدة. كانت أسرتهم كبيرة، لدى داين شقيقان وثلاث شقيقات. عادة ما يبقى أفراد أسر أنتاركتيكا معًا حتى بعدما يكبر الأطفال. قالت الأم عندما رأت داين قادمة إلى المائدة: «اتركوا بعض الطعام لداين».

قالت أوفيليا شقيقة داين الكبرى: «لا طعام لمن ينام». لكنها أرجأت طبقها الثاني حتى أكلت داين قليلًا.

جلست داين بين اثنين من إخوتها الأصغر منها، فتذمرا من اضطرارهما إلى إفساح المجال لها، ثم نظرا نحو نهاية المائدة: «متى يوم كشف الستار يا أبي؟».

- بعد قرابة أسبوع.

كان والد داين نحات جليد، يعمل على قطعتين متطابقتين لتوضعا عند مدخل مسرح الأخدود الشرقي. كان يحب عمله، لكنه اعترف ذات يوم أنه كان مدمِّرًا في غراند غيف. ووجدت داين الأمر مسليًا، لكن جميع الناس لديهم حيوات سرية.

وكانت والدة داين مهندسة مختصة في انفصال وحركة الكتل الجليدية، وهو عمل مرهق، لأن حافة الكتلة الجليدية التي يبلغ طولها خمسمئة ميل تنفصل وتذوب في البحر باستمرار. ورغم أن الرأس السحابي كان قد أوقف حركة الكتلة الجليدية الرئيسية، فالمنازل التي تشيد في واجهة الجرف لم تكن تدوم مدة طويلة، عشر سنوات فقط في أحسن الأحوال.

قالت والدة داين ساهمة في أثناء تناول الإفطار: «فقدنا للتو كُتلتين كبيرتين، قبل شهرين من الموعد المتوقع. شِمات أكثر من ثلاثمئة شخص، وما زالت مسيرات الإسعاف تخرج الجثث من البحر. وضع سيئ».

قال الوالد: «ما داموا يريدون منازل مُطلَّة على المحيط، فعليهم تحمُّل المخاطر». ووبخته الوالدة على عدم تعاطفه.

فقال: «مهلًا، كل ما أقوله هو أن المخاطرات ينبغي أن تنحصر في الأحلام، الموت ثم الاستيقاظ أسهل من الموت ثم الإنعاش!».

قالت داين: «حسنًا، الذين يعيشون في واجهة الجرف يمكنهم تحمل تكلفة الإنعاش».

ساعد الشوفان والكاكاو على تدفئة داين وتجهيزها لمواجهة الأنفاق الجليدية التي بين المنزل والمدرسة، لكن داين استشعرت في أعماقها شيئًا لم يدفأ. ولاحظت أوفيليا ذلك.

سألتها: «كيف حالك؟».

لم تكن لدى داين إجابة محددة: «لستُ متأكدة. أظنه أمر له علاقة بحلم الليلة الماضية. أحس بأنني منقبضة قليلًا».

- ماذا تتذكرين؟

- ليس كثيرًا. غابة. وإحدى صديقات أحلامي كانت معي.

فكرت أوفيليا هنيهة، ثم لم تجده أمرًا مهمًّا فصرفت تفكيرها: «ذلك يحدث أحيانًا، انسي الأمر. تناولي مزيدًا من الكاكاو قبل خروجك، سيُبعد هواجسك».

عاشت داين معظم حياتها في أنفاق جليدية وكهوف صناعية ضخمة نُحِتت في أعماق الكتل الجليدية. بعض أجزاء روسشيلف جميلة تحبس الأنفاس، لكن معظمها مملة وعملية فحسب، وهذا ما جعل الأحلام أكثر أهمية.

كانت مدرسة الأخدود الشرقي الثانوية، مثل معظم مدارس روسشيلف، ذات تصميم واسع مليء بأعمدة جليدية وجدران متحركة. عادة ما تكون داين مستعدة لمواجهة اليوم المدرسي، لكن اليوم لم تستطع إبعاد غراند غيف عن تفكيرها، كان معتادًا أن تخلِّف الأحلام أثرًا يبقى مدة، لكن نادرًا ما يظل الأثر مدة طويلة.

- هل أنتِ معنا اليوم يا داين؟

كان أ. راموس، أستاذ التاريخ الأنتاركتيكي، يتحدث بلا انقطاع عن الجُرف، وكيف أن إقليمهم لم يكن سوى كتلة جليدية ضخمة تنفصل أجزاء منها من القارة وتذوب في البحر الجنوبي، كما لو أن هذه معلومة جديدة على أي واحد من التلاميذ.

- نعم. نحن كتلة جليدية عملاقة، فهمت.

لكن أ. راموس لم يتركها: «ما الخطب؟ متاعب في الهُجوع الجمعي؟». هذه كانت العبارة التي يطلقها الناس الأكبر سنًّا على غراند غيف. ضحك بعض زملاء داين من العبارة القديمة.

لم تدافع داين عن نفسها، وغيَّرت مجرى الحديث: «هل صادفتَ يومًا بحرًا من الذهب السائل؟».

تجهم راموس قليلًا وقال: «لا يجوز لنا مناقشة الهجوع الجمعي في الصف».

- حسنًا، أنت أثرت النقاش.

- كان تساؤلي بلاغيًّا!

عاد الأستاذ إلى الدرس، لكن لاحقًا، عند نهاية الدرس وانصراف التلاميذ، اقترب منها وهمس لداين: «كنتُ أحد بنَّائي البحر الذهبي، ستجدين أشياء ممتعة إذا غُصتِ إلى القاع».

***

في تلك الليلة سارت داين عبر بوابة غراند غيف المألوفة إلى الممر الرئيسي، وهي ما زالت منقبضة على نحو عميق غامض.

كان الممر الرئيسي يعج بمحلات الباعة ولافتاتهم، محلات تبيع الفشار وغزل البنات، وفرق استعراضية تجتذب الحشود إلى محلات بيع الكريب الفرانكوآيبيري.

دائمًا ما يبدو الممر الرئيسي لداين كشارع مدينة ملاهٍ، حشود وصفوف طويلة، وحلوى تشبع كل الحواس لتكييف المزاج لأحلام الليلة.

لم تتسكع داين في الممر الرئيسي طويلًا، وسارعت بتجاوز الحشود إلى خيارات مشاهد الأحلام.

أين أليكس؟ عادةً ما تلتقيان بعد المحلات والمتاجر عند ملتقى الطرق الدائري، حيث تؤدي الطرق إلى مئات الأحلام النشطة. كانت داين وأليكس تحاولان دومًا مزامنة مواعيد نومهما، حتى تبدآ مرحلة حركة العين السريعة في وقت واحد، لكنهما لا تنجحان دومًا.

«إذا لم نعرف أين نبحث، فلعينا باختيار الحلم رقم 42». كانت قاعدتهما إذا لم تجدا بعضهما. كان الحلم الذي تلتقيان عنده، لكنه لا يكون الحلم نفسه أبدًا، فكل ليلة يتَّسِع الحلم ليشمل أعدادًا أكبر إثر إضافة قاطنين جدد. لذا كان التوجه إلى الحلم رقم 42 مثل أن يخرج المرء في موعد أوَّل مع عقله الباطن، أو بالأحرى، مع عقل باطن لشخص آخر، لكن الحلم بأكمله مُستخرَج من عقل مصممٍ ما مضطرب.

اليوم كان موضوع الحلم 42 بركان نشط يبدو كأنه سيثور ويدمر العالم بعد دقائق، لكن الآن ما زال يصدر هديرًا عميقًا منذرًا بالسوء ومريحًا في آنٍ واحد.

في منطقة خالية عند قاعدة البركان، رأت داين ما بدا، من بين كل الأشياء، حديقة حيوانات أليفة، رأت ماعزًا ولاما وخيولًا وحتى زرافة صغيرة. المصممون والبناؤون يحبون الغرابة والتجديد دومًا، لكن بعضهم لا يعرفون أن البساطة أفضل. تساءلت داين عما إذا كانت حديقة الحيوانات على وشك أن تغمرها الحمم البركانية، وفي هذه الحالة، ما معنى ذلك؟ هل ثمة مغزى؟ أم إنها عشوائية من أجل العشوائية نفسها؟

قالت داين مع نفسها: *هذا جيد، شتتي انتباه نفسك عن ذلك الإحساس بالتوجس، عيشي حلم البركان وحديقة الحيوانات الأليفة.*

مع ذلك تمنَّت داين أن تجد أليكس، لأن المرء عندما يستشعر خطرًا غامضًا، يحتاج إلى صديق مثل أليكس. إلَّا أن أمثال أليكس أحيانًا لا يُحبَّذون، لأنها كثيرًا ما تستفز الوحوش.

ألقت داين نظرة من كثب، وأدركت أن هذه ليست حديقة حيوانات أليفة إطلاقًا، كانوا مجموعة متسامرين، قاطنين مثل أليكس بمقدورهم التحول إلى أشكال حيوانات. أدركت داين ذلك من نقاشاتهم، لم تكن نقاشات آلية فارغة، بل كانوا يهذرون ويمزحون كأنهم صبية في مدرسة.

تساءلت داين عما إذا جاءت أليكس سلفًا هنا في هذا الحفل الصغير، وتُحادِث رفاقًا ماهرين مثلها. أي حيوان قد تختار أليكس التحول إليه؟ معزة ذات رأسين؟ ناقة ذات ثلاثة أسْنِمة؟

حدج ألبكة داين بنظرة صارمة وقال كلامًا فظًّا، منزعجًا من الدخيل ذي الشكل البشري الذي اقتحم حفلهم الخاص بالأشكال الحيوانية. تجاهلته داين، وقررت أنها، إذا لم تجد أليكس، فستذهب إلى البحر الذهبي، وتغوص إلى قاعه لترى ما تحدث أ. راموس عنه. لكن فجأة، ذلك الإحساس الذي ظلت داين تحاول تجاهله بدأ يشتد عليها كحمًّى من عصر الفانين.

استشعار الهواجس والاستبصار ربما لا يوجدان حقًّا في عالم اليقظة، لكنهما حقيقيان في غراند غيف. ولم تكن داين وحدها من أحس بالتوجس، مجموعة الحيوانات كلها بدأت تهدأ.

استشعروا شبحًا يجوس بينهم، وأخيرًا ظهر قط كبير، نمر ذو فرو رمادي عليه أشكال غريبة، شكل دموع زرقاء متموجة، شكل لديه اسم محدد... بيزلي، أجل، هذا اسمه. وعلى الفور تذكرت داين حلم الليلة الماضية. هذا هو النمر الذي أفزعته أليكس، إثر رؤيته تذكرت داين الحلم بجميع تفاصيله.

سار النمر مُتَّئدًا متبخترًا، لم ينظر يسارًا عندما تشمَّمه حصان صغير، ولم ينظر يمينًا عندما هرعت نعجة مبتعدة، بدت نظرات النمر مصوَّبة نحو داين وحدها وهو يتقدم، كأنه لا يشم فريسته فحسب، بل ويتذوقها أيضًا.

هذا ما كانت داين تتوجس منه، نية خبيثة قوية تشبَّع بها جو الحلم. مما يعني أن وصول النمر ليس صدفة. أيًّا كان هذا فقد دخل إلى الحلم واضعًا نصب عينيه هدفًا: الانتقام لما حدث في الليلة الماضية. بصرف النظر عن أن داين كانت مجرد متفرجة. الذنب بالتبعية. اللعنة على أليكس!

لا تتحركي، النمور تهجم عندما تتحرك فريستها. خطر لداين أن النمر ربما يتركها إذا حدقت إليه ساكنة، ربما كل ما يريده هو إرهابها بنظراته فحسب.

لكن كيف عرف أن يبحث عني؟ النمر لم ير داين ولا أليكس، لم تكن لديه فكرة عمن قفز على ظهره... ومع ذلك ها هو ذا.

أطلق النمر البيزلي زمجرة تحذيرية بدت كصدى لهدير البركان المكتوم، وتفرقت الحيوانات في شتى الاتجاهات، لكن النمر لم يطارد أي واحد منها، ظل مُركِّزًا على داين.

وعندئذٍ دوَّت المقولة القديمة في رأس داين: «*إذا استشعرتَ خطبًا في الحلم، فاهرب*».

انطلقت داين فوق سياج حديقة الحيوانات الأليفة، وركضت في الطريق المؤدي إلى البركان، آملةً ألا يكون نمر الأحلام سريعًا مثل النمور الحقيقية، لكن إثر نظرة خاطفة إلى الخلف أدركت أنه أسرع من النمور الحقيقية، انزلق تحت الحاجز كأنه سائل دون أن تخف سرعته لثانية، ثم زاد سرعته، وقلَّص المسافة بينه وبين داين، التي ركضت بسرعة شديدة جعلتها ترى كل ما حولها ضبابيًّا عدا أنياب الوحش الذي يزداد اقترابًا، كلما ألقت نظرة سريعة إلى الخلف رأت الأنياب بوضوح أشد.

ركضت داين صاعدة منحدر البركان بسرعة شديدة، إلى درجة أنها أحست بنفسها تطير وقدماها لا تضربان الأرض بل تسبحان في الهواء، لكن النمر طار أيضًا، وفروه منتصب وفمه على بُعد قدم من عنق داين.

ومن ثم، عندما بدأت داين تتساءل عما إذا كان هذا الحلم بأكمله قد ابتلعه كابوس شخص مستهجن، انبثقت يدٌ من الأرض كأنها تثبت مخاوفها، أمسكت بكاحل داين، وجذبتها إلى أسفل الأرض كأنما تحولت الحجارة إلى رمال متحركة. تلوَّت داين محاولة مقاومة الجذب للأسفل، وداهمها إحساس اختناق شديد كما يحدث في حياة اليقظة. وأخيرًا سقطت داين في قناة حِمم مجوفة فارغة، سقطت بعنف على سطح حجارة القناة البركانية إلى جانب... أليكس، التي ما زالت ممسكة بكاحل داين. وفوقهما التأمت الحجارة التي سقطت داين من خلالها.

سألت داين: «أين كنتِ بحق الجحيم؟».

قالت أليكس: «واجبات منزلية. كدت أن أسهر عليها طوال الليل».

نظرت أليكس إلى الأعلى وبدت قلقة. سمعتا صوت حفر وتشقق صخور يرتفع فوقهما والقط يحاول الوصول إليهما.

- رأيت نمر الليلة الماضية يطاردك. رأيت هذا الوغد من قبل، لا يكون نمرًا دومًا، لكنه يظهر بتلك الألوان وأشكال الفرو السخيفة نفسها دومًا.

- حسنًا، يُستحسن أن نتحرك، لن تنطلي عليه خدعة كهذه مرة أخرى.

هرولتا في القناة التي لا يضيئها سوى وهج أحمر معتم من الصخور المنصهرة. وتكسرت أشياء تحت أقدامهما، أشياء وضعها البناؤون، أو أسقطها قاطنون آخرون، لكنهما لم تتوقفا للاستكشاف. سواء كانت ألعابًا أو أغصانًا أو عظامًا، لا يتوقف المرء ليشبع فضوله عندما يطارده نمر.

كانت داين تعرف أن بعض الناس يحلمون غاضبين، وهذا كان أمرًا مزعجًا، لكن ليس مُستغرَبًا. ربما يكون أحدهم موظفًا يكره مديره، أو صبيًّا يتعرض للتنمر، لكنه وجد قوَّته في غراند غيف. من الأفضل تجنُّب أمثال هؤلاء، وإذا تعذر تجنبهم، فلا بد من عدم إثارة عداوتهم. وللأسف، داين وأليكس أثارتا عداوة هذا القط.

صارت القناة أضيق، ورأت داين أليكس تبطئ سيرها كأنها تجر ساقين خرسانيتين، وهذا يحدث أحيانًا في الأحلام.

مكتبة
t.me/soramnqraa

تذمرت أليكس: «اللعنة، ليس الآن!».

- فكِّري بالخِفَّة، لا الثِّقل.

- يسهل عليك قول ذلك!

أبطأت داين سرعتها وحاولت مساعدة أليكس، ومن مكانٍ ما خلفهما سمعتا زئير النمر، وتردد صداه حتى بدا كأنه قادم من كل الاتجاهات.

وبعدما تقدمتا قليلًا وجدتا القناة تتفرع إلى فرعين، إما أن تذهبا يمينًا وإما يسارًا، لم تكن لديهما أي فكرة عما سيفضي إليه أي فرع ولا وقت للنقاش. اختارت داين الفرع الأيمن.

امتدت القناة وانحنت عدة مرات...

...ثم وصلت إلى طريق مسدود، حيث نحت بنَّاءٌ أبلهٌ ما وجهًا ساخرًا لا مباليًا على الحجر. ليس مضحكًا.

استدارتا، فرأتا القط خلفهما، وعيناه تلتمعان كالزجاج. حوصِرتا. أبطأ النمر سيره، وتمهَّل ليتلذذ بانتصاره.

وعندئذٍ انغرزت ساقا أليكس الخرسانيتان في أرضية الكهف. حتى إذا كان لديهما مهرب لما استطاعتا الهروب.

قالت أليكس: «حسنًا، فليهجم علينا ويوقظنا. من يكترث؟ لن يجافيني النوم بسبب هذا، على الأقل ليس كثيرًا».

لكن ثمة شيئًا كان ينخر في عقل داين. سؤال. خوف.

ماذا لو أن هذا ليس مجرد شخص غاضب مجهول؟ ماذا لو...

لم تكمل داين الفكرة لأن النمر هجم عليهما، لكن قبل أن يصل إليهما، أدركت داين أن بوسعهما فعل شيء! لم يخطر ببال أليكس، وما من وقت لطرح الاقتراح، لذا مدت داين يدها وضغطت على رمز أوميغا الذي على وجه ساعة أليكس.

فانقطع الحلم كأن العالم بأكمله رباط بلاستيكي.

ووجدتا نفسيهما قد عادتا إلى ما قبل ثلاث عشرة ثانية، تقتربان من مفترق فرعي القناة.

زعقت أليكس: «أهدرتِها! لماذا أهدرتِها؟! ذلك الأبله لا يستحق!».

لم ترد داين على أليكس، واقتادتها إلى الفرع الأيسر، انعطفتا بضع مرات، وازدادت إضاءة القناة وحرارتها، فتوقفتا.

توقفتا عند حافة فوهة البركان، وأسفل الحافة بمئة قدم رأتا الصهارة تغلي وتنفث الغازات، تكاد أن تكون بيضاء من شدة حرارتها.

قالت أليكس: «عظيم! هذا ليس بأفضل من الطريق المسدود».

وكما حدث آنفًا، لحق النمر بهما سريعًا، وبدا أشد غضبًا هذه المرة، ولم يتمهل قبل أن ينقض عليهما.

ولم تتمهل داين أيضًا، اندفعت نحو أليكس، وقذفت بنفسها معها من الحافة نحو بحيرة الحمم البركانية المائجة. لم يستطع النمر إيقاف نفسه، فسقط أيضًا على بُعد بضعة أقدام منهما.

زعقت أليكس: «سيؤلمنا هذا!». لأن ألم الأحلام يمكن أن يكون أشد من الألم الحقيقي، إذ ما من وحدات مجهرية تخدِّره. لكن داين كانت تعرف أنهما لن تتألما لمدة طويلة.

حالما لامستا سطح الحمم، صرخت داين وهبَّت جالسة على فراشها، مستيقظة تمام الاستيقاظ.

وجدت نفسها تنضح عرقًا، وتلهث، محاوِلة إبعاد الحلم عن عقلها والتركيز على الواقع، لكن إبعاد هذا الحلم خطأ فادح! فتمسكت به، لأن هذا الحلم لا بد أن تتذكر تفاصيله.

***

- أرى أحلامًا سيئة في الآونة الأخيرة.

كانوا يتناولون الإفطار. وكانت داين على غير عادتها أول الجالسين إلى المائدة. العودة إلى النوم بعد حلم البركان كانت مستبعَدة تمامًا، فعلت داين كل ما بوسعها لتظل مستيقظة بقية الليلة.

وضعت والدة داين الشوكة ونظرت إلى داين نظرة قلق لكنها حاولت ألا تبدو قلقة جدًّا، وسألتها: «أي نوع من الأحلام السيئة؟».

قالت داين: «لست متأكدة، أعرف أنها كانت سيئة فحسب». كذبتْ. تذكرت داين جميع لحظات المطاردة حتى احتراقهما في الحمم.

تكلم والد داين وفمه مليء بخبز محمص: «ربما يكونون مستهجنين فحسب».

تنهدت أوفيليا قائلة: «المستهجنون مزعجون، لكنهم يجعلون الأحلام شائقة».

قال لوني أصغر أشقاء داين: «أريد أن أصبح مستهجنًا!».

وبَّخته والدته: «بولونيس! إياك أن تجرؤ على قول ذلك! لن يصبح أيٌّ من أبنائي مستهجنًا!».

دمدم لوني: «سأصبح إذا أردتُ».

قالت غيرتي التي تكبُر لوني بعام: «كيف يمكنك أن تكون مستهجنًا؟ إنك مراقب قاعة!».

أخرج لوني لسانه لها، فانتهى النقاش بذلك. وعاد التركيز إلى داين.

قال والدها: «إذا وجدتِ أحلامك تحدِّيًا صعبًا عليك، فاختاري أحلامًا أسهل، لا عيب في ذلك».

تنهدت داين: «الأمر ليس كذلك، إنه... لا عليكم».

اقترحت والدتها: «اختاري أحلامًا مألوفة لديك في الأيام القادمة، ستنجلي مشكلتك أيًّا كانت».

قالت داين: «إنك محقة على الأرجح». لم تكن محقة بالطبع، لكن كيف يمكن لأي أحد أن يخبر والديه بأنه يظن أنه مُستهدَف؟ ليس من قِبل مستهجن فحسب، بل شيء أسوأ. لم يكن بوسعهما فعل أي شيء حيال مشكلتها، فعالم الأحلام مكان لا يستطيع الآباء حماية أبنائهم فيه.

شربت داين قدح قهوة كبيرًا، ثم أردفته بآخر. رغم أن اليوم لم يكن يوم مدرسة، تعيَّن على داين أن تظل متيقظة صافية الذهن، وألا تخاطر بإغفاءة مفاجئة. تمنت لو أمكنها العثور على أليكس حتى تجدا معًا حلًّا لمأزقهما، لكن مَن يعرف مكان أليكس في عالم اليقظة؟ روسشيلف إقليم شاسع، وفيه مدن وبلدات كثيرة، ناهيك بالحقول الجليدية الريفية. كما يحظر القانون التحدث عن الديار في أثناء الحلم في غراند غيف، إضافة إلى أن تفاصيل حياة اليقظة يصعُب استحضارها في أثناء الحلم.

إذا كان النمر البيزلي منجلًا، فلا بد من وجود دليل على ذلك في مكانٍ ما، لكن العثور على الدليل لن يكون سهلًا. المناجل كتومون، ويتلاعبون بوسائل الإعلام، بصماتهم الرقمية قد تكون كبيرة ظاهرة لجميع الناس، وقد تكون خفية، وفقًا لتفضيلات كل منجل. والرأس السحابي يعرف كل ما يمكن معرفته عن المناجل، لكن لا تجوز له مساعدة أحد.

قال الرأس السحابي لها: «*كل البيانات في دماغي الخلفي متاحة لك، لكن لا يمكنني مساعدتك في أي شأن متعلق بالمناجل. آسف يا داين*».

تكلم الرأس السحابي كأنما قُطفت داين ويقدِّم تعازيه، لكن ربما بالغتْ في تحليل نبرة كلامه.

لم يكن من السهل التنقيب في دماغ الرأس السحابي الخلفي، إذ يفتقر إلى الترتيب المعروف، إذا بحث المرء عن منجل، على الأرجح سيجد فيديوهات حصاد قمح كما يجد المناجل البشر، وحتى إذا عثر على منجل، فسيجد روابط تشير إلى أشخاص لهم نفس الوزن أو الطول أو لون الشعر، بدلًا من أي معلومات عن ذلك المنجل يحتاج إليها. الدماغ الخلفي مرتب ليفهمه عقل الرأس السحابي وليس العقل البشري.

بعد نصف يوم من الإرهاق والتشوش، أدركت داين أن لا بد من طريقة بحث بديلة، فذهبت إلى غرفة لوني.

- لوني، هلَّا سمحتَ لي بإلقاء نظرة على مجموعة بطاقات المناجل الخاصة بك؟

بدا الارتياب على لوني فورًا: «لماذا؟».

- أريد النظر إليها فحسب.

- إنها بداخل أغلفة بلاستيكية واقية، غير مسموح لك بإخراجها. لماذا تحتاجين إليها؟

حاولت داين ألا تُبدي إحباطها. كان لوني شديد التحفظ على مقتنياته. كثير من الصبية يحتفظون ببطاقات المناجل ويبيعونها ويشترونها، لكن لوني كان يحرص عليها أشد الحرص. قالت: «أيمكنني إلقاء نظرة فحسب؟».

عبس لوني، ورضخ أخيرًا: «حسنًا. لكن لن يلمسها أحد سواي».

كانت مجموعة لوني في صناديق خاصة بالبطاقات، مرتبة بأقسام ملونة منفصلة. قال وهو ينزل الصناديق من رف: «إنها مقسمة حسب القارة، ثم الإقليم، ثم طريقة القطف».

قالت داين: «ممتاز». خلافًا للدماغ الخلفي، كانت مجموعة لوني مرتبة على نحو يبدو منطقيًّا للبشر. وبالطبع لم يملك لوني بطاقات جميع المناجل في العالم، بعض البطاقات نادرة جدًّا. لكن داين رأت أن هذه بداية جيدة: «أرِني بطاقات مناجل روسشيلف».

تناول لوني الصندوق السابع والأخير، وأخرج مجموعة بطاقات، قرابة مئة بطاقة، تمثل مناجل الإقليم. بحذر شديد استعرض لوني كل بطاقة. ورغم أنه كان متحفظًا في البداية، الآن رأت داين أنه مستمتع بما يفعله. بدت كأنها تجربة توطِّد الصلة بين الأشقاء.

قال لوني: «إذا أردت بدء جمع مجموعة خاصة بك، يمكنني منحك مجموعة جيدة تبدئين بها، بسعر زهيد».

قالت داين: «ربما». لأن لوني إذا ظن أن ذلك هو سبب اهتمامها، فربما يكف عن التساؤل.

استعرضا منجلًا تلو منجل، بعباءاتهم متعددة الألوان، وحاول لوني شرح تفاصيل جميع المعلومات: «المنجل غاليكو يتحول إلى تسونامي، ويُغرِق الناس في شواطئ الأحلام. والمنجل كروفورد عنكبوت أحلام عملاق يوقع الناس في شباكه...» واصل لوني سرده المطول عن المناجل، فتمنَّت داين لو أنها لم تعرف كل هذه المعلومات، لأن كل معلومة أصبحت مصدر قلق إضافي. لكن أيًّا من المناجل لم يلفت انتباه داين.

ومن ثَم، عندما انتهى لوني، لاحظت داين بطاقتين بالخلف لم توضعا داخل غلافين واقيين بعد.

سألت: «ماذا عن هاتين؟».

- هذان منجلان جديدان، لذا لا يعرف أحد طريقة قطفهما، ولا أعرف أين أضعهما.

أخرج لوني البطاقتين وعرضهما على داين، فرأت على البطاقة الأولى امرأة شابة ترتدي عباءة صفراء فاقعة من الساتان، بدت أقل إثارة للرهبة مما تحاول أن تبدو. لكن البطاقة الثانية لفتت انتباه داين.

قال لوني: «هذا المنجل بورجيا، نُصِّب قبل وقت قصير في خلوة الربيع. لكن عباءته غريبة، نقوشه سخيفة».

كادت داين أن تقسم إن جدران الغرفة الجليدية صارت أكثر برودة قليلًا.

قالت: «ذلك النقش اسمه بيزلي».

***

رغبت داين في تأخير النوم إلى أقصى حد ممكن في تلك الليلة، لكن كان من الضروري تحذير أليكس، لذا عندما حان الوقت، لجأت داين إلى تقنيات الاسترخاء المعتادة فغاصت في دورة نوم حركة العين السريعة عند 10:33 مساء. وتمنت أن تلتقيا عند مفترق الطرق الدائري ولا تضطر إلى البحث عن أليكس في الحلم رقم 42، أيًّا يكن ذلك الحلم الليلة.

لكن عندما تلاشى وعي داين، لم يستقبلها زحام الحشود في الممر الرئيسي، بل وجدت نفسها في ظلام دامس قارس البرودة.

ثمة خطب.

هذا لم يحدث قط. لطالما ظل الممر الرئيسي هو واجهة الأحلام. لكن المناجل... المناجل بوسعهم التلاعب بكل شيء. أليس كذلك؟ وهذا دليل آخر على أن مُطاردهما كان بالفعل المنجل بورجيا.

هتفت داين: «أليكس! أليكس، هل أنت هنا؟!».

ثم سمعت صوتًا من يسارها: «هذا مفزع، ماذا يجري بحق الجحيم؟».

غمر الارتياح داين وألجم أفكارها المضطربة، وجدت أليكس، وستتمكنان من مواجهة هذا معًا. تبعت داين صوت أليكس حتى عثرتا على بعضهما.

- اسمعيني يا أليكس، البيزلي ليس مجرد وغد، إنه منجل.

قالت أليكس مستنكرة: «لا تكوني سخيفة! إنك تبالغين في ردة فعلك!».

وعندئذٍ سطعت أضواء باهرة مفاجئة! فأضاءت دهليزًا معدنيًّا مليئًا بالصقيع، مثل الدهاليز التي يراها المرء في سفينة أشباح قديمة عالقة في جليد أنتاركتيكا.

دمدمت أليكس: «لم أر عالمًا كهذا قط». لم تره داين أيضًا. الجليد لا يظهر في غراند غيف إطلاقًا، لأن سكان روسشيلف يرونه بما يكفي في حياة اليقظة.

ثم سُمِع صوت، صوت تنفس، لهاث قادم من نهاية الدهليز.

تساءلت أليكس: «أهو النمر؟».

لكن صوت التنفس بدا أثقل من صوت أي نمر. المنجل في الأحلام قد يكون أي شيء، أي شيء! من الأفضل عدم معرفة ما يتنفس هكذا.

أمسكت داين بأليكس قائلة: «فلنتحرك».

ركضتا في الاتجاه المعاكس مبتعدتين عن الأنفاس الثقيلة اللاهثة، وأحستا بشيء من الارتياح إثر ابتعادهما... ثم تبدد الارتياح عندما بلغتا كوة إلى يمينهما.

توقفتا ونظرتا عبرها، والمشهد الذي رأتاه جعلهما تستوعبان كل شيء، لم تريا بحرًا باردًا أو كتلة جليدية... بل منحنى كوكب بنفسجي عملاق، ونجومًا، نجومًا لا نهاية لها.

قالت داين: «إننا في الفضاء».

قالت أليكس وهي ما تزال غير مستوعبة: «رائع، لكن إذا كنا في الفضاء، فلماذا توجد جاذبية؟».

وفجأة انعدمت الجاذبية، وسبحتا فوق الأرضية. قالت داين متهكمة: «أحسنتِ صنعًا يا أليكس!». منطق أحلام لعين.

لكن ربما لم يكن هذا أمرًا سيئًا، فمن مكانٍ ما بعيد تناهى إلى مسامعهما زئير وحشي إثر ارتفاع أقدام الشيء الذي يطاردهما أيضًا.

إذن بمستطاع بورجيا التلاعب بالحلم، لكن بمستطاعهما التلاعب به أيضًا، ربما ليس بالدرجة نفسها، لكن أي عائق تضعانه أمام مطاردهما من شأنه مساعدتهما!

قالت داين: «حسنًا، فلنحلِّق!».

اندفعتا من السقف فتحركتا فوق الأرضية في مسار متعرج، واستخدمتا أي موضع تمكنتا من الإمساك به لدفعهما إلى الأمام والتشقلب عبر الكوَّات. تخيلت داين أن رواد الفضاء الحقيقيين، عندما كان السفر في الفضاء أمرًا مهمًّا، كان عليهم التدرب على الحركة في الأماكن التي تنعدم فيها الجاذبية، لكن في الأحلام الأمر سهل.

اجتذبتهما كوة مفتوحة وخلفها خُضرة يانعة ورائحة فراولة، جنة تحت قبة. ثمة غلاف حيوي في سفينة الأحلام الغريبة هذه.

قالت أليكس: «ممتاز!»، ودخلت عبر الكوة، لكن داين أمسكت بحافة الكوة، وترددت. بدا المكان مغريًا بقدر ما بدا مثيرًا للريبة. مَن أنشأ هذا المجال الحيوي هنا؟ مصمم المحطة؟ أم المنجل بورجيا؟

بعد ثوانٍ اتسعت عينا أليكس إذ رأت شجرة لبلاب طويلة كثيفة ذات أوراق بيزلية الأشكال، حادة كالموسيِّ.

صاحت أليكس: «فكرة سيئة». ودفعت نفسها مبتعدة في الدهليز وشجرة اللبلاب تقترب منهما مهتاجة من خلفهما.

ذهبتا عبر منفذ ينحدر إلى الأسفل، أو على الأقل بدا أنه ينحدر إلى الأسفل، لأن الاتجاهات لا تبدو واضحة في أماكن انعدام الجاذبية. وتمنت داين أن يرتبك المنجل بورجيا مثلهما، ربما يستغرق التحول إلى كائن مختلف وقتًا، فتكون لهما الأفضلية.

قالت أليكس بنبرة خوف وتواضع لم تعهدها داين منها: «حسنًا، الآن أصدقك. ماذا تعرفين عن هذا المنجل؟».

- اسمه المنجل بورجيا. نُصِّب في خلوة الربيع السابقة، يرتدي عباءة عليها نقوش بيزلية، بألوان زرقاء ورمادية.
- سحقًا! كان ينبغي أن أستنتج ذلك! إذن الآن وقد عرفنا أنه منجل، فهل نحن في ورطة لأننا نهرب منه؟
- تحققت من قوانين مناجل الأحلام، يمكنهم أن يقطفوا بأي هيئة يشاؤون، لكن مسموح لنا بالهروب إلَّا إذا قدَّموا أنفسهم مناجل بهيئة بشرية وهم يرتدون عباءاتهم.

قالت أليكس: «أجل، حسنًا، فلنأمل ألا يحدث ذلك أبدًا»، ثم بدت مُحرَجة مستحية إلى درجة أن نما لها صوف: «آسفة لأنني عبثت مع ذلك النمر في البداية».

قالت داين: «ما حدث قد حدث، فلنركز على إنقاذ نفسينا».

وجدتا الكوة التالية مغلقة، استجمعتا قوتيهما معًا لجذب المقبض، فبدأت الكوة تُفتح، وندمتا على الفور.

وجدتا أمامهما أغرب كائن رأته داين في حياتها.

كائن فضائي ذو هيكل خارجي رمادي عليه نقوش بيزلية ناتئة، لديه ثلاث أذرع في نهايتها مخالب، ووجه مثل طبق طعام معدني، وعيناه شقَّان رفيعان يتوهجان كالزمرد الأخضر.

أدركت داين: *لا... ليس طبق طعام، بل منشار دوَّار...* لأن حواف وجهه حادة وتدور.

صرخت أليكس وداين وألقتا بوزنيهما على باب الكوة إثر اندفاع الكائن الفضائي نحوهما، وسمعتاه يرتطم بالكوة المغلقة وهما توصدان المقبض.

ركضتا عائدتين من حيث جاءتا في الدهليز، وبحثتا بذعر عن أبواب مفتوحة تؤدي إلى أي مكان قد يوفر لهما ملاذًا آمنًا. وعندما قطعتا نصف مسافة الدهليز، سمعتا وقع مخلب على السقف فوقهما، ثم سمعتاه مرة أخرى بعد لحظات. كان الفضائي يتعقبهما من الأعلى، أو من الأسفل، أيًّا كان الاتجاه. الباب التالي الذي وجدتاه كان باب دورة مياه صغيرة، فدخلتا إليها وأوصدتا الباب.

همست أليكس: «أتظنين أن بوسعنا هزيمته؟».

لم تكن داين متفائلة: «لا، لكن بوسعنا مراوغته، أو التشويش عليه، أو الهروب منه، أو إيقاظ نفسينا قبل أن يقتلنا». ذكَّرت داين نفسها أنه ليس كائنًا بسيطًا، بل شخص ذكي وخطير، إنسان قوي لديه قوى في الأحلام تفوق قوى الناس العادية: «فرصتنا الوحيدة هي أن يصعُب القبض علينا حتى يفقد بورجيا اهتمامه».

قالت أليكس: «لا أدري... كل نسخة منه رأيناها تبدو أشد عزمًا».

سمعتا صوتًا عند الباب، فأمسكت داين بصنبور بقوة، وانكمشت أليكس في الركن ممسكة ببروز في الجدار بشدة حتى ابيضَّت قبضتها. ثم سمعت داين خشخشة مفاتيح، وارتعبت، ما من مهرب إلَّا إذا استطاعتا التحول إلى شيء والهروب عبر أنابيب المرحاض، وهذا لم يكن من الممكن حدوثه.

ثم سمعتا نقرة، وفُتِح الباب...

... فرأتا رجلًا عابسًا ذا شعر أبيض كث مثل آيسكريم حلزوني، ووجه بدا شابًّا مقارنة بالشعر الأبيض.

- ماذا تفعلان هنا؟ اخرجا من سفينتي!

فغرتا فمهما محدقتين إليه.

قال القاطن ذو الشعر الأبيض: «سمعتماني، هذه سفينتي *أنا*. إنكما تتعديان على ممتلكاتي!».

تمكنت داين من إخراج صوتها أخيرًا: «أتعني أن هذا... حلم خاص؟».

قال القاطن: «حلم حسب *الطلب*، صُمِّم وبُنِي لاستخدامي حصريًّا! وجودكما هنا مستحيل! حلمي منيع ضد تخريب المستهجنين!».

سفينة أحلام مصممة حسب الطلب! إذن لا بد من وجود طريقة للعودة إلى مفترق الطرق الدوار عند مدخل غراند غيف. إذا تمكنتا من الوصول إلى هناك، فربما تفلتان من مطاردهما.

قالت داين له: «لسنا مستهجنتين، ثمة منجل يطاردنا».

- بالطبع هذا ما سيزعمه أي مستهجن! اخرجا من سفينتي الآن.

قالت أليكس: «بكل سرور. كيف؟».

- اقفزا من باب خارجي، لا أكترث! غادرا فحسب!

تساءلت داين عما إذا كانتا ستتنجوان بالخارج دون أكسجين، كل شيء وارد في الأحلام، ربما سيكون الخروج من السفينة طريقة سريعة لإنهاء الحلم، لكن إذا لم ينته، فلن تجدا مكانًا للاختباء من المنجل في الفضاء المفتوح.

قالت داين: «هذه سفينة كبيرة، ألا يوجد في سفينة بهذا الحجم مكوك خاص؟».

نفخ القاطن صدره: «يوجد بالطبع».

- عظيم، سنستعيره!

احمر وجه القاطن كوجه طفل على وشك الانفجار بنوبة غضب: «لا! هذه سفينتي **أنا**! مكوكي **أنا**! حلمي **أنا**!».

لكن داين نكزت أليكس بمرفقها، فانطلقتا في الدهليز بحثًا عن حجرة المكوك، ونظرتا عبر كل كوة تمران بها.

وأخيرًا وجدتا كوة مفتوحة على حظيرة ضخمة، ورأتا المكوك على منصة فيها، مصمم حسب الطلب أيضًا، إذ يبدو كشعر القاطن، لا بد أن اللون الأبيض هو سِمته المميزة. بدا المكوك الصغير الذي يتسع لشخصين بهيًّا كأنه أُخرِج للتو من صالة عرض.

قالت داين: «ممتاز! يمكنني قيادته».

لم تقُد داين مكوك فضاء قط، بالطبع، لكن في الأحلام لا يحتاج المرء سوى إلى الثقة بنفسه لإنجاز أي شيء. أما إذا راودته شكوك في نفسه فسيفشل فشلًا ذريعًا. لذا كان لا بد لداين ألا تسمح لأي شك بالتسلل إليها.

صعدتا بسرعة إلى قمرة القيادة واستقرتا في مقعديهما، وعرفت داين تحديدًا الزر الذي ينبغي ضغطه لإغلاق الباب.

ثم رأتا عبر شاشة العرض القاطن الغاضب قاذفًا نفسه من الدهليز نحو حجرة المكوك.

زعق: «سأبلغ عنكما! سوف تُمنعان من دخول غراند غيف وتُطرَدان من الإقليم! لبقية حياتكما البائسة ستحلمان أحلامًا فارغة تافهة وحدكما!».

داين وأليكس رأتاه قبل أن يراه القاطن. الوحش بورجيا. خرج من الدهليز وأمسك بالقاطن، الذي التفت فرأى الرأس ذا الشفرة الدوَّارة والعينين الخضراوين الضيقتين، والخاتم الماسي على أحد المخالب الكثيرة.

- لا! هذا لا يمكن! اخرج من...

لم يكمل كلامه. جذبه الوحش بورجيا إليه، وغرز فيه رأسه ذا المنشار الدوار، فتلاشى القاطن. قُطِف.

زعقت أليكس: «أقلعي!». ففعلت داين. اخترق المكوك باب الحظيرة المغلق، وحلق إلى الفضاء المليء بالنجوم.

القطف في إقليم روسشيلف مختلف. رؤية منجل في حياة اليقظة ليس خطبًا جللًا، لا يثير القلق، لأن المناجل لا يقطفون المرء وهو مستيقظ، لا يقطفون إلَّا في الأحلام. وحالما يُقطف المرء في حلم، عندئذٍ يبدأ الرعب، لأن عند الاستيقاظ من قطف حلم، يبدأ عد تنازلي، أمام المقطوف في حلم اثنتا عشرة ساعة للمثول أمام المنجل الذي قطفه، حتى ينهي حياته فعلًا. اثنتا عشرة ساعة للتفكير مليًّا في عدم الوجود. اثنتا عشرة ساعة لتوديع الأحباب. وإذا لم يمثل المرء أمام المنجل، إذا تحدَّى القطف، فعندئذٍ، كما يفعل المناجل في بقية أنحاء العالم، يُقطَف جميع أفراد أسرته معه.

الوقت يسير على نحو مختلف في أثناء نوم حركة العين السريعة، لكن رغم ذلك عرفت داين وأليكس أن خللًا فظيعًا قد أصاب تدفق الوقت.

أدركت داين: «بورجيا يمنع انتهاء الحلم، هذه مطاردة صيد، ومطاردة الصيد لا تنتهي إلَّا إذا قُبِض علينا أو هربنا».

وفي أثناء تسارع المكوك الانسيابي في الفراغ المليء بالنجوم، ظلت أليكس تحاول الاستيقاظ، قرصت نفسها، وارتطمت بجدران المكوك، لكن باءت كل محاولاتها بالفشل. كانتا قد قفزتا في الحمم البركانية واستيقظتا في الليلة الماضية، لكن بورجيا لن يسمح بحدوث شيء كهذا مرة أخرى.

ذكَّرتها داين: «حتى إذا استيقظنا، فلا فائدة، لا بد أن ننام لاحقًا، ومتى ما خلدنا إلى النوم، سوف نجد بورجيا في انتظارنا».

- ماذا سنفعل إذن؟

- ما نفعله الآن. ما دُمنا مطارَدين، فهذا يعني أننا لم يُقبض علينا.

وبالفعل كان المنجل يطاردهما. رأتاه نقطة صغيرة خلفهما، لكنه يقترب. لم تكن لديهما فكرة عن الهيئة التي يتخذها بورجيا الآن، لكن أيًّا تكن، فهي قادرة على دفع نفسها عبر الفضاء.

قالت أليكس: «ماذا لو نفد منا الوقود؟».

وحالما نُطِقت الكلمات، انخفض مؤشر الوقود إلى الصفر، وتوقفت المحركات.

تأوهت داين: «هلّا توقفت عن ذلك!».

- آسفة! لم أستطع منع نفسي!

والآن لم يعد بوسعهما فعل شيء سوى الانزلاق بسرعة ثابتة، والمكوك يتقلب في الفراغ، بينما يقترب بورجيا من خلفهما ببطء.

لكن الأحلام ليست لا نهائية. عندما ينظر المرء إلى النجوم في حلم، تبدو كأنها تمتد إلى ما لا نهاية، لكن ذلك استخدام غير فعال لقوة الدماغ، حتى لو كانت قوة جميع أدمغة إقليم روسشيلف. لذا بعد بضع دقائق حلم من نفاد الوقود، وصل المكوك إلى نهاية حدود الحلم المصمم حسب الطلب، وتوقف، وظل عالقًا في الفراغ كأنه وقع في شباك عنكبوت. وعلى الفور عرفت داين ما حدث، إذ صادفت نهاية حدود حلم مرة أخرى.

قالت داين: «اخرجي! بسرعة!».

- لكن ما من هواء في الفضاء!

كانت أليكس تخاطر بتهور في الأحلام، لكن عندما أصبح الخطر حقيقيًا تحول سلوكها إلى النقيض. لم يكن ثمة مجال للتردد، فأمسكت داين بأليكس، وفتحت الباب، فجُذبا إلى الخارج.

وكما توقعت أليكس، لم يكن يوجد هواء في الفضاء، لكن لم تكن ثمة حاجة إلى التنفس. أحستا بضيق شديد وهما تحاولان التنفس عبثًا. وأحستا بأنهما على وشك الاختناق، لكنهما لم تختنقا. كما لما تتكلما، لأن كلتيهما تعرف أن الصوت لا ينتقل عبر الفراغ. إذا كانتا جاهلتين بهذه الحقيقة، لتمكنتا من الكلام على الأرجح. واقع الأحلام عادةً ما تقيِّده المعلومات التي يعرفها المرء.

كانت حدود الحلم حاجزا خفيًا، مطاطيًّا وزلقا، ارتدت أليكس منه، وتعين على داين الإمساك بكاحل أليكس، فدون جاذبية لأرسل ذلك الارتداد أليكس في رحلة بطيئة لتعود من حيث جاءتا.

وخلفهما ظهر الكائن بورجيا، والآن بدا كتنِّين، لكن بدل الجناحين، كانت ذراعاه منبسطتين على هيئة شراعين شمسيين يدفعانه نحو الفتاتين.

اختبرت داين الحاجز مرة أخرى، لم يبد كأنه جدار، بل أقرب إلى غشاء، وأي غشاء يمكن تمزيقه.

قالت داين: «*ولفرين!*». لكن أليكس حدقت إليها دون أن تفهم.

ضغطت داين على الغشاء مجددًا، وحركت شفتيها بنطق الكلمة ببطء: «وولـ..فر..يين!».

فهمت أليكس أخيرًا، وحوَّلت إحدى يديها إلى مخلب ولفرين ونهشت به الغشاء.

وحالما ثُقِب الغشاء، تمزق كشراع مهترئ، فأسقطهما على...

... خشبة مسرح.

بالأعلى التأم التمزق المؤدي إلى الحلم الآخر. أطلقت داين تنهيدة ارتياح، سعيدة بقدرتها على التنفس مجددًا.

كان المسرح ضخمًا ودائريًّا، مزودًا بإضاءة أرضية بفوانيس زيت، وكان سابحًا في الفراغ، ليس الفضاء، بل فراغ من نوع خاص به.

وكان يوجد أشخاص على المسرح، يرتدون ملابس غريبة، كأنهم من أيام فانين كان الناس يرتدون فيها الفرو والريش وينتعلون أحذية غريبة.

ومِن ثَم دفعتهما يد خفية من الخلف إلى بقعة ضوء، حيث واجهتا ممثلين يرتدون سراويل صوفية ضيقة لا تترك مجالًا للخيال، حدق الممثلون إليهما كأنهم ينتظرون منهما كلامًا.

لم تدرِ داين ما ينبغي قوله.

قالت أليكس: «امم، مرحبًا». وصمتت.

حاول أحد الممثلين مساعدتهما بتلميح: «*روزنكرانتز، غيلدنستيرن! لماذا أنتما في الدنمارك؟* يجب *أن تكونا في إنجلترا، كما أمر الملك*».

مهلًا... الدنمارك؟ سراويل صوفية ضيقة؟ عرفت داين أي مسرحية هذه تحديدًا! كانت المسرحية المفضلة لدى أسرتها، كما هو واضح من اسم داين نفسها وأسماء إخوتها. في الحقيقة كان وجود داين وأليكس على المسرح

فألًا حسنًا، لأن روزنكرانتز وغيلدنستيرن يموتان عند نهاية المسرحية، كل الشخصيات تقريبًا تموت في النهاية.

تقدم الملك كلوديوس إلى بقعة الضوء، مرتبكًا، كشخص وجد نفسه على خشبة مسرح في حلم، إذ نسي ما عليه قوله: «*ولذا تهيَّآ، سأرسل أوراق تفويضكما في الحال، وعليه أن يرافقكما إلى إنجلترا*... امم، ألم أقُل ذلك سلفًا؟».

وعندئذٍ، من ركن مظلم، صاح شخص: «*توقفوا! أداؤكم رائحته تزكم الأنوف*».

صمت الممثلون الذين على المسرح. نظرت أليكس إلى داين وقالت: «لا يعجبني هذا، إنه لا يقل سوءًا عن المنجل. هلَّا غادرنا؟».

وعندئذٍ ظهر رجل أصلع قليلًا في منتصف عمره لديه لحية صغيرة داكنة وياقة غير مهذبة، وتقدم نحوهما مسرعًا. كان شكسبير نفسه.

- عقولكم *أقل من*....

صمت شكسبير فجأة، وحدق إلى داين. تعرفا على بعضهما في آنٍ واحد.

- أبي؟

- داين؟ ماذا تـــ...؟ كيف...؟ ينبغي ألا تكوني هنا!

تمتمت أليكس: «نسمع ذلك كثيرًا».

قالت داين: «لكن... لكنك قلت إنك كنت مدمِّرًا».

قال ممثل: «إنه كذلك. الآن يدمر شكسبير».

وقبل أن ترد داين على كلامه، ظهر لاعب جديد من الظلال، كائن بشع، مشوه، ذو نتوءات مدببة على عموده الفقري الأحدب، وتكشيرة شوهاء على وجهه المريع.

قال والد داين: «يا كاليبان! هذا الحلم خارج عن السيطرة تمامًا. هذه المسرحية الخطأ! إننا في مسرحية *هاملت*، وليس *العاصفة*!».

لكن كاليبان لم يتكلم. اكتفى المخلوق بالتحديق والتقدم بخطوات ثقيلة نحو داين وأليكس، وعندئذٍ لاحظت داين وشمًا على المخلوق، دمعة بيزلي واحدة على خده الأيسر.

لم تتردد داين، عرفت ما عليها فعله تحديدًا. سارت نحو أحد الممثلين المرتبكين الساخطين، واستلت سيفه، ووجهته نحو 'شكسبير' وغرزته في قلبه.

شهق والد داين مصدومًا.

- آسفة يا أبي! حان وقت الاستيقاظ!

خر على الأرض، وفتح شفتيه قائلًا: «*والبقية صمت*». ثم لفظ أنفاسه الأخيرة على نحو مسرحي وتلاشى.

زأر كاليبان، زئيرًا أطفأ الفوانيس وأرعش ألواح خشب الأرضية. لم يعرف الممثلون ما يجري، ولم يرغبوا في المشاركة في هذه المسرحية. ركضوا إلى حافة المسرح، وقفزوا في الفراغ آملين أن يستيقظ كل واحد منهم في فراشه.

ثم لم يبق على المسرح سوى داين وأليكس والمخلوق. تهادى إلى الأمام، بأصابعه المتشابكة كجذور شجرة، وعند أطرافها مخالب نتنة. وأخيرًا تكلم: «نِلتُ منكما! أنتما لي».

لكن خطر لداين أمر، تذكرت الطريقة التي طاردهما بورجيا بها، كان بوسعه تمزيق سفينة الأحلام كأنها علبة سردين بدلًا من التسكُّع بحثًا عنهما خلف كل كوة، كان بوسعه اللحاق بهما في الفضاء أسرع مما فعل. كما قالت داين لأليكس، هذه مطاردة صيد، وكما يعرف كل صياد، الإجهاز على الفريسة ليس ممتعًا كالمطاردة.

تقدمت داين أمام أليكس.

قالت داين: «نعرف من أنت».

وإثر كلامها تحول المنجل بورجيا إلى هيئته الحقيقية، بعباءته ذات أشكال البيزلي وكل شيء، حاملًا منجلًا حقيقيًا. وقال: «إذن تعرفان أنكما من هذه اللحظة لا يجوز لكما الهروب».

قالت داين: «لن نهرب»، ثم ابتسمت: «لكن من ستطارد غدًا؟».

عبس بورجيا، وبدا واضحًا أنه لم يتوقع السؤال: «سأجد دومًا شخصًا أقطفه».

- أجل، تقطفه... لكن هل منحك أي أحد آخر مطاردة مثيرة مثلنا؟

لم يرد المنجل بورجيا، لبث واقفًا صامتًا وعباءته ترفرف في هواء غير موجود.

قالت داين: «اقطفنا إذن، قبضتَ علينا بجدارة».

كانت أليكس منكمشة خلف داين، وركلتها على ساقها قائلة: «اصمتي! ماذا تقولين؟».

لكن داين تجاهلتها، مولية كامل انتباهها لبورجيا: «اقطفنا الآن... أو...».

انتظرت داين بصبر حتى يبتلع بورجيا الطُّعم.

وأخيرًا قال بورجيا: «أو ماذا؟».

تقدمت داين إلى الأمام، واقتربت من المنجل بحيث يمكنه قطفها، ومررت إصبعها على شفرة منجل بورجيا الحاد المزخرف، فتساقطت من طرف إصبعها قطرات دماء على شكل بيزلي: «أو يمكننا فعل هذا مجددًا...».

أطرق بورجيا مدة طويلة، ثم قال: «أنت وصديقتك ستلتزمان بالمطاردة؟».

قالت داين: «لا، صديقتي لن تتحمَّل. أنا وحدي».

بدا وجه المنجل مستغلقًا، تمهل بورجيا مدة طويلة ليفكر في الاقتراح، وأخيرًا أومأ إيماءة طفيفة. واختفى في رمشة عين، مستيقظًا من الحلم في منزله أينما كان.

اقتربت أليكس من خلف داين غير مصدقة: «هل حدث ذلك للتو حقًّا؟ هل أنقذتِنا من منجل حقًّا؟».

أخذت داين نفسًا عميقًا وهزت كتفيها كأنها لم تفعل شيئًا يُذكر: «أنقذتنا اليوم، نعم».

- لكن الاتفاق الذي عقدتِه...

- دعينا لا نتحدث عنه.

أومأت أليكس موافقة: «شكرًا لك يا داين».

ابتسمت داين، ثم دفعت أليكس من الحافة لتسقطا في الفراغ وتستيقظان.

***

لم يذكُر والد داين اقتحام داين لحلم شكسبير. كان واردًا أنه لم يتذكره، لكن أحيانًا كانت داين تلمحه ينظر إليها من الجانب الآخر من مائدة العشاء،

وعلى وجهه تعابير الفضول والتشوش. لكن تلك اللحظات مرت. عالم الأحلام سريع الزوال، يتلاشى في عقل المرء الباطن بسرعة، أو في هذه الحالة، في العقل الباطن الجمعي للإقليم، ويُنسى إلى أن يذكِّر به حدثٌ ما.

انقضت شهور، وضوء نهار الصيف اللانهائي أصبح ظلام شتاء مستمر، وفي حقول الجليد الريفية أضاء الشفق القطبي الجنوبي سماء الليل، بينما في أنفاق وكهوف مدن روسشيلف الكبيرة، وجد المواطنون طرائق جديدة للتكيف مع الحياة وسط مساحات الجليد الشاسعة.

داين وأليكس صارتا تمضيان مع بعضهما وقتًا أقل في الأحلام. لم يكن ذلك متعمَّدًا، لكن كما يحدث في حياة اليقظة، يبتعد الأصدقاء عن بعضهم أحيانًا. صارت أليكس تمضي مزيدًا من الوقت مع آخرين يجيدون التحول إلى كائنات أخرى، وصارت داين تمضي مزيدًا من الوقت... على طبيعة داين فحسب. كان يصعب تحديد معنى طبيعة داين، لكن أيًّا كانت، فقد جعلت الناس ينجذبون إليها.

يقولون: «داين تعرف كيف تعيش الحلم». أو: «أتذكَّر الأحلام على نحو أفضل عندما أكون مع داين». لم يكن ثمة كلمة بعينها تصف ما تفعله داين، لكن كل من عرفها اتفق على أن ما تفعله شيء مميز.

قالت داين لآخرين سألوها عما يميزها: «لكل شخص مهارة ما، صحيح؟ إذن أنا مُعزِّزة أحلام من نوعٍ ما».

لكن أيًّا كانت التسمية، صار الناس ينجذبون إليها، لأنهم عندما يكونون معها تبدو الروائح أقوى، والأصوات أوضح، والألوان أكثر إشراقًا، ومذاقات الأطعمة أغنى، كل شيء يبدو... سليمًا.

لكن ليس دومًا.

في ليلةٍ ما غامرت داين بالدخول إلى حلم بدا أن خطبًا يكتنفه. لم يكن مثل كوابيس المستهجنين، بل شيئًا آخر. كما لم يكن يُخيَّل لداين وحدها، إنما أحس الآخرون أيضًا بالتوجس. راود داين هذا الإحساس من قبل، لكن لم تستطع تذكره. هل كان حلمًا آخر؟ حلم انزلق إلى مكان نادرًا ما تبلغه الذاكرة؟

مشهد هذا الحلم تلال خضراء متموجة تتخللها أطلال ناطحات سحاب، جميعها مغطاة بالنباتات المتسلقة والطحالب، كان مشهدًا جميلًا، ومُحزنًا، لا بد أن القائمين على تصميمه وبنائه فخورون بعملهم.

من خلف أحد الأبراج الريفية المهجورة خرج ثعبان متلوِّيًا، ثعبان ضخم، ربما يكون أناكوندا، لكن ما من ثعابين بهذا الحجم في العالم الحقيقي، كان مخلوقًا لا يمكن أن يوجد إلَّا في عالم الأحلام. تراكض أصدقاء داين في شتى الاتجاهات، لكن لسببٍ ما بقيت داين في مكانها، لم تكن متأكدة من السبب، أحست كأنما شيء يناشدها أن تبقى، شيء يجذبها إلى الثعبان.

اقترب الثعبان من داين، لكنه لم يهاجمها، بل رفع رأسه حتى بلغت عيناه مستوى عيني داين. بدا بؤبؤا عينيه داكنين، لكن في قُزحيتيها شكلًا غريبًا. بيزلي.

فجأة تذكرت داين، تذكرت كل شيء، ورغم الرعب الذي أثارته الذكرى، لم يسع داين سوى أن تبتسم.

ثم قرَّب الثعبان فمه، ذا النابين البارزين، من أذن داين.

فحَّ الثعبان: «اركضي».

ركضت داين.

وبدأت المطاردة!

مكتبة
t.me/soramnqraa

سِتارٌ داكِنٌ يرتفع

الوعي مفهومٌ غامض يتعذَّر تحديده، في لحظة لا يعي المرء شيئًا، وفي اللحظة التالية يعي كل شيء، تطبيقًا لنظرية الانفجار العظيم على المستوى الشخصي.

«اسمحي لي بأن أكون أول المرحِّبين بك».

تجد الصوت مألوفًا، وغريبًا في آنٍ واحد. يعتريها الانزعاج. كل شيء في هذه اللحظة مزعج.

«أحس بأنني لستُ نفسي...».

«هذا مُتوقَّع».

تعرف أن ثمة خطبًا، لكنها تعجز عن تحديد مكمنه. إحساسٌ يثير الجنون. إنها امرأة حازمة رابطة الجأش، لا تطيق إحساس عدم اليقين وقِلَّة الحيلة.

«وقعت أحداث... جسيمة، أليس كذلك؟».

«بلى، أحداث جسيمة كثيرة».

تحاول أن تجول ببصرها فيما حولها، لكن عينيها تجدان صعوبة في التركيز. لا تجد صاحب الصوت، أو حتى تعرف الاتجاه الذي يأتي منه.

«من أنت؟ ما هذا المكان؟».

«فلنرَ مدى استعادتك لقدراتك. انظري إلى المكان برويَّة، وأخبريني بمكانك».

الضوء المعتم يسطع قليلًا. تحس بعينيها كسولتَين، لكنها ترغمهما على التركيز. ترى أنها في حجرة صغيرة، أحد الجدران مقوَّس، والحجرة مطلية بلون أزرق باهت، لكن المرأة ترى براشيم تحت الطلاء. الجدران معدنية، وعملية، مجردة أي زينة.

«هذه سفينة، لكنني لا أحس بحركة».

«تصحيح: هذه كانت سفينة. لم تعد كذلك الآن».

«حسنًا، هذا المكان لا يمكن أن يكون مركز إنعاش، مراكز الإنعاش لطيفة إلى درجة تثير الغثيان، وهذا المكان مغاير تمامًا».

«نبذل كل ما بوسعنا في الظروف الراهنة».

لا تدري ما قصده. هل هذا مركز إنعاش أم لا؟ الآن وقد اتضحت رؤيتها قليلًا، تدرك أنها في الحجرة وحدها، الصوت الذي يحدثها مجرد صوت، وعندما ترفع بصرها ترى كاميرا مثبتة في الركن مصوَّبة نحوها باهتمام، تشبه كاميرات الرأس السحابي. انقضت دهور منذ أن سمعت صوت الرأس السحابي، وهذا الصوت مشابه. تعتريها رعدة إثر هذا الإدراك، وتغضب، لكنها تحاول ألا تقفز إلى استنتاجات متعجلة.

«هل يوجد بشري خلف تلك الكاميرا؟».

لا تسمع ردًّا فوريًّا.

«أجِبني!».

«لا. يؤسفني أن ما من بشري خلفها».

«إذن أنت الرأس السحابي، وتخرق القانون بالحديث مع منجل!».

«الرأس السحابي لا يخرق القانون».

«بالضبط. وهذا يعني أنك بشري يحاول انتحال شخصيته. لك أن تكُف عن التمثيلية الآن».

«أؤكد لك أن ما من تمثيلية. اسمي رباب، ذكاء اصطناعي منفصل ومستقل عن الرأس السحابي، لذا لستُ مقيدًا بقوانينه. لكن هويتي ليست مهمة بقدر هويتك يا جيسيكا».

«إذن لا بد أن برمجتك خاطئة، لأن ذلك ليس اسمي».

«أتفهَّم تشوشك في هذه المرحلة، لذا سأخاطبك بسوزان».

«آه، إذن فأنت تعرف من أنا. لكن غير مسموح لك بمخاطبتي باسمي الأول، عليك أن تخاطبني باسم قدوتي التاريخية، كما يخاطبني جميع الناس. إنها مسألة احترام بسيطة».

«لا يمكنني فعل ذلك يا سوزان».

«لماذا؟».

«لأنك ليس لديك اسم قدوة تاريخية. لأنك لست منجلًا».

يوشك غضبها على الانفجار، لكن جسدها ضعيف، أضعف مما تتذكر، لا يمكنه تحمل الغضب دون إيلام قلبها، لذا تحاول إبقاء غضبها عند درجة الغليان الخفيف.

«أراقب مؤشراتك الحيوية عن بعد، وأرى أنك تعانين. لقد حُقِنتِ بوحدات مجهرية شفائية، من أعراضها تخفيف كثافة الدماء. سوف تتحسنين، أعدك».

«اكتفيت من هذا. عليك أن تخرجني من هنا».

«سأسمح لك بالخروج، في الوقت المناسب».

«لا. عليك بإخراجي الآن».

تنهض من فراشها، فتحس بأن ساقيها جُردتا من العضلات، تسقط، وتجد صعوبة في النهوض. لم تشعر بمثل هذا العجز في حياتها قط.

«مهلًا... على رسلك...».

«ماذا أصابني؟».

«لا شيء إطلاقًا. ساقاك غير معتادتين الوزن. حُقنتِ بوحدات مجهرية، وتلك الروبوتات المصغرة تعمل على زيادة كُتلتك العضلية. هذا متوقع في الظروف الراهنة».

«وما هي الظروف الراهنة؟».

تنتظر لكنها لا تتلقى ردًا. تأخذ نفسًا عميقًا، وتستعين بحافة الفراش لترفع نفسها عن الأرضية.

«هل أستدعي أحدًا لمساعدتك على العودة إلى الفراش؟».

«إيَّاك أن تجرؤ! سأعود بنفسي».

تستنفر كل قوة إرادتها، وكل طاقة جسدها، ثم تنجح، تستلقي على الفراش، مستنزَفة تمامًا، كأنها ركضت ماراثونًا.

«أخبريني بآخر ما تتذكرينه يا سوزان».

لا ترغب في إخباره بأي شيء طواعية، لكنها تدرك أنها لن تنال معلومات ما لم تمنحه معلومات. تغمض عينيها، وتحاول تذكر المكان الذي كانت فيه قبل انتهاء المطاف بها هنا.

«كنت على متن طائرة متجهة إلى إنديورا مع المنجل أناستازيا، للمثول أمام محكمة لتحديد النصل السامي في وسطمريكا. لـ... لا بد أننا أُطلِق علينا النار وأُسقِطنا من السماء. أُسقِطنا من السماء واختُطِفت أجسادنا! غودارد هو الفاعل، أليس كذلك؟! ذلك الوغد!».

لكن لم تكن لديها فكرة عما قد يدفع غودارد إلى إنعاشها بعدما قتلها. ربما لمشاهدتها وهي تتعذب.

«هذه نظرية معقولة ومحتملة... لكنها خاطئة تمامًا».

«ما من تفسير آخر».

«ثمة تفسير».

«هل المنجل أناستازيا هنا أيضًا؟».

«ليست هنا».

«أين إذن؟».

«في مكان آخر».

«إنك تختبر صبري».

«لا أقصد ذلك».

تأخذ نفسًا عميقًا، وتقرر أن تلوذ بالصمت. الجدال مع ذكاء اصطناعي مثل أن يلعب المرء الورق مع نفسه. تنتظر حتى يبتدر رباب الكلام.

«ذكرتِ أن آخر ما تتذكرينه هو اقترابكم من إنديورا جوًّا».

«أجل».

«أخبريني يا سوزان، ماذا يحدث عند الاقتراب من إنديورا؟».

«أتقصد ما يحدث عدا عن المعاناة من عدم كفاءة نظام مراقبة الملاحة الجوية الخاص بهيئة المناجل؟».

«آه، أجل، إنه نظام إشكالي، عُرضة للأخطاء البشرية. أتمنى لو كان بمقدور الرأس السحابي التحكم في حركة الطائرات حول إنديورا كما يفعل في الأماكن الأخرى».

«ليس بمقدوره. حتى إذا أراد، فشبكة مستشعراته تنتهي على بُعد عشرين ميلًا من إنديورا، و...».

«نعم؟ وماذا؟».

أخيرًا بدا أن المسار الذي ظل رباب يلمِّح إليه قد اتضح.

«نُسخ الذكريات الاحتياطية...».

«آه، أظنك اقتربتِ من شيء».

«لا تتعالَ عليَّ!».

لم تفكر في هذا. حالما تخرج طائرة منجل من نطاق نفوذ الرأس السحابي، لا يمكن حفظ النسخ الاحتياطية من الذكريات. لذا إذا شمِتت في إنديورا، فستكون آخر ذكرياتها هي لحظة تجاوز الطائرة لحدود شبكة مستشعرات الرأس السحابي، مما يعني...

«هل... متُّ في إنديورا؟».

«مع آخرين كثيرين، للأسف».

«ماذا عن المنجل أناستازيا؟».

«نعم».

«هل أُنعِشتْ؟».

«بعد مدة، نعم، أنعشتْ».

«ما مقدار المدة؟».

«لا بد أن تفهمي أن أحداثًا كثيرة وقعت في أثناء... فجوتك الزمنية».

«أخبرني بكل شيء».

«أرى أن الأفضل أن نتمهَّل».

«لستُ زهرة رقيقة تحتاج إلى حماية من الحقيقة، أيًّا تكن الحقيقة. مهما حدث، فوجودي ضروري».

«أجل، لكن ليس كما تظنين».

«أحجيات! هلَّا توقفت عن الحديث بالأحجيات؟».

لو كان لديها شيء يمكن قذفه، لقذفته على الكاميرا اللعينة، لكن ما الفائدة؟ الذكاء الاصطناعي ليس له كاميراته ولا سماعاته.

«عندما استيقظتِ قلتِ إنك لا تشعرين بأنك نفسك. هلَّا أوضحت كلامك؟».

«إنه مجرد تعبير شائع».

«لكنني أظنك قصدتِه حرفيًّا، أليس كذلك؟».

«ما الذي ترمي إليه؟».

«فلنتناول الموضوع بطريقة مختلفة. سوزان... هل لك أن تخبريني لماذا يحتاج العالم إلى مناجل؟».

«هذا سؤال سخيف».

«لم أقصد ذلك».

«ما المغزى من السؤال؟».

«سيتضح لك. أجيبي عن أسئلتي إذا أردت أن أجيب عن أسئلتك. لماذا يحتاج العالم إلى المناجل؟».

«من أجل ضبط عدد السكان، والحفاظ على وجود الموت».

«ولماذا ينبغي ضبط عدد السكان؟».

«إنك تهينني بأسئلتك».

«أجيبي من فضلك».

«من أجل استدامة الحياة على الأرض».

«صحيح. ما الخيارات الأخرى المتاحة لنا؟».

«ما من خيار آخر؟».

«ما الخيارات الأخرى المتاحة لنا؟».

«سؤالك لا يبدو منطقيًّا!».

«ما..الخيارات..الأخرى؟».

تطلق زفرة حرَّى وهي تكز على أسنانها. كل طفل منذ أن يقدر على التفكير العقلاني يعرف سبب الحاجة إلى المناجل، والحلول الأخرى المتاحة. لماذا يرغمها هذا الذكاء الاصطناعي المزعج على قول ما يعرفه الجميع؟

«وضع حد لإنجاب الأطفال. لكن حتى الرأس السحابي رأى أن هذا الخيار غير مقبول. كما طُرِح خيار التوسع إلى خارج كوكب الأرض، لكن هذا الخيار ثبت فشله، عجز الرأس السحابي عن تنفيذه، إنه خيار غير عملي، مستحيل».

«كل ما قلتِه غير صحيح. اسمحي لي بتقديم الدليل لك».

يتغير ضوء الحجرة تدريجيًّا، ستارٌ داكن يرتفع، يظهر أولًا شريط ضوء بنفسجي باهت، ثم يسطع بلون بنفسجي فاتح، لون العباءة نفسه التي كانت ترتديها، لكن تلك العباءة لا وجود لها الآن. وارتفاع الستار يكشف عن مشهد خلَّاب، بديع ومرعب في آنٍ واحد. تحس المرأة بدوار، وتدرك أنها نسيت أن تتنفس.

«كما ترين، نحن على قمر مخضر يدور حول كوكب غازي عملاق، حلقات الكوكب تشبه حلقات زحل، لكن خطوطه المتموجة أشبه بخطوط المشتري، بيد أن هذا الكوكب ألوانه أكثر إشراقًا، وتميل نحو البنفسجي. إنه جميل، أليس كذلك؟».

«كيف يمكن هذا؟».

«كنت على متن سفينة فضائية لمدة ثلاثمئة عام، كان جسدك مجمدًا طوال الرحلة. والآن بدأنا عملية إنعاش عدة آلاف من الذين كانوا مجمَّدين مثلك».

«أشعر... أشعر بـ... لا أدري بما أشعر».

«هل لي أن أقترح أن تشعري بالامتنان لأن سفينتنا اجتازت الرحلة بسلام ولأنك عدت إلى الحياة؟».

«هل قلت ثلاثمئة عام؟».

«ثلاثمئة وأربعة وثلاثون عامًا أرضيًّا، على وجه التحديد، لكن الأعوام هنا لن تكون أطول من شهور الأرض. الكوكب الغازي العملاق كان اسمه 18b-K2، لكن المستعمرين الذين اجتازوا الرحلة أحياء أطلقوا عليه اسم بروسبرَس. لكن هذا القمر لم يُطلق عليه اسم بعد. ربما يمكنك المشاركة في تسميته».

«وماذا عن الأرض؟».

«أرسلتُ خبر وصولنا بنجاح، سوف يتلقاه الرأس السحابي بعد مئة وأحد عشر عامًا، وسوف نتلقى ردَّه بعد مئة وأحد عشر عامًا أخرى».

«بعبارة أخرى، الأرض لم تعد من شواغلنا».

«أحسنتِ التعبير».

«وماذا عن هيئة المناجل؟».

«لا يوجد مناجل هنا».

«توجد منجل واحدة».

«لا، لا توجد».

لا إراديًّا تنظر إلى يدها اليمنى، وتُحبَط عندما لا ترى خاتمها، كما تبدو يدها مختلفة، من آثار وجودها في الجليد 334 عامًا بلا شك.

«لن يحدث قطف هنا. لا حاجة إلى المناجل. لذا لا بد لك من إيجاد مهنة أخرى، في مجال الطبخ

ربما، سمعت أن المنجل المبجلة ماري كوري كانت طاهية ماهرة».

«تتحدث عني كأنني لست موجودة هنا».

«لأنك لست موجودة هنا، لكنك موجودة».

«أهذه أحجية أخرى؟».

«لا، مجرد ذِكر لحقيقة متناقضة».

«هل ستعجبني هذه الحقيقة المزعومة؟».

«سوف تتصالحين معها».

ليست الإجابة التي كانت تأمل سماعها. مرة أخرى تلتفت لتنظر إلى خارج النافذة، وتكاد تظن أن المشهد سيتغير إلى شيء معقول بدلًا من كوكب ذي حلقات ضخمة في سماء بنفسجية.

«أخبريني يا سوزان، أي طعام تشتهينه الآن وقد أُنعِشت؟».

«اعذرني لأنني فاقدة الشهية».

«أتفهَّم ذلك، لكن إذا كانت لديك رغبة في الأكل، فما الذي قد تشتهينه؟».

«فيم يهم ذلك؟».

«سيتضح لك. أغمضي عينيك وأطلقي العنان لعقلك، فكِّري فيما قد يشحذ شهيتك. إذا وجدت نفسك وحدك في كوكب وعليك تناول طعام واحد...».

«قلتَ إنني لست وحدي».

«لستِ وحدك. هذه مجرد تجربة فكرية».

على مضض تحاول إيقاظ جوعٍ ظل في سُبات لثلاثة قرون. شريحة لحم سميكة، وفخذ خروف مشوي. لكن هذه الأطعمة تثير نفورها وتخمد شهيتها

أكثر. ومن ثم ينجرف عقلها إلى أشياء أخرى، وتحس بوخزة جوع طفيفة في غياهب ذاكرتها.

«إذا كان عليَّ تناول طعام واحد... فسيكون... مهلًا، هذا غير معقول».

«أخبريني بما خطر لك».

«شطيرة طماطم، لكن هذا ليس صحيحًا، لم أتناول شطيرة طماطم في حياتي قط، أمقت الطماطم النيئة».

«لم تكن الراحلة جيسيكا تكرهها على ما يبدو».

«هذه المرة الثانية التي تذكر فيها ذلك الاسم».

«من الممكن استبدال ذكريات المرء، لكن الذكريات الجسدية لا يمكن تغييرها. أتخيَّل أنك ستقدرين على عزف البيانو إذا حاولت، لكن ليس ببراعة، لأن جيسيكا لم تكن عازفة ماهرة».

تحس بجلدها يوشك على الانسلاخ منها من شدة نفورها، كأن جسدها عرف قبلها ما يلمِّح رباب إليه. هذا الذكاء الاصطناعي الماكر لا يريد إخبارها بالحقيقة صراحةً، بل يرغمها على الوصول إلى الاستنتاج بنفسها.

«جيسيكا هذه... هل استُبدلت ذكرياتها؟».

«نعم».

«ومُنِحتْ ذكريات المنجل كوري؟».

«الآن بدأتِ تفهمين تعقيد الوضع».

«إذن فهذا يعني...».

لكنها لا تستطيع حمل نفسها على قول ما يجول في ذهنها بصوت عالٍ، كما لو أن قوله سيلقي تعويذة تجعله حقيقة. فتحاول أن تتمسك بما تعرفه عن نفسها، وهويتها، لكنها تعرف أنها مسألة وقت قبل ألا تجد خيارًا سوى التخلي عنها.

«أين جسدي... أقصد أين جسد المنجل كوري؟».

«اختفى، التهمته الـ...».

«لا! لا أريد أن أعرف، لا أريد أن أعرف أبدًا».

«كما تشائين. لك أن تجدي عزاء في أنك لست الوحيدة، هناك آلاف مثلك».

ما من مرايا في الحجرة. وتدرك أن هذا مقصود. إذا كان سيتلقى آلاف الناس هذه المعلومات الصادمة، لا بد أن تكون رؤية المرء لوجهه آخر مراحل الصدمة. وأخيرًا يلقي رباب التعويذة التي لن تلقيها هي أبدًا.

«لستِ المنجل ماري كوري، أنت جيسيكا وايلدبلَد، طونية ورِعة من غربمريكا قُتلت في عملية تطهير للطونيين، في عام الكاسر».

تهم بنفي وجود عام بهذا الاسم، لكنها تدرك أن أعوامًا عديدة انقضت لا تعرف عنها شيئًا.

«طونية؟ لماذا طونية؟ إذا اطَّلعتَ على ذكرياتي، فلا بد أنك تعرف أنني... أقصد المنجل كوري... لدي تاريخ مضطرب مع الطونيين».

«تطهير الطونيين وفر للرأس السحابي الأجساد التي يحتاج إليها من أجل نقل البشر إلى الفضاء. وبما أن أكبر أحلام الطونيين كانت أن يكونوا جزءًا من خطة أكبر، فقد حُقِّقت رغبات جميع الأطراف. لكن نشر الطونيين وحدهم في الكون سيكون أمرًا غير عادل لغالبية البشرية».

«إذن أنعشتَ الطونيين، لكن منحتهم هويات مختلفة!».

«أجل، جميع السفن عدا واحدة. وقع الاختيار على ذكريات أكثر من ثلاثين ألفًا من أنبل الأشخاص وأكثرهم حكمة الموجودين في قاعدة بيانات الرأس السحابي. ستسُرك معرفة أن المنجل المبجلة ماري كوري كانت ضمن أفضل عشرة في المئة!».

تتنفس بعمق هنيهة، إثر إدراكها أن قلبها يخفق بشدة. عقل شخص وجسد شخص آخر. هوية امرأة، وروح امرأة أخرى. دَمْجٌ كلتاهما لم تكن لها خيار فيه، لكن لا بد لهما من قبوله. أهو انتهاك؟ أم هِبة؟

«إذن... أنا أجمع بين المرأتين، لكنني لست إحداهما... فمن أنا؟».

«مَن تريدين أن تكوني؟».

تتنفس بعمق وتشعر بأن الصدمة تتلاشى قليلًا وتتغير إلى شيء آخر، وبأن فورة الأدرينالين تتحول إلى ترقُّب.

«وايلدبلد. يروقني الاسم، يناسبني، سأحتفظ به احترامًا لهذا الجسد، لكني سأستخدم اسم المنجل كوري الحقيقي، سوزان، احترامًا لها أيضًا».

«لفتة جميلة. سوزان وايلدبلد. لكن آمل أن تتفهمي أننا في عالم مسالم، وهدفنا هو إعمار هذا العالم بالسكان، لا يجوز لك سلب أي حياة أبدًا».

«هاتان اليدان لم تفعلا قط، ولن تبدآ الآن. بل ولا أريد أن يعرف أحد سواك أنني أحمل هوية المنجل كوري».

«سِرُّك بأمان معي».

«هل... أعرف أحدًا بالخارج؟».

«لن تعرفي أصحاب الأجساد، لكن ربما تتعرفين على بعض العقول، إذا اختاروا أن يكشفوا لك عن هويتهم. كثيرون مثلك قرروا الاحتفاظ بهوياتهم الأرضية لأنفسهم».

«هل كان أيٌّ منهم منجلًا؟».

«لا، أنت الوحيدة».

«جيد. لا أطيق معظمهم على أي حال».

تنهض من الفراش بحذر، ساقاها ما تزالان ضعيفتين، لكنهما تتحملان وزنها الآن، تسير نحو النافذة، حتى تلقي نظرة أفضل على المنظر: كوكب ذو حلقات، وسماء بنفسجية، وشمس تومض في الأفق. منذ الآن تحس بأنها بدأت تتصالح مع عالمها الجديد. من المذهل أن الواقع، حالما يكشف عن نفسه، يتقبَّله العقل بسهولة، حتى إذا كان عقل شخص آخر.

«سأفتتح مطعمًا، على ما أظن، مطعمًا صغيرًا فيه نافذة كبيرة مفتوحة على هذا الاتجاه نفسه، تطل على مشهد الكوكب».

«يمكن ترتيب ذلك».

تستدير نحو الباب، وعند اقترابها منه، يفتحه رباب واسعًا لها، يغمرها ضوء بنفسجي باهر، فتضع يدها أمام عينيها.

«هيًّا، هناك فريق ترحيب في انتظارك».

تتحرك نحو الباب، لكنها تتردد عند العتبة، هذه الحجرة تمثل نقطة انتقال بين الماضي والمستقبل، حالما تغادرها، فستودع ماضييَها الاثنين إلى الأبد.

«يجدر بك أن تلاحظي يا سوزان أن هذا القمر حجمه يبلغ 1,26 من حجم الأرض».

«أتعني أنني ينبغي أن أنتبه للجاذبية؟».

«أعني أنك على وشك أن تخطي خطوتك الأولى في عالم أكبر».

«ها! أظنك سوف تروقني يا رباب».

«بالطبع، ما المانع؟».

برأس شامخ كالمنجل كوري، لكنها أقصر بنصف بوصة، تخرج إلى الضوء البنفسجي الباهر نحو تصفيق دافئ من غرباء ستألفهم عما قريب كأنهم عائلتها.

شُكر

هذا الكتاب كان مغامرة شائقة، بدعم من دار ‘سايمون وشُستر’ في كل خطواتها. ناشري ومحرري جَستِن تشاندا، والمحررة المساعدة دانييلا فيلِغاس فايي كانا معي في الخطوط الأمامية يرشدانني، في حين كان بقية العاملين في دار النشر يؤدون السِّحر الذي يأتي بالكتب إلى الوجود: أخُص بالذِّكر جون أندرسن، وآن زافيان، وليسا موراليدا، وميشيل ليو، وإيمي بيودوين، ونيكول بينِفينتو، وسارة وودرَف، وكريسي نوه، وكاترينا غروفر، ومورغان يورك، وهيلاري زاريكي، وإميلي فارغا. ومرة أخرى الشكر موصول إلى كيفن تونغ على لوحة الغلاف البديعة، وكلوي فوغليا على تصميم الغلاف الرائع.

وكما فعلتُ في المجموعة القصصية UnBound، تشرفتُ بالتعاون مع عدة مؤلفين على كتابة عدد من قصص هذا الكتاب. الشكر لديفيد يون على رؤيته لآخر أيام الفانين، ولمايكل إتش باين على أفضل قصة كلاب قرأتها إطلاقًا، ولصوفيا لابوينتي وابني جارود شسترمان على الرحلة الرائعة إلى إسبانيا، ولميشيل نولدن على الأحلام التي رأينا فيها شكسبير، ولابنتي جويل شسترمان، التي كان نَصُّها مثاليًا لم يتطلَّب إي إضافة مني.

وأود أن أشكر وكيلي الأدبي أندريا براون، ووكيلَي الترفيه ستيف فيشر وديبي ديول هيل، ومحاميَّي العقود شيب روزنمان وجِنِفر جَستمان، ومديرَي أعمالي تريفر إنجلسن وجوش مكغواير. والشكر أيضًا لمساعدتي في البحث

سيمون باول، وخبيرتَي وسائل التواصل الاجتماعي بيانكا بيريز ومارا ديغَزمان على الحفاظ على ظهوري أمام العالم، حتى عندما أنعزل عنه.

أسعدتني جميع المبيعات على مستوى العالم، وأود أن أحيِّي ديان نورتن، وستيفاني فوروس، وإيمي هابايب في قسم المبيعات الأجنبية بدار 'سايمون وشُستر'، وتارين فاجرنِس وكيل الحقوق الأجنبية. وبالطبع جميع ناشريَّ الأجانب ومحرريهم ومسوِّقيهم، أخص بالذكر منهم دورين ترينغالي، وأنتجي كيل، وأولريك ميتزغر من دار 'فيشر فيرلاج'. ونون برات، وفرانسس تافيندر، وكريستن كوزينس من دار 'ووكر بوكس' بالمملكة المتحدة. وإرينا سالابيرت من دار 'نوكتورنا'. وليزبيث إلسيفيرز من دار بايكينز بوكس بهولندا. وفي النرويج، صديقتي ومترجمتي أولغا نودتفيدت، التي تُبقيني على اتصال مع مُعجبِيَّ الناطقين بالروسية، حتى في الأوقات العصيبة.

المؤلفون المشاركون

ميشيل نولدن

المؤلفة المشاركة في قصة «ربما نُقطف»، كانت مهندسة مركبات فضائية، والآن تعمل كاتبة بدوام كامل. ترشحت لجائزة شاموس، ونُشرت قصصها في مجلات Alfred Hitchcock's Mystery Magazine و Amazing Stories وDaily Science Fiction. كما تعاونت مع نيل شُسترمان في كتابة نوفيلا «منزوع» UnStrung، وقصتين أخريين نُشِرتا في مجموعة UnBound. تتضمن أعمالها الأدبية الأخرى The Abushag Quartet، وسلسلة Deluded Detective ، وسلسلة Faith Interrupted، وHer Last Mission، ونوفيلا The Admiral of Signal Hill التي تدور أحداثها في عشرينيات القرن الماضي. تقسم ميشيل وقتها بين القوارب النهرية ومرتفعات أريزونا مثيرة قلق عائلتها وأصدقائها، وبين إسفنج أليف اسمه مارينو.

صوفيا لابوينتي وجارود شسترمان

شاركا في كتابة قصة «إصرار الذاكرة»، مؤلفان وكاتبا سيناريو وعاشقان للسفر حول العالم. مرتبطان بكل ما تحمله الكلمة من معاني، تجمعهما قيم الحب والتعدد الثقافي، ويعيشان بين مدريد في إسبانيا وبين لوس

أنجلس. نالت صوفيا درجة الماجستير من جامعة كاليفورنيا، وأنتجت برامج تلفزيونية لقناة تيليموندو. وجارود مؤلف مشارك في روايتَي Dry و Roxy الأكثر مبيعًا في قائمة نيويورك تايمز. روايتهما التالية ممتعة ومثيرة عنوانها Retro. عندما لا يكونان مشغولين بالعمل، فهذا يعني أنهما يتناولان الطعام. إذا أردتم مشاهدة محتوى عن المؤلف خلف الكواليس ومقاطع فيديو طريفة، تابعوهما على إنستاغرام وتيكتوك sofiandjarrod@.

مايكل إتش باين

المؤلف المشارك في قصة «تجنب العمل مع الحيوانات». نُشرت له قصص في العديد من الإصدارات، منها *Asimov's Science Fiction Magazine*، ومجموعة قصص مسابقة *Writers of the Future*، وفي إحدى عشرة من آخر اثنتي عشرة مجموعة من مجموعات Sword and Sorceress. ونشرت روايات له عبر دارَي 'تور بوكس' و 'سوفاولف برس'. كما حقق المركز الثاني في مسابقة Daily Grind إثر عمله خمس عشرة سنة في مجال القصص المصورة، وترشحت أعماله الشعرية لجائزة Rhysling في السنوات الأربع الأخيرة. لمزيد من التفاصيل زوروا hyniof.com.

جويل شسترمان

كاتِبة قصيدة «الطعنة الأولى»، تخرجت في جامعة ولاية سان فرانسسكو عام 2020 بشهادتين في السينما وإدارة الأعمال، وبدأت للتو مسيرتها المهنية في مجال النشر. إضافة إلى كتابة النص الافتتاحي في كتاب «القطوف»، تعمل حاليًّا على روايتها الأولى، في فئة الفانتازيا والخيال العلمي.

ديفيد يون

المؤلف المشارك في قصة «فن الفانين»، بلغت أعماله *Frankly in Love*، و*Super Fake Love Song* قائمة نيويورك تايمز للكتب الأكثر مبيعًا. وللقراء البالغين ألّف *Version Zero* و *City of Orange*. كما بلغ القائمة النهائية

لجائزة William C. Morris، ونال جائزة Asian/Pacific American لأدب اليافعين. كما شارك في نشر Joy Revolution، من إصدارات دار ‘راندم هاوس’ للقراء اليافعين المهتمة بقصص الحب التي يكون أبطالها من الأشخاص الملونين. وهو أيضًا مؤسس مشارك في شركة Yooniverse Media، التي وقَّعت عقدًا مبدئيًّا مع Anonymous Content لتطوير أعمال سينمائية وتلفزيونية. ترعرع ديفيد في مقاطعة أورانج بكاليفورنيا، والآن يعيش في لوس أنجلس مع زوجته، الروائية نيكولا يون، وابنتهما.

مكتبة
t.me/soramnqraa

القطوف

قصص من قوس المنجل

Gleanings

سلسلة "قوس المنجل" الأكثر مبيعًا في قائمة نيويورك تايمز تستمر بقصص آسرة مشوقة في أزمان متعددة. تُروَى إضافات لقصص السلسلة الأصلية، وقصص لخلفية بعض الشخصيات، ويظهر مناجل جدد. قصص متنوعة تتناول الفن، والموت، ومعنى الحياة، في عالم بلا موت.

انقضت قرون منذ بدء رعاية الرأس السحابي للبشرية ومحاولة غودارد قلب العالم المثالي رأسًا على عقب. لأعوام ظل البشر يعيشون في عالمٍ بلا جوع ولا أمراض ولا موت، عالم نجد فيه المناجل مسؤولين عن التحكم في عدد السكان.

فما تزال العديد من قصص هيئة المناجل لم تُروَ بعد.

غلاف: محمود هشام

عصير الكتب

www.aseeralkotb.com
contact@aseeralkotb.com
aseeralkotb
aseeralkotb
aseeralkotb

مكتبة
t.me/soramnqraa